History of the most famous Eastern Martyrs

Part 1

By: Addai Scher Chaldean bishop of Seert

چاپخانەی
ئاراس
هەولێر - کوردستان
Aras Press
Kurdistan - Erbil

KHI KURDISH HERITAGE INSTITUTE

كتاب

سيرة اشهر

شهداء المشرق

القدّيسين



طبع في الموصل

في دير الآباء الدومنكيين

سنة ١٩٠٠

IMPRIMATUR

† Fr. Henricus ALTMAYER S.O.P

ARCHIEPISCOPUS BABYLONENSIS,

DELEGATUS APOSTOLICUS

كتاب

سيرة اشهر

شهداء المشرق

القديسين

بقلم: المطران أدي شير

الجزء الاول

الطبعة الاولى – الموصل ١٩٠٠

الطبعة الثانية – أربيل ٢٠٠٩

معهد التراث الكوردي ـ السليمانيه



اسم الكتاب: كتاب سيرة اشهر شهداء المشرق القديسين/ الجزء الأول

كتبه: أدي شير مطران سعرد على الكلدان

مراجعة و تنقيح: الآب ألبير أبونا

إشراف: سراب سامي سعيد – بوار نورالدين

سلسلة الكتاب: ٨٤

التصميم الداخلي: كاروان سالار

تصميم الغلاف: حميد رەزا ئازموده

عدد النسخ: ١٠٠٠

الطبعة الأولى: الموصل ١٩٠٠

الطبعة الثانية: أربيل ٢٠٠٩

المطبعة: ئاراس ـ أربيل

رقم الإيداع (١٣٧٢) لسنة (٢٠٠٩) وزارة الثقافة لأقليم كوردستان

العنوان: العراق ـ السليمانية ـ عەلى ناجى

محلة ١٠٣ ـ زقاق ٥٢ ـ رقم الدار: ٢٢

TELFAX: 0044704-3137233

www.khi03.com

khi_2003@hotmail.com

طبع على نفقة دار ئاراس للنشر



فهرست الكتاب

التقديم

ان العلامة المرحوم أدي شير، مطران سعرت التركية، كان من الذين أستُشهدوا سنة ١٩١٥، خلال الاحداث المؤسفة التي جرت في مطلع الحرب الكونية الاولى التي أودت بحياة الألوف من الناس الأبرياء من مختلف الأعمار والقوميات والمذاهب.

لقد قيلَ وكُتبَ الكثير عن هذا المطران الذي عُدَّ بين أشهر علماء زمانه، ونال أعجاب العلماء الغربيين المستشرقين الذين شجعوه وساعدوه معنوياً ومادياً ليقدم للعالم نتاج أشغاله العلمية، وكان إنتاجهُ وافراً، ذُكر في العديد من الكتب والمراجع، ونخص بالذكر منها كتاب (أدب اللغة الآرامية) لصاحب هذه المقدمة، الطبعة الثانية في بيروت ١٩٩٦(ص٤٩١-٤٩٦).

ومن أشهر الكتب العديدة التي نشرها العلامة الجليل أدي شير:

١. تاريخ كلدو وآثور بجزئين.
٢. أشهر شهداء المشرق بجزئين.
٣. التاريخ السعردي بالنص العربي والترجمة الفرنسية مع تعليقات علمية قيمة.

واليوم نسلط الاضواء على كتاب سيرة أشهر شهداء المشرق بجزئيه، ويقع الجزء الاول في ٤٢٦ صفحة، وطُبع سنة ١٩٠٠ في مطبعة الآباء الدومنكيين في الموصل، وطُبع الجزء الثاني في المطبعة نفسها سنة ١٩٠٦ ويقع في ٤٢٨ صفحة.

ومن البديهي أن المطران العلامة أدي شير لم يستنبط المعلومات التي دوَنها في الكتاب الذي أقدمه اليوم للقراء الكرام، لأن بعض هذه المعلومات يعود الى القرون المسيحية الاولى وحتى الى القرن الميلادي الأول، وليس ثمة مؤرخ يدَعي بأن الاحداث التي ينقلها والتي دارت طوال نحو ألفي سنة يستمدّها من معلوماته

الشخصية، كلنا نحتاج الى من سبقونا في الحياة ونستند الى خبراتهم والى خبرات من سبقوهم في العالم، لكي يتسنى لنا أن نربط بين أحداث الحياة الكثيرة والمتنوعة، ونكون منها سلسلة متناسقة الحلقات، توفّر للناس إطّلاعاً جيداً — وليس كاملاً— على أكبر قدر من الاحداث التي جرت على مدى قرون طويلة.

ومن أين استقى المطران ادي شير المعلومات التي دوّنها في كتابه النفيس؟

لقد قام الاب اللعازري الكلداني بولس بيجان بنشر كتب عديدة من تراثنا الشرقي، منها سلسلة تتكون من ستة مجلدات بالاضافة الى كتاب سابع سماه (فردوس الآباء).

أما الاجزاء الستة فقد أطلقنا عليها عنوان (سيَر الشهداء والقديسين) وتحتوي المجموعة على أكثر من (٥٠٠٠) صفحة، وكلها موثّقة بالهوامش العلمية استمدها من مختلف المخطوطات القديمة، وكلها بالنص الكلداني واستقى أدي شير مواضيع كتابيه من المجلدات الاولى من هذه السلسلة، وقد تصرّف قليلاً في الترجمة العربية واختصر بعض المواضيع مع التزامه الأمين بما ورد في النص من المعلومات التاريخية والجغرافية.

ومن أين حصلَ الاب بولس بيجان على هذا الكنز العظيم من المعلومات؟

يطول بنا البحث اذا تطرقنا الى مصادر هذه الثروة الهائلة من المعلومات التراثية انما نقول بإيجاز إن الناس منذ عهود الشهداء الاوائل في المسيحية في الشرق الاوسط شرعوا يهتمون بإكرام هؤلاء الشهداء، ويبحثون عن أخبارهم ويجمعون منها ما يتسنى لهم جمعه، ويتأملون قصصهم وأعمالهم البطولية، ولا سيما أحداث استشهادهم فتكوّنَ أولاً تقليد شفهي تناقلته الأجيال وعلى مرّ الزمان أفضى الى تسجيل بعض الاحداث، خوفاً عليها من الضياع والنسيان، على أوراق مستقلة أو في كراريس صغيرة يسهل تداولها في الجماعات المسيحية...

وقد استطاعَ مار ماروثا، أسقف ميافرقين في ما بين النهرين العليا، أن يجمع الكثير من هذه الكتابات وكان ماروثا قد أقبل مرات عديدة من منطقة الروم الى

البلاد الفارسية في مطلع القرن الخامس، ليقوم بمهمة المصالحة بين الدولتين المتخاصمتين وقد أفلح في تحسين العلاقات بينهما وقام أيضاً بدور كبير في مساعدة كنيسة المشرق وتنظيم شؤونها، بعد المحنة القاسية التي مرت بها(الاضطهاد الاربعيني) والتي أثارهُ عليها الملك الفارسي شابور الثاني في (٣٣٩-٣٧٩) وأفلح ماروثا في عقد المجمع الاول في كنيسة المشرق سنة ٤١٠، بتأييد من الملك الفارسي... واهتم ماروثا أيضاً بجمع كل ما يتعلق بالشهداء من الوثائق والذخائر، فنقل الكثير من هذه الذخائر(العظام) الى المنطقة الغربية، ولا سيما الى مدينة ميافرقين التي سُميت لذلك (مدينة الشهداء- مذينَث ساهدي).

ألا أن أهتمامه الأول أنصبَّ على جمع أخبار هؤلاء الشهداء من شهود عيان، أو من كتابات منتشرة في المدن والقرى والارياف، وكذلك الصلوات والتراتيل التي وُضعت أكراماً لهؤلاء الشهداء، فنقل هذه الكنوز الى مقره الأسقفي، وسعى في تنظيمها وحفظها، فانتشرت مخطوطات آرامية عديدة تضم هذا التراث الكريم.

لا شك أن قسماً كبيراً من هذا التراث ضاعَ عبر الاجيال الطويلة، ولا سيما أن هذه المناطق كانت غالباً ساحات للحروب والمعارك الدامية، وما تتمخض عنه من السلب والنهب والتخريب والتدمير فكان مصير الكثير من هذه المخطوطات منوطاً بمصير اصحابها، وتعرضت مثلَهم لمساوئ مُختلفة.

أما ما بقي من هذا التراث، فقد استلمته الاجيال اللاحقة، ولم تكتفِ بانتساخه، بل أضافت اليه معلومات كثيرة، وهي تهدف من وراء ذلك الى تسليط المزيد من الأضواء على الشهداء وحياتهم وبطولاتهم وأعاجيبهم، فتكوَّنت أكداس من القصص، اختلط فيها الأصيل بالمنحول، وتناولتها ايادي العلماء الشرقيين والغربيين، وصارت لهم مادة دسمة لدعم تقاليدهم المحلية وجاءت المطابع، وقامت بدور مهم جداً في تثبيت هذه الاحداث ونشرها في العالم الواسع وهنا لا يمكننا أن نتجاهل الدور العظيم الذي قام به العلماء السماعنة اللبنانيون في هذا الشأن، ولا سيما شيخهم العلامة الاكبر يوسف سمعان السمعاني في كتابه

الموسوعي الذي عنوانه (المكتبة الشرقية) الذي طبعه في روما (سنة ١٧١٩-١٧٢٨) وذكر فيه الكثير من هذه القصص والتقاليد.

وقام الاب بولس بيجان بعمل جبّار اذ جمعَ كل ما تسنّى له جمعه من الوثائق المخطوطة والمطبوعة، وقابل المخطوطات، واستفاد من جميع الملاحظات الواردة فيها، وكوَّن منها موسوعته (سير الشهداء والقديسين) وهو كتاب متعدد الاجزاء كما ذكرنا، وهو بمثابة منجم لا تنفذ نَفائسه ونبع تتدفق مياهه العذبة فتروي ظمأ المتعطشين الى التراث الشرقي الأصيل فإنه يحتوي على الكثير من المعلومات التاريخية والجغرافية والطوبوغرافية، بالاضافة الى إشارات قيمة في العلاقات المتبادلة بين الشعوب والحكومات، وبين مختلف التيارات الدينية، والى البراهين والحجج التي ترمي الى إثبات الحق ودحض الباطل.

ونزولاً عند رغبة (معهد التراث الفلكلوري الكردي) في السليمانية في أعادة طبع الجزئين من كتاب (سيرة أشهر شهداء المشرق) لا يسعني إلا أن أثني على هذه الرغبة وأثمّن هذه المبادرة الرائعة وأشكر الذين يقومون بتحقيق هذا العمل العظيم الذي يهدف الى تسليط الأضواء على تراث بلادنا المشترك لأن هذا الكتاب يحتوي على أحداث كثيرة جرت في منطقة بين النهرين العليا والسفلى، ومن شأنها أن تُطلع القراء الكرام على مواضع ربما أسدَل عليها الزمان صمتاً كثيفاً، ولعلَّ هذا الكتاب يفتح امام القرّاء والباحثين آفاقاً جديدة تكشف عن الكثير من أحداث الماضي البعيد، وبذلك تتيح لنا أن نستمد دروساً نفيسة لحاضرنا ولمستقبلنا.

فأقدّم خالص شكري وتقديري الى السيدة سراب سامي على إقدام إعادة طبع هذا الكتاب التراثي القيّم الذي نأمل أن يوفرَ لقرائه ساعات مطالعة عذبة، وللعلماء والباحثين مادة علمية رصينة فالله اسأل أن يُمدّ الاخوة بدوام النشاط في نشر تراث البلاد الأصيل، وأتمنى للكتاب انتشاراً واسعاً وفائدة كبيرة للجميع.

وبدافع الأمانة، لم أشأ أن اغيرّ في النص إلا ما رأيته ضرورياً جداً، كما أنـي لم أُضف اليه شيئاً، حتى الحواشي التي بدت احياناً مفيدة للقراء الكرام.

بغداد ٢٠/ ٤/ ٢٠٠٨

الاب ألبير أبونا

مقدمة معهد التراث الكردي

في الازمنة القديمة، كان الشخصيات الدينية، يمارسون الكتابة والتحقيق في التأريخ، وكان للمراكز الدينية الاولوية في مجال كتابة التأريخ والأعمال الأدبية ومازالت هذه المراكز و مؤلفاتها، ذات أولوية في أرشيف العالم.

إن الدين المسيحي الذي انتشر في الشرق، كان له أسبقية في هذا المجال. وهناك شخصيات دينية لهم دور كبير وعلى مر العصور، كان هناك العديد من المؤلفين والحكماء، اهتموا بكتابة التأريخ وكان لهم الفضل الأكبر في تعريفه للأجيال اللاحقة. كما كان هناك دائماً مدارس دينية وعلمية وثقافية ترعى هؤلاء المثقفين، فقدموا لنا أهم المصادر التاريخية والادبية والعلمية، التي ساعدتنا على فهم الماضي و التواصل مع الحاضر، وبالرغم من الظروف الصعبة التي مر بها الشرق الاوسط، من عمليات ابادة وقتل وحرق المكتبات القيمة واتلاف أهم المصادر. إلا أنه لا زال لدينا بعض من هذه المؤلفات التي تعتبر من أهم وأندر المؤلفات.

إن كنيسة المشرق التي نشأت في الرها، في القرن الاول للميلاد وامتدت الى منطقة ما بين النهرين، تمركزت حول المدائن، ثم بسطت اشعاعها على المناطق الواقعة شرقي دجلة وغربي الفرات، وعلى ضفاف الخليج العربي، كان لها دور كبير في رفد التاريخ، بمؤلفات مهمة وقيمة، وساعدت على فهم التاريخ. اما الكلدان، فقد كان لهم مدارس شهيرة قبل ميلاد المسيح، لكن للاسف لم يصلنا الا النزر اليسير من تأليفاتهم؟! والسبب في ذلك، يرجع الى ان الكلدان بعد ايمانهم بالمسيحية، اتلفوا من دون تمييز كل أثر وثني اتصل بهم من اجدادهم، لكن منذ القرون الاولى للميلاد، ظهر في كنيسة المشرق، كُتاب وأُدباء وشُعراء، رفدوا اللغة السريانية بمفرداتها الاصيلة، وغذوا الفكرة الدينية وطوروا التعبير اللاهوتي في

أهم المدارس، مثل: مدرسة الفرس في الرها ومدرسة نصيبين، التي أصبحت فيما بعد جامعة مرموقة في كنيسة المشرق. في الجيل الخامس والسادس والسابع، شهدت الاداب الارامية الكلدانية، أزدهاراً كبيراً، وكان مركزها في أورهاي ونصيبين والمدائن، كما شيدت المدارس في المدن الاخرى وحتى في القرى، وفي أغلب الاديرة، فكان للنصارى فيما بين النهرين، نحو خمسين مدرسة درسوا فيها العلوم الآرامية واليونانية، كما الحقوا بهذه المدارس مكتبات وكان في أديارهم شيء من مؤلفات ارسطو وجالينس وسقراط، لكن للاسف واكب كنيسة المشرق عبر مسيرتها الطويلة، الكثير من المآسي والمحن مما عرضها للتدمير والنهب والحرق، لكن تاريخها لم يضيع، خاصة بوجود كاتب ومؤرخ غيور على تاريخ كنيسته وشعبه، مثل: المطران (أدي شير) الذي قدم لنا مجموعة من الكتب القيمة والمهمة والتي تعتبر من أهم المصادر التاريخية للعالم عامة و للشرق الاوسط خاصة، لانه دون بمؤلفاته أحداث تاريخية، تساعدنا على قراءة تاريخ المنطقة واحوال سكانها، مع العلم ان هذه المؤلفات التاريخية على الرغم من أهميتها، الا انها نادرة ومن الصعب الحصول عليها لقلتها.

ومعهد التراث الكردي، في أطار مشروع جمع معلومات عن مسيحيي كردستان، والذي أبتدأ منذ أكثر من سنتين، قرر أعادة طبع هذه المؤلفات النادرة لعدة أسباب، أهمها: ديمومة العلاقة الوثيقة بين جميع الاديان وسبل تطويرها، التأكيد على التعايش الدائم بين جميع الطوائف الدينية في كردستان، الاستفادة من المعلومات الدينية والتاريخية.

يطبع هذا الكتاب لمطران سعرد على الكلدان (أدي شير) كأول نشاط ملموس لهذا المشروع، وقد قام المعهد بعمل دراسة تحليلية كاملة على شكل هوامش تعريفية للاماكن والشخصيات الواردة في الكتاب، ألا أن الاب البير أبونا فضل طبع الكتاب كما هو دون اي اضافة... وسيتبع هذا الكتاب، نتاجات أخرى تضم طبعة جديدة للتاريخ السعردي، الذي كتبه المطران ادي شير.

مشروع يتضمن بحثين. أولها يهتم بجمع معلومات تتعلق بالمراسيم الدينية والعادات والتقاليد للمواطنين المسيحيين الساكنين في محافظة السليمانية... وثانيا: بحث تاريخي تراثي عن موقع بازيان. ونتوقع ان تنشر جميعها خلال سنة ٢٠٠٩م.

المشروع ينفذ من قبل معهد التراث الكردي وبأشراف السيدة (سراب سامي سعيد) مسؤولة القسم المسيحي في المعهد وبمساعدة المختصين في العالم المسيحي في كردستان والعراق وعلى رأسهم (الاب البير ابونا) الذي قام مشكورا بمراجعة وتنقيح الطبعة الجديدة لهذا الكتاب، ولا يفوتنا ان نقدم الشكر الجزيل (للاب لويس ساكو) مطران كركوك الذي ساهم في انجاز مشروعنا.

***

نبذة عن حياة المؤلف
المطران أدي شير

ولد الطفل صليوا الاسمر في بداية شهر آذار سنة ١٨٦٧م، في قرية دراباد (شقلاوة)، من أبوين عُرفا بالتقوى ومخافة الله، وسمي الطفل بالاسمر؟ لانه كان أسمر اللون. تعلم اللغة الكلدانية على يد والده القس (يعقوب شير) الذي كان يدير مدرسة في كنيسة شقلاوة، يتلقى فيها الاطفال المسيحيون مبادئ الايمان وبعض الصلوات وشيئاً من اللغة الارامية، وقد برز صليوا من بين اقرانه بحبه للتعلم الذي أغناه وجوده في منطقة فيها مكتبة غنية بالكتب القيمة التي أثرت به كثيراً، حتى أنه اعتزل عن الناس، ودأب على الصوم الدائم والصلوة الغير منقطعة والقراءة الروحية، مفترشاً الشوك سجادةً له مبالغةً في قمع جسده.

توفيت والدته في ١٨٧٩م، وعند زيارة المونسينور ليون القاصد الرسولي لقرية شقلاوة سنة ١٨٨٠م أصطحبه معه الى معهد مار يوحنا الحبيب، الذي كان قد تم افتتاحه قبل سنتين في الموصل، لاعداد الكهنة الكاثوليك وسلمت ادارته الى الاباء الدومنيكان، وفي المعهد عكف صليوا على نهل الفضيلة والعلم بشوق واندفاع حتى تفوق على اقرانه، لكن في هذه الفترة اصيب الطالب المجد بمرض قاتل كاد أن يودي بحياته، الا انه شفي بمعجزة ربانية صارت فيما بعد أعجوبة يتداولها الناس.

في ١٥ آب ١٨٨٩م، رسمه غبطة البطريرك (مار ايليا عبو اليونان) كاهناً بأسم القس (ادي شير) تيمناً برسول المشرق، فعينه رؤساؤه في كركوك سكرتير للمطران وما أن استقر به المقام هناك حتى عكف على تعلم اللغة التركية، وبدأ يترجم بعض من الصلوات الطقسية من كتاب صلاة الفرض الى اللغة التركية، كان للقس ادي شير طموحات اعظم حيث انكب على جمع الاخبار والمعلومات عن

الكلدان عبر العصور، وشرع يطلعنا شيئاً فشيئاً على الكنوز والامجاد التي أشتهر بها هذا الشعب العريق.

أقيم مطران لكرسي أبرشية سعرد سنة ١٩٠٢م من قبل البطريرك (يوسف عمانوئيل الثاني توما) لكن ابرشيته كانت فقيرة، فقرر أن يرمي عصفورين بحجر فيفرج عن ابناء ابرشيته من ضائقة الفاقة والعوز، ويتحف أمته بكتاب يشيد فيه بامجادها ويكشف كنوزها عبر التاريخ، في سنة ١٩٠٨م ذهب الى بيروت واسطنبول وزار السلطان عبدالحميد، كما أستقبل في روما من قبل البابا القديس بيوس العاشر، ثم زار باريس في سنة ١٩٠٩م وتعرف الى كبار المؤرخين والمستشرقين، واطلع على آرائهم وافكارهم وتأليفاتهم، حيث كان ضيفاً على اكاديمية الاباء والكتاب، واخيراً رجع الى ابرشيته مع ما سخت به الايادي البيضاء من المحسنين، ليوزعه على ابناء ابرشيته من الفقراء وبدون تمييز فعرف في المنطقة كرجل غني وسخي.

بينما كان ادي شير في اوج نشاطه وقمة عطائه اندلعت الحرب العالمية الاولى فانهزم الجيش العثماني بقيادة (جودت باشا) امام الجيش الروسي شر هزيمة في معركة وان، فانسحب الجيش العثماني، لكنه في طريق أنسحابه هذا قضى على ثمان ابرشيات كلدانية، بتهمة التجسس التي أتخذت ذريعة لنهب أموال الابرشيات، حتى وصل الدمار الى مدينة بدليس القريبة من سعرد، فأدرك ادي شير ان سعرد اصبحت قريبة من يد الجيش العثماني، لهذا التجأ الى الامير البوتاني (بدرخان) وطلب منه المساعدة، وهكذا اعتبر المطران في صفوف المناهضين للعثمانيين، فأصدر الوالي العثماني للمنطقة أمراً بالقبض على المطران وجلبه للوقوف أمامه لمقاضاته بتهمة التجسس، وبالفعل حضر المطران المحاكمة وقضي عليه بدفع غرامة بين (٢٠٠-٥٠٠) ليرة عثمانية لفداء نفسه من الموت، دفع المطران الغرامة وذهب الى بيته، ألا ان الوالي كان قد كلف جنوده بمراقبة المطران، فوقف الجندرمة العثمانية على باب بيته لمراقبة

تحركاته، فقرر المطران الهروب من سعرد مع خادمه، عبر ممر خفي بين بيته وكنيسته متنكراً بالملابس الكردية يستره ظلام الليل وقد ساعده في الهروب (كمال بيك) وهو احد معاوني الامير الكردي بدرخان حيث كلف كمال بيك و(تنزلي عثمان آغا) بتحضير الحصان والحراس لايصال المطران الى مكان أمين، في اليوم التالي، علم الوالي بهروب المطران، فأصدر امراً بقتل جماعي للمسيحيين، كما قتل سكرتير المطران في سعرد وأستولى على مبنى المطرانية ونهبه، كما حرق مكتبتها التي كانت تحتوي على مجموعة كبيرة وقيمة من الكتب النادرة، ثم جعل مبنى المطرانية حظيرة للحيوانات، اما المطران (ادي شير) فلم يعرف مكان اختفاء، ومدته، الا انه ذهب الى قرية (دەرشەوه) التي كان له علاقة صداقة حميمة مع آغا تلك القرية والذي هيأ له الاختفاء مع خادمه وشخص أيزدي كان برفقته داخل كهف في القرية، وقد كانوا يقتاتون على الخبز اليابس وبعض الجبن للتغلب على الموت في هذا الكهف... لكن بعد فترة وجيزة وعن طريق احد المخبرين، استدل الجندرمة العثمانيين على مكانهم فحاصروا القرية ثم نهبوها واحرقوها، واخيراً قبضوا على المطران ومن معه، فقتلوا رفيقيه في الحال وعذبوا المطران الى ان قدموه الى الوالي الذي حكم عليه بالاعدام، وفي ساعة اعدامه طلب المطران الشهيد بعض الوقت للصلاة، فخلع صليبه وكان خاتمه في يده، ثم توجه الى السماء بالصلاة والشكر لله، ومن ثم قدم نفسه للاعدام فمزق الجنود صدره بثماني طلقات أنهت حياته وهكذا قضوا على هذا الرجل وطمروا هذا العلم الغزير قبل ان يبلغ الخمسين من عمره وكان موته في ٢٠ حزيران ١٩١٥م.

ولم يكتفي الضابط العثماني بقتله، بل قطع اصبعه لسرقة الخاتم الذي كان به، وقطعوا رأسه وجاؤا به الى مدينة سعرد... الا ان شجاعة ادي شير اثرت في قلوب الجندرمة العثمانيين، مما جعلهم يحفرون له قبراً ويبنونه بالحجارة.

وعلى الرغم من ان خبر قتل هذا المطران كان معروفاً بين مسيحي المشرق، الا ان اوربا لم تعلم بخبر استشهاده، لانهم كانوا يعتقدون ان ادي شير لازال مختفياً في الكهوف ويتنقل من كهف الى اخر لتظليل الجندرمة حتى انه ذكر ضمن مقالة (G-RISELLE) نشرت في أحدى المجلات الاوربية بصيغة (حضرة المطران ادي شير) بدل المرحوم المطران ادي شير.

ادي شير كان يهتم بأعداد وتأليف وترجمة عشرات الكتب وكانت كتاباته متنوعة وتصب في عدة روافد أهمها التربية، تعليم اللغة، جمع المعلومات عن الشخصيات الدينية المهمة، بيبلوكرافيا المخطوطات، تاريخ الادبيات السريانية الشرقية والغربية بالرغم من اهتماماته المتنوعة هذه الا ان اكثرية كتبه لها علاقة وثيقة بتاريخ كردستان، حيث وردت اشارات عديدة عن المنطقة ومنها ما ورد في أحدى كتاباته المتعلقة بجمع معلومات عن مخطوطات الكنيسة سنة ١٩١٠ في ص(١١٩–١٣٩) حيث يدون تاريخ الامير (محمد باشا الراوندوزي).

من كل ما تقدم نجد ان المطران ادي شير لم يكن شخص متعصباً دينياً، كما أنه نظر بمساواة الى كل الشعوب والقوميات والاقليات والاديان المختلفة في كردستان خاصة والعالم بصورة عامة وفي نفس الوقت كان شخصاً نموذجياً وفذاً في كثير من افكاره ونظرياته وهذا ما سيلمسه القارئ بوضوح عند مطالعته لكتابه الذي نحن اليوم بصدد اعادة طبعه لفائدة القراء والباحثين ولكل من يهتم بالتاريخ[١].

١– لكتابة هذه المقدمة، راجعنا هذه المصادر:

– دليل الى قراءة تاريخ الكنيسة، مجموعة من المؤلفين المختصين، المجلد الثاني، دار المشرق –بيروت ١٩٨٦م.

– ضحى الاسلام، أحمد امين، الجزء الثاني، مصر ١٩٣٨، ص٥٩–٦٠.

– تاريخ كلدو و آثور، ادي شير، اربيل٢٠٠٧.

– شهداء المشرق الاب البير ابونا الطبعة الثانية بغداد –٢٠٠٦.

– كنيسة المشرق الكلدانية الاثورية، أ.يوسف حبي. الكسليك– لبنان.

– تاريخ الادب السرياني، المؤلف روبنس دوفال، ترجمة الاب لويس قصاب، بغداد– العراق١٩٩٣. تاريخ الكنيسة الشرقية، المطران ميشيل يتيم والارشمندريت اغناطيوس ديك، لبنان–بيروت ١٩٩٩.

(Siirt Vakayinamesi, Adday Şer, Yaba Yayınları ١٠٤, ISBN ٩٧٥–٢٨٦–٠٧٨–١ İstanbul ٢٠٠)

(Jean Maurice Fiey, Analecta Bollandiana, C.٨٣, Bruksel)

مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي انتخب له اناساً في الفضائل نافسوا نفاساً، وفي العلم والعمل صاروا ركناً وأساساً، وفي الفضل والتقى مشكاةً ونبراساً أمابعد فيقول الفقير اليه تعالى القس ادى صليبا ابرهينا الكلداني: انهُ لما كان اغلب الشرقيين من الكلدان والسريان جاهلين لما كان عليهِ آباؤُهم الفخام، واجدادهم الكرام، من سمو المكانة، وصحة الامانة، وشيم الشمائل، وهمم الفضائل، وطهارة السريرة، وقداسة السيرة، وهم الفعلة المجتهدون الامناء، الذين ما انفكوا يفلحون كرم رب السماء، فانعم عليهم بحسن الرضاء، واولاهم خيرَ جزاء، وهم المبشرون المنورون الذين قطعوا الجبال والوهاد، وجابوا البلاد، وهدوا الضالين من العباد الى طريق الهدى والرشاد، وهم الشهداء البسلاء الشجعان الذين سفكوا دماءَهم محاماة لدينهم اصح الاديان، وسقت تلك الدماء الزكية اراضي الكفر الجدباء الشقية، فلم تلبث ان اخصبت واتت بثمار شهية قدسية: آليتُ على نفسي ان اجد في جمع ما اتى بهِ هؤلاء الابطال من جليل الاعمال وحميد الفعال، وما امتازوا بهِ من النصرة العجيبة التي ليس لها مثال، في الحروب الدائمة المتفننة الأشكال، الكثيرة الصروف والأهوال، وعلى الرب الإتكال، وهو سميع مجيب لا يخيب الآمال.

إن كتبتنا الفاضلين كتبوا بوقتهِ في الكلدانية سيَر اجدادنا القديسين وان بعضاً من هذهِ السيرَ كُتبت باليونانية واللاتينية ايضاً، كجهاد القديس ماري وزوجتهِ مرتا، واستشهاد الشهيدَين الجليلَين عبدون وسينون في رومية وغير ذلك وكثير مما كُتِب في السريانية من سيرَ قديسينا العظام اخذتها يد الضياع، وما بقي منها لم يكن مخزوناً في كتابٍ واحد بل كان مُشتَتاً هنا وهنا وكان العلامة السمعاني قد

طبع كثيراً من هذه السير مع ترجمتها الى اللاتينية، وتُرجم بعض منها الى الفرنسية ايضاً، لكن القسم الاكبر منها كان دائماً مدفوناً في زوايا النسيان الى ان حفزت الغيرة الاب بيجان اللعازري العجمي الكلداني، فجمع هذهِ الدرر النفيسة ونشرها في عدة مجلدات، فخدم الطائفة والعلم خدمةً جليلة.

وقد سألني الاباء الدومنيكيون المحترمون الذين لا يزالون منذ تأسيس رسالتهم في الموصل يخدمون بكل نوع بغيرة ونشاط وطننا العزيز دون أن يكلوا ان اجمع فاترجم الى العربية جميع سير قديسي الكلدان والسريان الذين كانوا مثال القداسة والبرارة في غابر الأزمان، ليسهل على مواطنينا الإطلاع على أجدادهم فيقتدوا بآثارهم فاستعنتُ بالله تعالى واقبلتُ على جمع ما تسنى لي جمعهُ من تراجم اولئك الجهابذة الافراد الذين تلألأوا في سماء الكنيسة الشرقية نظير كواكب ساطعة ملأ نورُها الخافقين وقد قررتُ بعونهِ تعالى ان اقدم اليوم لبني الوطن المجلدَ الاول من هذه التراجم، وان شاء الله سبحانهُ سأُطرفهم بالمجلد الثاني.

وكل هذه القصص بمنزلة رواية حقيقية، وهي عدا كونها تعلمنا اخص الواجبات المسيحية وتوحي الينا اجل الفضائل الادبية، تخبرنا ايضاً باحوال كنيستنا الكلدانية وتُرينا اية درجة من المجد والعظمة بلغت في الاجيال الماضية، وكيف ازدادت حيوةً ونماءً واشتدت قوة وسناءَ وانما لاجل هذه الغاية تحريتُ في هذا التاليف الترتيب التاريخي وبدأتُ من الملوك المجوس العظام، فرسلنا الفخام، وقديسينا الكرام، وشهدائنا النبلاء، وعلمائنا الاجلاء، ورهباننا الفضلاء، ونساكنا الاطهار الابرار الذين زهروا على التوالي في فلك كنيستنا المقدسة.

إن كتبة اغلب هذه القصص معلومة اسماؤهم وكانوا معاصرين للشهداء والقديسين الذين كتبوا سيرتهم، وبعضهم كانوا معاينين لجهادهم، والقسم الاعظم منها كتبهُ مار ماروثا اسقف ميافرقين كما نقول في الوجه (١٩١)، ان هذا الاسقف القديس اقبل بسفارة جليلة اكثر من مرة من قبل ملوك الروم الى ملوك الفرس لعقد الصلح بينهم وإزالة الاضطهاد الثائر على النصارى كما سنقول ذلك

مفصلاً في ترجمته في المجلد الثاني وفي سفارته هذه اعتنى بجمع قصص شهدائنا الصحيحة الذين قُتلوا في الاضطهادات التي ثارت في ايام شابور ويزدجرد وورهاران ملوك الفرس.

وصنف لهم مدائح بديعة تترنم بها الى اليوم الكنيسة الكلدانية، وحمل شيئاً كثيراً من عظامهم الى مدينة ميافرقين التي لاجل هذا السبب دُعيت مدينة الشهداء.

وهاك الان كلاماً وجيزاً عن كل قصة او عن جملة من القصص ان ما قلتُ عن الملوك المجوس مأخوذ من اباء الكنيسة اللاتينية واليونانية ومن تصاريف كتبة كنيستنا الكلدانية (طالع كيوركيس وردا) وسيرة مار ادي وما اجي ومار ماري مطبوعة في المجلد الاول من سيرة القديسين والشهداء طبعة الاب بيجان، ومكتوبة ايضاً في سيرة القديسين، خاصة كنيسة كويسنجاق وفي غير ذلك من الكتب الحاوية قصص القديسين.

وترجمة مار ابراهام الكشكري الجاثليق ماخوذة من كتاب المجدل الحاوي تراجم بطاركة الكلدان، وفي السطر الثاني من هذه الترجمة مكتوب (وتوفي سنة ٩٨م) وهو خطأ وصوابهُ سنة (١٠٧م) وفي السطر الاخير يُقرأ (وكان جلوس مار ابراهام على كرسي مار ادى الرسول سنة ٩٨ وتوفي سنة ١٢٠) والصواب وكان جلوس مار ابراهام سنة (١٣٠)م وتوفي سنة (١٥٢)م.

واخبار ظفر مار شربيل كتبها مارينوس واناطولس الموثقَان، وجهاد برسميا الاسقف كتبهُ زنفوليس وبطرافوليس الموثقين وكانوا جميعاً معاينين وهذه الاخبار مطبوعة في المجلد الاول من سيرة القديسين والشهداء طبعة الاب بيجان وقصة مار يوشافاط وبرلعام ماخوذة من كتاب سيرة القديسين طبعة الاباء الدومنيكيين في الموصل.

وجهاد مار فوليكرون وعبدون وسينون وماري وزوجته ترجمتهُ عن الفرنسية، وهو مأخوذ من البولاندستيين، وكان مار يعقوب اسقف نصيبين كتب بالكلدانية جهاد عبدون وسينون، كما يقول ذلك جناديوس في كراسة الكتبة الكنائسيين.

وأخبار مجادلة مار ارخلاوس مع ماني المبدع مترجمة عن الفرنسية ومأخوذة من تواريخ الكنيسة تاليف العلامة روربكر واخبار جهاد مارغوريا وشامونا وحبيب الشماس كتبها تئوفيل وكان معايناً، وهي مطبوعة في المجلد الاول من كتاب سيرة الشهداء والقديسين طبعة الاب بيجان، وفي هذه القصة عوض غوريا مسطور عوزيا وهو خطأ.

وقصة القديسة فبرونيا كتبتها تومايس الراهبة، وهي مطبوعة في المجلد الخامس، وقد تُرجمت منذ القديم الى اليونانية واللاتينية ان تيلمون والسمعاني قد شكّا في حقيقة هذه القصة استناداً الى انهُ لم يكن اديرة في ذلك الزمان، ولكنا مع تأديتنا الاحترام لهذين الفاضلين والاقرار بفضلهما الجزيل نخالف رأيهما هذا وذلك اولاً لاننا نرى آثار الرهبنة في كل مكان وفي كل زمان، لا بل نشأت مع النصرانية نفسها، وثانياً قبل سنة ٣٦٣م التي فيها تفرق تلاميذ مار أوجين وبنوا في الديار الفارسية عدة اديرة، كان يوجد اديرة كثيرة للرهبان والراهبات في الكنيسة الكلدانية، كما يبان ذلك جلياً من تواريخنا فانهُ في سنة ٣٤٧م، كان في اربيل كثير من البتولات المكرسات لله عز وجل مسميات (بنات قياما) اي العهيدات كما يتضح ذلك من اخبار جهاد القديسة تقلا ورفيقاتها (طالع وجه ٢٧٣ من هذا المجلد).

وفي سنة ٣٤٦م، كان مار بربعشمين الجاثليق يعهد الى الرهبان ان يستبدلوا زيهم الرهباني بثياب بيض لبيس العلمانيين لكي ينجوا بذلك من الاضطهاد (القسم الثاني من تاريخ ابن العبري الكنائسي).

وقبل سنة ٣٤٣م كان مار شبيا رئيساً في دير من الاديرة في بلاد فارس وفيها نال اكليل الاستشهاد مع عشرة من رهبانهِ (طالع وجه ٢٥٦).

وفي سنة (٣٤١)م ذُبح عدد لا يُحصى من الرهبان والراهبات (وجه ٢٣٩).

وقبل سنة (٣٢٨)م كان في كركوك عدة راهبات كن اتينها من مدينة ليدان (وجه ١٧٣).

ومسطور ايضاً في قصة مار قرداغ انهُ كان في جبل بغاش ناسكان جليلان اسم واحد منهما عبديشوع واسم الاخر بيري، وكان هذا الاخير قد تنسك نحو سنة ٣٨٥م.

وفي لحف الجبل كان دير فيهِ رهبان كثيرون (وجه ٢٩٣).

وقبل سنة (٣٠٣)م كان غوريا وشامونا قد تمسكا بالسيرة النسكية (وجه ١١٩) وفي بداية الجيل الرابع كان في ارض القطاريين دير مشحون بالرهبان كما يبان ذلك جلياً من قصة مار يونان الذي نصب ديراً في مدينة الانبار.

واخبار استشهاد سلطان ماهدوخت واخويها كتبها جبرائيل الشهرزوري الذي عاش في الجيل السابع، وهي مطبوعة في المجلد الثاني من كتاب سيرة الشهداء والقديسين طبعة الاب بيجان.

وجهاد مار يونان وبركيشوع ورفقائهما كتبهُ اشعيا بن حدابو من خيالة الملك وكان معايناً، وهو مطبوع في المجلد الثاني.

وجهاد معنا اسقف كرخ سلوخ او كركوك مأخوذ من تاريخ كركوك وشهدائها، ولنا نسخة منهُ في كركوك، وهو مطبوع في المجلد الثاني.

وجهاد مار دادو وكوبرلاه كتبهُ داديشوع وعبديشوع الكاهنان اللذان كانا معاينين وهو مطبوع في المجلد الرابع.

وباقي القصص مطبوعة كلها في المجلد الثاني والرابع من سيرة الشهداء والقديسين طبعة الاب بيجان، ما خلا جهاد مانوئيل وسابيل واسماعيل الذي اخذناهُ من كتاب سيرة القديسين طبعة الموصل، واغلب هذه القصص نشرها ايضاً العلامة السمعاني وهي محفوظة في خزائن بعض كنائسنا في الكتب المخطوطة، وهي كلها مكتوبة بقلم مار ماروثا ماخلا قصص مار بهنام، ومار

قرداغ، ومار نوئيل ورفيقيهِ، ومار سابا الفتى، ومار باسوس وأختهِ سوسان التي لسنا نعلم من كتبها.

ولتسهيل قراءة نص الكتاب وضعنا هنا فصلين في جغرافية بلادنا وديانة الفرس، وجدولين يحويان ملوك الساسانيين والجثالقة الذين جلسوا على كرسي سليق منذ تأسيسهِ الى عهد النسطرة.



فصل في جغرافية البلاد السريانية

ان البلاد السريانية تُقسم الى قسمين، الاول يقال لهُ بلاد السريان الغربية وهو يحوي بلاد الشام اي سورية خاصة، والثاني يقال لهُ بلاد السريان الشرقية او بلاد الكلدان وهو يحوي ما بين النهرين وآثور وحدياب وباجرمي ورادن وما يتبعها، وان الكنيسة السريانية الشرقية وهي الكلدانية ما عدا بلاد السريان الشرقية كانت تحوي ايضاً بلاد فارس والماديين والفرثيين والاهواز وقسماً من بلاد ارمينية، والهند والعرب.

ان البقعة الكبيرة من الارض التي يكتنفها دجلة والفرات عُرفت منذ القديم بارض ما بين النهرين وهي التي تسمَى في سفر الخليقة بارض سنعار وتُقسم هذه البقعة الى قسمين، شمالي وجنوبي فالقسم الشمالي ويسمى خاصةً الجزيرة او مابين النهرين كان يشمل مدناً عظيمة مزهرة، منها الرها وتسمى الان أورفا وحران و سروج و آميد وتدعى الآن ديار بكر وميافرقين وماردين وحصن كيف و دُنَيسير و راس العين و بالاد وشنجار و نصيبين وجزيرة بازبدي وهي المسماة الان بجزيرة ابن عمر ومن جبالها المشهورة جبل إزل وهو بازاء نصيبين واما البلاد التي كانت تمتد من نصيبين حتى دجلة كانت تُدعى باعربي اي بلد العرب.

والبلاد التي حول جزيرة ابن عمر كانت تسمى بازبدي او قردو، وكانت تمتد من الجزيرة المذكورة الى أرزون (او أرزن) ومن اشهر قراها فنك وارجول واوصر وأزيخ وثمانون وبلاد أرزن كانت فوق بلاد قردو واعظم مدنها ارزن وهي الان خربة على مسافة ساعتين من سعرت.

واما القسم الجنوبي فهو المسمى الآن العراق العربي، وكان يحوي بلاد سليق وبابل وكشكر وفرات ميشان، ومدينة بابل مشهورة، وفي موقعها مبنية الآن مدينة

حلة، وهي في الجهة الجنوبية من بغداد على مسافة ١٨ ساعة منها واما سليق فكانت مبنية على ساحل دجلة الايمن بقرب بغداد وقبالتها قطيسفون في الموضع المدعو الان سلمان باك، وكانت تسمى كالابا وسبانير ايضاً، وكانتا متحدتين بهذا المقدار حتى كانتا كأنهما واحدة ولم يكن فاصلاً بينهما الا دجلة ولذا سُميَت مدائن وقد يجيء اسم المدائن وسليق وقطيفون وكوخي وماحوز بمعنى واحد في تواريخ الكلدان، وكانت عاصمة الفرثيين فالفرس، وفيها كان يسام ويجلس بطريرك الكلدان ومدينة كشكر كانت مبنية على شاطئ الفرات على مسافة ١٠ فراسخ جنوبي بغداد ومنها سُمي البلد وبلاد ميشان كانت تمتد الى سواحل خليج العجم وقاعدتها كانت مدينة فرات ميشان وهي نفس البصرة، هذا ما قلناهُ مختصراً عن البلاد الواقعة بين دجلة و الفرات.

وبلاد آثور كانت تمتد من نهر خابور الى الزاب الاكبر، ومن دجلة الى جبال كردستان، وعاصمتها كانت مدينة نينوى، ولذا تدعى ايضاً بلاد نينوى، ومن جبالها المشهورة جبل ألفاف ويسمى الان مقلوباً ومن اقسامها بلد داسان وبانوهدرا وحنيثا ومرجا اما داسان فكانت في الجهة الشمالية وهي على مسافة ست ساعات من الموصل، والكلدان يسمون حتى الان اليزيدية القاطنين في تلك الاقطار دسنايي وكانت هذه البلاد تسمى داسان السفلى واما بلاد جيلو وطياري فكانت تدعى داسان العليا ونوهدرا كان اسم دهوك وهي في شمالي الموصل على مسافة ١٢ساعة منها، ويسميها الان الكلدان إتوك، فكان كل البلد الذي في اطراف نوهدرا يُدعى بانوهدرا وأشهر مدنه وقراهُ: معلثاي، وتلحش، والقوش، وباعذري واما بلد حنيثا فكان بين بانوهدرا وداسان، وكان مرجا يشمل قضاء عقر وزيبار وهو في شرقيَ الموصل على مسافة ١٨ ساعة منها، ومن اشهر قراهُ: باشوش، وباريستاق، وعقر، وكابيثا.

وبلاد حدياب كانت تمتد من الزاب الاكبر الى الزاب الاصغر، ومن دجلة الى جبل راوندوز ومن اعظم مدنها اربيل، والبلاد الشمالية الواقعة بين الجبال كانت تدعى

بابغاش ومن اقسامها بلد هاران، وكان فيه مدينة عظيمة تدعى هاران ولحد الآن تبان آثارها وهي على مسافة ١٣ ساعة من اربيل، ومن اشهر قرى هاران بيث آسا التي منها كان الشهيدان الجليلان مار يونان وبريكيشوع واشهر قرى حدياب: كنزاج وحزة وعنكاوة وبيت كاتوبا وبيت طباحا وبرحوتون وملقي وبيت بخار و اسبراجلتا وتلدارا وتل شليلا وبيت صيادى.

وكانت باجرمي تمتد من الزاب الاصغر الى نهر تورمارا وهو نهر ديالى ومن دجلة وجبل حمرين الى جبل شعران، واعظم مدن وناحيات باجرمي كانت هذه:

١. كرخ سلوخ وتدعى الآن كركوك واشهر قراها: خاصين وحولاسار وحلمين وخاصا وتسعين.
٢. ناحية كانيكار واعظم مدنها بانيقاطور وهي في الجهة الشمالية من كركوك على مسافة ٥ ساعات منها.
٣. مدينة ماحوز وتسمى ماحوز ارنون (او اريون) وهي على شاطئ الزاب الاصغر على مسافة ٩ ساعات من كركوك وهي الآن خربة.
٤. داقوق وهي الآن قرية في جنوبي كركوك على مسافة ٩ ساعات منها.
٥. لاسوم وترى الان اخربتها وهي على مسافة ساعتين من داقوق.
٦. درابر أو لارب وتسمى الان قره طاغ وهي في شمالي كركوك على مسافة ١٦ ساعة منها، وكانت حربات جلال قاعدتها وترى فيها الان اثار مدينة قديمة تدعى زرد آباد.
٧. قرية دارا وكانت على شاطئ الزاب الاصغر في شمالي كركوك.
٨. مدينة شهركرد وتدعى الان شارقات وهي خربة وكانت على ساحل دجلة فوق مخلط الزاب الاصغر مع دجلة.
٩. ناحية لاشبار وكانت على سواحل نهر ديالى على مسافة اربع مراحل من كركوك، واشهر قراها كلال ودربد وداوين وباحريف.
١٠. ناحية شهرزور وهي بين كركوك ولاشبار.

وكانت بلاد رادن تمتد من نهر ديالى الى حدود بغداد، ومن اشهر قراها آباد.

وبلاد فارس كانت تقسم الى اربعة اقسام اي بلاد فارس خاصةً وبلاد المادين والفرثيين والاهواز.

اما بلاد الفرس خاصةً فكان يحدها شمالاً المادية وجنوباً خليج العجم وغرباً الاهواز وشرقاً قارمانيه واعظم مدنها اصطخار، وهرمزارداشير، وشدبور، و راوردشير ومن اقسامها بلاد الرازيقيين.

والمادية وسُميت بعد ذلك اذربيجان كان يحدها شمالاً بحر قزوين وجنوباً بلاد فارس والاهواز وشرقاً بلاد الفرثيين وهيركانيا وغرباً بلاد رادن وباجرماي وارمينية، ومن اقسامها بلاد الديلوميين والجليين الذين كانوا يقطنون في سواحل بحر قزوين، ومن اشهر مدنها: مراغة و بردعة و تبريز و اورميا و اردبيل و سلماس.

والاهواز تسع كور بين البصرة وفارس وتسمى ايضاً خوزستان او بلاد عيلام، واعظم مدنها بيت لافاط وتدعى ايضاً كونديشابور وليدان وسوس وقد يجيء اسم كونديشابور والاهواز وعيلام وبيت لافاط بمعنى واحد في تواريخ الكلدان وبلاد الفرثيين كانت في الجهة الشرقية من المادية.

وكانت بلاد القطريين في بلاد العرب على سواحل خليج العجم، وفيها كان دير مار توما المشهور وبلاد الحميريين كانت على سواحل البحر الاحمر بازاء بلاد الحبش.



فصل في ديانة الفرس القديمة وفي الملوك الساسانيين

إن الفرس كانوا متدينين بديانة زردشت الذي اشتهر قبل المسيح بنحو ٢٥٠٠سنة ويقول البعض انهُ كان قبل المسيح بنحو ٦٠٠ سنة، واصل معتقد زردشت القول باصلين او مبدأين اي بالاهين وهما الآه الخير والآه الشر.

فالاول منهما كان يسمى هرمزد يعني النور وهو اصل الصلاح وينبوع الخير، والثاني كان يُدعى اهريمان يعني الظلمة وهو مُبدع الفساد واليهِ كانت تُنسَب الامراض والعاهات والموت.

وكان للفرس كتاب معتقد يقال لهُ ابستاغ او زندَوسته، ومما كان مكتوباً فيهِ ان توقد النار دون غيرها اكراماً لهرمزد ومن ذلك نتجت عبادة النار عندهم وكانوا قد اضافوا الى معتقدهم هذا اشياء أُخرى انتحلوها من البابليين، فمنها عبادة الشمس والقمر والنجوم، وكانوا يعبدون ايضاً الهواء والارض والماء.

وكهنة الفرس كانوا يُسمون المجوس، وكان لهم منزلة عظيمة لدى العامة والخاصة حتى لدى الملوك انفسهم بحيث انهم كانوا لا يباشرون امراً إلا بمشورتهم، وكان من دأبهم أن يعتنوا بتهذيب الامراء وعظماء الدولة، وهم الذين كانوا يهيجون ملوك الفرس ويحملونهم على اضطهاد المسيحيين، والاكبر فيما بينهم كان يسمى موبذ او هيربذ.

واما الملوك فكانوا مطلقي الارادة، وكان لهم عند الناس مزيد الاكرام لانهم كانوا يتَخذونهم كالقائمين مقام الله نفسه.

هذا واعلم انهُ من بعد الاسكندر ذي القرنين صارت بلاد الفرس في حكم انطيوخس سلوقس ملك الشام احد قواد الاسكندر، وبقيت فارس في ملك السلوقيين الى ان قام ارشاق وانشأ مملكة الفرثيين وجعل مقرهُ في المدائن وفي سنة ٢٢٤ بعد المسيح قام اردشير بن بابك الملقَب بساسان وانشأ الدولة الساسانية التي انقرضت على يد الاسلام سنة ٦٥١ وكان مقر ملوك الفرس في المدائن، ومنهم من كان يشتو بالمدائن ويصيف بمدينة ليدان.

الملوك الساسانيون

السنة المسيحية	الملك الساساني
٢٢٤	اردشير الاول ابن بابك
٢٤٢	شابور الاول ابن اردشير
٢٧٢	هرمزد الاول ابن شابور
٢٧٤	ورهاران او بهرام الاول ابن هرمزد
٢٧٧	ورهاران او بهرام الثاني ابن ورهاران مع ورهاران الثالث
٢٩٤	نرساي كرمنشاه
٣٠٣	هرمزد الثاني ابن نرساي
٣١٠	شابور الثاني ابن هرمزد (هذا اثار اضطهاداً شديداً على النصارى)
٣٨٠	اردشير الثاني ابن شابور
٣٨٤	شابور الثالث ابن شابور
٣٨٩	ورهاران الرابع وهو هرمزد بن شابور
٤٠٠	يزدجرد الاول ابن شابور
٤٢١	ورهاران الخامس ابن يزدجرد
٤٤٠	يزدجرد الثاني ابن ورهاران
٤٥٧	هرمزد الثالث

٤٥٩	فيروز بن يزدجرد
٤٨٥	يالاش بن يزدجرد
٤٨٩	قباد الاول ابن فيروز
٥٣١	كسرى الأول انوشروان ابن قباد
٥٧٨	هرمزد الثاني ابن كسرى
٥٩٠	كسرى الثاني أبرويز ابن هرمزد
٦٢٧	شيرُوَيه بن كسرى ثم ارداشير الثالث ثم شهربراز ثم بوران بنت كسرى ثم زديموخت بنت كسرى
٦٣١	هرمزد الخامس ابن كسرى
٦٣٢	يزدجرد الثالث ابن كسرى وفي ايامه افتتح الاسلام بلاد فارس وقرضوا دولة الساسانيين وكان ذلك سنة ٦٥١.

بطاركة الكلدان منذ مار أدي الى باباي

السنة المسيحية	البطريرك
٣٥ – ٤٩	مار أدى
٤٩ – ٨٢	مار ماري
٩٠–١٠٧	مار ابريس (فرغ الكرسي بعدهُ ٢٢سنة)
١٣٠–١٥٢	مار ابراهام الاول (فرغ الكرسي بعدهُ ١٩ سنة)
١٧٢–١٩٠	مار يعقوب الاول (فرغ الكرسي بعدهُ ١٤ سنة)
٢٠٥–٢٢٠	مار احاد ابوي (فرغ الكرسي بعدهُ ٤ سنين)
٢٢٤– ٢٤٤	مار شحلوفا
٢٤٧– ٣٢٤	مار فافا
٣٢٤– ٣٤١	مار شمعون برصباعي
٣٤١– ٣٤٣	مار شاهدوست
٣٤٣–٣٤٧	مار بربعشمين (فرغ الكرسي بعدهُ نحو ٤٠ سنة)
٣٨٩– ٣٩٧	مار تومرصا
٣٩٩–٤٠١	مار قيوما
٤٠١–٤١١	مار اسحق
٤١٢– ٤١٥	مار احا
٤١٦ –٤٢٠	مار يابالاها
	مار معنا مار قرابوخت او مرابوخت (أُنزلا كلاهما عن الكرسي البطريركي ولا يُعلَم كم سنة جلسا عليه)

٤٢٠- ٤٥٦	مار داديشوع
٤٦٦-٤٨٤	مار بابوي الشهيد
٤٨٥- ٤٩٦	مار اقاق
٤٩٨-٤٠٣	مار باباي وهو اول بطريرك للنساطرة



الملوك المجوس

لما وُلد ربنا يسوع المسيح في بيت لحم يهوذا اذا بنجم عجيب ظهر في هذهِ البلاد منهُ استدل الحكماء الفلكيون بوحيٍ الآهي على ان المسيح ملك الملوك قد وُلِد في ارض اليهودية، فاجتمع بعض منهم وتجهزوا للسفر اليها ابتغاء ان يقدموا اكراماتهم للملك المولود.

وكانوا ثلاثة على رأي اغلب العلماء، واسماؤهم (كسبار، وملكون، وبلشاصر) او اثني عشر على رأي علماء بلادنا واسماؤهم: دروانددد بن قوارطش، وهرمزداد بن سطارج، وطيجر نسفا بن جوندافا، وايراشاخ بن ميهاروق، و زهر والذد بن ورواز، وايرياهو بن كسرو، وارتحشش بن حُلحاد، وإشتعبدون بن شِرواناش، ومهروق بن حوهيم، واحنيرش بن صِفحان، وصردالح بن بلدادن، وامروداخ بن بلدان، ويسميهم الانجيل الطاهر مجوساً، وكانوا ملوكاً وحكماء فلكيين حسبما اتى بهِ التقليد، او على الاقل كانوا رؤساء اقوامهم، وبالأصح كانوا امراء وعلماء معاً كما تشير اليهِ الهدايا التي قربوها ليسوع الطفل.

فهؤلاء ارسلتهم هذه البلاد مع هدايا نفيسة الى ارض فلسطين ليقدموها للملك المولود قائلةً لهم: "اقرأوا السلام على اورشليم وأظهِروا الامرَ لعظماء الكهنة، اذهبوا فوقروا بالذهب الملك الذي أشرق في اليهودية، وبالمر أعلِنوا بالآمهِ التي سيحتملها لاجلنا، وباللبان اعترفوا بازليتهِ وبانهُ مساوٍ للآب في القدرة وهو الرب الإِله، هوذا قد اقترب مُلك نمرود الذي عظم شأننا، فسوف تخضع جميع الامم لربوبيتهِ السرمدية، وها إِن النجم امامكم فاذهبوا وخروا ساجدين لهُ قائلين: انت ملكنا، ولك يليق الثناء يا سيد الكل".

فذهب المجوس مُسرعين الى ارض فلسطين، والنجم الذي رأوهُ يسير امامهم دلالةً لهم على مكان مولد المسيح، وكان نظير النجوم ذوات الذَنَب يفوق نورهُ

نورَ الشمس ويسير في وسط النهار مع مسير المجوس ويقف عند موقفهم ولا يـراهُ احد غيرهم، والتقليد يؤكِد انهُ كان فيهِ صورة عذراء في حضنها طفل.

وناهيك ان بلعام العراف كان قد سبق وقال أنهُ يطلع كوكب من يعقوب وعندما دنا المجوس من اورشليم اختفى النجم عنهم، وذلك حتى يضطروا ان يسألوا سكان المدينة عن الملك المولود فيذيع بذلك خبر ميلادهِ عند اليهود وعند هيرودس وحقاً انهم لدى دخولهم مدينة اورشليم سألوا عن المولود ملك اليهود، فاضطرب هيرودس وجميع اهالي اورشليم، فجمع هيرودس جميع رؤساء الكهنة وكتبة الشعب واستخبرهم اين يولد المسيح، فقالوا لهُ: "في بيت لحم يهوذا" ثم ان المجوس لما خرجوا من اورشليم، إذا النجم الذي رأوهُ في المشرق يتقدمهم، حتى جاء ووقف فوق حيث كان الطفل يسوع، فدخلوا ووجدوهُ على ذراعَي أمهِ الطوباوية، فخروا ساجدين لهُ، وفتحوا كنوزهم وأخرجوا أولاً ذهباً فقربوهُ لهُ مقرين بلاهوته، ثم لباناً معترفين بكهنوته، واخيراً مُراً مُقرين بالامهِ المستقبلة ومكثوا عندهُ تعالى بضعة ايام وهم يسجدون لهُ ويوقرون امهُ الطوباوية ويكلمونها ويُفرِحونها ولا ريب أنها كلَمتهم بلا مترجم اذ ان اليهود كانوا منذ الجلاء يتكلمون باللغة البابلية اعني بها الكلدانية (الآرامية) التي كانت لغة المجوس ايضاً، اذ انهم كانوا من نواحي بابل، فعلمتهم اسرار الديانة وأخبرتهم ببشارة الملاك لها وبكل ما كانت تعرفهُ عن ابنها المبارك، واما هم فكانوا يسمعونها ناصتين الى اقوالها العذبة بإكرام ووقارٍ عاملين بموجبها ثم انهم ودعوا يسوع الطفل بالحمد والشكر والسجود لهُ تعالى ولما عادوا الى بلادهم اخذوا يبشرون بهِ سبحانهُ، وقيل ان توما الرسول جاء اليهم بعد قيامة المسيح فعمذهم وجعلهم رفقاءَهُ بالانذار، وبعد ذلك قتلهم عبدة الاوثان ففازوا باكليل الشهادة.

وقد سبق اشعيا النبي وتنبأ عن سجود المجوس ليسوع المسيح اذ قال: "في ذلك اليوم يكون اسرائيل ثالثاً للمصري والاثوري " (١٩:٢٤) وبالحقيقة لقد أتى الاثوريون قبل جميع الامم فزاروا يسوع المسيح بشخص المجوس مُؤَدين لهُ

الإكرام الواجب، ثم ان المصري صار الثاني في قبوله يسوع في ارضه لدى هربه اليها، واما اسرائيل فلم يقبلهُ الا في السنة الإحدى والثلاثين من عمره وذلك بشخص الاثني عشر رسولاً، فصار اذاً الثالث للآثوري والمصري.

ان إيمان الملوك المجوس لعظيم وثباتهم لعجيب، إذ انهم شاهدوا الطفل الآلهي وهو لايملك قصراً وليس في يده قضيب، ولا على رأسه تاج لا بل هو في حال الاتضاع الادنى والفقر الاقصى وفي مغارة حقيرة ومع ذلك امنوا به وأقروا بعظمته وملكه ولاهوته.



مار أَدَّي الرسول

(٤٩م – ١٤ أيّار)

في السنة الاخيرة من حياة المسيح على الارض اذ كان خبر بشارته الالهية قد انتشر وشاع ليس فقط بين اليهود بل بين الامم ايضاً، اخذ الناس يتقاطرون اليه تعالى افواجاً افواجاً ليسمعوا كلامهُ ويشفوا من امراضهم فكان سبحانهُ يبشرهم عن الحيوة العتيدة بالكلام والعمل معاً، فكانوا يقتبلون منهُ الحيوة الابدية فيرجعون بكل فرحٍ وسرور الى منازلهم وهم حائزون على شفاء الامراض ومغفرة الخطايا ومن اجل هذا اخذوا يصورون صورة المسيح بأشكالٍ مختلفة كما أخبر أحد الصالحين قائلاً: "انني لما ذهبتُ الى قيصرية فيلبس وجدتُ فيها تمثال يسوع المسيح المتجسد، وكان هذا التمثال من نحاس مستنداً على صخرة عظيمة ممثلاً تلك المرأة التي كُتب عنها في الانجيل بانها كانت مبتلاةً بنزيف دم منذ اثنتي عشرة سنة وهي راكعة على ركبتَيها وباسطة يدَيها نحو التمثال، وتجاه المرأة كان تمثال آخر من نحاس ايضاً لرجلٍ متمنطق بحلةٍ وهو يمد يدهُ اليها، فلا ريب ان هذا الرسم كان لربنا يسوع المسيح على ما قالهُ جميع الذين كان قد أنعم عليهم المخلص بالشفاء، وكذلك في غير امكنة كانوا قد صوروا صورتهُ المقدسة بأصباغٍ والوانٍ فاخرة، وهذهِ الصور باقية الى يومنا هذا".

هذا وإن خبر المعجزات التي كان يصنعها المسيح اتصل بابجر ملك الرها، وكان ابجر مبتلىً بداء النقرس فلما بلغهُ عن القوات التي كان المسيح يصنعها كتب اليه ان ياتي فيشفيهُ، وبعث اليه مُرسَلين في هذا الخصوص، وهاك فحوى رسالته للمسيح: "ليسوع المخلص من ابجر رئيس البلد السلام، اما بعد فاني قد سمعتُ أنك تنقي البرصَ وتُخرج الارواحَ النجسة وتطرد الشياطين، فتيقنتُ بكونك الله وابن الله، انما اتيتَ لإبراء الخليقة، وانا لي مرض عضال، فالتمس اليك متضرعا

ان تاتي فتشفيني وقد بلغني ايضاً بان اليهود الذين انت مقيم بينهم يُبغضونك ويريدون سُوءَك، فان استحسنت فهلم عندي، فان لي مدينةً صغيرةً تكفي لي ولك فنعيش فيها بالراحة والامان".

ووصل المُرسَلون الى اورشليم في الثاني عشر من شهر نيسان وتلاقوا مع المسيح وهو جالس في دار احد عظماء الكهنة، وقُرِئت الرسالة قدامهُ، فكتب اليه المسيح لهُ السلام ما نصهُ: "انهُ قيل عني: طوبى للذين لم يروني وامنوا بي، اما الان فاني قاصد ان اكمل فعلَ مَن ارسلني، لكن بعد قيامتي وصعودي الى السماء أُرسل اليك واحداً من تلاميذي ليشفيك ويخول الحيوةَ لك ولتباعِك، لِتكن مدينتك مباركةً ولا يتسلط عليها العدو".

فلما وصلت رسالةُ المسيح الى ابجر قبلها بفرحٍ عظيم وسرور لامزيد عليهِ، واذ أخبرهُ المُرسَلون عن العجائب التي كان المسيح يعملها في ارض فلسطين، أنذهل متعجباً من قوةِ الله الباهرة، وكان يتحسر كثيراً عن عدم استحقاقه لتلك المشاهدة الآلهية فمن ثم أتى برجال يُحسنون التصوير وأمرَهم بالذهاب مع خدمهِ ليصوروا صورةَ المسيح، فامتثلوا امرهُ، وانطلقوا الى اليهودية، غير أنهم لم يستطيعوا رسمَ صورة المسيح، فلما تأمَل يسوع محبةَ ابجر لهُ وتعبَ المصورين مع عدم استطاعتهم لتصويرهِ، أخذ منهم منديلاً وطبقهُ على وجههِ الآلهي، وحالاً طُبعت عليهِ صورتهُ البهية مثلما كانت، فأتوا بالمنديل الى أبجر الملك، فقبلهُ بإكرامٍ عظيم وفرح جزيل، ولما تنصرت المدينة وُضع المنديل بوقارٍ عظيم في الكنيسة التي شُيدت فيها.

ومن بعد صعود ربنا يسوع المسيح، لما تفرَق الرسل في المسكونة، ألهمت العناية الربانية الرسل ان يُرسِلوا واحداً منهم الى مدينة الرها، فتولى الاعتناء في هذا الأمر المُهم مار توما الرسول فانتخب مار ادي الذي كان من جملة الاثنَين والسبعين تلميذاً وأرسلهُ اليها.

فلما بلغ مار أدي الى الرها نزل في بيت رجلٍ اسمهُ طوبانا اي سعيد، فشرع يتعاطى رسالتهُ صانعاً العجائب والمُعجزات، فما كان من ذلك الا وشاع خبرهُ في المدينة كلها، فبلغ الملك خبر مجيء رسول المسيح، فأمر من ساعته بحضور طوبانا عندهُ، فلما مثل بين يديه قال لهُ: "سمعتُ أن في بيتك رجلاً قديراً فأتني بهِ" فانطلق طوبانا من ساعتهِ وأتى بمار ادى الى الملك، فلما حضر بين يديهِ أشرق نورٌ سماوي من وجههِ على الملك، فخر الملكُ وسجد لهُ، واما الأعوان الحضار فاندهشوا مستغربين مما ادى الملكُ من السجود لرجلٍ حقير دني إذ انهم لم يعاينوا تلك الرؤية السماوية، ثم قال الرسول للملك: "لِمَ دعوتَني؟".

قال لهُ الملك: "بلَغني عَما فعلتَ من الايات والمعجزات، ففكرتُ بانك انت هو التلميذ الذي وعدني بهِ السيد المسيح، لانهُ كتب لي قائلاً: بعد قيامتي سأُرسل لك احدَ تلاميذي فهو يشفيك من مرضك، فأطلب إليك ان تصلي علي فتُبرئَني من سقمي هذا".

قال لهُ مار أدى: "إن امنتَ فتُستجاب طلبتك، فان الذي يؤمن ينال كل شيءٍ من المسيح".

أجابهُ الملك قائلاً: "اني امنتُ بالمسيح حتى لولا الروميون لَتوجهتُ الى اورشليم بالجنود ومحوتُ من وجه الارض اسمَ اليهود الذين صلبوهُ".

فلما رأى القديس ادي ايمانهُ وضع عليه يدهُ قائلاً: "تعافَ باسم المسيح" فشُفي من ساعتهِ وجعل يحمد الله تعالى ويشكرهُ على إنعامهِ هذا العظيم.

وان مار أدي أبرأ ايضاً جماً وافراً من اهل المدينة فعندما عايَن الملك ذلك قدم لهُ ذهباً وهدايا جزيلة نفيسة غير ان القديس لم يقبلها وقال: "اننا أخذنا مجاناً فنُعطي مجاناً".

ثم ان الملك وخاصتهُ التمسوا اليه ان يشرح لهم من هو المسيح وماذا علم واي شيءٍ صنع، فأجابهم الى ذلك فلما كان من الغد أمر الملكُ فاجتمع الاعيانُ قاطبةً وجم غفير من اهل المدينة، فشرع القديس يخاطبهم عن العناية الربانية وخلقة

العالم والآباء الأولين والانبياء الاطهار ومجيء ربنا يسوع المسيح وقيامته وصعوده وأعماله العجيبة وانذار الرسل في العالم كله.

وكان الملك يتعجب من أقواله ويستحسنها، فيلاطفهُ ويُثني عليه، وكان الروح القدس يُؤَيد قولَ القديس بالآيات.

فأطلع سبحانهُ في آفاق قلوبهم أقمار معارفه وشموس عنايته وقادهم بزمام الاهتداء من تيه الأضاليل الى مناهج طاعته، فعمذ مار أدى الملك ابجر وجماً وافراً من الخاصة والعامة، ولم يزل يقود الأهلين بازمة مواعظه الى طرق الاهتداء، ويودع اراضي قلوبهم بذور الحيوة الابدية، ويغذيهم بالأقوات السرمدية، فاهتدت المدينة وجميع الأطراف الى الايمان المسيحي، وكثير من الذين آمنوا كانوا يمارسون أفعال التقوى والعبادة.

وشيدَ مار أدي كنيسة الرها وزخرفها في جميع مقتضياتها، ورسم قسوساً وشمامسة، وتلمذ ايضاً القرى المجاورة وبنى فيها كنائس.

ثم اتى نصيبين فبلاد آثور وباجرمي وهو يطوف المدن والقرى مُلقياً على مسامع اهلها جواهر الانجيل وغاسلاً ادران ذنوبهم بطل سر العماذ، وصار لهُ عدة تلاميذ، منهم مار اجي ومار ماري ومار فالوط ومار بَرشلاما وغيرهم.

فبعد ان بنى فيها كنائس ورسم لها كهنة وشمامسة، رجع الى الرها وتوفي في الرابع عشر من شهر ايار سنة ٤٩م، ودُفن في الكنيسة التي كان بناها، وكان المؤمنون يُكثرون من زيارة ضريحه جاعلين لهُ تذكاراً سنة فسنة.

في هذه السنين الاخيرة وُجد تحت ردم كنيسة مار كوركيس التي في خارج كرمليس صندوق فيه من ذخائر مار ادي الرسول، فنُقلت ووُضعت في الكنيسة التي في وسط القرية، وبُني لها هيكل فاخر على اسم القديس.



مار أَجي الشهيد

(٥٢م—٣٠ تموز)

ان مار اجي كان تلميذ مار ادي الرسول ورافقهُ في اعمالهِ الرسولية، وكان مار ادَي لا يزال يحرضهُ على حفظ العفة ونبذ الورى الى الوراء وممارسة الفضائل المسيحية كما يليق بمَن يقوم امام مذبح الله.

ولما عرف انَهُ قد قربت ساعة ارتحاله من هذا العالم، دعا الكنيسة كلها، وخلف مار أجي مدبراً في مكانه، واخذ يرشدهُ قائلاً: "احتفظ جيداً في هذه الخدمة التي تقلدتها، ولا تمل في تكميل الصلوة الفرضية، وَجِه دائماً نظر عقلك نحو السماء لئلا تكثر بلاياك، اطلب النعاج الضالة جاعلاً فرحك كلهُ في وجدانها، مضمداً المخدوشة والمجروحة ومحافظاً على السمينة منها، وتاكد انك ستعطي يوماً جواباً عنها للمسيح، ولا تبتغ الاكرام الزائل، فان الراعي الطالب الاكرام من رعيته لا يجدي نفعاً لا بل تنفر منهُ الرعية مستنكفةً منهُ، اصرف جل اهتمامك في الخرفان والحملان الصغار التي ملائكتها يرون وجه الآب في كل حين، لا تكن صخرة المعثرة للعميان، واياك ان تقع في شرك الشيطان الذي لا يزال ينصب كل فخ الافكار الفاسدة".

قال هذا وانتقل الى حضن ربه، وقبرهُ مار اجي باكرام عظيم، وهو ايضاً حذا حذو معلمه، فطاف بلاد ما بين النهرين، والفرس زارعا فيها زرع الحيوة الابدية، وبعد ان تلمذ فيها جما وافرا رجع الى الرها.

إن القديس اجي كان يصنع قبلاً ثيابا حريرية وخوذات للملك، فلما تتلمذ لمار أدي وخلفهُ في مكانه امسك عن صنعته هذه، وكان الملك ابجر قد قضى نحبهُ وقام مكانهُ واحد من اولاده كان متمسكا بالوثنية اشد التمسك، فاعترض لمار اجي قائلاً: "اصنع لي طوقاً من ذهب كما كنت تصنع قبلاً لابائي".

فأجابهُ مار اجي جواب مصر على مخالفتهِ وكان من قولهِ لهُ: "اني لا ادع الخدمة التي تقلدتها من تلميذ المسيح فاصنع لك طوق الخطية".

فلما رأى عزيمتهُ وما هو عليهِ من عدم الطاعة لهُ والاذعان لحكمهِ، استشاط غيظاً وحنق عليهِ، فاستدعى بالجلادين وامرهم حالاً بقتلهِ، فكسر الجلادون ساقيهِ وهو في الكنيسة يخاطب الشعب من على المنبر، فتشذب غصن حياتهِ وقُبر في الكنيسة، وكان استشهادهُ على ما قيل في الثلاثين من شهر تموز سنة ٥٢م.



مار ماري رسول المشرق

(٨٢–١٩ تموز)

١– تنصّر نصيبين وارزون

ان مار ماري كان تلميذ مار ادَي الرسول، واذ كان معروفاً بأفعال التقوى ومخافة الله، وضع عليه مار ادَي يدهُ وارسلهُ قبل وفاته الى المشرق، نحو بلد بابل للانذار ببشارة المسيح فلما خرج مار ماري من الرها أخذ يتعاطى رسالتهُ، فلم يزل يتلمذ حتى وصل الى مدينة نصيبين، فزرع فيها بذور الايمان الصحيح مكسراً الاصنام، رامياً الأنصاب ومنكساً التماثيل ومشيداً كنائس وناصباً اديرة ومدارس مخلفاً فيها علماء، ثم توجه من هناك طالباً ارزون مع اناسيمس القسيس الذي رافقهُ من الرها وفيلبس وأدا تلميذه واخرين كثيرين، وكان ارسل واحداً منهم اسمهُ فيلبس الى قردو وعندما وصل هو الى ارزن جعل يستأصل كل عروق شجرة الضلال المنتشرة في ارض القلوب، فتلمذ فيها جماً وافراً بواسطة الايات والمعجزات التي كان يصنعها باسم المسيح.

وكان ملك ارزون طريح الفراش معترىً بداء النقرس، فلما بلغهُ خبر مار ماري اخذتهُ هزة الاشتياق الى رؤيته، فأمر ان يُؤتى به عندهُ واذ وقف القديس بين يديه فرح به جداً لان ماري خرَ ساجداً لهُ باكرام وسرور، وعظُم في عينيه خاصةً لمَا رأى منهُ من لطف الكلام وحسن الاخلاق، اذ ان القديس كان متواضعاً وديعاً حليماً مترحباً بكل احد خالياً من الغضب، فطلب اليه الملك قائلاً: "قُل لي من اي مذهب انت وما هي ديانتك، فانهُ يبين لي انك آله".

فاجابهُ القديس: "حاشاي ايها الملك، اني لستُ بآلهٍ ولكنني عبد الآله الحي، وديانتي هي النصرانية، اي اني اعبد المسيح ابن الله الحق الذي في اخر الازمنة نزل من السماء ورد العالم من طغيان الشيطان الى معرفة الحق فبهذا الاسم

اعترف وبقوتهِ اصنع هذه العجائب داكاً حصون الاضاليل ورافعاً عن القلوب ديجور الظلام".

قال الملك: "أفيستطيع اذاً سيدك حسب قولك ان يشفيني من وجعي هذا الاليم؟".

قال القديس: "هذا مما لا ريب فيهِ ايها الملك، فقط آمِنْ فيكون لك اكثر مما طلبت".

فانطرح حينئذٍ الملك على قدمَي مار ماري وتضرع اليهِ قائلاً: "آمنتُ ايها السيد فساعدني".

فوضع القديس يدهُ عليهِ قائلاً: "باسم ربنا يسوع الذي صلبهُ اليهود في أورشليم قم وامشِ".

وفي الحال شُفي الملك من علتهِ، واخذ يمشي كمن لاعيب فيهِ، فمن ثم تشرب بغض الاضاليل الوثنية وتعشق الحقائق النصرانية فاعتمذ هو وآل بيتهِ قاطبةً، وعندما شاهد ذلك اهل المدينة اجتمعوا الى القديس طالبين المعموذية، فعمذهم واقام لهم كنيسةً ورسم لهم قسوساً وشمامسة.



٢- تنصّر اربيل

ثم ان مار ماري بارح ارزون، فاتى الى بلد بيت زبدي فبلد العرب حيث تلمذ اناساً كثيرين، ومن هناك توجه نحو اربيل واثور، وكان ملك اربيل مبتلىً بداء الجرب ومخلع اليد اليسرى ولما باشر القديس يزرع في اربيل زرع الحيوة الابدية استغرب اهل المدينة تعليمهُ، فضجوا عليهِ قائلين: "من اين اتانا هذا الرجل المحاول إبطال آلهتنا؟" فدخلوا على الملك وسعوا بالقديس عندهُ، فاضطرب الملك وارتعب لدى سماعهِ قولهم، فامر حالاً باحضارهِ، فأحضروهُ ودخلوا بهِ

اليه، فقال لهُ الملك: "ما شانك تسجس المدينة، اذ تعلم وجود إلهٍ واحدٍ سمعنا ان اليهود قد علقوهُ على الخشبة في ايام هيرودس؟".

الرسول: "نعم ان اليهود المقاومين الحق صلبوهُ وقبروهُ، غير انهُ قام من القبر، وصعد الى السماء بمجدٍ لا يوصف، وهو الآن جالس عن يمين الله الآب، والآن لدى مشاهدتك العجائب التي اصنعها باسم القدوس تتاكد متيقناً بانهُ هو وحدهُ الإله الحق لا إله إلا هو وحدهُ".

الملك: "وما هي العجائب التي يقدر إلهك ان يصنعها؟".

الرسول: "ما من شيءٍ إلا وهو سهل لديه تعالى، فكلما تطلبهُ منهُ بايمان يعطِكهُ".

الملك: "ان شفيتني باسمهِ من مرضي هذا أُومن بهِ".

فركع مار ماري على ركبتيهِ ورفع عينيهِ نحو السماء قائلاً: "ايها المسيح الإله الحق إني اتضرع متوسلاً اليك ان تنعطف بنظرك على عبدك هذا المبتغي الشفاء فتبرئهُ من علتهِ هذهِ" قال هذا واخذ قليلاً من المشحة والماء، ورسم عليهما اشارة الصليب وسقى الملك، فشُفي من ساعته.

وكان زرادش قائد الجيش حاضراً هناك، فلما عاين شفاء مولاهُ ارعوى عن غيهِ منذهلاً، وطفق يقول باعلى صوتهِ للقديس: "مبارك إلهك الذي ارسلك الينا لتشفينا من امراضنا، مبارك المسيح المنذر انت به، عظيم مجدهُ، ووقارهُ يعلو كل الورى، مسجود لهُ في السماء على غابر الدهور وفي الارض على غابر الاجيال" ثم أحنى رأسهُ امامهُ عارضاً لهُ بغيتهُ وقال: "ان لي ابناً وحيداً ذا جمال اسمهُ داوي بهِ روح نجس يعذبهُ بقساوةٍ شديدة وهو مكبل بسلاسل حديدية" قال لهُ مار ماري: "إيتني بهِ هنا فترى شفقة المسيح عليه".

فلما مثل الصبي امامهُ اوقع صيحةً عظيمة وازبد وصر اسنانهُ، فصرعهُ الشيطان على الارض وعذبهُ حتى غدا الولد كالميت فدنا منهُ الرسول وانتهر

الروح وقال: "ايها الروح الأصم، انا امرك باسم المسيح الذي كسر شوكتك ويكسرها تماماً، اخرج من جبلة الله بدون ان تسبب لها ادنى مضرة".

فصاح الروح الخبيث وقال: "اين تامرني بالذهاب؟".

فاوعز اليهِ القديس بالانحدار الى اسفل السافلين فضج ولبط بهِ كثيراً وخرج وولى هارباً، فنهض الولد وهو يسبح الله عز وجل، ووقع على قدمَي الرسول مقبلاً اياهما فاسفر في اربيل صباح الانجيل وقهقر ظلام الاضاليل فاعتمذ الملك واهل دارهِ قاطبةً وزرادش وابنهُ وجميع اقربائهِ وكل عظماء الملك ولما رأى واحد من عظماء احبار الملك العجائب التي كانت تُصنع على يدي مار ماري امن هو ايضاً بالمسيح مع اهل دارهِ، فكسر الاصنام وحطمها، ولم يزل القديس يُنثر على مسامع الجميع جواهر الايمان المسيحي ويطوف القرى صانعاً المعجزات حتى اقتنص جماً غفيراً من بحر ضلالات المجوس.

ان اللسان غير قادر ان يعبر عن كل ما عمل المسيح على يدَي مار ماري من العجائب والايات الخارقة العادة في البلاد الواقعة بين الزابَين، ولا تتعجب بصفة كونهِ اخر الرسل، إذ إن مار بولس ايضاً كان اخر الحواريين، غير ان المآثر التي أتى بها تنطق بعظمتهِ وتجعلهُ ان يُعَد مع شمعون هامة الرسل، فمار بولس تلمذ رومية رئيسة المدن، ومار ماري رجع الى الايمان المسيحي اقدم وافخر بلاد العالم اي بلاد المشرق.



٣- ارتداد داسان وزوزان وكاوار الى النصرانيّة

(مار طوميس الشهيد)

بينما كان مار ماري يتردد في بلد اربيل وهو ينذر بالانجيل ويتلمذ جماً غفيراً من الوثنيين اذ ظهر لهُ المسيح ليلةً من الليالي وقال لهُ: "أرسل تلميذك طوميس الى بلد داسان ليردهم عن طغيانهم الى معرفة الحق المبين، فإن معتقدهم على غاية القبح والرداءَة، فمنهم من يسجد للاشجار، ومنهم من يعبد الينابيع حتى ان اولادهم يلقونهم في النار" فلما نهض القديس من الرقاد باشر حالاً في رسامة تلميذه طوميس، ثم انفذهُ الى ارض داسان وزوزان والى ارمينية الصغرى وبلاد مادي، فجعل يزرع في القلوب بذور الايمان الصحيح، ونال اكليل الاستشهاد في كاوار في غرة شهر تموز يوم الجمعة الساعة الثالثة من النهار، واضحى قبرهُ ينبوع الخيرات الإلهية.



٤- تتلمذ شهر قرت

وكان مار ماري لا يزال يتردد في البلاد الواقعة بين الزابَين قائداً اهلها بزمام الاهتداء من ظلام الاضاليل الى نور الانجيل، وكان حاكم قرية بروجية قد بلغهُ عن تنصر الملك وجميع الاكابر الذين في اربيل فلما أتى القديس القرية طلب الحاكم المعموذية، فعمذهُ القديس هو وجميع الاهلين، ومن هناك ذهب الى رعمسيس ووازيق وتلمذ سكانهما بواسطة فتحِ عيون رجلَين معتبرين، فبنى هناك ثلاث كنائس على اسم مار بطرس ومار بولس ومار ادي.

ثم ان القديس انطلق من هناك الى باجرمي بلدة الظلام والظلال، فدخل اولاً مدينة شهرقرت حيث كان ملك قاسٍ ذا سطوةٍ وبأس وفي تلك الاثناء كان اهالي المدينة يسجدون لشجرةٍ فيها شيطان ويقربون الذبائح لصنمٍ من نحاس، والملك

المؤمأ اليهِ ما كان لهُ من الاولاد سوى ابنة اسمها افراطيا، وكانت مخلعة الاعضاء عاجزة عن كل عمل، فنزل الرسول هو والذين كانوا برفقتهِ في مكان تجاه باب قصر الملك، ودنا القديس من دار الملك وقرع الباب، فأجابت الفتاة وقالت: "من انت؟".

فقال: "افتحي الباب ايتها الابنة وخذي منا هذا الطحين واعجني واخبزي لنا منهُ بضعة ارغفة، فيكون لكِ اجرٌ عظيم، فاننا اتينا من مكان بعيد ولم يتيسر لنا ان نشتري خبزاً في هذهِ المدينة".

الجارية: "لست اقدر اقوم افتح لك الباب إذ إني مخلعة اليدَين والرجلَين، ولا ولد عندي ولا عبد ليفتح الباب، اذ ان اهل الدار قد انطلقوا جميعاً ليقربوا الذبائح للآلهة".

القديس: "باسم ربنا يسوع المسيح لتتقوَ جميع اعضائك" قال هذا وللحال شُفيت، فنهضت وفتحت الباب وهي فرحة منذهلة، ثم تلطفت لهُ بالجواب معتذرةً فقالت: "ما العمل ايها الرجل الصالح؟ فان حكم ملكنا ورسوم مملكتنا تمنع اضرام النار في مدة هذهِ الايام الثلاثة المخصصة لعبادة الالهة بحيث ان من تجاوز متعدياً هذا الامر يُطرَح هو وكل مقتناهُ حريقةً للنار".

فقال لها القديس: "لا تخافي، فما من احدٍ يستطيع احراقك" فتشجَعت الصبية لدى قولهِ هذا واخذت منهُ الطحين واشعلت النار وجعلت تخبز، لكن الدخان لم يلبث أن علا وارتفع فوق السطح، فبصر بهِ حراس الملك فأتوا مفتشين محلهُ، فنظروا واذا هو في بيت الملك عينهِ، فعادوا ليخبروا الملك بما جرى غير انهم احتشموا في اول الامر عن افتتاح المسألة خوفاً من ازعاجهِ لكن الملك لدى مشاهدتهِ سكوتهم وما هم عليهِ من القلق والاضطراب تفكر ان الذي اسكتهم هيبة سورتهم او حيرة ادركتهم فقال: "ما لي اراكم على هذهِ الحال؟ فهل من امرٍ جرى خلاف المراد؟".

قالوا: "هلا تنظر ايها الملك فان الدخان طالع من البلاط؟" .

فبهت الملك لعلمه ان ما في البلاط الا ابنتهُ افراطيا، فاستعجل هو وعشرة من اكابره وعادوا الى المدينة وهم مرتعدون خوفاً قائلين: "ما عسى ان يكون هذا؟" وعمدوا على مكان النار فرأوا الفتاة المخلعة الاعضاء قائمةً على حافة التنور ومار ماري جالساً قريباً منها، فتعجب الملك عند هذه الرؤية وطار عقلهُ واستمر على هذه الحالة برهةً من الزمان وهو لا ينبس ببنت شفةٍ، ثم التفت الى القديس وقال لهُ: "مَن انتَ؟".

ماري: "انا انسان اعبد الإله الحي".

الملك: "ومن جاد بالشفاء على هذه الفتاة مخولاً لها هذه القوة التي لم تستطعها الهتنا؟".

ماري: "المسيح الذي أعبدهُ هو الذي وهب ابنتك شفاءً تعجز عنهُ آلهتكم".

الملك: "ومن هو المسيح الذي تذكره؟".

ماري: "هو ابن الله الحي خالق السماء والارض وكل ما فيهما".

الملك: "ولِمَ لا تستطيع آلهتنا منحَ الشفاء للمرضى؟".

ماري:"لأنها ليست بالهة، ولكنها اصنام وتماثيل عديمة الحيوة، وانما الشياطين يسكنون فيها ويطغون الناس لئلا يعرفوا الإله الحق".

فاغتاظ الملك من هذا الجواب، وللحال مسك القديس بيده وذهب به الى هيكل الاصنام حيث كان اهل المدينة كلهم مجتمعين وقال لهُ: "ان كان إلهك كما تقول اقوى من آلهتنا وانهُ لا يُرى بل يسكن في السماء ويصنع العجائب والآيات فادخل واطرد الشياطين التي قلتَ عنها حتى نراها فنؤمن بإلهك".

قال مار ماري: "أحَقٌ كلامك هذا؟ وإذا أخرجتُ الشياطين امام عينيك أفتؤمن بالمسيح؟".

قال: "أجل" فدعا مار ماري تلميذه أدا وأمرهُ ان يدخل بيت الأصنام فيُخرج الشيطان الخداع وكل تباعه الساكنين فيها فامتثل امرهُ ودخل وقال: "ان ماري

رسول يسوع المسيح يامركم ان تخرجوا من هذه التماثيل المصنوعة بالأيدي متظاهرين بهيئة تُبين ما انتم عليهِ من البشاعة والنجاسة".

فخرج حالاً أولئك الشياطين وكانوا اثنَين وسبعين متظاهرين للملك ولجميع اهل المدينة بشكل الحيوانات الشنيعة المنظر وهم صارخون: "آه منك يا ابن مريم! انك شحنتَ الارض كلها بتعليمك وتحاول طردنا من البراري ايضاً، فلم نعد نعلم اين نذهب".

فانتهرهم القديس قائلاً: "امركم باسم الرب ان تلازموا السكوت وتنحدروا الى جهنم المعدة لكم ولتباعكم".

فلما رأى الملك ما صار غشيهُ خوفٌ عظيم فاسرع الى القديس وانطرح على قدَميهِ وقال: "عظيم المسيح إلهنا وليس لنا إله اخر غيرهُ".

فعمذهُ مار ماري هو وكل اهل المدينة باسم الآب والابن والروح القدس، ثم ان مار ماري امر فحفروا التنور الذي كان في دار الملك وشيَد هناك كنيسةً وبنى فوق التنور المذكور مكاناً للعماذ.



٥- تتلمذ درَار من اعمال باجرمي

ثم ان مار ماري بارح مدينة شهر قرت وتوجه الى درار، وكان الوقت صيفاً، ولما اعيا هو وتلاميذهُ من حر الطريق اخذوا يطلبون مكاناً يستريحون فيهِ مما اصابهم من التعب، فصادفوا قريباً من المدينة موضعاً يُسمى كلاله فباتوا فيهِ ولما كان من الغد أنفذ القديس تلميذهُ (ادا) الى المدينة ليشتري خبزاً، ولما ابطأ لحقهُ مار ماري هو والذين معهُ وصادفوهُ جالساً تجاه بيت الملك، فقال اناسيمس أحد تلاميذ القديس: "ما لي اراك جالساً هنا؟ أما تخاف يا تُرى من

امر معلمنا اذ انك قد طلعتَ منذ الصباح والى الآن لم يطرأ على بالك بالعودة اليه".

فاستعذر ادا قائلاً: "قد مررتْ بالسوق ولم اجد فيه خبزاً فبصُرت بي امرأة وقالت لي: اتبعني وخذ ما يلزمك، فاتيتُ هذا البيت وها اني منتظرها".

وبينما هما في الحديث اذ خرجت المرأة ومعها خبز فسألها مار ماري: "لمن هذا القصر؟" قالت: "هو لملكنا" وفي اثناء ذلك خرجت ابنة اذار الملك من القصر وهي مستندةٌ على الخدام فاستخبر القديس عن حالها، فقيل لهُ أنها منذ زمانٍ مديد مخلعة الاطراف فأدركتهُ لها رحمة، فالتفت اليها وقال: "ايتها الفتاة، لكِ اقول باسم يسوع المسيح الناصري قومي منتصبةً على رجليكِ" وفي الحال تعافت الصبية، فأتت وانطرحت على قدمَيه تقبلهما.

وكان ابوها الملك في تلك الاثناء غائباً، لأنهُ كان قد خرج الى الصيد، فانفذوا حالاً من يخبرهُ بالامر، فلما صادفهُ البشير قال لهُ: "هل لك علمٌ بما صنع الله لك اليوم من الاحسان العظيم؟".

قال الملك: "لا" قال البشير: "ان رجلاً متوشحاً بزيٍ سماويٍ وُجِد عندنا صدفةً فابرأ ابنتك من كل اوجاعها وذلك بكلمةٍ قالها لا غير".

فترك الملك عند ذلك امر الصيد وعاد فرحاً مسروراً الى البيت وحالما وصل أمر باحضار القديس، فلما مثل بين يديهِ سألهُ قائلاً: "من انت؟ أإله انت ام إنسان؟".

ماري: "اني لستُ بإلهٍ، ايها الملك، ولكني عبد الإله القدير الحي".

الملك: "ما هو مذهبكم؟ ولأي الهٍ تسجدون حتى انكم تصنعون نظير هذه الآيات والمعجزات الباهرة؟".

ماري: "اننا على مذهب النصارى وإلهنا هو المسيح ابن الله الحي وباسمه نفعل هذه الايات المذهلة العقول".

فعندها امر الملك بكل المرضى الذين في المدينة ان يجتمعوا، وطلب الى القديس ان يعمل المعجزات قدامهُ وامام الأعيان حتى يكون ذلك برهاناً جلياً عن صدق الديانة المسيحية فلما أُتيَ بالمرضى تراكم اهل المدينة كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً رغبةً في ان يعاينوا صنعَ المعجزات فصلى القديس بخشوعٍ عظيم وأعادهم قاطبةً الى منازلهم وهم فائزون بالصحة والعافية فاخذ الجميع يهتفون قائلين: "إن الإله الذي يُنذر بهِ هذا الرجل هو لأعظم الالهة وهو وحدهُ إِله السماء والارض"

فانفتحت ابواب نور الانجيل لعقولهم، وفي ذلك اليوم عينهِ اعتنق اذار الملك وجميع اهل المدينة الديانة النصرانية، فغذاهم القديس بأقوات التقوى ومهد لهم سبيل المجد والفخار.



٦- تنصّر بلد رادان

ثم ان القديس ماري بعد ان خلَف تلميذهُ (ادا) في درار، انصرف هو وبقيَة تلاميذهِ الى بلاد الفرس حيث تلمذ أُناساً كثيرين، وكان حينئذٍ كثير من المُلَيكين متسلطين على بلاد بابل والفرس، والفرثيين كانوا متقَلدين سياسة البلاد البابلية، وملكهم في ذلك الزمان كان افراهاط بن افراهاط، وكان مركز مملكتهِ في ساليق وقطسفون.

فبعد ان طاف القديس بلاد السريان نزل الى بلد الاراميين[1]، ودخل اولاً بلد رادان، وهناك تلمذ رئيس البلد الساكن في قرية اسمها اباد وكان يُدعى لَقنا، وكان هذا ذا أملاكٍ وافرة وثروةٍ جزيلة، وبواسطتهِ اعتنق الايمان المسيحي

١- ان بلاد الرها ونصيبين واربيل وباجرمي كانت تسمى سريانية، وبلاد بابل وميشان كانت تسمى ارامية.

جميع اهل داره وكثير من اقربائه وتباعه، فاقام القديس كنائس واديرة في جميع قرى لقنا وفي بقية قرى بلد رادان، وبلغ عدد الكنائس التي شادها ٣٦٥، ولم يزل يثبت الرادانيين في عبادة الله وخوفه حتى شربهم تماماً بغضَ الأباطيل الدنيوية وهذبهم بالاوامر الانجيلية.



٧- تتلمذ ساليق وقطسفون

وبعد ان اقام القديس للرادانيين قسوساً وشمامسة وثبتهم في الايمان الصحيح، انطلق عنهم طالباً مدينة ساليق، ومن حيث انهم لم يصادفوا فيها واحداً من النصارى ينزلون عنده، اضطروا ان يستأجروا داراً، وكان اهل ساليق اشد الوثنيين قبحاً وقساوةً فطاف القديس المدينة كلها ولم يتتلمذ لهُ احد، لان الاهالي كانوا منهمكين كافةً في ملذات الجسد وهائمين في شهوات البدن، بحيث انهم لم يكونوا يتخلون عن ثملهم ابداً فلما رأى القديس انهُ ليس لهُ وسيلة ليُبدئهم بكلمة الله، لانهم كانوا في كل حين سكارى، كتب رسالةً لإخوته الرسل في الرها قائلاً: "انَ الارض التي أرسلتوني اليها لارض الخطيئة وممتلئة شوكاً وقرطباً واهلها قساة متمردين، وليس لي سبيل لازرع في قلوبهم بذر الحيوة، فاسمحوا لي إما ان اتيكم او انطلق الى بلد اخر"

غير ان الرسل المهتمين في خلاص النفوس لم يستحسنوا ذلك فكتبوا لهُ: "انهُ ليس بمباح لك ان تترك المدينة فتاتينا او تنطلق الى مكان اخر ما لم تصعد متسنماً اوجَ تلك الجبال الشامخة فتملك عليها وتزرع على قمتها زرعاً ياتي باثمار جيدة" فلما رأى مار ماري ان ذلك لابدَّ منهُ صحت عزيمتهُ على لقائهم بوجه الحيلة.

وكان في ساليق ثلاثة مجالس، الاول للشيوخ والثاني للشبان والثالث للصبيان فوقع في فكرهِ ان يلازم مجلس الشيوخ علهُ بذلك يصيد انفسهم، فلحق بهم، فأجلسوهُ اخر الجماعة قائلين: "انهُ رجل غريب".

اما هو فأنس بهم فرحاً مسروراً مغنياً لهم ما يسر خاطرهم وبعد برهة من الزمان مرض رئيس المجلس وثقل وجعهُ، فكانت الناس تاتي وتزورهُ، فاغتنم القديس هذهِ الفرصة فدخل عليهِ، وذات يومٍ أوعز اليهِ قائلاً: "هلا اضع يدي عليك باسم الإله الحق فتُشفى من مرضك هذا؟" غير ان المريض ما كان يستطيع التكلم لانهُ كان على حافة القبر فقام مار ماري ووضع يدهُ عليهِ وفي اثناء ذلك شاهد المريض السماءَ مفتوحةً ورجلاً نظير مار ماري منحدراً اليهِ، فمسكهُ بيدهِ وأقامهُ، فتعافى الرجل من ساعتهِ ونهض فرحاً مسروراً، فكلمهُ القديس عن الديانة النصرانية، فأجابهُ الرئيس قائلاً: "وما هي النصرانية؟ اتريد ان تُدخل إلهاً جديداً في العالم؟".

قال القديس: "ان الله ليس بجديد ولكنهُ موجود منذ البدءِ وثابت الى الابد، وهو الذي صنع السماء والارض والبحار وكل ما فيها، وانهُ تعالى لا يُفحَص ولا يُدرك، وان ابنهُ المساوي لهُ في الجوهر والذي ميلادهُ يعلو ويفوق ادراك البشر وهو شعاع الوهيتهِ ارسلهُ سبحانهُ الى العالم حتى بواسطتهِ يعرف الناس الآب، وان الروح القدس تكلم بالانبياء وعلمنا طريق الخلاص الابدي، وان الآب والابن والروح القدس إله واحد ضابط الكل وخالق كل ما يُرى وما لا يُرى وقادر على كل شيء ويدين جميع الناس، فهذا هو ايمان النصارى، وباسم هذا الإله العظيم القدير نصنع كل شيءٍ شافين المرضى وطاردين الارواح النجسة".

فأنار الله عقل الرئيس، فاعتمذ هو واهل دارهِ على يد القديس، ثم مضى الى مجلسهِ واخذ يتعاطى وظيفتهُ.

واتفق ان مدير المجلس مرض ايضاً واشرف على الموت نظير رفيقهِ، فزارهُ القديس كسائر رفاقهِ وأبرأهُ كما كان قد ابرأ رئيس المجلس، ثم عمذهُ هو واهل

داره قاطبةً، وبعد ذلك اخذ المدير يتردد الى المجلس كجاري عادتهِ والقديس ايضاً بقي مداوماً على الذهاب اليهِ.

فيوماً ما وقع الكلام في المجلس عن القديس، فقال اللذان تتلمذا الواحد للآخر: "بالحقيقة ان هذا الرجل هو إله، فمن يا ترى قادر على بعث الموتى غير الله تعالى القدير على كل شيء؟ فاننا كنا قد مُتنا واحيانا هذا الرجل".

وقال يوماً اخر الرئيس للمدبر: "ليس من اللائق ان يجلس هذا الرجل اخر الجمع، لاننا لولاهُ لكنا الان تحت التراب نائمَين، ولستُ أعرف ما العمل، فاننا اذا ادخلناهُ علينا يغتاظ الحضار لانهُ رجل غريب، ولكن لنقدم لهُ على الاقل مخدةً يتكئ عليها" ففعلا ذلك.

وبعد زمان ليس بوجيز جاءت نوبتهُ ليصنع مأدبةً كما كان يفعل كل واحد منهم، فقال لهُ اللذان تنصرا: "لقد حان الوقت ان تصنع انت الوليمة، فعجل اذاً في تجهيز ما يقتضي من الماكل والمشرب، لان هذه هي عادتنا".

فقال لهما: "انا مستعد ان افعل ذلك بكل طيبة خاطر، فقط اطلب اليكما ان تخبراني بذلك قبل الوقت حتى اعد كل شيء حسب المرام".

فكتب اذ ذاك لاخوتهِ في الرها ما نصهُ: "قد نبأتكم انفاً ان هذهِ الارض التي بعثتموني اليها هي ارضٌ مملوءة شوكاً وقرطباً واني لا استطيع الى المشي عليها سبيلاً، وان جبالها واكامها منيعة حصينة، فلا يمكن الاستيلاء عليها، واما انتم فقد امرتموني ان: يجب عليك ان تستمرَ فيها حتى تملك عليها وتزرع فيها زرع الحيوة الابدية فنرسل الى السماء من غلاتها فلما لم يكن لي بد من ذلك، رأيت أن أُخالطهم في عوائدهم، وهنا مجالس ثلاثة: الاول للشبان والثاني للفتيان والثالث للشيوخ، فاستنسبتُ الجلوس في هذا الاخير وانا اكل واشرب كواحدٍ منهم وانما الله تعالى اجابةً لأدعيتكم حرك قلب اثنَين من ارباب المجلس فتتلمذا لي، والان قد التزمتُ ان اصنع مأدبةً كعادتهم، فأرسلوا لي من المال ما احتاج اليه لهذه الغاية" ففرح الرسل لدى وقوفهم على هذهِ الأخبار، فعجلوا وبعثوا لهُ من المال

ما اراد فصنع القديس الوليمة فبعدما أكلوا اخذوا يقولون بعضهم لبعض: "ان هذا الرجل لعظيم اذ انهُ يتميز عنا في جميع معاطاتهِ ومباشراتهِ".

فانتهز القديس الفرصة ودعاهم الى الديانة النصرانية فقالوا لهُ: "وما هي النصرانية؟ اننا لم نسمع بهذا الاسم قط" فجعل القديس يرشدهم قائلاً: "امنوا بالله الآب القادر على كل شيءٍ الذي صنع السماء والأرض وليس إله غيرهُ، وبابنهِ يسوع المسيح الذي نزل من السماء وتجسَد وقاد البشر من تيهِ الضلال الى مناهج الحق والرشد، وبالروحِ القدس الذي بقوتهِ ابراتُ هذين الرئيسَين" ثم واصل كلامهُ فقال: "ان هذه الاشياء التي انتم تسجدون لها ليست بالهة كما تظنون، فان النار خليقة من خلائق الله وهي صماء وليست بإلاه، فتوبوا ودعوا عنكم هذا الطغيان وامنوا بالإله الواحد الحق الذي لم يوجد ولا يمكن أن يوجد إله غيرهُ".

ثم سألوهُ قائلين: "اين هو الآهك؟" قال القديس: "ان إلهي ليس بمنظورٍ وهو في السماء قادر على كل ما يريد" فأجابوهُ: "ان إلاهنا هو هذه النار، فهي مُنيرة وموقدة، ترانا ونراها، اما الذي لا يُرى فلسنا بمطيعين لهُ".

قال القديس: "اني بمعونة إلهي غير المنظور قادر ان اقتل وأُطفئَ الاهكم هذا دون أن يضرني فان كان الامر هكذا فمن الواجب ان تتيقنوا انهُ ليس بإله اذ انهُ لا يستطيع المدافعة عن نفسه".

قالوا لهُ: "كيف تُطفئهُ؟ ألعلك ترجمهُ بالحجارة ام ترمي فيهِ من التراب والماء فتلاشيهُ؟ فان كان إطفاؤك اياهُ على هذا النسق فلا عبرة فيهِ لكوننا نحن ايضاً نستطيع ذلك ولكن ان كان إلهك اقوى منهُ فادخل في سعيرهِ، فنتيقن كون إلاهك اعظم منهُ ان لم تحترق".

فوعدهم القديس بذلك فلما كان من الغد اجتمعوا قاطبةً واضرموا الأتون، ثم عرضوا لهُ الدخول فيهِ فرسم القديس إشارة الصليب على الاتون ودخلهُ وخرج دون ان يصيبهُ ادنى مضرة فعند ذلك اختلفوا في القول والرأي في شانهِ فمنهم من

نسب ذلك الى القوة الالهية، ومنهم من قال ان النار لم تكن مُضرمَة على غاية الاتقان والاحكام، فإزالةً لشكهم هذا قال القديس: "لا باس فاني ادخلها ثانيةً، فرتبوها على ما ترومون".

فلما كان في الغد اخذوا يضرمونها بشدة لا مزيد عليها، فرسم القديس اشارة الصليب عليها ودخلها يُطفئُها، اما هم فطلبوا اليه ان لا يُطفئها لكن ان يتمهل مستمراً فيها الى ان تنطفئ من تلقاء ذاتها، فاجابهم الى ذلك وبقي فيها حتى انطفات وخمدت تماماً، فخرج منها سالماً، فلما عاينوا ما جرى امنوا بالله واقتبلوا جميعاً رسم الحيوة الابدية.

وفي الغد لما جلس الملك على كرسيهِ اجتمع عندهُ جم غفير من المجوس والاهالي واخذوا في البحث عن القديس ماري، فمنهم من كان يرشقهُ بسهام المذمة ومنهم من كان يضفر لهُ اكليل المدح والمجد فقال الملك للراشقين: "ما رأيكم فيه؟".

فقالوا لهُ: "راينا إما ان تقتلهُ او تطردهُ من بلادنا، وان لم تعمل هذا فاعلمن أننا نحن معشر خدام الهتك والهة ابائك مرتحلون من المدينة".

فلما رأى الملك ان اغلب اهل المدينة هم مع المجوس همدهم قائلاً: "اني ناظر في ما أشرتم بهِ وعامل بما قلتم لي" وصرفهم من عندهِ ثم انهُ التفت الى القديس وتباعهِ وقال: "اني لعالم ان اهل ساليق اشرار متمردون ولا سيما الكهنة منهم، فان لم يَروا غرائب كثيرة ومعجزات باهرة فلا يؤمنون، فلذلك امضوا، وانت يا ماري اجتهد في ان تبين لهم قوة الديانة المسيحية التي انت تُنذر بها".

ولما خرج القديس من عند الملك التقى بأعمَيين فوضع يدهُ عليهما وانفتحت عيونهما، فامنا بهِ وتبعهُ ايضاً اخرون كثيرون، وان ابنة الوالي كان فيها روح شيطان نجس منذ زمان طويل، فلما سمع ابوها عن ماري ارسل اليهِ من يسألهُ ان يأتي ليخلص ابنتهُ.

فلما ذهب القديس اخذ الشيطان يصيح في لسان الابنة قائلاً: "آه منكم يا عباد الله، فانكم قد طردتمونا من كل مكانٍ" قال هذا ورمى بالابنة على الارض.

فدنا منها القديس وصلى عليها واقامها وأعطاها لوالدَيها لا عيب فيها، فكل الذين عاينوا هذه الاعجوبة وقعوا على قدمَي القديس ساجدين لهُ.

واستمر القديس سنةً كاملةً يُنثر على مسامع الساليقيين جواهر الانجيل ويرفع عن قلوبهم ديجور الظلام ويقويهم في الايمان المسيحي، ثم طلب اليهم ان يعطوهُ مكاناً يجعلهُ مسجداً لله الحي فاجابوهُ الى ذلك بكل طيبة خاطر منهم وقالوا: "كل مكان تريدهُ مبذول لك".

فاختار حينئذٍ بيت الاصنام، وكان هذا البيت لاصنام افراهاط الملك، وكان فيهِ كثير من الكهنة الوثنيين يُنفَق عليهم وعلى الاوثان مصاريف باهظة اذ ان الكهنة كانوا يشيعون بان الاصنام تاكل وتشرب، فمضى القديس بالملك الى معبد الاصنام، ولما دخلاهُ قال القديس للكهنة على مسمع من الملك: "ما انتم إلا خداعون مكارون، إذ انكم تأكلون كل ما يوضع هنا من الماكولات والمشروبات وتزعمون بأن الأصنام أكلتهُ، وكيف تتجرأون ان تدعوها آلهةً مع انها صماء مصنوعة من خشب ونحاس؟".

فاغتاظ الكهنة من قولهِ هذا وقالوا لهُ: "ان كانت هذه الاصنام صماء حسب كلامك فما قولك عن الشمس الديان العظيم".

فاجابهم قائلاً: "ان الشمس ايضاً خلقة الله الحي قد وضعها سبحانهُ لتُنير خليقتهُ، والا فان كانت هي إله فترى اين تفر هاربةً لدى دخول الليل؟".

اخيراً بعدما اسهب في الكلام معهم وافحمهم، امر الملك فأُعطي لهُ بيت الاصنام، فهدمهُ القديس ونصب مكانهُ كنيسةً صغيرةً، وأخذ الأصنام وسحقها وألقى ترابها في دجلة، ووضع في الكنيسة قسوساً وشمامسة، وشيد ايضاً في ذلك الموضع عينهِ مدرسةً وخلف احد تلاميذهِ فيها معلماً.

فلما رأى كهنة الاوثان ما نزل بهم وما صارت اليه اصنامهم اغتاظوا من القديس وعزموا على الانتقام منهُ، وذلك انهم انصرفوا الى اراطون الملك المقيم في قطسفون وكوخي، لانهُ كان على جانبٍ كبيرٍ من الضلالة والقساوة محباً للآلهة اكثر من غيره فشكوا اليه ما نالهم من القديس قائلين: "انهُ لرجل ساحر خداع يريد ابطال الالهة وينذر بإله واحد الذي على قوله يسكن في السماء ولا يُرى والآن ايها الملك ان انت تقاعدتَ متغافلاً غير معتنٍ بصيانة نفسك وديانة اجدادك فعما قليل تضمحل هذه الديانة المقدسة وتتلاشى من على وجه الارض، لان افراهاط الملك الفاسد القلب قد آمن بهذا الخداع من دون تروٍ وطردنا من بيته" فلما سمع الملك هذا الكلام استشاط غضباً وأرسَل حالاً من اتاهُ بالقديس من ساليق فلما مثل بين يديه، اغلظ لهُ في الكلام وقال لهُ: "ما بالك تهيج بلادنا رامياً فيها الفتن والانشقاقات اذ تنذر بالهة غريبة لم نعرفها اصلاً، فالان اذا تركت هذا التعليم الجديد واعترفتَ بالهتنا اجزل عليك اثمن المواهب وافخر الهدايا، والا فتاكدن متيقناً اني مقطعك ارباً ارباً انت وكل من يتبعك".

فقال لهُ مار ماري: "اني لست بخائف ايها الملك، فان الإله الذي اعبدهُ ينجيني من العذابات، لانهُ هو الذي يحيي ويُبيد، وهو الذي يشفي امراضنا ويضمد اوجاعنا، وهو الذي ينقي البرص ويُعطي البصر للعميان ويطرد الشياطين، فما من شيءٍ الا وهو قبضة يده".

فقال الملك: "اذا كان الامر كذلك فأظهر لنا بالعمل ما تقول ان لي اختاً محبوبة الي الى الغاية، فان انت قدرت على شفائها فاشاركك في ملكي".

قال : "اني اقدر ان اشفيها وما يقتضي لذلك الا ان تؤمن بالمسيح لا غير".

قال الملك: "لقد اعتقدتُ وآمنتُ".



٨- في إِقامة كنيسة دير قوني

ثم ان الملك امر الخدام والجند ان يذهبوا بالقديس الى حيث كانت اختهُ، وكان ذلك الموضع يُسمى دير قوني نسبةً الى قوني اخت الملك فقبل ان يدخل القديس على قوني جثا وصلى قائلاً: "انعم عليَّ ايها السيد المسيح حتى اقتنص هذا القوم بشص عنايتك من بحر ضلالات المجوس وازرع في قلوبهم بذور الايمان الصحيح لكي يعرفوك معتقدين بانك انت الإله الحق المريد رجوعهم الى سبيل الحق ومنهاج الكمال".

فسَمِع بغتةً صوت يقول لهُ: "لقد اسُتجيبت طلبتك، فاني عتيد ان اقرِب بواسطتك كثيرين الى معرفة الحق" وكان بعض الذين أُرسلوا معهُ من قِبَل الملك بشروا السيدة قوني ان اخاها بعث لها طبيباً ماهراً حاذقاً فاستقبلتهُ مترحبةً بهِ واما القديس فحالما دخل عليها مسحها بالمشحة فبارحها كل ما كان فيها من الاوجاع وشفيت تماماً فأخذ الفرح من نفسها كل مأخذ، فبادرت وكتبت لأخيها: "قد وصل الي الرجل القوي الذي أرسلتَهُ الي فأبرأني من جميع اوجاعي، فأبشر الآن وقر عيناً فان اختك معتوقة من جميع العيوب التي كانت تستحي منها قبلاً، ثم اطلب اليك ان تكتب لي وتعلمني عن رأيك في هذا الرجل العظيم".

فلما حظي الملك بهذه الرسالة فرح فرحاً عظيماً، فكتب لاختهِ ما نصهُ: "اذ شُفيتِ تماماً من اوجاعكِ فعجلي القدوم نحونا مع رجل الله، فاني مُشَرفهُ ورافعهُ الى افضل درجة بين الاعوان واشراف البلاط".

وتبعاً لأوامر الملك، اخذت قوني تتاهب للسفر، وطلبت الى القديس ان يستعد للذهاب معها من الغد صباحاً غير انهُ في الليل تراءى له المسيح قائلاً: "لا تسمح لقوني ان ترحل من هنا ابداً، فان هذا المكان عتيد ان يعظم حتى يُصبح مدينة كبيرة فيتعظم فيهِ اسمي القدوس، وها إني قد امرتُك ونبَهتك".

فابتكر ماري على قوني واخبرها عما اوحى الله تعالى اليه، فامتثلت قوني الفاضلة امر الله مُضربةً عن السفر، والتمست اليه فعمدها هي وكل الذين كانوا برفقتها، ثم قالت لهُ: "بماذا اجازيك على ما انعمتَ به عليّ؟".

قال لها: "خصصي لي مكاناً أجعلهُ مسجداً لله تعالى" ففوضتهُ ان يختار هو نفسهُ موضعاً لذلك فاختار القديس بيت الصنم وهدمهُ وشيد مكانهُ هيكلاً فاخراً للرب وقاسى المعمارون بذلك مشقات كثيرة لكثرة رطوبة المكان لانهُ كان قريباً من ساحل النهر، ولهذا السبب كانت كنيسة دير قوني تُحسَب مع كنيسة كوخي لان القديس كان قد بناها[1].



٩- في تنصّر كشكر وميشان

ثم ان القديس ماري بعد ان تلمذ ساليق وبنى كنيسة كوخي انطلق الى البلاد الواقعة بين الزابَين[2] وهناك تلمذ كثيرين، ثم دخل قريةً مبنيةً على دجلة وكانت تُدعى ورثان نسبةً الى رئيسها الذي كان يسمَى ورثان ايضاً، فتلمذ الرئيس واهل دارهِ وجميع تباعهِ واهل قريتهِ قاطبةً ويهوداً كثيرين، وبنى لهم كنيسةً، وخلَف فيها قسوساً وشمامسة، وبعدما قضى سنين كثيرة متردداً فيما بين الآراميين ورجع عدداً لا يُحصى من اليهود والوثنيين الى الايمان الصحيح انصرف قاصداً بلد كشكر، وكان القديس قد تلمذ كشكر قبل ساليق، وذلك انهُ اذ شاهد ان

١- ان بيعة كوخي كانت في المدائن ومن اعظم بيعها ، وفيها جلس فيما بعد خلفاء مار ادي ومار ماري، وان دير قوني ويقال ايضاً دير قني الذي فيه دُفن جسد مار ماري صار فيه كنيسة ومدرسة ودير، وفيه كان يُسام البطريرك ثم يقصد المدائن.

٢- ما عدا الزابَين المشهورَين اللذَين في ارض اثور يوجد ايضاً زابان آخران في عراق بابل، هاك ما يقول عنهما ياقوت: " وبين بغداد وواسط زابان آخران ايضاً، ويسميان الزاب الأعلى والزاب الاسفل، اما الاعلى فهو عند قوسين، واظن مأخذه من الفرات ويصب عند زُرفاميه وقصبة كورته النعمانية على دجلة، واما الزاب الاسفل من هذَين فقصبتهُ نهر سايس".

ساليق ليس لها من بابٍ يدخل منهُ ليزرع بذور الايمان المسيحي اضُطر ان ينزل اولاً الى كشكر، وكان اهل كشكر ذوي دهاءٍ وعلمٍ وادبٍ يحكمون في كل شيءٍ بذكاء وحذاقة لم يبلغ اليها غيرهم ولما كانوا على جانب كبير من الخبرة في العلوم والمعارف انقادوا بسهولةٍ الى تعليمه، إذ أعجبتهم كلمة الحق التي كان ينطق بها، فتبعهُ كثير منهم وتوسلوا اليه ان يستمر في مدينتهم كيما يرجعها الى الايمان الصحيح، وكان من قولهم لهُ: "تلمذ هذه المدينة التي يُسجَد فيها للشيطان بشبه النسر" والتمثال الذي فيها كان يُدعى (نيشار) فصنع ثَمَ ماري غرائب كثيرة حتى ان كاهن التمثال المذكور نبذ الاصنام وتعمذ، فاقتدى بهِ كثيرين من اهل المدينة واعتنقوا عبادة الله الحي الازلي، فبنى لهم القديس كنيسةً، وطاف كل بلد كشكر وهو يُتلمذ كثيرين ويُقيم الكنائس ويثبت النصارى في مخافة الله ويرسم لهم كهنة غُيُراً، فتتلمُذ كشكر اذاً هو اقدم من تتلمُذ ساليق، ولهذا كان يقال ان كرسي كشكر اقدم سائر الكراسي وبعد ان تلمذ ساليق انحدر الى دير قوني والبلاد الواقعة بين الزابَين وبلد شفلا كما راينا، ثم انهُ ذهب الى بلد ميشان حيث عانى من العذاب والمشقة ما لا يوصف مع انهُ لم يجنِ من هذا العناء ثمرةً تُذكَر، لان اهل هذا البلد كانوا على جانب عظيم من التوحش والجهل والتعصب.



١٠– في تتلمذ الهوزيين والفارسيين

لما رأى مار ماري انهُ لا يوجد نجاح في ميشان خلف فيها تلميذهُ دانيال لكي يسعف النفوس القليلة التي هداها ويهذبها باوامر الانجيل اما هو واناسيمس القسيس الذي كان صحبهُ من الرها، وفافا، وايوب، وملكيشوع وبقية التلامذة الذين كانوا تبعوهُ فمضوا الى ارض الاهواز والفرس.

وفي ذلك الزمان لم يكن في ارض الاهواز مدن وقرى كثيرة، فقط كان فيها مدينة السوس وسوسترى مع قرى صغيرة، اما مدينة ليدان وبيلافاط فلم تكونا بعد قد بُنيتا، وكان في محل ليدان قرية عظيمة اسمها ريدان، فلما بُنيت المدينة سُميت ايضاً ريدان في اول الامر ثم غُلب عليها أسم ليدان وكذا بيلافاط كانت قرية وتُسمى بيلايد، وكان التجار الهوزيون والفارسيون يذهبون لاجل التجارة الى المغرب[1]، وكان البعض منهم قد تنصروا في الرها على يد مار ادي الرسول، وفي رجوعهم الى بلادهم كانوا قد هدوا خلقاً كثيراً، فاذ وصل القديس ماري الى ارض الاهواز ورأى مؤمنين وبلغهُ ايضاً عن تتلمذ الفرس، فرح فرحاً شديداً لوجدانه قليلاً من الحنطة فيما بين الزوان فطاف تلك البلدان منيراً خلقاً كثيراً بمصباح الانجيل الطاهر، ونزل ايضاً الى البلاد السفلى حيث استنشق روائح مار توما الرسول وجذب عدداً لا يحصى الى الايمان المسيحي، وخلف عندهم احد تلاميذه المسمى ايوب وعاد الى ساليق فكان يتردد في ساليق وقطسفون وفي سائر البلدان المشرقية وهو يزور تلامذتهُ ويدك حصون الاضاليل وينصب راية النصرانية في كلِ من الاعمال والكوَر الخاضعة لولاية الفرثيين فكان يتهلل فرحاً لمشاهدته ان الذين كانوا قبلاً متدهورين في الضلال والكفر يسبحون الله تعالى كل يوم في الكنائس.

فالشكرُ لك يا يسوع القوي الغير المقهور الذي بواسطة أُناسٍ جهال قد انرت المسكونة بمصباح معرفة الحق وقدمتهم بزمام الاهتداء من تيه الاضاليل الى طريق الهداية، فببال من خطر يا تُرى ان المشرق مصدر السحر ومركز الرقية يخر ساجداً لله الحي؟ ومن كان يتصور في عقلهِ ان بني نمرود الجبار يدخلون تحت راية الصليب نابذين روح العصيان والتكبر الذي حملهم على بناء برج بابل ليقربوا لله تعالى اثمار المحبة ومعرفة الجميل؟*

١- اي بلاد نصيبين والرها وغيرها.

١١- في موت مار ماري

وتردد مار ماري سنين كثيرة في بلاد المشرق معملاً فكرتهُ ومتعباً نفسهُ ومنصباً بدنهُ في تشييد الكنائس واقتناص الامم من شر الاضاليل وقضى السنين الاخيرة من حياتهِ في المدائن، وفي تلك الاثناء اصدر حكماً في ان الذي يكون مدبراً لكنيسة كوخي هو الذي يكون رئيس جميع اساقفة المشرق ولما علم ان أجَلهُ قد دنا، بارح المدائن قاصداً الكنيسة التي كان نصبها هو في دير قوني، فدعا تلاميذهُ، واذ كان الشعب كلهُ حاضراً عندهُ، فتح فاهُ وقال لهم: "لقد هذبتكم بالتعاليم الانجيلية وقد شاهدتم بأعينكم كيف عاملتكم وسلكتُ معكم، فاسلكوا اذاً انتم ايضاً هذا المسلك وحافظوا على القواعد والقوانين التي رسمها الرسل في اورشليم، قوموا باعباء خدمتكم هذهِ المقدسة حق القيام مواظبين على الصلوة، واياكم ان تختلطوا مع الصالبين فتشاركوهم في اعطاء الجواب عن دم المسيح".

فأجاب عند ذلك تلاميذهُ قائلين: "يشهد المسيح الذي أرسلك الينا لتهدينا بتعاليمك الخلاصية الى الخيرات السرمدية اننا نعمل كما سمعنا منك ونقتفي اثرك".

وبعد هذا قضى مار ماري نحبهُ وانتقل الى السعادة الابدية، ودُفن جسدهُ المقدس في كنيسة دير قوني قدام المذبح ولم يزَل ذكرهُ فيها جارياً، وكانت وفاتهُ في التاسع عشر من شهر تموز سنة ٨٢ في يوم الجمعة الثانية من القيظ.



مارابراهام الكشكريّ الجاثليق

(٩٨-١٢٠)

بعد وفاة القديس مار ماري، جلس على كرسيهِ مار أبريس وقيل انهُ كان من اقارب مريم العذراء، وتوفي سنة ٩٨م، ثم قام بعدهُ بأعباء الرياسة المشرقية مار ابراهام الكشكري، وسيم في مدينة انطاكية، وكان طاهر السيرة والسريرة، ولم يزل يترقى مراقي الكمال المسيحي الى ان ذاع صيتهُ في كل المملكة الفارسية، وكان الله سبحانهُ يجري على يده كرامات ومعجزات وان خسرو ملك الفرثيين كان قد اثار على نصارى بلادنا اضطهاداً شديداً، وكان ابنهُ مصاباً بروح الجنون، فبلغهُ خبر مار ابراهام انهُ يشفي المرضى ويُبرئ السقماء، ويصنع غير ذلك من الكرامات الباهرة فاستدعاهُ اليه، فلما دخل عليه رآهُ الملك حزيناً كئيباً، فسألهُ عن سبب حزنه، فأجابهُ ان الباعث الى ذلك هو ما يذوق النصارى من الاذى والاضطهاد.

فقال لهُ الملك: "اذا أبراتَ ابني من علته ارفع الاضطهاد".

فصلى القديس ووضع يدهُ على ابن الملك، فشُفي من ساعته، فرحَب به الملك واكرمهُ وابطل الاضطهاد عن النصارى، وكان جلوس مار ابراهام على كرسي مار ادي الرسول سنة ٩٨ وتوفي سنة ١٢٠م.



حياة مار شربيل الشهيد

(١٠٥- ٥ أيلول)

في سنة ١٥ لمُلك طريانس قيصر وهي سنة ١٠٥ للمسيح أمر طريانس الملك جميع ولاة مملكته ان يكثروا من تقديم الذبائح للاوثان ويقتلوا كل من يأبى الذبح لها فلما وصل هذا الامر الى مدينة الرها، اجتمع كل سكان المدينة فذبحوا ذبائح كثيرة وجعلوا يرقصون ويضربون بآلات الطرب مغنين مسرورين وكان شربيل رئيس الكهنة الوثنيين يأمر ويحكم كما يشاء ويريد، محترماً مهاباً متبهرجاً بالحلى الثمينة والالوان الارجوانية والتيجان الذهبية، وهو الذي كان يترجم للشعب كل ما يسمعهُ من الالهة، فكان إذَن الجميع كآلة في يدهِ يديرهم كيفما شاء.

فلما رأى ذلك برسميا أسقف النصارى أتقدت فيهِ نار الغيرة الالهية، فانطلق هو وتيردَت القسيس، وشالولا الشماس، الى شربيل رئيس كهنة الاوثان، واخذ ينبههُ عن صنيعهِ هذا المذموم قائلاً: "إعلمْ يا شربيل ان المسيح ملك السماء والارض عتيد ان يحاسبك عن هذه النفوس التي تسيءُ السيرة فيها اذ تخدعها وتحملها على ان تحيد عن الإله الحق فتميل الى الاصنام المخلوقة التي ليست بقادرة على شيءٍ البتة، وقد تجاوزت حدود الانصاف حتى انك مع كونك لا تشفق على أحدٍ حتى ولا على نفسك تحاول ايضاً إقناع هذا الشعب بأن الاصنام تخاطبك اذ تقرب اذنك نحوها كانك تسمع منها شيئا فتقول للشعب: ان نابو الاله اوعز الي ان اقول لكم انهُ يكثِر من السلام في بلدكم لكثرة الذبائح والمحرقات التي تقربونها لهُ، وان بيل الاله يقول: افيض في اراضيكم جميع انواع الخيرات والبركات، وبما ان الشعب عديم البصيرة لا يعقل انك تخدعهُ وتختلهُ، هذا وان هذهِ الاصنام لها افواه ولكنها لا تتكلم ولها عيون غير انها لا تبصر ولها آذان ولكنها لاتسمع وليس هي تحملكم وتحفظكم لكن انتم تحملونها وتحفظونها وانتم

تضعون امامها الماكل وليست هي تقيتكم فدَع عنك هذه الخرافات التي لا طائل تحتها واسمع مناصحتي لك، فاني قد اتيتك ناصحاً مشفقاً منبئاً اياك بما فيه صلاح لك، وهو ان تنبذ هذه الاصنام المخلوقة فتسجد لله الخالق ولابنه يسوع المسيح، ولا تستحي من السجود للذي اتخذَ جسداً وصار إنساناً ومات مصلوباً، لأنهُ تعالى لم يقبل عليه هذه العيوب والملامات الا حباً بالبشر واعلم أن هذا المتجسد هو الله وابن الله ومساوٍ لابيه في الجوهر وهو شعاع الوهيته وضوء ازليته وهو مع ابيه منذ الازل، هذا ما علمنا اياهُ فالوط الذي كان تلميذ مار ادي الرسول الامر الذي تعلم به جيداً، وتذكر ان ملكنا ابجر الاول كان قد آمن بالمسيح وسجد لهُ تعالى، فنحن معشر النصارى لا يجوز لنا أبداً أن نسجد للأشياء المخلوقة كما تسجدون انتم للتماثيل المصنوعة فتأمل الآن مستفيداً مما سردتهُ عليك اذ هو تقرير ايماننا، ولستُ اشك بكونك رجلاً حكيماً تُعرَف بفضلك ويُرجَع في الامور الى قولك، فان أنت نبذت هذه المعتقدات الباطلة وسعيت وراء الايمان الصحيح فيحذو حذوك مُعظم الناس لانهم اليك ينظرون".

فأجاب شربيل قائلاً: "لقد استعذبت كلامك هذا وصار لهُ وقع عظيم في قلبي، ولكني بما اني لسوء حظي قد مارست هذه الامور الفظيعة منذ نعومة اظفاري فقد افضى بي الامر الى قطع الرجاء ولم يبقَ لي أمل في إصلاح شاني وتهذيب اخلاقي فلستُ ارى لك ذلك رأياً أن تُجهد نفسك وتنصب بدنك فتُعالج إنساناً ميتاً لا يرجو القيام من سقطته، أفما تراني قد قضيت حياتي باسرها متوغلاً في عبادة الاوثان حتى اصبحت اسيراً للشيطان وميتاً عن الله الديان فتاكدن إذن ان مناصحتك اياي لا تُغني عني شيئاً".

فلما سمع الاسقف مقالتهُ هذه الصادرة عن كآبة قلبه انطرح على قدميه مشجعاً أياهُ وقائلاً: "لا تيأس، اذ ان لكل تائب رجاء ولكل عليلٍ وسقيمٍ شفاء فان المسيح الذي لا حد لمراحمه الالهية يغفر لك كل ما ارتكبتهُ من المآثم، فانهُ تعالى بما انهُ قد سلم ذاتهُ لموت العار كي ينقذ البشر من انياب موت الخطيئة لا

يمنع رحمتهُ من الانفس الملتجئة الى حلمهِ ورأفتهِ الغير المتناهَيين، فكما انهُ جل جلالهُ أنعم على اللص التائب وغسل ادران ذنوبهِ الباهظة بطل غفرانهِ، يغفر ايضاً خطاياك، فاتكل يا صاح على رحمتهِ، فانهُ رحوم وعلى كل شيءٍ قدير" فلما فرغ الاسقف من مقالتهِ هذهِ ارعوى شربيل عن غيهِ واستفاق من سِنة طغيانه متوكلاً على المراحم الإلهية، وأخذ يحمد الاسقف على كثرة محبتهِ اياهُ وقال لهُ: "لست اقدر انكر انك تخاطبني كطبيب يتمزق فؤادهُ الماً على وجع السقيم، اما اليوم فمن حيث انهُ عيد عمومي فما يتيسر لي ان ارافقك الى الكنيسة فاذهب الآن وحدك وإن شاءَ الله تعالى فاني آتيك غداً صباحاً، وتأكدن أني كفرتُ بالالهة معترفاً بالمسيح خالق البشر وكل ما يُرَى وما لا يُرى".

ولما كان من الغد نزل شربيل واختهُ باباي ليلاً عند برسَميا، ففرحت بهما الكنيسة وقبلتهما بالاحترام اللائق، وكان شربيل يتوسل الى الكنيسة ان تتشفع فيهِ الى المسيح مستمدةً لهُ منهُ مغفرة خطاياهُ التي ارتكبها في حياتهِ الماضية،.فرحضوا نفسهُ بحميم المعموذية وهو يعترف بالآب والابن والروح القدس وعند ذلك شاع الخبر في المدينة بان شربيل نزل الى بيعة النصارى، فصار اضطراب عظيم، وكثير من اهل المدينة ذهبوا اليهِ فرأوهُ متوشحاً بزي النصارى، فرفع شربيل صوتهُ لدى مشاهدتهِ إياهم وقال: "اني اطلب من المسيح ان يغفر لي سوءَ تصرفي معكم إذ إنني كنت اخدعكم لما كنت اقول لكم ان الالهة تكلمني، ومن حيث انني صرت لكم علة ًرديئةً فابذل الآن جهدي في أن أُصبح لكم علة صالحة حتى أجعلكم أنتم الذين تسجدون للاصنام المخلوقة ان تسجدوا معي لله الحي خالق السماء والارض".

فلما سمع اهل المدينة ما تفوه بهِ، مكث عندهُ كثيرٌ منهم رجالاً ونساءً ومن الجملة (لابو، وحسفي، وبركلبا) الذين كانوا من اعيان المدينة وقالوا لهُ: "اننا نحن ايضاً كفرنا بما كفرت انت بهِ واعتقدنا بالمسيح الذي اعترفتَ انت بهِ".

فلما بلغ لوسانيا حاكم المدينة عن تنصر شربيل تفطر قلبهُ أسفاً وغماً وساورتهُ جيوش الغضب فارسل من خطفهُ ليلاً من بين النصارى، وتبعهُ جم غفير منهم، ثم ان الحاكم بكر من الغد فجلس قدام المذبح الذي كان في وسط المدينة حيث كان يُذبَح للالهة في الايام الرسمية، فاخذ القاضي يستنطق شربيل ويبحث عن شانه قائلاً لهُ: "قُل لي يا شربيل ما الذي حملك على ان تنبذ الالهة التي كنت تقرب لها القرابين ساجداً لها؟ ومع انك كنتَ رئيس كهنتهم اراك الآن تُقر بالمسيح الذي كنت قبلاً تكفر به، فتامل ان النصارى الذين لحقتهم وانضممتَ الى شيعتهم لم ينكروا البتة ما تمسكوا به كما مرقتَ انت مما كنت متمسكاً به منذ نعومة الاظفار فإن لم يخامرك شك في صدق الالهة فلماذا يا ترى تجاسرت على رفضها؟ وإن كنت تحكم في عدم حقيقتها فما حملك على ان تقرب لها الذبائح ساجداً لها باكرامٍ ووقار طول حياتك الى الان؟".

شربيل: "انما فعلتُ ما فعلتُ لجهل كان قد استولى على عقلي وعمى بصيرتي، وأما الآن فمن حيث قد استنار عقلي بمصباح الانجيل فصرتُ أُبصر واميز جيد الاشياء من رديئها فلست بمعذور ان عثرت بعد هذا بالحجارة المنحوتة او صرت علة المعثرة للآخرين، وأنهُ لَلومٌ فضيح وعار لا يُحتمل ان انساناً بصيراً يُهمل نفسهُ فيقع متهوراً في حفرة البوار".

القاضي: "انك قد جنيت جنايةً موبقة عاقبتها وخيمة وانما لكونك كاهن الالهة فأُعاملك بطول الاناة لربما تستفيق من غيك فتطيع الالهة، والا فإن نبذت الطاعة الواجبة لها مصراً على المخالفة فقسماً بالالهة التي غدرت بها لأُعاملنك كما يعامَل الرجل السافك الدم، وأُنزلن بك النكال باقسى العذابات واشدها وذلك اخذاً لثار الالهة التي تمردتَ عليها وضيعت واجب حقها".

شربيل: "اما ان قلتَ هذا او قلت هذا فإني غير مبالٍ بقولك، وانما اقول مصرحاً باني لست بمريدٍ بعد اليوم ان تنظر الي كأني كاهن الالهة المصنوعة، بل ان تعتبرني وتكلمني كاني رجل مسيحي يكفر بالاصنام ويعترف بالملك المسيح".

الحاكم: "شانك عَجبٌ، فكيف لا ترتجف خائفاً من الملوك، ولا تخجل من الحضار فتقر بكونك نصرانياً فبادر الآن الى وظيفتك الاولى حتى تحوز ما كنت عليهِ من الاكرام والمرتبة، وإلا فلأجعلنك عبرةً لمن اعتبر، وأُلقيَن الرعبة بمثَلك في قلب كل من يتجاسر ان يقترف ما اقترفت انت في حق الالهة".

شربيل: "اني أخاف من ملك الملوك فقط، فلا اخشى ملكاً أرضياً، ولا أُبالي بتهديداتك، فسقاً لي إذ إنني أُدان من اجل المسيح كما دين هو تقدس اسمهُ من اجلي".

الحاكم: "وان كنت انت لا تشفق على نفسك لكنني انا اكرهُ ان اقطع يديك اللتين بخرتا الآلهة، واسد بدمك اذنيك اللتين سمعتا اسرار الآلهة، واقطع لسانك الذي ترجم معبراً لنا عن غوامض الآلهة، فترى أن إشفاقي عليك ما هو الا هيبةً من الآلهة، ولكنك اذا بقيت مصراً على اتباع آرائك الفاسدة فالآلهة نفسها تلزمني وتجبرني ان اقاصصك غير مشفق عليك".

القديس : "بما انك تخاف الملوك وترتعد من الاصنام، فلم تشفق علي؟ واني لا اخاف ولا اضطرب مما تقول، وانا عالم ان كل من تدينهُ انت لعدم سجودهِ للتماثيل المصنوعة يسلم من الدينونة الاخيرة".

فاستشاط القاضي غضباً وقال: "أما تدري أيها الشقي ان حياتك وموتك في قبضة يدي؟ فكيف تلقاني بهذا الملقى مزدرياً بالآلهة" ثم امر الشرَط المحيطين بهِ ان يوجعوهُ ضرباً بالسيور، فامتثلوا امرهُ واشبعوه ضرباً فقال شربيل: "بعيدة عنك معرفة عذابات العالم العتيد، فانت تزول وقصاصاتك تبطل مضمحلةً، واما العدل فيقوم ابداً وانتقامهُ يبقى سرمداً".

القاضي: "لقد اشتدت عليك وطأة الاضاليل النصرانية حتى إنك ما عدت تعرف ممن تُدان ومن هم الذين يعذبونك فإن معذبيك هم الذين كانوا قبلاً يحترمونك ساجدين لك لكونك كاهن الآلهة، فلمَ ازدريتَ بهذا الاكرام واحببتَ هذا العار؟ وإن

كنت انت تتكلم خارجاً عن القوانين فلا يمكنني انا ان احيد عن تحديدات الملوك".

شربيل: "كما انك تراعي نظام الملوك ملاحظاً ما يُصيب من يتعداهُ من التاديبات القاسية كذلك انا ايضاً احترس متحفظاً ألا اخالف شريعة الذي قال: لا تسجد لكل صنم وتمثال فلذلك لن اسجد للاصنام المصنوعة ابداً واصلاً".

الحاكم: "لا تزِد على اثمك اثماً فتُصر على نشر لواء العصيان على الالهة وتلومها مسمياً اياها اصناماً مصنوعة إذ إن الملوك أنفسهم يبالغون في إكرامها".

شربيل: "لو حرَضتني ان اسجد للملوك الغائبين لقلت لا باس، فانهم لكونهم غير حاضرين فلا يحسون بمن يخالفهم وينكر عليهم واجب حقهم، واما اجبارك ايَاي على السجود للاصنام الموجودة فيما بيننا التي نراها وهي لا ترانا لامرٌ مستحق الهزوء لا بل يُبعدك عن مقصدك اذ انهُ ليس فقط لا يُجدي إكراماً للاصنام ولكن بالاحرى يُخل بشرفها لدى الحضار وجميع الجند، لانك تبين بهذا موضحاً ان اصنامك لها افواه ولا تتكلم وانما انت تتكلم عوضها".

الحاكم: "اني لا اكف عنك حتى تخضع للملوك والالهة، فعجل الآن في تقديم السجود للالهة واشفق على نفسك يا مهين نفسه وإلا فانزل بك من العذابات أمرها ومن التباريح شرها واقساها".

شربيل: "أما قلتُ لك إني لست بساجدٍ للاصنام؟ فدع عنك اذاً كثرة الكلام في هذا الخصوص اذ ليس لهُ من تاثيرٍ فيَ ابداً، واما قولك لي (مهين نفسه) فيا ليت هذا الفكر وقع في نفسي منذ نعومة اظفاري وأهنتُ على هذا المنوال هذه النفس التي كانت تائهة في ديجور الظلام".

فاستشاط الحاكم عند ذلك غضباً وصاح بالجلادين ونار الغيظ تقدح من عينيه وقال: "علقوا هذا الشقي على خشبة واجردوهُ من جنبَيه".

فبينما كانوا يجردون جلدهُ هتف قائلاً: "اني اتجشم هذا العذاب فرِحاً مسروراً حباً بالمسيح الذي أطلع في افق قلبي شموس معرفتهِ فازداد الحاكم غضباً وامر بان يجردوا وجههُ ايضاً".

فقال القديس: "لأن أُعذَب هنا لعدم سجودي للاصنام خير من ان اطيعك فأُعذَب في الآخرة".

فامر الحاكم الجلادين ان يضجعوهُ على ظهرهِ ويشدوا يدَيهِ ورجليهِ ويعذبوهُ ضاربين على بطنهِ، فامتثلوا امرهُ حالاً وبعد ان نكَلوا به طويلاً على هذا المنوال امر الحاكم أن يُلقى في السجن، فحملهُ الشرط ورافقهُ النصارى لانهُ لم يكن يستطيع المشي لشدة عذابهِ، وبقي في السجن اياماً كثيرة.

ولما كان اليوم الثاني من شهر ايلول، نزل القاضي ليلاً مع حاشيتهِ الى المحكمة، فأنفذ من ياتيه بالقديس، فلما مثل بين يديهِ قال لهُ: "قد صار لك زمان في الحبس، فما الذي قر عليهِ رأيك في ما كنتُ سألتك عنهُ؟ فألا تخدم الالهة على عادتك تبعاً لأمر الملوك؟".

شربيل: "ان ما قر عليهِ رأيي هو ان اكمل الى المنتهى ما بدأتك بهِ غير راجع عنهُ أبداً، فلا أُبخر للاصنام التي قد كفرتُ بها، ولا أُنكر المسيح الذي قد اعترفتُ به".

فاحتدم عليهِ الحاكم غضباً وامر بهِ ان يُعلَق من يدهِ اليمنى حتى تنفسخ لانهُ منعها من التبخير للالهة ولم يرجع عن كلامهِ، وبينما كان مربوطاً بيدهِ سألوهُ هل يُطيع فيذبح للالهة؟ اما هو فما كان يستطيع المجاوبة لشدة وجعهِ من انفساخ ذراعهِ فامر القاضي بحله واخذ يكلمهُ قائلاً: "بخر للالهة واذهب في حال سبيلك، فما من احدٍ يجبرك ان تكون كاهناً، وإلا فلأُبالغن في التنكيل بك".

شربيل: "اباد الله من تحت السماء الالهة الكاذبة، واما انت فلا تخوفني بالكلام بل ابرزن امرك الاخير فيَ حتى لا اسمعك مرة اخرى تعطي اسم الالهة لهذه الاصنام المصنوعة".

فازداد الحاكم غضباً وفار كالنار شواظاً ولهباً فامر ان يكووا جنبَيهِ وخدَيهِ بالنار ففعلوا.

فقال القديس: "قد سبقتُ وقلتُ لك انك بعيد عن معرفة عذابات النار المعدةَ للذين يسجدون مثلك للاصنام المخلوقة ويكفرون بالله الخالق".

الحاكم: "من لقنك يا ترى هذا الكلام انت الذي كنتَ محباً للالهة وعدواً للمسيح الذي تحامي عنهُ الآن؟".

شربيل: "ان معلمي هو المسيح الذي ليس محتاجاً ان احامي عنهُ، ولكن مراحمهُ تحامي عن جميع الخطاة الذين هم نظيري في ذلك اليوم الذي فيهِ سُيعطي كل إنسانٍ حساباً عن أعمالهِ" فلم يكن الحاكم الا ليشتد غيظاً ويهيج كالاسد الضاري وامر بهِ ان يُعلَق على خشبة ويُجرَد ثانيةً في جنبَيهِ وخدَيهِ ثم تُكوى كلومهُ بالملح والخل، ففعلوا ثم قال لهُ: "تأمل يا منكود الحظ وانظر الى ما آل اليهِ امرك، فكان الأولى والاجدر بك ان تلازم دين آبائك واجدادك، فأمسك الآن عن هذا الرأي الفاسد الذي ليس من شانك، وبادر ساجداً للالهة، وكف عما عارهُ لازم عليك وشينهُ واقع بك حتى لا يكون مصرعك شديداً اذا بقيت مصراً على جنونك هذا".

شربيل: "حاشاي ان اقر بانهُ يوجد من الالهة غير الإله الواحد خالق السماء والارض والبحار وكل ما فيها".

القاضي: "كلامي معك ليس ان تشرح معبراً لي عن إيمان المسيحيين، وإنما هو ان لا تنبذ الطاعة للآلهة التي كنت تخدمها".

شربيل: "قل لي أين هي حكمتك وحكمة الملوك الذين تفتخر بهم بسجودكم للاصنام التي هي عمل ايدي الصناع الذين تستذلونهم مثقلين عليهم بالعشور والجزية؟ يا للعجب! الصناع قائمون في خدمتك وانت تخدم عمل اياديهم وتوقرهُ وتسجد لهُ".

القاضي: "ما شأنك أنت والمسألة عن هذا؟ فانت لستَ بقاضٍ حتى تحكم بهذه الامور، وانما انت ملتزم ان تجاوب لماذا تركتَ الآلهة ناشراً عليها لواء العصيان غير راضٍ ان تبخر لها كسائر رفاقك الكهنة فعجل في الجواب وإلا فتُقتل شر قتلة".

شربيل: "إن الموت من اجل الايمان المسيحي لحيوة حقيقية للمعترفين بالمسيح الذي سيعترف بهم امام ابيهِ السماوي" فغضب عليه الحاكم غضباً شديداً وامر الجلادين أن يكووا تكراراً بالنار خديهِ وجنبَيهِ، فآذوهُ زماناً طويلاً.

فقال القديس: "ياما اسعد حظي إذ تحرقني بهذه النار حتى انجو من تلك النار المعدة للساجدين للاصنام، فان النصارى لا يُباح لهم ان يسجدوا لما ليس بإله فإن كل مخلوق مضطر ان يسجد لخالقهِ، ولا يُسمح بالسجود الا للخالق الازلي".

الحاكم: "ان الملوك لم يأمروني ان اتباحث معك عن هذه الامور، وان ما امروني بهِ هو ان أُؤَدب اشنع تاديب من يأبى السجود للآلهة".

شربيل: "إن ملوك العالم لا يفكرون الا في ما هو للعالم، اما ملك الملوك فقد أعلن لنا بانهُ يوجد عالم آخر ودينونة مُعدة ليوم القيامة حيث يكافئ كل من حفظ وصاياهُ ويعاقب من لم يعترف بهِ، ولذلك اصيح مصرحاً: إني لم اعد اسجد للاصنام وابخر للشيطاين وأكرم الأبالسة" فنادى القاضي بالجلادين مغضباً ان: "دقوا في جنبيهِ أوتاداً صغيرة من حديد لكي ينطلق سريعاً الى العالم الوهمي التائق اليه".

شربيل: "ان هذه العذابات تُذكرني بالمسامير التي بُجنت في يدَي ورجلَي رب السماء والارض، الذي في يوم آلامهِ اهتزت الارض باسرها وارتجت جميع العناصر، واما انت فتجهل ان ما تعذبني به ليس بشيءٍ إزاء القضاء العتيد، لانك من المنافقين الذين ليس في قلوبهم معرفة دينونة الله، فلا يتأملون في وجودهِ تعالى ولذلك هو ايضاً لا يعترف بهم".

القاضي: "انك بالقول فقط تدعي بوجود الدينونة، ولكني انا اريك الدينونة بالفعل ابتغاء ان ترتعد فرائصك خوفاً فلا تكثر من الكلام امامي".

القديس: "ان الذي يضع المسيح بازآء عينيهِ يكون المسيح عن يمينهِ، فلهذا لست اكترث بما تهددني بهِ".

لوسانيا: "فلينقذك اذاً المسيح مما اصابك وسيصيبك من تباريح العذاب وليُحامِك عياناً مخلصاً اياك من بين يدَي".

القديس: "إن المسيح قد حاماني ويحاميني حقاً، وهذا واضح لا ريب فيهِ، إذ إنهُ تعالى اعطاني من القوة حتى اني كابدتُ محتملاً بفرحٍ كل ما أذقتني من العذاب الفادح حتى الآن، وكذلك اني اتجشم بطيبة خاطر مني وذلك بقوتهِ ايضاً كل ما انت مضمر في نفسك ان تسومني من الفوادع الذريعة، واما انت فقد عاينتَ هذا كلهُ وما تريد ان تصدقني".

فتوهج الحاكم غضباً وامر بهِ ان يُخرَج من امامهِ فيُعلق على خشبة منكس الرأس ويُوسَع ضرباً بالعصي وبعد ان عذبهُ الجلادون طويلاً امر أن يُؤتى بهِ، فقال لهُ: "اسجد للآلهة امتثالاً لأمر الملوك ايها الكاهن الكاره الاكرام والمبتغي العار".

الشهيد: "إن الحاحك علي في هذا الامر لعَبث، فاني على ما انا عليهِ من الرأي والعزم الثابت الوطيد، ومن المحال ان ارجع من هذه الديانة الحقيقية لأتدهور في الضلال والكفر اللذين قد تشربتُ بغضهما، فلا تُتعب نفسك سدًى".

فلما قال القديس هذا الكلام تقلى القاضي على جمرات الغضب وصرخ بالجلادين أن يضعوهُ في قفص من حديد كرجل فاتك ويجلدوهُ بالسياط، فامتثلوا امرهُ وضيقوا عليهِ شديداً حتى انهُ لم يبقَ فيهِ عضو إلا وتهشم والتفت الشهيد الى الحاكم وقال لهُ: "اعلم اني أستعذب هذه الآلام التي تظنها أنت مرة، وذلك لاني ارجو عائدتها، فانها لعتيدة ان تكون لي ينبوع المراحم ومصدر الخلاص في يوم القيامة".

فالتفت الحاكم الى الجلادين وقال: "ضعوا بين اصابعه اوتاداً ناعمة مجوَفة وشدوا يديه على هذا المنوال مضيقين عليه بشدة لا مزيد عليها" ففعلوا ذلك مضيقين عليه بشدة حتى ان انفجر الدم من تحت اظافره.

فقال القديس للحاكم: "أزِد ما شئت من العذاب والأذى، فاني مستعد لاحتمالها بصبر وسلوى".

فقال الحاكم للجلادين: "حلوا يدَي هذا التعيس، والقوهُ على الارض، وشدوا يدَيه على ركبتيه وأدخلوا خشبة تحت ركبتيه بحيث انها تفوت على رباط يدَيه ثم علقوهُ برجليه واجلدوهُ بشدة" فامتثل الجلادون امرهُ ولما اخذوا يجلدونهُ قال للحاكم: "ان محاربي الله تعالى لا ينتصرون ابداً والمتكلين عليه لايخزون قطعاً، ولذلك اهتف قائلاً: لا موت ولا حيوة ولا نار ولا سيف ولا الملائكة ولا الرؤساء ولا القوات ولا هذه الاشياء الحاضرة ولا المستقبلة ولا علو ولا عمق ولا خليقة أُخرى تقدر ان تفصلني عن محبة الله التي بربنا يسوع المسيح".

فهاج الحاكم كالوحش المفترس ولم يجد ليبرد غليلهُ الا اخذ الثار في مضاعفة العذاب والاكدار فأمر باحماء كرات رصاصية ونحاسية، فحُميت شديداً ووُضعت تحت إبطَيه، فاحترق جسمهُ وبانت اضلاعهُ.

فقال القديس: "ان عذاباتك لطفيفة نسبةً الى شدة حنقك علي، الا إن نار غضبك قد خمدت وسعير تاديباتك قد اشتد".

الحاكم: "لا تفتكر انك تخدعني بهذه التمليقات، فاني متفكر في ما هو اشنع العذابات وافدحها لأُؤَدبك قصاصاً لك عن جحودك الآلهة".

شربيل: "انك لم تفهم ما قلتهُ واضحاً امامك، فكيف تدعي انك تعلم ما هو مكتوب في عقلي ومكنون داخل صدري؟".

الحاكم: "ان كلامك هذا لا يُجديك نفعاً، ولكنهُ يُهيج غضبي ويزيد حقدي عليك سعيراً".

شربيل: "ان في قصص الهتك اموراً فظيعة تُجلببها جلباب العار و الهوان، فان أحدها كان يجالس الصبيان هائماً فيهم، والآخر اكتسى بثوب الخزي والعار لدى محاولته أفتضاح عذراء هربت منهُ ملتجئة الى شجرة، هذا ما ورد في قصص الهتك التي لو قرأتها لعثرتَ على ما هو ابشع من ذلك بكثير".

الحاكم: "ويحك ايها الشقي، واهاً منك ايها المنكود الحظ لعمري ان النصرانية قد دخلت منك مدخلاً قهر رأيك وغلب على عقلك حتى انك تجرأت بدون خوف واحتقرت الآلهة مستخفاً بامر الملك، فاعلمن ان ذنبك لعظيم واني ناظر في ما أُعاقبك عما جاوزت بهِ حدك" ثم امر بهِ فأُوقف على طابق محمي بالنار فاحترقت رجلاهُ تماماً.

فقال لهُ القديس: "ان كنت تستشيط غضباً لمجرد سمعك كراهة قصص آلهتك، فترى كيف كنت تطرق في الارض خجلاً لو سمعت أفعالهم القبيحة الذميمة فلا غروَ لو ان إنساناً اقترف ما قد اقترف احد آلهتك لقتلتَهُ قتلة شنيعة"

القاضي: "اليوم أنتقم منك عن تجديفك على الألهة وتعديك امر الملوك، واعلمن متيقناً اني لا ازال انكل بك حتى اكرهك على السجود للآلهة".

الشهيد: "أبرز امر الملوك من مكان القول الى ظواهر العمل وإلا فما انت الا كذاب ومهين الملوك".

الحاكم: "ما وصلتَ الى ما وصلت اليه إلا لقلة حيائك وسوء مجاوبتك المُخلة بشرف الملوك والآلهة، فانظر الان في امرك وامسك عن هذا السفه ولا تتمادَ في الخطإ فتعظم منك البلية".

القديس: "انت مفوَض، فاعمل ما تريد ولا تُشفق علي".

لوسانيا: "ان الذي يرضى احتمال هذه المشقات الفادحة ولا يشفق على جسدهِ، فترى كيف يرتدع او يستحي من مقاومة الملوك؟".

شربيل: "نعم وحقاً قلتَ، فاني لا استحي ولا اخاف، فإن مخلصي الذي خطف عقلي وسباهُ لقريبٌ مني، واذ اسخطتهُ في سجودي للاصنام فأُصالحهُ اليوم بما

اكابدهُ من الآلام والاذيات لاجلهِ، فعقلي مفتون بيسوع الهي واني لتائق الى الذهاب اليه".

القاضي : "لعمري اني اخاطب مجنوناً واكلم ميتاً مُحرقاً".

شربيل: "فإن كنتُ مجنوناً فلمَ تخاطبني، هل من مجنون يُسأل فضلاً عن ميتٍ مُحرَق".

الحاكم: "كيف اسميك ميتاً وانت تصيح قائلاً إني لن ابخر للآلهة".

شربيل: "ولا انا اعرف كيف اجاوبك إذ قد خلطتَ علي وسمَيتني ميتاً والآن تعود تخاطبني كأني حي".

الحاكم: "اني أصبتُ اذ سميتك ميتاً من حيث ان رجليك محترقتان ولا يهمك ذلك، وخديك مكويان بالنار وانت ساكت، والمسامير مبجنة في جنبيك ولا تبالي فيها، واضلاعك بانت من شدة الجرد فتعير الملوك، وجسمك كلهُ مثخن بالجراح وممزق فتجدف على الآلهة، وانما بغضاً لجسدك تتفوه انت بكل ما يخطر لذهنك".

شربيل: "إن كنت تسميني مجدفاً على اني كابدتُ هذه الآلام، فانت الذي اذقتَني اياها حقيقٌ ان تُسمى قاتلاً بالفعل ومجدفاً بالعمل".

الحاكم: "انك لقد اهنتَ الملوك واحتقرتَ الآلهة وتشتمني انا ايضاً لكي اعجل في قتلك، الامر الذي ترومهُ وتتوق اليهِ، لكن هيهات! فاني لمتمادٍ في تاديبك".

شربيل: "قد قلتُ لك آنفاً والان اقول تكراراً انجز في عاجلاً تهديداتك حتى تبين انك تمتثل امر الملوك".

فامر الحاكم بتمزيق ساقيهِ وفخذَيهِ بمشط حديد، ففعل الجلادون ذلك واخذ الدم يهطل على الارض، فقال القديس: "هذا ما كنت اتوق اليهِ، لاني سمعتُ ان احد آباء الكنيسة قال إن جروح جسدي تُقيمني من بين الاموات، إذن انا الذي قد كنت ميتاً بالخطيئة والوثنية أحيا بواسطة ما تذيقني من العذابات والشدائد".

فقال الحاكم للجلادين: "مزقوا خديه ايضاً بمشط حديد".

اجابهُ شربيل: "لستُ بُمطيع للملوك المريدين اكرام ما ليس إلهاً".

القاضي: "اسجد مثلما يسجد الملوك واكرم كما يُكرِم القضاة".

القديس: "إذا كنتُ أنا أُعير عمل انسانٍ لا حاسية لهُ فلا بأس، ولكنك انت تحتقر الإله خالق السماء والارض بسجودك لشيءٍ مصنوع".

الحاكم: "أوَ يعلمكم مذهبكم ان تزدروا بالنيرة التي تُنير جميع اقطار العالم؟".

شربيل: "كلا، لكنهُ يعلمنا ألا نسجد لها لكونها مخلوقة، ولعمريِ ان السجود لمخلوقٍ دون الخالق ظلمٌ لا يُحتمل، وبالاجدر اقول إنهُ لعار عظيم للخالق اذا ما وُقرت معهُ خليقتهُ".

الحاكم: "ان سيدك المسيح المعترف انت بهِ عُلِق على خشبة، فلأُعلقنك انت ايضاً نظيرهُ على الخشبة، وللحال علقوهُ على الخشبة واستمر على تلك الحالة زماناً طويلاً".

فقال للقاضي: "تأمل ان المسيح المزدري انت بهِ قد اخزى الهتك ورشقها بسهام المذمة ونبال الهجاء حتى إن الذين كانوا يعبدونها قبلاً عادوا الآن يهينونها رافضين إياها الى آخر درجة".

الحاكم: "كيف يهنئك ان تجحد الآلهة وتعترف بالذي عُلَق على خشبة العار؟".

شربيل: "إن اعظم فخر المسيحيين هو صليب المسيح الذي بهِ كمل خلاص البشر الساجدين لهُ وتنور عقلهم ان ينبذوا عبادة الاصنام".

القاضي: "فخرك هذا احفظهُ داخل قلبك فقط اسجد ظاهراً للآلهة".

شربيل: "إن الذين أُنقذوا بالصليب لا يستطيعون ان يعودوا فيكرموا الاصنام، لأن المخلوق لا يقدر ان يسجد للمخلوق، والحال ان جميع آلهتك مخلوقة وليست بآلهة، فمن المستحيل ان يُسجَد لها من دون ان يُهان الخالق".

الحاكم: "دَع جانباً ما علَمتك كتب النصرانية وامتثل امر الملوك هرباً من شدة شرائعهم الجازمة عليك بالموت".

شربيل: "أهذا هو يا ترى عدل الملوك الذين تفتخر انت بهم، فهل من الصواب ان تنبذ شريعة الله تعالى وتعمل بشريعتهم؟".

الحاكم: "ألا تنتهي يا هذا من المعاندة التي افضت بك الى هذا الشقاء حتى إنك لم تعد تعرف نفعك من ضرك فلو بخرتَ للآلهة لبالغنا في إكرامك وأعدناك الى منزلتك الاولى".

شربيل: "إنك تحسب هذه الضيقات ملامةً وعاراً لأنك غليظ العقل وفاسدهُ، غير أن ذا العَقل السليم يحكم ان الضيقة تاتي بالصبر، والصبر يولد الصدق والرجاء، والرجاء لا يخزي".

فتميز قلب الحاكم غيظاً وكاد يتمزق من شدة غضبهِ على القديس، فأمر الجلادين ان يعلقوهُ على خشبة ويجردوا مرة اخرى اعضاءهُ التي كانت جُردت قبلاً، فآذوهُ كثيراً، ومزقوا لحمانهُ قاطبةً فبانت أحشاؤهُ كلها، ثم امر الحاكم بحلهِ، وخلى عنهُ برهةً لكي ترجع عليهِ نفسهُ كي لا يموت سريعاً وينجو من عذابات اخرى، لانهُ كان مدنفاً على الموت وغير قادر ان يتفوه بكلمة واحدة، غير ان القديس فتح فاهُ وقال: "لِمَ اشفقتَ علي هذه البرهة وأوصدت علي باب الاجر والثواب".

الحاكم: "لا تظن اني خليتُ عنك شفقةً عليك، وإنما اهملتك قليلاً حتى ترجع عليك نفسك فأُنكل بك من جديد، وتأكدن متيقناً اني لو كنت قادراً ان أؤدبك اكثر مما تأمر بهِ شريعة الملوك لفعلت ذلك آخذاً بثار الآلهة منك".

وعند ذلك امر بجر الحجاب عليهِ لكي يمكنهُ ان يسجل بسهولة القضاء على شربيل، ثم لما فرغ من تسجيل القضاء امر برفع الحجاب، فرفع صوتهُ وقال للحضار: "شربيل هذا الذي كان قبلاً كاهن الالهة ورجع اليوم فكفر بها مدعياً أنهُ نصراني، فنصحتهُ اكثر من مرة أن يسجد للآلهة كعادتهِ الاولى فلم يفعل فضلاً عن انهُ ازداد شتماً لها فتأملتُ انهُ ولو تاب لمَا وجب ان يُغفَر لهُ على انهُ قد ازدرى بها، فأمرت تبعاً لامر الملوك ان يوضع على فمهِ سير، ويُسحَب خارج

مدينة الملوك الذين نشر عليهم لواء العصيان، وان يُنشر بمنشار من خشب فيُقطع رأسهُ بالسيف" فوضعوا حالاً سيراً في فمه وركضوا به سحباً في الازقة، فكان الناس يتبعونهُ متعجبين لمشاهدتهم إياهُ فيما بين هذه الآلام الفادحة فرحاً مسروراً، وكان فرحهُ الخارجي يدل على سروره الداخلي.

فلما بلغ به الشرط الى المكان المعين لقطع رأسه قدموا لهُ من الخمرة ليشرب كما كان يُصنع بسافكي الدم المحكوم عليهم بقطع الراس اما هو فامتنع عن شربها قائلاً: "إنهُ يريد ان يحس بتاثير المنشار ومفعولية السيف" ولكنهُ طلب اليهم ان يمهلوهُ قليلاً ريثما يصلي فالتفت نحو الشرق وقال: "إغفر لي ايها المسيح كل ما اسخطتك به إذ قدمتُ الذبائح الدنسة للاصنام النجسة، اشفق على حياتي وانقذني من الدينونة العتيدة، تحنن عليّ يارب كما قد تحننتَ على اللص التائب، إقبلني في عدد الذين تابوا ويتوبون توبةً نصوحاً، ولكوني دخلتُ كرمك في الساعة الحادية عشرة ابتهل اليك ألا تعاملني بصرامة عدلك".

وكان بعض أُمناء الحاكم قد تبعوا القديس ليعاينوا اذا كان الجلادون يمضون فيه امر مولاهم أولاً، فلما سمعوا ما قالهُ القديس في صلاته، اغتاظوا على الجلادين لانهم امهلوا الشهيد ريثما يصلي، فاضطروهم ان يمضوا سريعاً امر الحاكم في القديس فأتوا عند ذلك بآلات النجار وجعلوا ينشرونهُ بالمنشار، ولما اشرف على الموت، امضوا فيه عاجلاً السيف فقضى نحبهُ وكانت اختهُ باباي حاضرة، فدنت منهُ واقتبلت دمهُ في ذيلها وطلبت اليه ان تموت هي ايضاً نظيرهُ فتذهب معهُ الى المسيح الذي اعترف به.

ثم ان امناء الحاكم عادوا الى المدينة مُخبرين مولاهم بما جرى، فأمرهم ان يعجلوا في الرجوع فيوعزوا الى الجلادين ان يقطعوا رأس اخت شربيل ايضاً في الموضع الذي اقتبلت فيه دم اخيها فوثب عليها الجلادون وثبة الكلاب الضارية واخذوا ينكلون بها الى ان فاضت روحها واخذ النصارى خفيةً جثتيهما

ووضعوهما في ضريح عبشلاما الاسقف، وكان استشهادهما في اليوم الخامس من شهر ايلول في يوم الجمعة.



جهاد بَرسَميْا أسقف الرها المعترف

(١٠٥)

في سنة ١٠٥ للمسيح، وهي الخامسة عشرة لمُلك طريانس قيصر في قنصلية قومودس وقورلس، في اليوم الذي اصدر فيه لوسانيا الحاكم امرَ الموت على شربيل رئيس الكهنة الوثنيين، دخل عليه امناء المدينة وهو جالس في ديوانه واخذوا يسعون لديه ببرسميا الاسقف قائلين: "ان برسميا هو الذي حمل شربيل على ترك عبادة الآلهة واعتناق النصرانية التي تمنع السجود لكثرة الآلهة، وما توجب العبادة إلا لإله واحد ولابنه يسوع المسيح، وان كثيراً من اهل المدينة تبعوهُ وهم الآن يعترفون بالمسيح، حتى إن بعض اعيان المدينة ايضاً تتلمذوا لهُ مع شربيل ومن الجملة عويذا ونابو وبركلبا وحفسي فهانحن قد قضينا فرضاً واجباً علينا، فاطلعناك على جملة الامر حتى لا تعاقبَنا فيما بعد على اننا كتمنا عظمتك النصيحة في امر مهم، هذا والامر امرك مولانا".

فلما سمع الحاكم ما انبأُوهُ به اغتاظ غيظاً شديداً وامرهم حالاً بأن يأخذوا من الشرط ما أرادوا وينطلقوا الى كنيسة النصارى فيخطفوا الاسقف، فذهبوا واتوا بهِ الى البلاط، وتبعهُ كثير من النصارى قائلين: "إننا نحب الموت مع راعينا لان إيماننا واحد".

فتقدم الامناء الى مولاهم وقالوا لهُ: "ها ان الاسقف على الباب ومعهُ الاعيان الذين تتلمذوا لهُ وهم لايريدون ان ينفصلوا عنهُ ابتغاء ان يموتوا معهُ على انهُ معلمهم".

فاوعز اليهم بان يخرجوا فيكتبوا اسماء المتمردين غير انهم عجزوا عن كتابة الاسماء لأن عدد النصارى الذين كانوا يريدون الموت مع الاسقف كان لا يحصى وصار بسبب ذلك ضجيج عظيم فرجع الامناء وقالوا لمولاهم إنهم لا يستطيعون

الى كتابة الاسماء سبيلاً فاوعز القاضي بإلقاء برسميا في السجن مريداً بذلك تفرق القوم لئلا يصير سجس في المدينة.

وبعد ايام نزل الحاكم الى دار المحكمة وامر بإحضار برسميا فلما وقف بين يديه سأله قائلاً: "أأنت هو برسميا الاسقف الذي تلمذ شربيل عظيم الكهنة؟".

فاجابهُ: "نعم انا الذي فعلت ذلك ولست انكرهُ، لا بل إني مستعد ان اتجشم كل نوعٍ من المحن والموت تثبيتاً لذلك".

القاضي: "كيف أمنتَ على نفسك سطوة الملوك الآمرين جميع الناس بتقريب الذبائح للآلهة فجذبتَ شربيل عظيم الكهنة وحملتهُ على ان يكفر بما كان يعترف بهِ ويعترف بما كان يكفر به؟".

الاسقف: "لكوني اسقفاً وراعيَ الاغنام فيجدر بي ان اصرف همتي وابذل مهجتي ليس فقط في ما أُحصِن فيه اغنامي من نوازل المكروه ولواحق المحذور، ولكن ملزوم ايضاً ان ابذل جهدي في ان استجلب الى حظيرة الحق الاغنام الضالة التي قد اصبحت فريسةً لذئابٍ خاطفة فلو كنتُ قصرتُ في إنذار شربيل بكلمة الحق لكنت اليوم مطالباً بدمه، ولو لم ينقد لتعليمي لأضحيتُ بريئاً من دمه".

الحاكم: "فمن حيث اقررتَ الآن بأنك خدعتَ شربيل فإني مبالغ بتأديبك انتقاماً منك لدمه فإنك جعلتهُ يخوض المنايا غير مكترثٍ باوامر الملوك".

برسميا: "معاذ الله ان اخدع احداً إن شربيل لم ينقَد الى كلامي بل الى الله القائل: لاتسجد للاصنام والتماثيل، وأما الموت الذي تهددني بهِ فاعلمْ انهُ لست وحدي مستعداً لاقتبالهِ حباً بالمسيح لكن جميع النصارى متأهبون لهُ لمعرفتهم انهُ جسر يعبرون عليه بحر هذا العالم الزاخر فيذهبون الى دار البقاء حيث يتسلمون حياتهم من الله تعالى مصدر السعادة المخلدة".

الحاكم: "لا تجاوبني على هذا المنوال نظير شربيل تلميذك لئلا يكون تأديبك امر من تاديبهِ".

الاسقف: "اني انا علمت شربيل بحقيقة الإله الواحد خالق جميع الاشياء التي تُرى والتي لا تُرى، فكيف يمكنك ان تحملني على السجود للآلهة انا الذي قد اعترفت بالله الحق منذ نعومة أظفاري؟".

القاضي: "إنكم قد اخضعتم المسكونة كلها لتعليم المسيح حتى اننا نرى ان كثيراً يكفرون بالآلهة التي كانوا قبلاً يسجدون لها بكل إكرام واحترام فأمسك الآن عن هذا الراي الفاسد وإلا فلأُنزلن بك النكال واذيقنك اشد العذاب".

الاسقف: "إن كان المسيح يحامي عبادَهُ فمن الذي يستطيع الى قهرهم سبيلاً؟ واي قوة تتغلب عليهم؟ وما عسى ان تبلغ تهديداتك من الذين قد نصبوا موتهم امام عيونهم واعز مطلوبهم هو ان يحظوا اسرع ما يكون بالساعة التي فيها تفرق بينهم وبين الحيوة؟".

الحاكم: "لا تأتِ بذكر المسيح قدام الحضار، ولكن عجل في تقديم الذبائح للآلهة امتثالاً لامر الملوك".

الاسقف: "إن الآم المسيح مصورة دائماً في ذهن النصارى، ولذلك يخضعون لهُ تعالى اكثر مما تخضع انت للملوك".

القاضي: "قد خضعتَ للمسيح الى يومنا هذا، فمن الآن وصاعداً امتثل امر الملوك واسجد لآلهتهم".

برسميا: "إنك لقد طوقت شربيل بالعار لأنهُ جحد الوثنية التي وُلد فيها وانقاد للنصرانية، فكيف إذن تقول لي ان انبذ ديانتي التي تشرفتُ بها منذ وُجدت في العالم؟ لعمري إن انت الا ضال لأنك تناقض مدعاك، ويتضح ذلك جلياً من كلامك لشربيل إذ قلت إن المسيحيين الذين أردتَ اتباعهم لا ينكرون ابداً ما تمسكوا بهِ فراجعْ إذن عقلك واثبت على كلامك هذا إذ هو عين الصواب".

فقال لوسانيا للجلادين: "اجلدوا برسميا على انهُ تعدى امر الملوك وسبب الفتن والدسائس في الشعب".

وإذ كان خمسة من الجلادين ينكلون بالقديس بقساوة شديدة، رفع الحاكم طرْفهُ اليه وقال: "عجل في الطاعة لامر الملوك ولا تعير الآلهة".

الاسقف: "لقد بلغتْ منك الغباوة وتمكن منك العمى حتى إنك لم تعد تبصر ما هو اوضح من الشمس في رابعة النهار فإن الخليقة برمتها تسجد للمسيح مفتخرةً باسمهِ القدوس وانت تقول لي لا تسجد لهُ يا لها من حماقة ان ارضياً يعارض ألا يُسجَد للمسيح الذي تسجد لهُ الملائكة في العلى".

الحاكم: "إنكم بسحركم قد اجبرتم البشر على ان يسجدوا لمسيحكم، ولكن قُل لي من هو الذي اقنع السماويين ان يسجدوا لهُ؟".

الاسقف: "إن السماويين هم الذين بشرونا بالمسيح وعلمونا ان نسجد لهُ معهم".

القاضي: "دع جانباً هذه الخرافات التي لا طائل تحتها، واذعن لامر الملوك ولا تحتِقر شرائعهم فتحرم نفسك نور هذه الشمس الجليلة".

برسميا: "إن النور الزائل ليس نوراً حقيقياً وإنما هو شبه النور الحقيقي الذي تبدد اشعتهُ الظلام وتلاشيه، وهو محفوظ لعباد المسيح".

القاضي: "لا ترد على ما اسألك عنهُ لئلا اقطع راسك، فانك قد كفرت بالنور المنظور واعترفتَ بالنور الغير المنظور".

الاسقف: "هل علي خطأ في التماس المدافعة عن ديانتي، لا اقدر ان اضرب عما تسألني عنهُ فاجاوبك عما ليس من موضوع البحث، لقد كلمتني عن نور الشمس فبدا لي ان اطلعك على النور السموي الذي يفوق على الساجد انت لهُ، واعلمْ ان الله تعالى سيقاصصك شديداً لسجودك لما هو خليقة مثلك".

القاضي: "أكفف عن عنادك هذا ولا تُهن هذه الانوار التي يُكرمها الملوك".

الاسقف: "إن هذه الانوار لا تجدي نفعاً إذ لا يراها الاعمى، ولولا عين الجسد لما أُبصِرت اشعتها، فترى إذاً ان الشمس خليقة الله اذ لا تستطيع ان تُنير الضرير".

القاضي: "إنني بعد ان اؤدبك مثلما تستحق اكتب للملوك عما اقترفتَ من الآثام إذ عيرتَ الآلهة، واطغيتَ شربيل، وتجاوزت شريعة المملكة، وازدريت بالحكام والقضاة".

فقال الاسقف بشجاعة: "إن هذا مما لايخوفني، وان لم أكن قائماً بين أيدي الملوك لكني ماثل بين من تولى أمرهم، ويدينني على اني اعترفتُ بالله خالق السماء والارض، وبابنهِ يسوع المسيح ملك جميع المخلوقات".

الحاكم: "فإن كنتَ تعلم انك قائم في المحكمة بين ايدي نواب الملوك فاذعن لآمرهم ولا تقاومهم لئلا تُقتل قتلةً وبيلةً".

الاسقف: "إن كان الذين يخالفون اوامر الملوك يستحقون الموت حسب قولك، فيا تُرى بأي موت حقيق ان يعاقب ذاك الذي يتمرد على الله ملك الملوك ورب الارباب؟".

الحاكم: "نحن لم نأمر بحضورك في المحكمة لتتجادل معنا، بل لنحكم عليك بالموت على انك لمتَ الملوك وقبحت افعالهم مستخفاً بشرائعهم".

الاسقف: "من حيث إنكم تغضون الطرف عن الله ولا تريدون ان تسمعوا كلمتهُ فتتخذون لكم آلهة الاصنام التي لها افواه ولا تتكلم، فهذا لدليل على ان ليل الضلال قد اسبل اذيالهُ على بصيرتكم فأعماكم تماماً".

الحاكم: "انظر يا شقي مع من تتكلم، فإني اعاقب على الذنب الصغير اشد العقاب فكيف مثل هذا الذنب العظيم فانصحك الآن وهي مناصحتي الاخيرة لك ان تدَع عنك هذا الكلام وتلتمس امراً تصيب فيهِ نفعك من غير ان تغرر بنفسك وتخاطر بها، وإلا فقَسَماً بالآلهة ما ادعك بعد اليوم حياً، اذ قد ساءَني بقاؤك ولو طرفة عين".

الاسقف: "امسك انت ايضاً عن هذه المسائل وعجل في مباشرة القضاء، فان كلامك الفارغ لا يُغنيك شيئاً واما عقابك فهو غاية مرامي القصوى".

فاستشاط حينئذ الحاكم غضباً وفار كالنار شواظاً ولهباً، فامر بالاسقف ان يُعلق ويُجلد بقساوة وحشية غير انهُ في غضون ذلك وصلتهُ رسائل من الوسيوس الوالي الاعظم ابي الملوك، فأحجم عن الاسقف آمراً بهِ أن يكون تحت المحافظة خارجاً عن المحكمة، وأستدعى الامراء واعيان المدينة ليقرأ عليهم الرسائل فيَروا ماذا تامر الملوك بواسطة الولاة الاعظمين المتولين ازمة مملكة الروم فكان مكتوباً: "بعدما امرنا باضطهاد النصارى قد اخبرنا الامناء الذين في البلدان بان هذا الشعب يتحفظ من القتل والسحر والزنى والسرقة والرشوة والمكر ومن كل ما تمنع عنهُ شرائعنا تحت قصاص الموت فلاجل هذا نأمر بموجب حكمنا العادل ان يُرفَع عن النصارى الاضطهاد، فيكون السلام والهدوء في جميع اطراف مملكتنا، ويؤذن للنصارى ان يمارسوا عوائدهم من دون أدنى مانع، إذ إننا لم نُحسن الالتفات الى النصارى الا لسبب ان شرائعهم توافق شرائعنا ولهذا فإن تجاسر بعد هذا ان يعارضهم احدٌ بشيء ما، فلا نتوقف من ان نأمر ذلك السيف الذي كنا قد أمرنا بهِ قبلاً ان يُمضي في الذين يخالفون اوامرنا في اضطهاد النصارى ان يُمضى هو عينهُ في الذين يتعدون امرنا هذا".

فالتزم اذاً الحاكم بإطلاق الاسقف ولما شاع الخبر في المدينة، فرح النصارى فرحاً جزيلاً، فأتاهُ جم غفير منهم مستبشرين وذهبوا بهِ الى الكنيسة مرتلين المزامير، فكانوا يسمونهُ معترفاً مضطهداً رفيق شربيل اما هو فكان يقول لهم: "إني لمضطهَدٌ نظيركم، غير اني بعيد عما قاسى شربيل من العذابات والآلام" فكانوا يجاوبونهُ قائلين: "إننا سمعناك تقول من لسان معلم الكنيسة ان كمال الفعل يتبع كمال الارادة" وبعد ايام عزل لوسانيا حاكم البلد.



ماريوشافاط وبرلعام

(في اواسط الجيل الثاني)

من بعد استشهاد مار توما رسول الهند قام بالملك على تلك البلاد ملك يُدعى أبنير. وولد له ولد سماهُ يوشافاط فجمع المنجمين والسحرة لديه وجعل يسألهم ان يُطلعوهُ لسعد ايام ابنه او نحسها فقالوا له متملقين "ان ابنك سيكون عزيزاً قديراً مهيباً لدى الجميع، ويُضحي من اعظم ملوك الدنيا واجلهم" غير انهُ وجد منهم واحد كشف له حقيقة الامر واخبره بان ابنهُ سيكون عزيزاً جليلاً ولكن لا من حيث ما ذكر السحرة من حسن سياسته وسلطنته الدنيوية، بل لانهُ سيعتنق النصرانية فحزن الملك لذلك حزناً شديداً، وتلاطمت به امواج الجزع والخوف فبذل قصارى جهده ليزحزح عن ابنه هذا الفال، فبنى له داراً منفردة بعيدة عن المدينة وجعل له فيها معلمين وخداماً وثنيين يلازمونهُ فلما نشأ الصبي ابان عن حكمةٍ وحزم وإصابة رأي مما عجب منهُ كل احد، ولم يكن يُؤذن له بالخروج من القصر، فسأل احد امنائه عن سبب ذلك، فاطلعه على حقيقة الامر، فبث الله سبحانهُ في قلب الفتى روح محبة الديانة النصرانية فرغب فيها، واتفق ان اباهُ دخل عليه يوماً ليزوره، فشكا اليه حالهُ واستأذنه في الخروج من القصر، فلم يُنكر عليه ذلك، بل اصحبهُ بأناس اوصاهم ان يمنعوه من مخالطة النصارى ومحاورتهم وكان في طوفانه المدينة يقع نظره على ذوي الفاقات والاسقام فيرق لهم قلباً، واخذ منذ ذلك الوقت يتفكر في زوال الدنيا فتشرب بغض اباطيلها وتعشق الفضيلة.

وكان في اثناء ذلك في برية سنعار ناسك زاهد قديس شهير يقال له برلعام، فاوحى له الله ان ينصرف الى يوشافاط ليشرح لهُ اصول الديانة المسيحية ويتلمذهُ فنهض برلعام وتوجه الى بلاد الهند، ودخل على يوشافاط ابن الملك

بصفة تاجر، وعاود الدخول عليهِ مراراً، ثم كشف لهُ عما قدم اليه بهِ، وشرح لهُ مفصلاً معتقد النصارى واسرارهم الإلهية، فزرع في حقل قلبهِ بذور الايمان الصحيح واقتنصهُ من بر الاضاليل فعمدهُ وغذاهُ باقوات التقوى ومواعظ الانجيل، ولم يعتم الملك ابنير ان احس بما جرى لابنهِ مع الناسك، فطار لبهُ شعاعاً وانخلع انخلاعاً، فاراد ان يقبض عليه، لكن القديس كان قد رجع الى بريته فلما لم يجدهُ اقبل على ابنهِ راجياً ان يحملهُ على الارتداد الى الوثنية ولما لم يستطع اعادتهُ الى الوثنية، اقترح عليهِ بعض شرفاء دولتهِ ان ينادي في مملكتهِ بمفاوضة جهرية في خصوص الديانة النصرانية والوثنية.

وكان ثم رجل من الوثنيين يُدعى ناقور، وكان لهُ خبرة كافية بأمور النصارى، فراى الملك ان يحضرهُ في المفاوضة وكالةً عن النصارى وإذ كان ناقور شبيهاً كل الشبه ببرلعام الناسك معلم يوشافاط، امرهُ ان يتظاهر بكونهِ هو برلعام نفسهُ، واوصاهُ ان يحامي في اول الامر عن النصرانية ثم يسلم لحجج الوثنيين فيرفض الديانة المسيحية، فيتردى يوشافاط بجلابيب العار لدى مشاهدتهِ انكسار معلمه، فيتبعهُ هو كذلك.

فلما كان اليوم المؤجل وحضر في المحفل المنادى به أبرع كهنة الوثنيين وأفصحهم، اقبل ناقور للمحاماة عن النصرانية متشكلاً بزي برلعام الناسك ومدعياً بكونهِ اياهُ وكان الملك ابنير جالساً على العرش في وسط المحفل، والى جانبهِ ابنهُ يوشافاط فأوحى الله الى يوشافاط بحقيقة الامر وكشف لهُ عما أُضمر عليهِ من المكر والسوء فلما عاين ناقور مقبلاً لردِ حجج الوثنيين التفت اليه قائلا: "لقد جاء يا برلعام وقت تبيين صحة المعتقد الذي علمتني اياه، فعليك ان تحامي عنهُ وتوضحهُ على رؤوس الملأ خير إيضاح، والا عاقبتك اشد عقاب على انك تجرأتَ على إطغاء ابن الملك".

فلما سمع ناقور هذا الكلام انقبض فؤادهُ خوفاً واخذتهُ الحيرة لمعرفتهِ عظيم الخطر الموجودهو فيه وتأكده انهُ إن امتثل امرَ الملك لم يتمكن من التخلص من

يد يوشافاط، وان اذعن لقول يوشافاط اغاظ الملك نفسهُ، ولكنهُ في الاخر عمد على المحاماة عن الحق المبين، وامدهُ الله بنورهِ ونعمتهِ مقوياً عزمهُ ومُطلقاً لسانهُ فبرع واجاد حتى أفحم الكهنة الوثنيين فتقهقروا مختزين واما هو فنزع قلبهِ ستور الشبهة وايقن فتنصر وتعمد.

فاستشاط الملك غضباً وازداد حيرةً في امرهِ، فاشار عليهِ بعض الكهنة الوثنيين ان يجعل لخدمة ابنهِ في قصره عدة فتيات، موعزاً اليهن ان يفسدن قلبهُ ويدنسن عفتهُ فيتيسر لهُ وقتئذٍ ان يحملهُ على رفض النصرانية فوضع الملك عدة فتيات بديعات في الحسن وجعلهن لخدمة ابنه نهاراً وليلاً، وأوصاهن سراً بما سبقت الاشارة اليهِ، فأحس القديس الطاهر بالخطر العظيم الموجود هو فيه فيما بين تلك الافاعي الجهنمية، واكثر من الصوم والصلاة ملتمساً اليهِ تعالى ان يصونهُ من سمهن وكانت بينهن فتاة منقطعة النظير في الحسن والجمال، وكان الملك قد اوصاها وصيةً شديدة باستعطاف قلب ابنهِ اليها، ووعدها على ذلك بافضل المواعيد، فأخذت تفرغ جهدها في استجذابهِ واستمالتهِ، وأعانها الشيطان على ذلك ولقنها ان تخاطبهُ متظاهرةً بالنصرانية وتستر قبيحها بهذهِ الحجة، فأخذت تستفسر منهُ عن امور النصرانية واعدةً اياهُ ان تتنصر لا محالة، وبالغت في ذلك، ثم طلبت اليهِ ان يتزوجها كانهُ بذلك يتيسر لها بلوغ اربها فتنجو من يد ابيهِ، واوشك يوشافاط ان يقع في حبالتها لو لم تعضدهُ ذراع الله فافاق على حالهِ ولم يعد ينظر اليها ولا الى رفيقاتها، بل صار يمقتهن قاطبةً ويسأم من حضورهن حتى إنهُ وقع مريضاً بسبب ذلك.

ثم ان اباهُ جاءَهُ يوما ليزورهُ، فشكا اليه سوء حالهِ وقال لهُ: "قد عزمتُ على الخروج في اثر معلمي برلعام الى البرية إن لم تكف عني فتأذن لي بالتمسك بالنصرانية" ففكر الملك طويلاً ورأى ان يقتسم المُلك مع ابنه علهُ بذلك يستعطفهُ ويستميلهُ اليهِ، فالبسهُ التاج وملكهُ نصف مملكتهِ، فجعل يوشافاط مقرهُ في مدينة واسعة مشحونة بالخلق من مدن المملكة، وقام باعباء الملك حق

القيام ورد المظالم ووضع سنن العدل والانصاف، ثم طفق ينادي بالديانة المسيحية وهدم الهياكل الوثنية وكسر الاصنام الضلالية وعظم شان الصلبان الخلاصية، فدخل الناس في الايمان الحق افواجاً افواجاً، وجرت حينئذٍ آيات كثيرة وذلك ان اغلب الذين تعمذوا طُهروا بالعماذ من الاسقام الجسدية ايضا فراقت في ايسر مدة احوال النصرانية في تلك المملكة، واتصل الخبر بذلك كله بالملك ابنير، فرفع الله عن قلبه برقع الظلام فعزم على التنصر، فبعث الى ابنه كتاباً في ذلك وطلب منهُ الغفران والمعذرة لسوء معاملته، ثم توجه الى ابنه، ففرح به ابنهُ فرحاً شديداً وشرح لهُ اصول الديانة اتم شرح، فتعمذ، ثم لبس المسح وجلس على الرماد واعتكف على التوبة صارفاً في ذلك اربع سنين وعقيب ذلك مات ميتة الابرار وعند موته وعظ ابنهُ الجماعة عظةً بليغة في زوال الدنيا، ثم عزم هو على التخلي عن المُلك والانفراد في القفر لخدمة الله وعبادته، فخرج سراً متنكراً وضرب في البرية راجلاً حتى وصل الى ارض سنعار وانضم الى معلمه برلعام، واقام لديه قانتاً ناسكاً، وكان عمرهُ يومئذٍ ثمانين سنة، ثم مات معلمهُ بعد ان اودعهُ وصايا جليلة قدسية، ومات هو ايضاً في ذلك المحل نفسه بعد ان قضى في الزهد مدة ثلاثين سنة وقُبر على معلمه، ثم نُقلت جثتهُ وجثة معلمه الى بلاد الهند ووُضعتا بإكرام في الكنيسة التي كان يوشافاط قد بناها، وجرى على ضريحيهما ايات باهرة وكرامات ربانية.



جهاد مار فوليكرون اسقف بابل ورفاقه الشهداء

(٢٥١– ١٧ شباط)

في سنة ٢٥٠ للمسيح، لما شن داقيوس ملك الروم الغارة على مملكة الفرس وانتصر على ملكهم، قتل فيها جماً غفيراً من المسيحيين ومن جملتهم كان مار فوليكرون اسقف بابل فان الملك المذكور إذ أراد استئصال شافة النصارى من بلادنا هذه كما كان قد اعتنى باستئصالهم من مملكتهِ، وعلم ان فوليكرون هو ابو النصارى في بابل ورئيسهم، قبضَ عليهِ وعلى فَرْميان، وأعلَيما، وكارُوزُ، وتيل الكهنة، ولوقا، وموسى الشماسَين، لمعرفته ان قوة الكنيسة في رؤسائها، فسيقوا كافةً الى هيكل الاوثان ليقدموا لها البخور اعترافاً بعظمتها وإقراراً بالوهيتها لكن القديس فوليكرون تعرض لهم ففتح فاهُ بشجاعة وجاوب عن الجميع قائلاً: "إننا نضحي ذواتنا لربنا يسوع المسيح القادر على كل شيء ولا نسجد ابداً للشيطان ولهذه الاصنام التي صنعتها ايدي البَشر".

فاستشاط الملك غضباً وامر بهم ان يلقَوا في السجن، وأسلم امرهم الى احد القضاة كان يقال له افلو والريانس.

فلما كان من الغد امر افلو والريانس بإحضار الشهداء فلما مثلوا بين يدَيه وجه خطابهُ الى مار فوليكرون فقال لهُ: "أأنت هو فوليكرون المنافق الذي تجرأ على احتقار الآلهة وعلى مخالفة اوامر الملوك؟".

فلم يُجبهُ القديس بشيء، وكان الملك حاضرا في هذه المحاكمة فقال لرفاق الاسقف على سبيل التهكم: "يا للعجب! إن زعيمكم قد لزم السكوت لا يتفوه بكلمة".

فاجابهُ حينئذٍ فرميان القسيس قائلاً: "إن ابانا لم يلزم السكوت إلا اطاعةً لامر ربنا ومخلصنا يسوع المسيح القائل في انجيله الطاهر: لاتعطوا القدس للكلاب،

ولاتُلقوا جواهركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وترجع فتمزقكم" فلما سمع الملك هذا الكلام جُن غضباً وتميز غيظاً، فحكم عليه بقطع لسانه، وللحال أُمضي امرهُ في الكاهن القديس لكنه رغماً عن ذلك لم يزل يتكلم، فقال لاسقفه القديس: "صل لاجلي يا ابي فوليكرون المغبوط، فإني اراك ممتلئاً من الروح القدس الذي مع ختمه على فيك المقدس يُفعم فمي عسلاً".

ثم إن داقيوس قال للاسقف: "اسجد للألهة وقرب لها الذبائح، واذا فعلتَ هذا فتفتح بيني وبينك باب الوداد وأجزل عليك العطايا وأُشرفك وابلغ بك افضل درجة".

ولما لم يجاوبهُ القديس بشيءٍ البتة، ازداد غضباً وفار كالنار لهباً فامر بضربه على فيه، فضربوهُ بقساوة شديدة حتى انهُ قضى نحبهُ من شدة ما اصابهُ من العذاب الاليم الفادح فاوعز الملك بإلقاء جثته قدام هيكل الاوثان غير انهُ لما جن الليل اتى اثنان من امراء الفرس وهما عبدون وسينون اللذان هما ايضاً نالا اكليل الاستشهاد، فرفعا جثتهُ وقبراها بإكرام في محل قريب من مدينة بابل.

واما رفاق فوليكرون القديس فامر بهم الملك القاسي القلب ان يُقيدوا بالاغلال والسلاسل ويساقوا الى رومية، فلما كُبلوا، انكسرت السلاسل قاطبةً، فنسب الملك ذلك الى السحر، وأمر بإضجاعهم على مركبة حديدية، فامتثل الجلادون امرهُ وعذبوهم عذاباً شديداً، وكانوا في هذا العذاب الفادح يصرخون الى القديس فرميان ان يطلب لهم من يسوع المسيح الأيد والعون على احتمال تلك الآلام القاسية ومع ان القديس كان مقطوع اللسان اجابهم قائلاً: "افاض عليكم الله ابو ربنا يسوع المسيح تسلية روحه القدوس الذي يملك في كل الاجيال الى ابد الابدين" فاجابوهُ قائلين: "آمين".

فلما سمع الملك ذلك تقلى على جمرات الغضب، فامر بهم ان يُطرَحوا في النار، لكن يد الإله الذي خلص الفتيان الثلاثة من اتون النار في بابل انقذت هؤلاء الشهداء، فلم يصبهم ادنى ضرر وسُمع صوت من السماء يقول: "تعالوا الي يا

وديعي القلب" لكن الملك اصر على عناده وبلغ به التعامي الى ان نسب ذلك كلهُ الى السحر، فامر بقطع رؤوسهم فقطعت، ونهى نهياً شديداً عن دفنهم، غير ان مار عبدون وسينون الاميرَين لم يباليا بذلك بل اخذا جثتيهما ودفناها بإكرام عظيم.

وكان استشهادهم في اليوم السابع عشر من شهر شباط سنة ٢٥٧.



جهاد عبدون وسينون الشهيدين

(٢٥٤-٣٠تموز)

لقد سبق الكلام عن هذين الشهيدَين المعظمين في سيرة القديس فوليكرون اسقف بابل الشهيد انهما كانا اخوَين شقيقَين فارسيين جنساً، وشريفَين حسباً، وغنيين ثروةً، وعظيمَين مرتبةً، ومسيحيين مذهباً غير ان تقواهما وغيرتهما على الديانة النصرانية كانتا تفوقان ما كانا حاصلَين عليهِ من الكرامة الارضية والثروة الزمنية والمراتب العالية في سنة ٢٥٠، لما زحف داقيوس ملك الروم بعساكرهِ على هذه البلاد وظفر بملك الفرس وضبط منهُ بلاداً كثيرة، كان في جملة الأسرى الذين أسرهم الأميران عبدون وسينون ومما زاد على شجنهما شجناً وجرع نفسَيهما مرارةً وحزناً انهما ابصرا العذابات الفادحة والآلام القاسية التي اذاقها داقيوس من ساعته النصارى الذين في بلادهما فرأيا الوقت مناسباً لإظهار ما هما عليهِ من المحبة الخالصة والمودة الصادقة ليسوع المسيح، فبذلا قصارى جهدهما في تشجيع المؤمنين، وتحميس المعترفين، وتسلية المسجونين، ودفنة المقتولين، حباً بيسوع رب العالمين وهما اللذان دفنا كما رأينا سابقاً القديس فوليكرون اسقف بابل الشهيد وكثيراً من كهنتهِ وشمامستهِ الأمناء الذين فقدوا حياتهم في هذا الاضطهاد الذي اثارهُ داقيوس قيصر على نصارى بلادنا.

ولم يمكثا على هذه الحالة زماناً طويلاً حتى بلغ الخبر بذلك الى داقيوس قيصر، فنبض بهِ عرق الغضب واحضرهما قدامهُ وفي اول الامر عاملهما برفقٍ ولطف، وقال لهما: "إن النصرة التي أُوتيتُها لَمن شأنها ان تعرفكما يقيناً ان آلهة المملكة الرومية ضابطة الكل ومتولية زمام تدبير كل الامم، إذ إنها هي التي نصرَتني على اعدائي، فلها وحدها إذَن ينبغي السجود، ولها وحدها يقتضي تقريب البخور والذبائح، فكان الأولى بكما ان تعجلا في السجود لها".

فاجاباهُ قائلين: "ليس في نصرتك ايها الملك ادنى دليل على قدرة آلهتك وعظمتها، فان آلهتك هي نفس آلهة الفرس الذين مع كونهم ساجدين لها اصبحت الدائرة عليهم، وان الذي ينصر هو الله الواحد مبدع السماء والارض وذلك لاجل اغراضٍ مخفية عنا لا ندركها واما نحن فلا نعترف ولا نقر إلا بالله الحق وبابنهِ ربنا يسوع المسيح، فما نسجد إلا لهُ تعالى لا غير" فلما قالا هذا غضب عليهما الملك فاودعهما سجناً ضنكاً.

ثم ان الملك نُعي لهُ موت غالا الذي كان ينوب عنهُ في مدينة رومية، فابتدر الاياب الى رومية خشيةً من الفتن والقلاقل واستاق ايضاً الأسيرَين اليها، وكانا لابسَين ثياباً فاخرة مرصعة بالذهب والجواهر الثمينة ومصفدَين بالحديد فاستدعاهما قدام مجلس النواب، وامر قلوديس كاهن كابيتول ان يأتي بصنم فينصبهُ على مذبح، ثم اخذ الملك يعرف اهل المجلس بشرف اصل الشهيدَين واخلاقهما الحميدة وبعدهُ التفتَ اليهما وقال: "الأولى والاجدر بكما ان تعودا الى ما كانت حالكما عليه من الكرامة العظيمة والغنى الجميل وهذا الامر منوط بكما وللبلوغ اليه ما يُطَلب منكما سوى السجود للآلهة، فإن سجدتما فارجعكما الى ما كانت حالكما عليه، ولن ازال ابلغ بكما غاية الشرف واعلى المراتب، فانظرا في ما القيت اليكما واني لم اقل لكما هذا الكلام الا من فرط الشفقة عليكما".

فاجاباهُ قائلَين: "إننا قد كرسنا وضحينا ذاتنا لخدمة ربنا يسوع المسيح فلا نعرف غيرهُ ولا نعبد إلا اياهُ ولا نسجد إلا لهُ، واما آلهتكم فمن حيث إنها ليست إلا شياطين فلا نسجد لها ابداً واصلاً وقطعاً".

فاستشاط الملك غضباً وامر بهما ان يُطرحا في السجن ولما كان من الغد فوض الملك امرهما الى والريانس الحاكم، فذهب بهما هذا القاسي الى الامفيثيترون لكي يركعهما جبراً قدام تمثال الشمس لكن القديسَين بصقا فيهما فتوهج والريانس غضباً وامر بهما ان يُجلدا بسياط مرصصة، فجلدوهما بقساوة شديدة حتى تمزقت لحمانهما وانفجر الدم من كل جانب ثم اطلقوا عليهما اسدَين واربع دبب

غير ان هذه الوحوش الضارية انطرحت على اقدامهما واخذت تلاطفهما فنسب والريانس هذه الكرامة الى السحر وازداد غضباً وحنقاً فأمر بقطع راسَيهما، فانتقلا الى حضن ربهما لنوال اكليل الغلبة والانتصار، وامر والريانس بسحب جثتيهما وطرْحهما على قدمَي ايقونة الشمس، وتركوهما ثَم مدة ثلاثة ايام عرضةً للناظرين وتخويفاً للمسيحيين غير ان قرنيس الشماس جمع ذخائرهما ليلاً ودفنها في داره وبقيت هناك الى ان اوحى الله سبحانهُ في عهد قسطنطين الملك، فنُقلت بإكرامٍ عظيم الى مقبرة فنطيان التي غلب عليها منذ ذلك الحين اسم هذين الشهيدين، ويُرى فيها حتى الآن قطعة من الرخام فيها صورة هذين القديسَين وعلى رأسَيهما تاج وقبع فارسين.

وكان استشهادهما في الثلاثين من شهر تموز سنة ٢٥٤.



مار ارخلاوس اسقف كشكر

(في اواسط الجيل الثالث)

انهُ في اواسط الجيل الثالث كان يتلألأ في رقيع كنيستنا الكلدانية مار ارخلاوس القديس اسقف مدينة كشكر باعماله الصالحة وغيرته الشديدة وعلمه الغزير الوافر وكان لهُ صديق اسمهُ مرقيل معروف بايمانه المستقيم وتقواهُ العظيمة وثروته الوافرة ومرحمته الجزيلة ومما اتصف به اكثر ما يكون انهُ أنقذ من يد الروم جماً غفيراً من الأسرى الذين كان قد سطت عليهم العساكر الرومية، اذ كانوا مجتمعين في مغارة مبتهلين الى الله سبحانهُ لنوال الغيث والمطر، وكانوا ٧٧٠ نفراً وكانت العساكر الرومية قصدت إما ان تبيعهم او ان تقتلهم الى اخر نسمة، وكانت تريد مبلغاً جسيماً فديةً لهم فلما بلغ ذلك الى مسامع ارخلاوس القديس رق قلبهُ عليهم وحزن حزناً شديداً لانهُ لم يكن يملك ما يفيدهم به، فاستغاث بصديقه مرقيل راجياً منهُ ان يفتح كنوزهُ فيترحم عليهم، فأجاب مرقيل الى طلبتهِ بفرحٍ لا مزيد عليهِ، ففتح من ساعتهِ كنوزهُ وجعل من دون عد وحساب يوزع دراهمهُ بين العساكر معطياً لهم اكثر من طلبهم بحيث انهم لدى مشاهدتهم هذا فعل الرحمة العجيبة انذهلوا متعجبين حتى إن البعض منهم لم يأخذوا إلا ربع ما كانوا قد طلبوا وغيرهم ما قبلوا الا مصاريف الطريق، واخرون تركوا الخدمة العسكرية وتنصروا.

ثم ان مرقيل الفاضل بلغهُ عن الاسرى انهم جميعاً نصارى وانهم كانوا قد ذهبوا بصحبة نسائهم واولادهم الى موضع حج كان يتردد اليه آباؤهم ابتغاء نوال المطر من الله المنان، وبعد ان قضوا الليل كلهُ في الصوم والصلوة غلب عليهم النعاس فناموا جميعا فاتفق انهُ اجتاز في تلك الاثناء بذلك المكان عساكر رومية فأبصرتهم واتخذتهم اعداء كامنين، فقتلت منهم ١٧٠٠ نفر وجرحت ٥٠٠ نفر

وأسرت الباقي وذهبت بهم الى مدينة كشكر التي كانت على مسافة ثلاثة ايام معاملةً اياهم بأشد القساوة وأمرها فلما سمع مرقيل هذا الحديث المحزن استولى عليهِ غمٌ شديد واغرورقت عيناهُ بالدموع، فامر من وقتهِ فهيأوا ونصبوا ٧٠٠ مائدة وتولى هو نفسهُ خدمتهم، وعاملهم على هذا المنوال مدة خمسة عشر يوماً الى ان استأذنوهُ فرجعوا الى منازلهم وهم لهُ شاكرون، ولم يُبقِ عندهُ الا المجروحين منهم ولما شُفوا تماماً ارسلهم هم ايضاً الى اهلهم محسناً اليهم بجميع لوازم سفرهم.

والى هذه افعال الرحمة العظيمة كان قد اضاف فعلاً اخر عجيباً وذلك انهُ ذهب مع اشخاص من تباعهِ فدفن الذين كانوا قُتلوا في موضع الحج او ماتوا في الطريق فلاجل هذه الاعمال الصالحة التقوية طار صيتهُ في كل قطر ومصر، فأخذ الناس يُسرعون من كل مكان آتين الى كشكر اجواقاً اجواقاً ابتغاء التعرف الى هذا الرجل الفاضل الذي بكل حق وصواب كان يُدعى ابا الايتام والمحتاجين، لأن بيتهُ كان مأوى الغرباء والايتام والفقراء.

ثم طار خبر شهرتهِ ووصل الى بلاد الفرس، وكان في تلك الايام قد ظهر في بلاد فارس ماني الهرطوقي الشهير واخذ يبث اضاليلهُ المفسودة، فبلغ الى مسامعهِ خبر مرقيل، وكان ماني اذ ذاك ساكناً في قصر مبني على الحدود، فاجتهد في ان يجذب مرقيل الى طغيانهِ وجميع سكان بلاد كشكر معهُ فأرسل لهُ رسالة مع تلميذ لهُ اسمهُ طربون، وكان مرقيل قد شيد طول الطريق منازل للمسافرين المسيحيين، فكان طربون لدى نزولهِ فيها يسألونهُ من اين يأتي ومن هو ومن أرسلهُ فكان يُجيب: "إني من بلاد ما بين النهرَين واتٍ من بلاد الفرس واني رسول ماني رئيس النصارى".

ومن حيث لم يكونوا في عمرهم كلهِ قد سمعوا اسم هذا الرئيس الجديد كانوا يأبون قبولهُ في المنازل، لا بل كانوا ينكرون عليهِ كأس ماءٍ ليروي بهِ عطشهُ، ولولا قولهُ: "اني حامل رسائل لمرقيل، ربما كان هلك في الطريق" وبعد خمسة

ايام وصل عند مرقيل واعطاهُ الرسالة ففتحها امام القديس ارخلاوس وهاك نصها: "من ماني رسول يسوع المسيح ومن جميع القديسين والبتولات الذين معهُ الى مرقيل الابن الحبيب النعمة والرحمة من الله الآب وربنا يسوع المسيح؛ لتصُنك يد الضوء اليمنى من الجيل الردي الحاضر ومن الحوادث السيئة ومن فخ الشرير آمين أما بعد فإني فرح مسرور لما سمعت من عظم محبتك، لكنني حزين على ان ايمانك ليس موافقاً للايمان المستقيم، لاجل هذا من حيث اني مُرسَل لإنارة الجنس البشري ومُشفق على الذين يمشون في الضلال رأيتُ من الضروريات ان احرر لك هذه الرسالة إنقاذا لنفسك ولأنفس الذين معك من ضلال من يعلمكم ان الخير والشر من اصل واحد غير مميزين النور من الظلام ولا ما في خارج الانسان مما في داخله خالطين دائماً الواحد بالآخر، اما انت ايها الابن الحبيب فلا تتحد معهم كسائر الخلق الذين لا فهم ولا إدراك لهم، إذ ينسبون الى الله جميع ما يوجد من الشر في هذه الدنيا، والذين عما قريب ستسقط عليهم لعنة الله، إذ إنهم ما يؤمنون بما قالهُ يسوع المسيح في انجيله الطاهر: ان شجرة صالحة لا تقدر ان تثمر ثمراً رديئاً ولا شجرة رديئة تثمر ثمراً صالحاً، واني لمتعجب غاية التعجب كيف انهم يتجاسرون ويقولون إن الله تعالى هو مبدع الشيطان وجميع اعمالهِ الرديئة، لا بل افضى بهم الامر الى ان قالوا إن ابن الله هو ابن مريم، وقد تكون من دم امرأة ولحمها وما شاكل ذلك، هذا واني لما اتيك أُعلمك وافهمك كل ما هو لازم لخلاصك، ودم سالماً ايها الابن العزيز".

فلما فرغ مرقيل من تلاوة الرسالة كان القديس ارخلاوس الغيور يصر الاسنان كاسرٍ مربوط مريداً من ساعته حضور صاحب الرسالة للهجوم عليهِ غير ان مرقيل أمنهُ بوعدهِ إياهُ ان يجلب ماني، ثم أرسل واحداً من خاصتهِ الى ماني ومعهُ رسالة بها يلتمس اليه ان ياتيهُ هو نفسهُ فيشرح لهُ تعليمهُ.

وبعد هذا رحَب مرقيل بطربون واحسن مثواهُ، فكان هو يشرح لهُ ولمار ارخلاوس تعليم ماني الهرطوقي، فعرفا من قوله ان ماني كان يسجد على حد

سواء لآلهين ازليين متساويَين مضادين الواحد إله الخير وكان يسميه إله النور، والاخر إله الشر وكان يدعوهُ إله الظلام، وان النفس جزء من النور والجسد جزء من الظلام، وكان يزعم ان جباراً يحمل الارض على كتفهِ وان سبب زلزلة الارض هو ان هذا الجبار عندما يريد الاستراحة يحول الارض عن إحدى كتفَيهِ الى الاخرى، وان منطقة البروج الفلكية عبارة عن دولاب لهُ اثنتا عشرة قصعة او إناء لاجل افراغ نفوس الموتى من الارض في القمر ومن القمر في الشمس بحيث ان القمر يبين بدراً كاملاً لما يكون مشحوناً بالنفوس، فينقص بقدر ما تنتقل منهُ الأنفس الى الشمس، وان الغيوم هي اخلاط وسوائل رديئة لأمير هوائي والمطر عرقهُ وكان يعتقد ايضاً بتناسخ الارواح قائلاً إن من قتل حيواناً ينبغي لهُ ان يتحول الى ذاك الحيوان عينهِ، وكذا من قلع نباتاً وغير ذلك فلهذا لما كان واحد من المانويين يأكل ثمراً او خبزاً كان اولاً ياخذ الخبز ويطرحهُ في الهواء قائلاً: "إني ما خبزتُك فليكن خابزك ملعوناً" ثم يواصل كلامه فيقول: "إني ما زرعتك فالذي زرَعك ليُزرَع هو عينهُ، واني ما حصدتُك فالذي حصدك ليُحصَد هو نفسهُ، واني ما خبزتُك فالذي خبزك ليُخبَز هو عينهُ" وبعد هذا كان ياكلهُ.

فلما سمع ارخلاوس هذا كلهُ اضطرب وارتاع خائفاً على قطيعهِ اما مرقيل فلم يخَف متكلاً على الله الذي يكشف الحق ويظهر الباطل واما طربون فانطلق به الاسقف وأنزلهُ في داره.

ثم ان ماني وصل ومعهُ شبان وفتيان نحو عشرين نفراً، فدخل دار مرقيل وعليه رداء مختلف الالوان وفي يدهِ قضيب من أبنوس، وتحت إبطه كتاب بابلي وعلى احدى ساقَيهِ ملفوف نسيج احمر وعلى الاخرى نسيج اخضر، وكان على هيئة قائدٍ فارسي فاخبروا مار ارخلاوس بقدومهِ، فطار على جناح السرعة الى بيت مرقيل واراد في الساعة ان يهجم على ماني ويفاتحهُ بالمحاورة عن تعليمه لكن مرقيل بحكمته وفطنته منعهُ من ذلك وجعلهما ان يتفقا على المفاوضة بحضور اعيان المدينة فاختارا اربعة اشخاص ليكونوا قضاةً في هذه المسألة

وكانوا جميعا وثنيين ماهرين في العلوم وذلك لان مار ارخلاوس لم يُرِد ان يشكوا في كون القضاة موافقين لهُ.

فلما كان اليوم المعين اجتمع الناس افواجاً افواجاً من العظماء والعلماء في بيت مرقيل فجلس القضاة على مصطبة واشاروا الى ماني ان يبدأ بالكلام اولاً، فانتصب قائماً وقال: "انا الفارقليط الذي وعد به يسوع المسيح حتى يوبخ العالم على الخطية وعلى الحكم، وان بولس الذي أُرسل قبلي أعلن انهُ يعلم قليلاً من كثير ويتنبأ قليلاً من كثير (١قور ٩:١٣) وحفظ لي ما هو كامل، فاذا قبلتم اقوالي خلصتم وإلا هلكتم في النار المؤبدة ان همنايس وفيليتس سُلِما الى الشيطان تاديباً لهما لئَلا يكونا من الكافرين، فكذلك ايضاً تُسلمون قاطبةً الى الشيطان لانكم كفرتم بقولكم ان الله الآب مبدع جميع الشرور وعلة جميع المآثم، وهذا من المحال فكلام من يا تُرى يجب تصديقهُ، أكلام هؤلاء رؤسائكم الذين ياكلون اللحم ويعيشون في اللهو والصفاء ام كلام يسوع المسيح المخلص القائل في انجيله: ان شجرة صالحة لا تقدر ان تثمر ثمراً رديئاً ولا شجرة رديئة تثمر ثمراً صالحاً؟ فليس إذاً من الواجب ان تُنسَب جميع الشرور الى الله الآب كما يقول هؤلاء الرجال بتعليمهم المحال، لكن يقتضي القول إن الشيطان هو اصل جميعِ هذه الشرور وهو مبدعها، وكذلك الى الشيطان نفسه يجب ان يُنسَب كل ما هو مكتوب في الانبياء والناموس" وقال ايضاً اشياء اخرى تضارع هذه ثم استطرد كلامهُ قائلاً: "فاقول إذن انهُ يوجد طبيعتان واحدة صالحة وهي ساكنة في بعض الأجزاء، واخرى رديئة وهي هذا العالم كلهُ وجميع ما فيهِ فيوجد إذن موضعان: واحد جيد والاخر ردي، وهذا خارج عن الموضوع الجيد، لانهُ اذا قلنا ان الله سبحانهُ في كل مكان وان خارجاً عنهُ ما يوجد موضع، فاين يا تُرى تكون الخليقة؟ واين تكون نار جهنم؟ واين تكون الظلمات الخارجية؟ واين يكون البكاء وصرير الاسنان؟ أفهي في الله نفسه؟ حاشا وكلا، لانهُ اذا كان الامر كذلك فالله ايضاً يعذب في هذه الاشياء، الامر الذي هو من المحال".

فالتفت حينئذٍ القضاة الى ارخلاوس واشاروا اليهِ ان يتكلم غير ان ارخلاوس حالما بدء وقال: "ولو ان نية الخصم المضاد التعليم..." إذا بماني قطع كلامهُ قائلاً: "اسمعوهُ جيداً ايها الحضار يقول الخصم المضاد، فاذاً يوجد طبيعتان مضادتان".

فاجاب ارخلاوس: "لقد ظهر من هذا الرجل ما يدل واضحاً على كونهِ مجنوناً سفيهاً خالياً من فطنةٍ وحكمةٍ، إذ إنهُ يجاهدني وينازعني على هذا القول أي الخصم المضاد كأني اثبتُ تعليمهُ في وجود طبيعتين مضادتين" ثم التفت الى ماني وقال لهُ: "انك اتيتَنا بديانةٍ طنانةٍ رنانةٍ، لكن ما من شيءٍ مما قلتَهُ ثابت ان الخصم المضاد ارادةً لا طبعاً يمكنهُ ان يتغير فيُصبح صديقاً، مثلاً اذا انت اتفقتَ معي فنصير واحداً، فهذا مما يؤكد ان الخلائق الناطقة حرة ومن ثم فقابلة التغير والآن ماذا تقول عن طبيعتَيك؟ أهما قابلتا التغيير أم لا؟".

فعند هذا السؤال استمر ماني ساكتاً برهةً من الزمان، لأنهُ كان يتفكر ويقول في نفسه: "إذا قلتُ إنهما قابلتا التغيير او الاستحالة فيعارضونني بما يقول الانجيل عن الشجرة الصالحة والرديئة، وإذا أنكرتُ فيسألونني عن سبب امتزاجهما" فجاوب اخيراً انهما غير قابلتَي التغيير في ما هو خارج عنهما وضدهما، اما في ما هو داخل ومختص بهما فقابلتا الاستحالة.

فقال لهُ ارخلاوس: "يبان انك مختل العقل وفاقدهُ وناسٍ مقالتك وغير عالم بما تقولهُ، فاني ارى مما قلتَ انك لستَ بعارفٍ جيداً ماهية التغيير والاستحالة والاثنَينية والماضي والحاضر والمستقبل انك تؤكد ان الطبيعتَين غير قابلتَي الاستحالة في ما هما عليهِ من التضادد واما في ما هو خاص بهما فقابلتا التغيير، وانا اقول لك يا ماني ان كل ما يتغير او يستحيل في ذاتهِ فما يتغير، اذ انهُ لا يخرج مما هو عليهِ، لكن كل ما يتغير في ما هو عليهِ او يستحيل فيخرج مما هو عليه، اذ يُصبح ما لم يكن من قبل".

ان القضاة أعجبهم كثيراً كلام ارخلاوس القديس واوضحوهُ بمثلٍ واحدٍ من اليهود الذي يتنصر او واحد من النصارى الذي يصير وثنياً فطالما هما على مذهبهما فليس فيهما تغيير عما هما عليهِ، اما اذا صار اليهودي نصرانياً او النصراني وثنياً فلا بُد من ان يصير فيهما تغيير مما هما عليهِ، ثم سألوا ماني ان يقول لهم اذا كان تغيير الطبيعتين على هذا النسق او لا اما ماني فلم ينبس ببنت شفةٍ.

ثم إن ارخلاوس القديس استتلى كلامهُ مفنداً ماني الذي كان بعض الاحيان يقطع كلامهُ معترضاً عليهِ بعض اعتراضات لا طائل تحتها، لكن القديس كان حالاً يضطرهُ على لزوم السكوت بحججه القاطعة وكان ماني يزعم بان النفس هي خلقة إله الخير وان الجسد خلقة إله الشر، فمن ثم كان كلاهما قائمين في تضادٍ دائمٍ كخالقَيهما فدحض ارخلاوس هذا التعليم ببراهين قوية اذ قال لهُ: "إن النفس والجسد متحدان اتحاداً شديداً بالمودة والخلوص والتواصل والتعاضد والتعاون والفرح والسرور والاستمتاع والتعب والنصب والغم حتى ان الواحد ما يصنع امراً الا ويشاركهُ به الاخر فان النفس في امورها كلها محتاجة الى الجسد، وكذلك الجسد محتاج الى النفس في جميع اموره بحيث ان النفس مخلوقة للجسد والجسد مخلوق للنفس وهما صنع يد واحدة ماهرة حاذقة خلقَتهما لموضوع واحد وغاية واحدة، مثل السفينة ودفتها اللتين هما صنع يد واحدة صُنعت الواحدة للأُخرى لغاية واحدة، فجسد الانسان كالسفينة والنفس كالدفة والحرية هي الملاح" ففرح الحضار بما اتى بهِ القديس واستحسنوا جداً مقالهُ حتى إنهم ارادوا ان يهجموا على ماني، لكن القديس منعهم عن ذلك.

ثم سألهُ: "إذا كان الشيطان قد صنع الانسان وهو ابوهُ فكيف علمنا يسوع المسيح ان نصلي قائلين ابانا الذي في السموات وكيف قال للفريسيين ان الذي صنع الظاهر هو ايضاً صنع الباطن وبعدهُ بحث عن الظلمة وأبان انها ليست

بشيء سوى ظل الارض او ظل جرم اخر، فلم يكن يقتضي ان يكون قبل خلقة الأجرام سوى الضوء لا غير".

وبعد ان دحض القديس عقيدة ماني الاساسية اي وجود إله الخير وإله الشر، اتى على زعمه انهُ الروح القدس فقال: "إن يسوع المسيح وعد الرسل الاطهار انـهُ يُرسل اليهم الفارقليط وقال لهم ان لا يبرحوا من اورشليم بل ان يمكثوا فيها منتظرين ورودهُ، وان الفارقليط نزل عليهم في عيد العنصرة مستقراً على واحدٍ واحدٍ منهم بشبه السنة نارية" ثم أوضح ان الفارقليط الكاذب الاتي من بلاد الفرس اعني بهِ ماني ليس سوى نبي كاذب خداع مكار غير حاصل على اوراق تعيينهِ نبياً وانهُ عوض ان يقسم موهبة الالسنة ما لهُ علم كافٍ وافرٍ وهو جاهل الى اخر درجة واذ تعرض لهُ ماني قائلاً: "إن الذين ماتوا قبل مجيء المسيح قد هلكوا وان الشيطان قد تكلم بالانبياء وهو الذي اعطى الناموس على يد موسى" اجابهُ القديس بشدة وقال: "إذ إنهُ حتى مجيء المسيح قد وُجِد كثيرون قد هلكوا ويهلكون ايضا وهؤلاء هم اولئك الذين لم يريدوا ان يعكفوا على اعمال البر فالذين يخلصون هم اولئك الذين قبلوهُ ويقبلونهُ والذين أُعطوا قدرة ان يكونوا اولاد الله وتامل جيداً أن الروح القدس لم يعين الوقت والزمان ولا قال إن جميع الذين قبلوهُ بل الذين قبلوهُ لا غير، فيسوع المسيح قريب في كل حين واوان الى الابرار الصديقين منذ خلقة العالم، وما يبرح يطلب دمهم النقي منذ إهراق دم هابيل الى سفك دم زكريا، فقل لي يا ماني ما الباعث الى تبرير هابيل وغيره من الابرار الذين عاشوا قبل موسى والانبياء؟ أليس لانهم كملوا شريعة الله التي كانت مكتوبة على الواح قلوبهم او كانوا قد تعلموها من ابائهم؟ ولكن من حيث ان عدد الذين كانوا يبلغون الى اوج الكمال بهذه الواسطة اي بالتقليد الابوي كان قليلاً، ترحم الباري تعالى على الجنس البشري واعطاهُ على يد موسى الشريعة مكتوبةً، فصارت سبباً لخلاص كثيرين واما الشيطان حال كونهِ فاسداً رديئاً فهو ان الله وحدهُ من ذات طبعه ابدي وغير قابل التغيير اما المخلوقات فليس

نبيا من تكون مساويةً لله بالجوهر فتصبح من ثمَ غير قابلة التغيير والفساد، وانت نفسك يا ماني المدعي بحال كونك نبياً غير قادر على إنكار هذه العقيدة، لانك مع كونك مدعياً بان النفس جزء من الجوهر الإلهي غير ناكر انها يمكنها ان تُخطئ، واما مراد الرسول بقوله: اذا جاء الكمال فحينئذٍ يبطل ما كان قليلاً، فهو ان المسيح في مجيئه الاخير يبطل كل ما هو من الزمنيات ويكمل كل ما هو من الابديات كالشمس تُزيل برونقها الصغار من الشرر".

إن مار ارخلاوس شرح هذا كلهُ بقوة شديدة وفصاحة عجيبة، فأُعجب به الحضار إعجاباً شديداً، فشكروا الله المنان على انهُ تنازل برحمته الإلهية فكشف لهم الحقيقة، واخذوا يُكرمون ويوقرون القديس ويثنون عليهِ وشمل ايضاً قلب مرقيل ما لايوصف من الفرح والسرور، ولاجل هذا نهض والقى على ما ارخلاوس رداءَهُ وعانقهُ طويلاً مقبلاً إياهُ مراراً بمحبة ومودة، وحينئذٍ اخذ الصبيان الذين كانوا هناك يطاردون ماني، فاقتفى جميع الحضار آثرهم، لكن ارخلاوس منعهم عن ذلك اذ قال لهم بصوتٍ عالٍ: "لا تعملوا هذا يا اخوتي الاعزاء لئلا يطالبنا الله بدمهِ في يوم القيامة، لانهُ مكتوب عن مثل هؤلاء انهُ لابد من ان يكون بدَع ليظهر المختبرون".

فلما قال هذا سكن غضب الجماعة فأمسكوا عن ماني ففر هارباً، ثم ان مرقيل اوعز الى احد الحاضرين ان يكتب هذه المجادلة، وان القديس ارخلاوس رقى فيما بعد طربون الى درجة الشمامسة وجعلهُ في بيت مرقيل ولما انهزم ماني من كشكر انطلق الى قرية اسمها ديدور، وكان في تلك القرية كاهن ساذج حليم عي اللسان وغير حاذق في معاني الكتاب المقدس لكنهُ كان فاضلاً ذا إيمان قوي وتقوى عظيمة اسمه ديدور ايضاً فلما علم ماني بضعفه شرع يعظم نفسهُ متعجرفاً مدعياً انهُ إنما اتى لتكميل الانجيل وتبطيل الناموس الذي كان ضدهُ فقاومهُ الكاهن الفاضل بتلاوة هذه الاية من الانجيل اني ما اتيتُ لأُبطل الناموس بل لاكملهُ فهذا مما جعل ماني يدعي بان يسوع ليس هو الذي قال هذا الكلام وان

الطريقة الحُسنى انما هي النظر في اعمالهِ لا في اقوالهِ وكان يريد ان يباشر بالمجادلة في الغد، فلما عرف ذلك ديدور الذي ما كان يخاف على إيمانه، لكن على إيمان اغنامهِ الناطقة، كتب الى ارخلاوس معرفاً إياهُ بما جرى وملتمساً منهُ ان يعلمهُ ما الواجب عملهُ في هذا الامر المهم فكتب لهُ القديس رسالة ليست بمختصرة بها وضح بنوع عجيب اتفاق الانجيل والناموس الواحد مع الاخر، فأبان انهما نسيج واحد، الواحد مسداة والاخر سدى، وان الناموس نظير مرضعة الطفل والانجيل مثل مربي الشاب، فالشاب ما يحتقر مرضعتهُ بل لا يزال يحبها ويُكرمها، فما من تضادد بين الانجيل والناموس لكن من الواحد الى الاخر ترقياً وافلاحاً ان الناموس يأمر بالعدل واما الانجيل فبالنعمة، فالنعمة ليست بمضادة للعدل لكنها اعلى واسمى منهُ، وكما انهُ يوجد امثال واقوال للنعمة والكرامة في الناموس كذلك ايضاً يوجد امثال واقوال للصرامة في الانجيل".

فلما قرأ ديدور الرسالة وتاملها خطر ببالهِ امور كثيرة من شانها ان تُدحِض تعليم ماني فاخذ يثبت بنوع عجيب اتفاق العهدَين بعضهما مع بعض حتى إن قولهُ حسن موقعهُ من قلب الحضار فمدحوهُ واثنوا عليهِ.

ولما كان من الغد والقوم قد حضروا وماني يتلو بعجرفةٍ على مسامعهم اقوالهُ الكفرية اذا اقبل ارخلاوس القديس وقبل ديدور، فانذهل الجميع متعجبين بالتدبير الرباني ولا سيما ديدور الفاضل الذي كان يتخوف قليلاً من المجادلة فلما عاين ماني ارخلاوس انحط كثيراً عما كان عليهِ من العجرفة والكبر وابى المباشرة بمحاورتهِ قائلاً لهُ: "إن لم تقاومني كما قاومتني سابقاً في ما قلتهُ لك من الحق والصواب فانا شارع في المجادلة والمحاورة وإلا فلا".

فجاوبهُ القديس: "ان ما تاتي به وتقولهُ مما يدل على جهالتك وعدم علمك بالمستقبل، فانت تقول اني الفارقليط، فكيف لا تعرف اذن المستقبل؟ وكيف تقول لي إن لم تقاومني ادخل في المجادلة معك؟ فاين ترى بقيت عقيدتك بكون الشجرة الرديئة غير قادرة ان تُثمر ثمراً صالحاً والشجرة الصالحة لا قدرة لها ان

تثمر ثمراً رديئاً؟ لانني ان كنت خصمك فكيف تطلب الي ان اتفق معك؟ وان كنتُ متفقاً معك فلماذا تخاف وتفرق من مجادلتي اياك؟ أفما قلتَ واكدتَ ان الشرير لا يمكنهُ وان يصبح صالحاً وان الصالح لا يمكنهُ ان يُضحي شريراً؟ لعمري انك تقول قولاً من دون ان تعرف قوتهُ" ثم انتقل القديس الى ما يخص العذراء القديسة، واثبت انها والدة الله، فاستعذب القوم اقوالهُ وازدادوا منهُ تعجبا وسروراً وطلبوا اليه ان يقيم عندهم ذاك النهار كلهُ.

فلما كان في الغد حضر ماني واجتمع الناس افواجاً افواجاً من جميع النواحي. فاخذ مار ارخلاوس القديس يقص عليهم قصة ماني من اولها الى اخرها كما كان سمعها من طربون فقال: "إن هذا الرجل ليس هو الذي ابدع اولا هذا التعليم المناقض للديانة المسيحية، بل ابتدعهُ شخص اخر عاش في زمان الرسل انفسهم اسمهُ شيثيان، فهو الذي ادعى كاذباً بوجود إله الخير وإله الشر وهذا التعليم كان وصل اليه فيثاغور الفيلسوف. وكان شيثيان هذا عربيا جنسا ذا ثروة جزيلة وتزوج بجارية في مصر، فتعلم ثَم علوم المصريين وادابهم وتمهر فيها واتقنها، وتتلمذ لهُ هناك رجل اسمهُ تريبانت، فكتب شيثيان اربعة كتب سمى الاول منها اسراراً والثاني فصولاً والثالث انجيلاً والرابع كنزاً ثم إنهُ اتى ارض فلسطين لينازع العلماء الذين فيها، لكنهُ مات من دون ان يجني ادنى ثمرة اما ما كان من امر تريبانت فانهُ بعد وفاة معلمه جاء الى ارض بابل حيث سمى نفسهُ بودا ومع زعمه ان عذراء ولدتهُ وملاكاً رباهُ في الجبال لم يتتلمذ لهُ سوى امرأة مُسنة لا غير، فمكث عندها ومعهُ كتبهُ الاربعة، وذات يوم اذ صعد فوق سطح البيت، ضربتهُ يد الله القادر على كل شيءٍ، فوقع من على السطح فمات.

واذ كانت تلك المرأة ارملة لا اولاد لها. اشترت عبداً عمرهُ سبع سنين اسمهُ قوربيج، ثم أعتقتهُ فأسلمتهُ الى المؤدب، وماتت بعد خمس سنين، فورث قوربيج اموالها وكتبها الاربعة، وبعد ان اتقن العلم وطالع الكتب الاربعة ومهر فيها توجه الى عاصمة مملكة الفرس، وسمى نفسهُ ماني وصار لهُ من التلاميذ ثلاثة

وهم توما، وادا، وهرمز فارسل توما الى بلاد مصر، وادا الى بلاد سقوثيا، اما هرمز فاخذهُ معهُ، ثم اتفق ان ابن الملك مرض واشرف على الموت، فوعد الملك بجائزة سنية لمن يشفي ابنهُ فانطلق ماني اليهِ وعالجهُ لكن الولد توفي وحبطت مساعيهِ كلها فغضب الملك غضباً شديداً فأمر بماني ان يُكبل بالسلاسل ويُلقى في السجن، وفتشوا ايضاً عن تلاميذهِ ليقاصصوهم، لكنهم ولوا هاربين، غير انهم رجعوا بعد ذلك فأتوا معلمهم مستخفين، فلما رأوهُ وما هو عليهِ من ضيق القيود وحرج المكان طلبوا اليهِ ان يمسك عن تعليمهِ، اما هو فشجعهم وقال لهم ان يشتروا لهُ كتب النصارى، فتظاهروا بالنصرانية، ولما فازوا بالكتاب المقدس اتوا به الى ماني، فنظر فيه بالتدقيق واخذ منهُ كل ما كان يوافقهُ لبث اضاليلهُ بين النصارى، وأضاف الى تعليمهِ اسم يسوع المسيح وذلك ليخدع السُذج من النصارى ولدى رؤيتهِ اسم الفارقليط في الانجيل الطاهر، ادعى انهُ هو الفارقليط من دون النظر في ان الفارقليط قد جاء منذ كان الرسل على الارض، فبعد ان رتب ونظم اكاذيبهُ على هذا الاسلوب ارسل تلاميذهُ لينشرها في جميع البلاد، وعندما بلغ الملك هذا الخبر عزم ان يعاقب ماني بالموت، لكنهُ رشا السجان فانهزم وذهب الى قصر عربون ومن هناك كتب رسالتهُ الى مرقيل اما الملك فعاقب السجان وهو الآن يسعى بماني ليقتلهُ قتلةً وبيلةً".

فلما فرغ القديس ارخلاوس من مقالتهِ حاول القوم ان يقبضوا على ماني ليسلموهُ بيد الجند الذين كانوا اتوا قبلاً مفتشين عنه، فاستعجل ماني وبادر الى الفرار راجعاً الى قصر عربون، وهناك قُبض عليهِ، وقصاصاً لهُ على موت ابن الملك، حُكم عليهِ بان يُسلَخ جلدهُ، فُحنط وعُلق فوق باب المدينة، ولما اتصل هذا الخبر بمار ارخلاوس القديس جمع جميع النصارى الذين في ابرشيتهِ فحرم ماني ولعن تعليمهُ.

وهذه غلبة مار ارخلاوس على ماني تُعَد بين افضل مجادلات الآباء الهراطقة الذين قاموا على الكنيسة في كل الازمنة والجهات ولهذا نرى مار ايرونيمس

القديس قد جعل ذكراً خاصاً لمار ارخلاوس في سجل الآباء الذين زينوا الكنيسة بتاليفهم العجيبة ومما يدل على شهرة هذه المجادلة هو انها منذ قديم الزمان نُقلت الى اليونانية واللاتينية، وجرت في سنة ٢٦١.



جهاد مار ماري وزوجته مرتا وولديهما اوديفا وابــاق

(٢٧٠–٢٠ كانون الثاني)

في عهد قلوديوس الثاني ملك رومية كان رجل فارسي شريف الاصل كثير الثروة اسمهُ ماري، ولهُ زوجة كان يقال لها مرتا، وولدان اسم الواحد منهما اوديفا والاخر أباق وكانوا جميعا نصارى ذوي فضيلة عظمى سامية ولما بلغهم ما كان يصيب النصارى الكائنين في المملكة الرومية من الاضطهاد والأذيات ارادوا ان يطيروا اليهم على جناح السرعة كي يمدوا لهم يد المساعدة والايد فباعوا كل ما لهم من المقتنى وانطلقوا جميعاً الى رومية اخذين معهم ما امكنهم من الذهب والفضة لكي يُؤدوا الاكرام للشهداء المقتولين في سبيل الله، ويصلوا عند ضريحَي مار بطرس ومار بولس فوصلوها في حومة الاضطهاد الذي كان قلوديوس قد اثارهُ على المسيحيين، فأخذوا يساعدون المعترفين بالايمان ويعزون الحزانى ويداوون المرضى ويُطعمون الجياع ويكسون العراة ويشجعون المتالمين من اجل يسوع ويدفنون الموتى.

وذات يوم اتصل بهم الخبر ان احد النصارى اسمهُ قورين قد سُلبت جميع امواله وأُودع في سجن مظلم، فبادروا اليهِ وانطرحوا على قدَميهِ ملتمسين اليهِ ان يصلي لاجلهم، ومكثوا عندهُ في الحبس ثمانية ايام وهم يتفضلون عليهِ وعلى غيرهِ من المحبوسين بما يحتاجون اليهِ من طعام وشراب ولباس وكثيراً ما شوهدوا في السجن منطرحين على قدمَي المعترفين يغسلون أرجلهم وكلومهم فياخذون الماء الذي بهِ غسلوا قروحهم ويسكبونهُ على رؤوسهم متبركين بهِ.

وفي ذلك الوقت عينه شدد قلوديوس الاضطهاد على النصارى، واصدر اولاً امراً سلطانياً بسلب اموالهم ثم بقتلهم فقُبض على ٢٧٠ منهم وحُكم عليهم بالموت، فرُشقوا كافةً بالنبال في امفيثيترون ثم سُحِبت جثتهم الى خارج المدينة وأُلقيت

كلها في النار، فلما جَن الليل بادر مار ماري وقرينتهُ وولداهُ الى الموضع المعهود مصحوبين بكاهنٍ اسمهُ يوحنا، فأخرجوا عظام الشهداء ودفنوها بإكرام، ثم ذهبوا خفيةً فاختفوا مدة شهرَين في بيتٍ كان القديس فيلكس البابا يقدم فيه خفيةً الذبيحة الآلهية لكن اعمالهم الخيرية هذه كانت مزمعة ان تفضي بهم الى ان يفقدوا حياتهم الزمنية، وذلك ان قلوديوس قتل من النصارى في ضحوة واحدة ٣٠٠ رجل فاتى ماري وجميع اهل دارهِ وقضوا الليل كلهُ في دفن اجسادهم وكان في غضون ذلك قد قُبض على والنطينس القسيس وسُلم بيد استيريوس الحاكم لكن بما ان القديس كان فتح بصلاتهِ عينَي ابنته التي كانت عمياء كان استيريوس نبذ الآلهة فآمن بيسوع المسيح فلما اتصل خبرهُ بقديسينا ذهبوا الى دارهِ فرحين مسرورين حامدين الباري تعالى على أنعامهِ الآلهية ومكثوا في بيتهِ اثنين وثلاثين يوماً لكن الملك بلغهُ ما جرى، فأرسل شرذمةً من جندهِ والقوا القبض على كل من وُجِد في دار استيريوس من النصارى وأسلم القديس ماري وقرينتهُ وولدَيهِ الى ماقينس القاضي موعزاً اليهِ ان يقتلهم اشنع قتلة إن لم يسجدوا للآلهة فبذل القاضي قصارى جهدهِ في إخارة عزمهم باقوالهِ الخداعة الملاقة، لكنهُ لما راى انهُ لا يستطيع الى تزحزحهم عن إيمانهم سبيلاً، امر الجلادين ان يسحقوا اجسادَ ماري وولدَيه بالمطارق الحديدية بحضور مرتا التي كانت تشجعهم، ثم امر بهم ان يُضجَعوا على مركبة حديدية وتُحرَق جوارحهم بلهبات الشموع وتُمزق جثمانهم كلها باظفار وقضبان حديدية، ففعلوا ذلك، وكان القديسون في وسط هذه العذابات الفادحة يشكرون الله تعالى ويرتلون مراحمهُ قائلين: "مجداً لك يا ربنا يسوع المسيح الذي أهلتنا ان نتألم من اجل اسمك القدوس".

فاستشاط القاضي غضباً وامر بقطع أيديهم وكانت مرتا تقوي عزمهم وتشددهُ وتعطي لهم الطوبى، فاخذت أيديهم المقطوعة الملقاة على القاع وجمعت الدم فدهنت به وجهها معتبرةً اياهُ كبلسم ثمين.

وإذ عاين القاضي ان عزمهم لم ينثنِ ولا ضعُف املهم مع كل ما لاقوا من ضروب العذابات الشديدة امر بقطع يدَي مرتا ايضاً، ثم علقوا ايديهم في اعناقهم وطافوا بهم في شوارع رومية وأزقتها ومنادٍ ينادي قائلاً: "ألاَ لا تجدفوا على الآلهة" اما هم فكانوا يجيبونهُ قائلين: "إن الآلهة التي تسجد انتَ لها هي شياطين وتلقيك في النار انت وملكك".

ثم ذهبوا بهم الى خارج المدينة وقطعوا رؤوس ماري وولدَيهِ وطرحوا اجسادهم في النار كي يُحرَموا الدفنة واما القديسة مرتا فالقوها في غدير ماء وهناك تممت استشهادها فجمعت إحدى النساء الشريفات بقية اجساد مار ماري وولدَيهِ وأخرجت ايضاً جسد مرتا من الغدير، فاتى النصارى ووضعوا ذخائر القديسين في محل لائق، ثم نُقلت الى المدينة فمنها وُضعت في كنيسة مار اوربانس، ومنها في كنيسة مار يوحنا قولبيت ومنها في بيعة القديسة فراكساد ومنها نُقلت ايضاً الى دير القديس ميدارد في فرنسا وغيره.

وكان استشهادهم في العشرين من كانون الثاني سنة ٢٧٠.



جهاد عوزيا وشامونا الشهيدَين

(٣٠٣- ١٥ تشرين الاوَّل)

إنّ هذين القدّيسَين كانا من ضواحي مدينة الرها، الا انهما تربيا في الرها نفسها، وكانا شيخَين جليلَين وقورَين فاضلَين راغبَين في التقوى مواظبَين على الصلوة والتامّل محبّين الروحانيات، وكانا قد خرجا الى بعض البراري وانفردا فيها متمسكين بالسيرة النسكيّة، فكانا بعملهما وحسن سيرتهما يدعوان الناس الى أتباعهما ويجذبان الغير المؤمنين الى ديانتهما وفي اثناء ذلك، أثار ديوقلطيانس قيصر اضطهاداً شديداً على النصارى، وكان انطونينس حاكماً على الرها، فلما اتصل بهِ خبر القديسَين، أمر بالقبض عليهما فعمل كل حيلة في إكراههما على إنكار المسيح والسجود للاصنام، فلم ينل منهما بغيتَهُ، فاستشاط غضباً وقال لهما: "إن سجدتما للآلهة وإلا أذقتكما امرّ العذاب وقتلتكما قتلةً وبيلةً" فاجاباهُ: "إن يسوع المسيح هو وحدهُ إلآهنا، فلهُ وحدهُ نسجد، واما عذاباتك فنحن تائقان اليها فضلاً عن اننا لا نخافها، إذ إنها تكون لنا أجنحة نطير بها الى الملكوت السماوي واما انت فَمزمع ان تُطرَح في النار المؤبدة عقاباً لك على اضطهادك للنصارى وسجودك للشياطين" فاشتد غضب الحاكم وامر بهما ان يُعلّقا من أذرعهما في رأس عمودٍ عالٍ وان توثق بأرجلهما حجارة ثقيلة تجرهما الى اسفل، فقاسيا في ذلك عذاباً اليماً لا يوصف، وبقيا على تلك الحالة مدة خمس ساعات وهما ثابتان على إيمانهما صابران بفرح على هذا الاذى الفادح كأنهما لم يكونا من لحم ودم كباقي الناس.

وكان الحاكم يقول لهما في غضون ذلك: "قربا الذبائح للآلهة القديرة فأُنقذكما من هذه الاذيات الفادحة" وإذ لم يكونا يقدران على مجاوبتهِ من شدة ما كانا فيه من العذاب الاليم كانا يُشيران اليه برأسَيهما انهما لن يفعلا ذلك ابدا، فكان

الجلادون يزدادون قساوة فيعذبونهما بلا رحمة، فلعمري ان هذا كان منظراً كانت تقشعر منه الابدان وتشمئز لسماعه الآذان فخارت قواهما وغارت عيونهما فأمر حينئذٍ الحاكم بحلهما والقائهما في سجن ضيق ضنكٍ ردي المناخ، وقطع عنهما المأكول والمشروب، فعانيا كل ذلك صابرين واحتملاه شاكرين متعكفين على التسبيح لربهما والصلاة أمام الله خالقهما في هيكل جنانَيهما ومحراب قلبَيهما.
ثم أحضرهما الحاكم بين يديه واقبل تارةً يلاطفهما وطوراً يتهددهما ليستميلهما الى مرغوبه ولما لم ينجع كلامهُ فيهما امر بهما ان يُعلقا بارجلهما منكسَي الرأس، فذاقا بذلك عذاباً فادحاً ثم ان الحاكم لما رأى ان عزمهما لم ينثنِ امر الجلاد ان ينقف عنقَيهما بالسيف، وكان ذلك في الخامس عشر من تشرين الثاني سنة ٣٠٣.



جهاد مار حبيب الشمّاس

(٣٠٩– ٢ ايلول)

في سنة ٣٠٩ للمسيح، إذ كان قونا اسقفاً للرها، اثار ليقينس اضطهاداً شديداً على الكنيسة غير ان النصارى لم يكونوا يعبأون بالظلم ولا يكترثون بالجور وكان في قرية تلصهه من اعمال الرها شمّاس تقيّ فاضل وهو حبيب الذي كلامنا عليه فهذا اذ رأى ما هي عليهِ الكنيسة من الضيقة والأذى حتى إنّها أمست هدفاً لسهام الوثنيّة، ساءَهُ ذلك وغمهُ جداً، فمن ثم دعتهُ نفسهُ لاقتحام المخاوف حباً بها، حتى انهُ في حومة الاضطهاد كان يسير من قرية الى قرية ويطوف البيوت وهو يقرأ الكتاب المقدّس في البيع ويخاطب الشعب في المحلات والازقّة ويشجْع كل احدٍ محرضاً إيّاهُ ان يثبت بشهامة في إيمانه الصحيح قائلاً: "انهُ حباً بالديانة ينبغي للمسيحيّ ان يرى العسيرَ يسيراً والشاقّ هيناً والنصب والاذى سروراً ولذّةً" ولم يزل على هذه الحال الى ان فشا امرهُ وظهر صنيعهُ لأُمناء المدينة، فدخلوا على لوسانيس الحاكم قائلين: "ان حبيباً الشمّاس الذي هو من قرية تلصهه لا يزال يجول سراً من مكان الى مكان دائراً القرى والبيوت حاملاً النصارى على مخالفة امر الملك" فلما سمع الحاكم ذلك استشاط غضباً، فكتب الى ليقينس الملك رسالة فيها يخبرهُ بما فعل حبيب طالباً رأيهُ في امرهِ وفي امر الذين يأبون الذبح للاوثان، وذلك لانّ الملك وان كان قد اصدر امراً باجبار كل احد على تقديم الذبائح إلا انهُ لم يكن بعد قد عيّن قصاصاً ما للذين يأبون الذبح فكتب الملك الى لوسانيس الحاكم ما نصهُ: "إننا نأمر ان يُحرَق بالنار الذي تجرأ وصنع هذا الصنيع، والذين يأبون الذبح للآلهة اضربوا أعناقهم بالسيف".

فلمّا وصل هذا الامر الى الرها كان حبيب قد سار الى بلاد الزوغماطيّين واذ فتّش عليه الامناء في قريته وجميع القرى المجاورة ولم يصادفوهُ امر الحاكم باهل داره

واقربائه وبعض من سكان قريته ان يُلقوا في السجن فبلغ الخبر بذلك الى حبيب الشمّاس فأخذ يتفكر قائلاً: "لان أُظهر نفسي للحاكم خير لي من ان ابقى مختفياً هنا، فينال آخرون اكليل الاستشهاد من سببي وانا أُحرمهُ، ولعمري ماذا يُغني اسم النصرانيّة عمّن يفرّ من الاقرار بها، إذ إنّهُ إذا تجنب هارباً من الاستشهاد فيُدركهُ لا محالة الموت الطبيعيّ الذي لا مناص منهُ" فلما غاص في هذه الافكار هجس في قلبهِ وخطر لبالهِ قُرب الأجل، فعند ذلك صحت عزيمتهُ ان يعرض ذاتهُ للحاكم، فاتى متنكراً الى الرها قاصداً احتمال كل نوع من الاذى والجلد والحريق، فدخل اولاً على تيآطقنا زعيم حاشية الحاكم وقال لهُ: "انا هو حبيب الذي تطلبون" فقال لهُ تيآطقنا: "بِئس ما فعلتَ، اذ قد غرّرت بنفسك، فان الامناء لم يزالوا منذ مدّة يسعون بك هنا وهنا لكي يهلكوك، اما الآن فاذا فعلتَ ما فعلتَ من دون ان يحس بك احد، فالراي ان تُدارك امرك عاجلاً وترجع الى حيث كنتَ وتلازم مكانك زماناً ما، ولا يهمّك امر اهلك، فما من احدٍ يضرهم بشيء، فيمكثون بضعة ايّام في السجن ثم يُطلقهم الحاكم، إذ إنّ الملك لم يحكم عليهم بشيءٍ يُعتَد بهِ، وتنبّه ان ما القيتهُ اليك رحمة ادركتني ان انبئك بما فيهِ صلاح لك، فإن انت افشيتهُ فقد سعيتَ في هلاكي هلاكاً لا استطيع الى النجاة منهُ سبيلاً بالمال وان كثر، لانّ امرك مما يكبت الملوك، هذا وان انت لم تسمع كلامي فدمك عليك لانّك قد دخلتَ مدخلاً ضيقاً فيكون مصرعك شديداً، اذ تصير لا محالة فريسةً للنار" فأجاب حبيب: "إنّي ما اهتمّ بامر الاهل والاقرباء وانما يهمني ان احتفظ بديانتي، وانّي لم ازَل كثير الهمّ والحزن منذ بلغني ان الحاكم فتش عليَّ ولم يرَني، فالقى في السجن كثيراً من اهلي ظاناً اني انسان جبان اعجز عن الاقرار بالديانة خوفاً من تاديباتهِ، فإن لم تذهب انت بي اليهِ، دخلتُ عليهِ انا وحدي". فعند ذلك قبض عليهِ تياطقنا وانطلق بهِ الى الحاكم، فدخل هو عليهِ اولاً واخبرهُ ان حبيباً المطلوب قد جاء وهو في المحكمة فسأل الحاكم قائلاً: "من أتى بهِ؟ واين كان؟ وماذا صنع حيث كان؟" قال تياطقنا: "إنّهُ جاء من تلقاء نفسهِ من

دون ان يضطرّهُ احد، إذ ما من احدٍ كان يعرف بهِ" فلمّا سمع الحاكم هذا الجواب استشاط عليهِ غضباً فقال: "إن ذلك لم يكن منهُ إلا استصغاراً لامري واحتقاراً لشاني وشان الملوك، فلذلك يجب ان لا اشفق عليهِ، ولكني خليق ان أُطيل أناتي في امرهِ واتمادى في التنكيل بهِ حتى أُفزع بمثلهِ من عساهُ ان يحاول التملص من امر الملك" وكان إذ ذاك كثير من الضبّاط واهل المدينة واقفين على باب المحكمة، فمنهم اخذوا يلومون حبيباً مستقبحين صنيعهُ، ومنهم يمدحون شهامتهُ وما سمت اليهِ نفسهُ من محبة إعطاء المثل الصالح قائلين: "لله درك شجيعاً، فقد عرف كل من حضر ان اعترافك بالمسيح ليس اغتصابياً ولكنهُ إراديّ من ذات نفسك ورغبتك في ما يسرّ المسيح المبدع الحيوة" وقد صار هذا كلهُ بعين الامناء الذين دخلوا حالاً على الحاكم فحدثوهُ بالحديث، فغضب الحاكم على الذين لم يستحسنوا اتيان حبيب من تلقاء نفسهِ وفي هذه الاثناء أُخبِر الحاكم بان تياطقنا ايضاً كان قد اشار على حبيب ان يتملّص من امر الملوك، واخذ عليهِ العهود والمواثيق حتى لا يُفشي ما أسرهُ اليهِ فامر الحاكم بحضور تياطقنا فقال لهُ: "أيليق بمن أُقيم رئيساً على رفاقهِ ان يغدر بمولاهُ ويتعدى امر الملوك الآمرين باحراق حبيب الشقي؟" فاعتذر عند ذلك تياطقنا قائلاً: "ما كنت لاغدر بالوالي واتجاوز امرَ الملوك، من انا بإزاء عظمتك حتى ارتكب اثماً كهذا؟ وانما سألتهُ تبعاً لامرك ان اعرف هل مجيئهُ صار بحرية ام غصباً، وإذ اطلعتُ على حقيقة الامر اتيتك بهِ حالاً" فعفا عنهُ الحاكم وامر حالاً بإحضار حبيب.

فلما أُوقف بين يديهِ سألهُ قائلاً: "ما اسمك ومن اين انت ومن انت؟".

حبيب: "انا اسمي حبيب من قرية تلصهه ومسيحي ديناً وشماس درجةً".

الحاكم: "لماذا تتعدّى امر الملوك في عدم الذبح للإله زوسْ ومباشرة خدمتك؟".

حبيب: "نحن معشر النصارى ما نسجد للأصنام اذ ليست بشيءٍ لا هي ولا الذي صنعها، وإنما نسجد لله خالق البشر" الحاكم: "لا تزدَد حماقةً فتعير الإله زوسْ الذي هو فخر الملوك" حبيب: "لو لم يكن زوس مصنوعاً لصدقت فيما ادّعيت

باني امنته، ولكن بما انهُ ذو اعضاء شتى قد ربطتها المسامير بعضها ببعض بحيث إنك إذا نزعتَ هذه المسامير تتساقط الاوصال وتغدو الاعضاء قطع خشبٍ كما كانت قبلاً، فإذن ليس لك سبيل ان تعارضني كأني عيرتهُ، إذ ما من شيءٍ فيه سواء كان من الصنعة او من النقش او من الزينة إلا ويصيح بلسان الحال مثبتاً انهُ مصنوع، فترى ان عارهُ منهُ وشينهُ ملتصق بهِ" الحاكم: "انك انما تعيرهُ في عدم سجودك لهُ" حبيب: "فان كنتَ تتخذ عدم سجودي عاراً لهُ، فما قولك إذاً في النجار الذي نحتهُ بفاسٍ من حديد والصائغ الذي ضربهُ وركبهُ بالمسامير؟".

فاغتاظ الحاكم لدى سماعهِ هذا الكلام فامر بجلدهِ بقساوةٍ شديدةٍ وقال لهُ: "أطِعْ امر الملوك وإلا جعلتك فريسةً للنار، وذلك بعد ان اكون قد عذبتك بكل ما يمكن من العذابات الفادحة ومزقتُ جسمك باظفار حديديّة" حبيب: "إن ما تستكبرهُ من العذابات ليس بشيءٍ بإزاء ما نويتُ مكابدتهُ، إذ اتيتك انا من تلقاء نفسي بعد ان عجزتَ عن وجداني" فازداد غضب الحاكم وامر بهِ ان يوضع في قفيزٍ من حديد كسافك الدم فيُضيق عليه بشدَّة، وكان الجلادون يقولون لهُ: "اسجد للآلهة" اما هو فكان يصيح قائلاً: "فاسدة الاصنام، وكل من يسجد لها مثلها" ثم امر به الحاكم فأُلقي في السجن بدون ان يؤذَن لهُ ان يتكلم مع امهِ واهله الذين كانوا بعد محبوسين.

وفي اليوم الثاني من شهر ايلول امر الحاكم بإحضارهِ فلما مثل بين يديهِ قال لهُ: "دع عنك ما كنتَ مصراً عليهِ واعمل بما تأمر بهِ الملوك" حبيب: "ما اطعتُ وما اطيع ولن اطيع ابداً، فافعل ما شئتَ بل أزد على ما حدّد الملوك من العقابات والتأديبات" الحاكم: "لعمر الملوك والآلهة إن لم تُطع لم ادع ما هو اكثر مرارةً واشد قساوةً إلا وبلغتهُ بك، ولّيات عند ذلك يُنقذك من بين يديَّ المسيح الذي تسجد لهُ" حبيب: "إن كلّ من يسجد للمسيح يخلص إذ إنهُ قد أُعطي لهُ ان يميزّ بين الخليقة والخالق الذي لا يحقّ السجود إلا لهُ وحدهُ فقط" فأمر الحاكم

الجلادين بان يضجعوهُ على الارض ويوجعوهُ ضرباً بقضبان من شجر الرمّان، ففعلوا ذلك حتى سُحق جسمهُ كلهُ تماما حبيب: "يا ما احلى هذه العذابات التي تظنها مرة التي منها يُضفَر اكليل الانتصار لمكابديها" الحاكم: "ما الذي يحملكم على ان تحسبوا العذابات راحةً والجلد والاذى اكليل الانتصار؟" حبيب: "إنّ هذه المسألة ليست من شانك، لانّك كافر غير مستحق ان آتي لك بالبرهان عنها، واني قلت واقول إني لن اذبح اصلاً لآلهتك الكاذبة" الحاكم: "فعوض هذه الاهانة التي الحقتها بي بكلامك هذا الغليظ ستتقلب ظهراً لبطن في وسط هذه العذابات الفادحة، وأفقأ عينَيك اللتين تنظران الى زوسْ وما تخافان منهُ، واسد اذنَيك اللتين تسمعان شرائع الملوك وما تباليان بها" حبيب: "إن دون هذا العالم عالماً آخر بهِ تتجرع علقم المرارة لكفرانك بالله الواحد خالق السماء والارض" الحاكم: "دَع عنك هذه الافكار واجتهد في إنقاذ نفسك من الموت الذي لامناص منهُ إلا بتقديم الذبائح للآلهة" حبيب: "إنّ المائتين لاجل المسيح لعدم سجودهم للخلائق يتسلمون الحيوة الابديّة من الله، واما من فضل الحيوة الزمنيّة على الحيوة الابديّة فعذابهُ مخلَّد".

فاوعز الحاكم الى الجلادين ان يعلقوهُ على خشبة فيمزقوهُ باظفار حديديّة، فنكلوا بهِ شديداً الى ان تناثرت لحمانهُ، فالتفت اليه الحاكم وقال لهُ: "أما تطيع بعد يا حبيب" القديس: "إني لم أُطِع قبل احتمال هذه العذابات فكيف يا ترى اطيع الآن وقد تجشمتُها ولم يبقَ لي إلا ان ارجو عائدتها" الحاكم: "إن ما كابدتهُ يا شقي ليس بشيءٍ في جانب ما انا عازم ان اذيقك ايّاهُ بعدُ من الآلام الشديدة". الشهيد: "انت تدينني على انّي لم انقَد لاوامر الملوك، ولكنك انت ايضاً الذي قد عظمك الملوك وجعلوك حاكماً تتعدى اوامرهم إذ إنك ما تُمضي في ما امروك به". الحاكم: "لعمري إن لم اكن قد عاملتك بطول الاناة فما كنتَ يا شقي تلقاني بهذا الملقى" حبيب: "لو لم تكن قد عذّبتَني وجلدتني لكان قولك يُحتَمل، ولكن إذ لم تقصّر عن هذا كله، فاين طول الاناة" الحاكم: "إنّ هذا ليس فقط ممّا لا يغني

عنك شيئاً ولكن من شانه ان يُزيد ما انت فيه من العذاب والاذى" حبيب: "لو لم اكن متيقناً ان ذلك يُجديني نفعاً لما تفوهتُ بهِ امامك" الحاكم: "اني لأُسكتن صوتك في برهة فأُرضي بموتك الآلهة التي لا تسجد لها، واصالح الملوك بسفك دمك لانك نبذتَ امرهم" حبيب: "إنّي لستُ اخشى الموت الذي تخوفني بهِ، وإن كنتُ اخافهُ فما كنتُ اطوف البيوت معلماً النصارى ان يتمسكوا بديانتهم ويكفروا بآلهتكم" الحاكم: "كيف تسجد لإنسانٍ مصلوب ولا تسجد لزوس الإلّه العظيم" حبيب: "إنّي لستُ بساجدٍ لانسانٍ لانهُ مكتوب ملعون كل من يتّكل على الإنسان لكنني اسجد لإلّهٍ اخذ جسداً وصار إنساناً مثلنا، فإيّاهُ اعبد وإياهُ اوقرّ" الحاكم: "انت اعمل الآن بما تأمر بهِ الملوك، واما رأيك فهو لك، فإن شئتَ تركتهُ وإلا فبقيتَ عليهِ" حبيب: "إن هذا لمن المستحيل، إذ إن تناقضاً عظيماً فيما بين الكذب والحق، ولذلك فلا تُتعب نفسك، فإن ما بجّنتْهُ الديانة المسيحيّة في عقلي غير متزعزع ابداً" الحاكم: "بالعذابات المهولة اقلع ما تظنّهُ مبجّناً في عقلك" حبيب: "إنّ عذاباتك فضلاً عن ان تستقلع عني آرائي الوطيدة تجعلني اكثر ثباتاً فيها واشد حرصاً عليها".

فتميز الحاكم من الغيظ وامر ان يزيدوا على عذاباتهِ عذابات اخرى قائلاً: "إنهُ نسي العذابات الاولى إذ تماديتُ بالبحث معهُ" فأخذوا يمزقون ثانيةً لحمانهُ بأظافر حديدية بقساوة شديدة فهتف القديس قائلاً: "إن آلام هذه الحيوة لا توازي ذاك المجد المحفوظ للذين يسجدون للمسيح" فلمّا عاين الحاكم انّ هذه التنكيلات لا تُؤثر فيهِ، أخذ يقول لهُ: "أهكذا يعلمكم مذهبكم ان تبغضوا جسدكم؟" فاجابهُ حبيب: "إننا لا نبغض جسدنا، وإنما مكتوب من اباد نفسهُ وجدها وقيل لنا ايضاً لا تلقوا القدس للكلاب ولا ترموا جواهركم قدام الخنازير" االحاكم: "لا يخفاني انك تاتي بهذا كلهِ حتى اغتاظ فاعجل في قتلك، ولكن هيهات، فإني أُطيل أناتي كما قد سبقتُ وقلتُ لك، وذلك ليس إراحةً لك ولكن زيادةً في عذابك الى ان ترى قِطع جسدك منشورة مكومةً حولك" حبيب: "هذا ما

اشتاق انا اليهِ" الحاكم: "إمتثلْ امر الملوك القادرين على كل شيء" حبيب: "ما من احد يقدر على كل شيء ما لم يكن الله العظيم الخالق السماء والارض".

الحاكم: "إنّ الموت بالسيف ليس بشيءٍ بازاء عظم جسارتك، ولذلك فاذيقك ما هو أمرُّ من ذلك" حبيب: "ما احلى العذابات الفادحة، إني لتائق الى مجد احتمالها لاجل يسوع مخلصي".

فأخذ حينئذٍ الحاكم يسجل قضاء الموت على الشهيد قدّام الضبّاط واعيان المدينة، فقال: "قد رأيتم وسمعتم ان هذا الشقيّ قد كفر بالآلهة وعيرَّ الملوك، فمن ثَمّ وجب ألا يعاين نورَ هذه الشمس الموقرة، ولولا امر الملوك الاوّلين بقبر جثث القاتلين لما وجب قبر جثة هذا الشقيّ فالآن جزاءً لجسارتهِ قد امرتُ بان يوضع سيرُ على فمهِ كما يُفعل بسافكي الدم ويُحرَق في نارٍ غير شديدة وذلك لتطول ميتتهُ فيزيد المهُ".

فلما قال هذا خطف الشرط القدّيس من بين يدَيه، وكان السير على فيهِ، وتبعهُ جم غفير فكان المسيحيّون يثنون عليهِ لاستمراره ثابتاً في وعدهِ، واما الوثنيّون فكانوا يتهددونهُ على انهُ لم يذبح للآلهة، فأخرجوهُ من باب المدينة تجاه المقبرة التي كان عبشلاما بن ابجر قد بناها، وكانت امهُ ترافقهُ متوشحةً بلباس ابيض فلما بلغوا بهِ الى المكان المعين لإحراقه، رفع الحاظهُ نحو السماء فقال: "ايها المسيح رب العالمين انظر مع اني كنت استطيع الفرار من هذهِ الشدائد لم افعل ذلك حتى لا اقع بين يدَي عدلك الرهيب، فلتكن لي هذهِ النار ثواباً امامك كيما انجو من تلك النار التي لا تنطفيء إقبلْ روحي يا ابن الآب المسجود لهُ" قال هذا والتفت الى النصارى وباركهم، فتشهقوا قاطبةً بالبكاء والتمسوا اليهِ ان يطلب الى المسيح لكي يعطي السلام الشعب المسيحيّ ويقيم البيع المهدومة وكان الشرط قد حفروا مكاناً، فأنزلوهُ فيه وإذ ارادوا ان يوثقوهُ، أمنهم انه لا يبارح المكان، فكوموا عليه الخشب وأضرموا فيها النار، فأسلم الروح بيد خالقهِ فأحاط بهِ القوم رجالاً ونساء إحاطة الهالة بالقمر ودموعهم تفيض مدراراً، ثمّ اخرجوهُ من

النار ولفوهُ بلفائف كتان باثين عليهِ افخر العطور وراشين عليهِ اثمن الادهان، وكان كل احد ياخذ من آثار حريقهِ للتبرك، ثم دفنوهُ في ضريح غوريا وشاموننا الشهيدين بإكرام لا مزيد عليهِ.

وكان استشهادهُ في اليوم الثاني من ايلول في يوم الجمعة.



جهاد القديسة فبرونيا

(نحو ٣٠٩)

كان في أيام ديوقلطيانس الملك حاكم في رومية اسمهُ أنتيما لهُ ابن يُدعى لوسيماكس واخ اسمهُ سيلينس فلما دنا اجلهُ دعا اخاهُ وقال لهُ: "انا يا اخي منتقل من هذا العالم، فبيديك اسلم ابني لوسيماكس، فاعتنِ به وكن لهُ أباً رؤوفاً عوضي" ثم بعد موت انتيما، دعا الملك لوسيماكس وعمهُ سيلينس وقال للوسيماكس: "من حيث إني متذكر الصداقة التي كانت بيني وبين ابيك فانا مرقّيك الى منزلته الرفيعة لكنني إذ بلغني انك تحبّ النصارى وتودّهم فأمسكتُ الآن عن هذا الرأي، واريد ان أُرسلك الآن الى المشرق لكي تبطل هناك النصرانية، وإنّما لدى عودتك ارقّيك الى منزلة ابيك جاعلاً ايّاك حاكماً مكانهُ" فسكت لوسيماكس ولم يجسر على التكلم امام الملك، لانهُ كان بعد شاباً لهُ من العمر نحو عشرين سنة غير ان عمَّهُ سيلينس خرّ على قدمَي الملك متوسلاً اليه ان يُمهلهُ ريثما يعمل هو عرساً للوسيماكس كما كان ابوهُ قد امرهُ وواعداً ايّاهُ ان يذهب بصحبته فيُجريا جميع اوامره العالية فجاوبهُ الملك قائلاً: "لا، بل انطلقا اولاً الى بلاد الشرق واستأصلا شافة النصارى الذين هناك، وعند عودتك اصنعْ عرساً لابن اخيك، وانّي انا ايضاً اساعدكما عليه" فأتيا الى المشرق ومعهما عسكر كثير واوامر شديدة من الملك بقتل النصارى وإعدامهم إذا لم يكفروا بمذهبهم واخذ لوسيماكس ابن اخته معهُ وكان يقال لهُ ابريما قوميس وجعلهُ رئيساً على الجند.

فلما بلغوا ما بين النهرين اخذ سيلينس يفتك بالنصارى آخذاً ايّاهم بحدّ السيف وملقياً جثثهم للكلاب فخافهُ النصارى خوفاً شديداً فذات ليلة دعا لوسيماكس ابن اخته وقال لهُ: "يا سيدي أبريما انت تعلم يقيناً ولو ان ابي مات وثنياً الا ان

والدتي ماتت نصرانيّة، وكانت تجتهد كثيراً بجعلي مسيحياً نظيرها، غير ان ذلك لم يمكنني خوفاً من الملك ومن ابي، فقبل ان تموت أمرَتني ان أُحب المسيح وان لا اسيءَ قطعاً الى النصارى المؤمنين به والآن لدى مشاهدتي سيلينس يفتك بالنصارى بلا رحمة يتقطع فؤادي حزناً وشفقةً عليهم، فاريد ان انقذهم من يديه" فلمّا سمع ذلك أبريما فكر في الحيلة وجعل يهتم بإنقاذ النصارى من يد سيلينس الباغي باعثاً اليهم الخبر في الكنائس والاديرة ان يفروا هاربين من امام الطاغي.

وكان إذ ذاك في نصيبين دير للبنات فيه خمسون راهبة وعليهنّ رئيسة اسمها برّونه، وكانت الراهبات في يوم الجمعة يبكّرن فيجتمعن قاطبةً في معبدهنّ ويصلين صلاة الصبح مستمرات في الكنيسة الى الساعة الثالثة من النهار وكانت الرئيسة والراهبة التي تحت يدها تقرأن بالمناوبة فصلاً من الكتاب المقدّس وغيره من الكتب الروحية وهكذا يقضين ذاك النهار كلّهُ في الصلوة والعبادة وكان حينئذٍ تحت يدَي الرئيسة راهبتان اسم الواحدة منهما فبرونيا والاخرى أفرِقْله اما فبرونيا فكان لها من العمر عشرون سنة، وامّا أفرقله فخمس وعشرون، وكانت فبرونيا بنت اخي برونة ذات حسنٍ وجمالٍ لا يوصف، فلاجل هذا كانت بها اشد احتفاظاً من دون اخواتها الراهبات مخافةً عليها من فخاخ الاشرار وكانت الراهبات يتناولن الطعام مرةً في كل مساء غير انّ فبرونيا كانت لا تتناولهُ الا مرةً كل يومين فكان دأبها إذاً الصوم الدائم والصلوة الغير المنقطعة والقراءَة الروحية، وتنام على تخت من خشب طولهُ ثلاث اذرع ونيف وعرضهُ ذراع واحد، لا بل كانت بعض الاحيان تنام على الحضيض مبالغةً في قمع جسدها، واحياناً اذ كان الشيطان يزعجها ليلاً مجبراً اياها بالاحلام والاوهام كانت تنهض منتصبةً للصلوة مبتهلةً الى الله تعالى بدموعٍ سخينة ان يمدها بعونهِ الآلهي مُبعداً عنها تجارب العدو الخبيث، ثم تفتح كتاباً فتقرأ فيهِ متاملةً في اقواله المحيية الروحانيّة وهذا كان دأبها ليلاً ونهاراً لأنها كانت تحبّ العلم محبة زائدة حتى ان الرئيسة

وجميع الراهبات كن منذهلات من غزارة علمها، ولاجل هذا لما كانت الراهبات يجتمعن في المعبد للصلوة كانت الرئيسة تأمرها ان تقرأ امامهن الكتاب الآلهي، ومن حيث كان كثير من النساء يذهبن يوم الاحد والجمعة الى الدير لاستماع كلمة الله كانت الرئيسة قد اوعزت الى فبرونيا ان تتلو على مسامعهنّ الكتاب المقدّس وهي جالسة داخل الستر قاصدةً بذلك ألا يعاين احد حسنها الفريد فيُشيع خبرها في المدينة غير انهُ رغماً عن هذهِ الاحتياطات ذاع صيت فبرونيا في كل المدينة فلم يكونوا يتكلمون الا عن جمالها العجيب وعلمها الوافر وتواضعها العميق ووداعتها المذهلة.

وكان اذ ذاك في مدينة نصيبين امرأة وثنية شريفة ذات حسب ونسب يقال لها اياريا كانت قد عاشت مع قرينها سبعة اشهر وترملت فهذه لما بلغها خبر فبرونيا اتقدت بنار المحبّة الآلهية وارادت ان تشاهدها، فقصدت الدير وقالت للبوابة: "اني اريد مواجهة الرئيسة" فدخلت الآذنة على الرئيسة وقالت لها: "في الباب امرأة شريفة تريد مواجهتكِ" فخرجت اليها، فلمّا شاهدت اياريّا الرئيسة خرّت على قدمَيها وسجدت لها قائلةً: "استحلفكِ بالله الذي كون السماء والارض ألا تنفري مني مشمئزةً، فانّي امرأة وثنيّة خاطئة دنسة تحت حكم الشياطين، فألتمس اليكِ ان لا تحرميني من موانسة فبرونيا وتعليمها الخلاصيّ، بل علميني يا سيّدتي السلوك في طريق الخلاص لافوز بما هو معَد للنصارى، فانقذيني يا سيّدتي من اباطيل هذا العالم ومن عبادة الاصنام النجسة، فإن والديَّ مزمعان ان يجبراني على ان اتزوج مرةً ثانيةً، فحسبي ما فعلتُ من المآثم في حياتي الماضية فاريد الآن ان انال الحيوة على يد اختي فبرونيا، فاتوسّل اذن اليك ألا تحرميني مخاطبتها" وكانت اياريّا تقول هذا بقلبٍ سحيق وكابة شديدة وهي قد بلت قدمَي برونة بالدموع التي كانت تهلّ بغزارة من عينَيها، فتحننت الرئيسة وتقطّع قلبها حزناً وكابةً عليها، فقالت لها: "علم الله يا سيّدتي اياريّا ان فبرونيا لها في هذا الدير ثماني عشرة سنة وهي لم تعاين وجه رجل ابداً ولا زينةً دنيوية حتى إن

مرضعتها نفسها طلبت اليّ مراراً بدموعٍ سخينة ان تدخل الدير فتراها ولم امكنها من مشاهدتها، إذ إني لستُ ارضى ان تحادث احداً وتخاطبهُ ولكنني جزاءً على المحبة الشديدة المكنونة في صدركِ لله تعالى ولفبرونيا ادخلك عليها، غير انهُ ينبغي لكِ ان تنزعي عنكِ ثيابكِ العالميّة وترتدي لباس الراهبات" فتزينت اياريّا بزيّ الراهبات ودخلت مع الرئيسة على الاخت فبرونيا، فلما رأتها فبرونيا بزيّ الراهبات خرّت على قدميها لظنّها انّها راهبة غريبة اتتها لتزورها، وبعد التصافح والتصافي اوعزت الرئيسة الى فبرونيا ان تاخذ كتاباً فتقرأ قدّام اياريا، ففعلت، فلمّا سمعت اياريّا الاقوال الآلهية تخشع قلبها تخشعاً عظيماً فهملت عبراتها وعلت زفراتها وقضت مع فبرونيا الليل كلهُ في القراءَة من دون ملل البتة، ولما اصبحت، تمكنت الرئيسة بالكدّ من ان تصرف اياريّا من عند فبرونيا، فذهبت الى اهلها وهي تسكب العبرات الغزيرة فلمّا انتهت الى دارها اخذت تحرّض اهلها على معرفة الآله الحقّ الذي كوَّنَ جميع الاشياء وترك عبادة الاصنام الكاذبة.

امّا فبرونيا فلمّا انصرفت اياريّا من عندها، سألت تومايس التي كانت نائبة الرئيسة وقالت لها: "اطلب اليكِ يا اماه ان تقولي لي مَن كانت هذه الاخت الغريبة التي اتتني، فانّها ما زالت تبكي بكاءً مراً وشاهدتُ منها كانها لم تسمع قطّ كلام الله" قالت تومايس: "أما عرفتِها؟" فبرونيا: "ومن اين كنت اقدر ان اعرفها وهي غريبة؟" تومايس: "إن تلك الاخت اياريّا وهي من شريفات المدينة" فبرونيا: "ان كان الامر كذلك فلمَ خدعتيني؟ فإني لم ازل أُخاطبها مخاطبة اخت من الاخوات" تومايس: "ان سيدتنا رئيسة الدير ارادت ذلك".

وبعد ايام قليلة مرضت فبرونيا مرضاً ثقيلاً فلما اتصل الخبر باياريا توجّعت واغتمت غماً شديداً، فانطلقت اليها ولم تفارقها الى ان شُفيت تماماً.

وفي تلك الايام شاع الخبر في نصيبين ان سيلينس ولوسيماكس مزمعان ان يدخلا المدينة فيضطرا النصارى على تقريب الذبائح للاوثان، فارتعدت فرائص المؤمنين خوفاً، وهرب الكهنة والرهبان تاركين مساكنهم وتبعهم الاسقف ايضاً،

فلما اتصل هذا الخبر المحزن بالراهبات اجتمعن عند الرئيسة وقلن لها: "ماذا نصنع يا اماه، هوذا المضطهدون قد قربوا من المدينة، وهوذا الجميع ينهزمون من امامهم" قالت الرئيسة: "وماذا ترمنَ ان اصنع لكن؟" قلن: "تامرين بنا ان نختفي زماناً فنخلص" قالت: "يا للعجب، انكن مع عدم مشاهدتكن المحاربة تردنَ الانهزام، واعجب من ذلك انكن غُلبتن قبل مباشرة الجهاد، لا لا يا بناتي، فان الرأي ليس عندي إخلاء الدير، بل الأولى بنا ان نبدأ بالجهاد فنموت حباً بالذي مات بدلنا لكي نحيا ايضاً معهُ" فلما قالت الرئيسة هذا الكلام سكن روع الراهبات فصمتنَ غير انهُ لما كان من الغد نهضت إحداهن وكان اسمها ايثاريا وقالت: "اني اعلم ان سيدتنا رئيسة الدير مخافةً على فبرونيا لا تتركنا ان نبارح الدير، ألعلها تشاء ان تهلك جميع الراسبات من جرَّاء راهبة واحدة، فهلم بنا ندخل عليها، فاني اخاطبها عوضكن بما يقتضي" فاستحسن بعضهن رأي ايثاريا ولكن الأُخريات أنّبنَها على كلامها هذا فحينئذٍ وقع بينهن الخلاف والشقاق، وعظم السجس في الدير، وبعد ذلك جعلن العهد بينهن على ان يذهبنَ الى الرئيسة فيشاورنها ثانيةً في الامر فحالما دخلنَ عليها علمت افكار ايثاريا فنظرت اليها وقالت لها: "يا اختي ايثاريا ماذا تريدين؟" قالت: "اتيناك لنتوسل اليك ان تأمرينا فنستخفي متوارياتٍ من وجه المضطهدين، لاننا لسنا بافضل من الاسقف وكهنته، وتفكري ان البعض منا هن في عنفوان الشباب، فلسنا نأمن قحة العسكر على طهارتنا لانهُ اذا وقعنا في أيديهم ربما فقدنا ما اكتسبناهُ من الأجر والثواب في مدة اقامتنا في الدير او ربما كفرنا فأصبحنا اضحوكةً للشياطين إذ إننا لا نقدر على احتمال العذابات الفادحة فاذا شئت اخذنا معنا فبرونيا ايضاً وانطلقنا بها فاستخفينا".

فلما سمعت فبرونيا هذا الكلام قالت لهن: "لعمر المسيح الذي خُطبتُ لهُ وقربتُ نفسي ضحيّة لهُ لأمكثن مكاني هذا غير متزعزعة، وكل ما يصير فليَصر، فقط ليكن على ما يحب الله تعالى" ثمّ انّ برونه التفتت الى ايثاريا وقالت لها: "يا

ايثاريا، إنّما انتِ تعرفين صنيعكِ هذا، واما انا فبريّة منهُ" وبعدهُ التفتت الى سائر الراهبات وقالت: "واما انتن فمخيرات، لتختر كل واحدة منكن ما ارادت إما المكث وإما الفرار" فاخترن كلهن الخروج من الدير، فركعن وصلّين ثم ودّعن الرئيسة وفبرونيا وخرجنَ باكياتٍ بكاءً شديداً امّا افرقله التي كانت قد تربت مع فبرونيا فعانقتها وجعلت تبكي وتقول: "الوداع يا سيدتي فبرونيا، صلّي لاجلي" لكن فبرونيا مسكتها بيدَيها منعاً لخروجها وقالت لها: "أوَ أنتِ ايضاً تتركيني يا سيدتي أفرقله، فخافي الله واتقيه، إنك تشاهدينني نحيفةً مريضة، فلربما توفيتُ، فمن ترى يسترني تحت التراب؟ فان سيدتنا رئيسة الدير لا قدرة لها على مواراتي التراب، فامكثي عندنا يا عزيزتي حتى ترافقيني الى القبر اذا ما متُّ". قالت افرقله: "ما دام انتِ امرتِ يا اختي فاني لستُ بتاركتكِ، فكوني مرتاحة البال" قالت فبرونيا: "هوذا قد وعدتِني امام الله، فلا تتركيني اذاً" لكن افرقله داخلها بعد ذلك امر شديد من الخوف، فخرجت من الدير لاحقةً اثر اخواتها.

اما الرئيسة فانها لدى مشاهدتها الدير خالياً من الراهبات دخلت المعبد فالقت نفسها على الحضيض واخذت تعول وتبكي بكاءً مراً، وكانت الاخت توماس النائبة جالسة جنبها تسليها وتقول: "كفي يا اماه عن البكاء، فإن الله لقادر على إنقاذنا من هذهِ الضيقات والمصيبات، من ذا الذي توكل على الرب فاهملهُ ومن ذا الذي تمسك بعبادته فخلى عنهُ" الرئيسة: "نعم يا عزيزتي توماس إن ما قلته لحقّ وصواب، لكن فبرونيا ماذا اعمل بها؟ واين اخفيها؟ وباي عين انظر اليها اذا ما خطفها البرابرة؟" توماس: "أنسيتِ يا سيّدتي ما قلتهُ لكِ؟ ان الله القادر على بعث الموتى هو يقوّي فبرونيا ويشجعها، فقط كفي انتِ واقطعي بكاءَكِ، وهلمي ندخل على فبرونيا فنشجعها، لان الوجع لم يفارقها بعد تماماً" فقامتا وذهبتا اليها، ولدى وصولهما الى الدكّة التي كانت فبرونيا متكأةً عليها، رفعت الرئيسة صوتها وبكت بكاءً مراً، ثم خلّت راسها على ركبتَيها وعبراتها تنسكب اما فبرونيا فلدى رؤيتها الرئيسة على هذه الحالة اغتمّت وقالت

لتومايس: "التمس اليكِ يا امّاه ان تقولي لي ما سبب بكاء سيدتي رئيسة الدير؟ وقبل هُنَيهة سمعتها ايضاً تبكي في المعبد، فما السبب؟" قالت توماديس والدموع تهطل من عينَيها: "إنما عليكِ يا ابنتي فبرونيا تبكي الرئيسة، فإن المضطهدين مزمعون ان يعبثوا بنا ويسيئُوا السيرة فينا، وبما انكِ صبية حسناء بهيّة المنظر فانما عليك تخاف متاسفةً" قالت فبرونيا: "اطلب اليكما ان تتضرّعا الى الله سبحانهُ في شاني لكي يتنازل فينظر الى تواضعي فيقويني ويُعطيني الصبر كما فعل سبحانهُ مع جميع عبادهِ الأمناء" فقالت توماديس: "هوذا يا ابنتي فبرونيا زمان القتال والجهاد، إن الجند إن قبضوا علينا فيما اننا قد طعنا في السن يقتلوننا سريعاً، اما انتِ فمن جراء حسنكِ الرائق وبهائكِ اللطيف يتوقعون منك الانقياد الى امرهم متملقين لكِ باقوال عذبة لطيفة ومخادعين إيّاكِ باحسن الهدايا والذهب والفضّة ومرعبين إياك بامَرّ العذابات وافدح الاذيات، فلا تميلي اليهم ولا تنقادي الى طاعتهم فتفقدين ما كنزتهِ من الاجر والثواب في حياتكِ الماضية وتصبحين موضوع الضحك والهزو للوثنيين والشياطين فلا شيء افضل واكرم عند الله من البتوليّة، فان اجرها عظيم وثوابها جزيل، وعريس البتولات غير مائت وهو منعم بالحيوة الابدية على محبيه، فاحرصي اذاً كل الحرص يا عزيزتي على ان لا يؤخذ منكِ هذا العريس الآلهي الذي اتخذتهِ خطيباً لك، واياكِ ونكث وعدكِ، فانهُ لرهيب ذاك اليوم الذي بهِ يكافئ الرب كل واحدٍ حسب اعمالهِ" فلما سمعت فبرونيا هذه النصائح اتقدت مضطرمة بنار الحب الإلهي وقالت لتومايس: "ياما احسن قولك وياما الطف كلامكِ، فإني احس الآن بقوة اشد من قوة امس، ومع هذا لو اردتُ الانهزام مع أخوتي لقدرتُ، غير اني احببتُ المكث هنا حباً بالذي قربتُ لهُ نفسي ضحيةً مجتهدةً ان انطلق اليه اذا ما أهلني للتألم لأجله" فلما سمعت الرئيسة مقالتها تهللت فرحاً، واخذت هي ايضاً تشجعها وتقول لها: "اذكري يا عزيزتي كيف تتلمذتِ لي منقادةً الى نصائحي، تذكري أنكِ أنت كنت تهذبين الغير في طريق الخلاص، تفكري اني اخذتكِ من

مرضعتكِ وانت في الثانية من عمركِ ولحد الآن لم يرَ رجل وجهكِ ابداً وما سمحتُ لاحرٍ أن يخاطبكِ أصلاً فأني أنا حفظتك الى يومنا هذا واما الآن فماذا اصنع بكِ ياعزيزتي؟ فحذارِ أن تهيني شيخوخة برونه مبطلةً ثواب والدتكِ الروحيّة، اقتدي بالمجاهدين الذين قُتلوا من قبلكِ في سبيل الله فائزين باكليل الغلبة والانتصار من رجال ونساء وصبيان ايضاً، تذكري بلوبه ولاونيده اللتَين أسلمتا نفسهما للموت حباً بالمسيح امّا لوبه فبالسيف تكلّلت واما لاونيده فبالنار، انصبي امام عينَيك أطروبية الصبيّة التي في الثانية عشرة من عمرها قُتلت مع أمها في سبيل ربنا يسوع المسيح، وتذكري انهُ لما امر القاضي أن يصوّبوا نحوها السهام تخويفاً لها لتنهزم نادت بها امها ان: الزمي مكانكِ يا ابنتي أطروبية ولا تفري، وللحال شدَّت يدَيها من ورائها ومكثت مكانها غير هاربة، فرُشقت بسهم وسقطت ميتة من دون ان تخالف امر امها أفما كنتِ أنتِ نفسكِ تتعجبين من مثابرتها على الصبر الجزيل وخضوعها التام أما هي فكانت صبيّة غير مثقفة، وأما أنتِ فأكبر منها سناً ومعلمة ايضاً" ولم تزل تخاطبها باقوال تضارع هذه الى ان مضى الليل.

فلما أصبحت شوهدت نصيبين مكتنفة بجنود سيلينس ولوسيماكس فأُلقي كثير من النصارى في السجن، فسرى الروع والجزع في جميع القلوب، وذهب بعض الوثنيّين الى سيلينس وأعلموهُ بالدير الذي فيهِ فبرونيا فأرسل حالاً الجند اليهِ، فكسّروا الابواب بالقدّوم ودخلوهُ، فشاهدوا في اول الامر الرئيسة فقبضوا عليها واستلوا سيوفهم مريدين قتلها، اما فبرونيا فلما عاينت ذلك، نهضت من الدكة التي كانت جالسة عليها واسرعت الى الجند وانطرحت على اقدامهم قائلة: "اقتلوني اولاً كي لا اعاين موت سيدتي" وفي تلك الاثناء أتى أبريما قوميس، فلما رأى ما صنع الجند، غضب عليهم فأمرهم بالخروج من الدير، اما هو فأخذ يخاطب الرئيسة وقال لها: "اين هن الراهبات اللواتي كن في هذا الدير؟" قالت: "إنهن انهزمن كافةً خوفاً منكم" قال أبريما: "يا ليتكن أنتن أيضاً هربتن فنجوتنّ بأنفسكن، ولكن الساعة أيضاً يسوغ لكنّ الهرب، فاستعجلن إذن واهربن

أينما أردتن" ثم أن أبريما لحق أثر الجند غير تاركٍ في الدير ولا حارساً واحداً ولما رجع ودخل على لوسيماكس سألهُ هذا قائلاً: "أخير هو" قال أبريما: "خير يا سيّدي" قال هذا وتنحى بهِ وقال لهُ: "ان جميع اللواتي كن قاطنات في الدير قد هربن، فما رأينا فيهِ سوى شيختَين اثنتَين وفتاةً واحدة أما الفتاة فهي احسن جارية رأيتها وسمعتُ عنها في عمري كلهِ، ولله در بطن أتى بها، ولعمري ان النساء لم تلدن اجمل منها، ولولا كونها فقيرة لاستاهلت أن تصير قرينةً لسيدي" فأجابه لوسيماكس: "إن كانت والدتي قد امرتني ألا اسفك دم النصارى وان أُحب المسيح الذي يعبدونهُ واودهُ فكيف اقدر يا تُرى ان اسيء السيرة في من هي لهُ تعالى، فمعاذ الله ان افعل ذلك وإني الآن اطلب اليك يا سيّدي ابريما ان تخرجهن من الدير فتُنقذهن لئَلا يقعن في يدَي عمي سيلينس فيقتلهنّ اشنع قتلة" وبينما كانا في هذا الحديث، اذ ركض جنديّ عادياً الى سيلينس وقال لهُ: "إننا رأينا في الدير فتاةً لا مثيل لها في الحسن والبهاء، وانما عنها يخاطب ابريما سيدي لوسيماكس لتكون زوجةً لهُ" فاغتاظ سيلينس وبعث حالاً الى الدير شرذمةً من الجند منعاً لهرب الراهبات اللواتي فيهِ، ثمّ امر فنادوا في المدينة ان: "في الغد تُدان فبرونيا علانيةً في المشهد" فلما أتصل هذا الكلام بسكان المدينة ونواحيها بادر منهم جمّ غفير ليعاينوا فبرونيا.

فلما كان في الغداة دخل نفر من الجند فخطفوا فبرونيا من الدكة التي كانت جالسةً عليها وكبلوها بالحديد والقوا في عنقها قيداً ثقيلاً من حديد وجروها الى خارج الدير اما برونة و توما يس فتعلقتا بها متوسلتَين الى الجند بدموع غزيرة أن يصبروا قليلاً عليها ريثما تتكلمان يسيراً مع فبرونيا، فأمهلوهما فأخذتا تلتمسان اليهم ان ينطلقوا بهما ايضاً الى المحكمة لئلا تبقى فبرونيا وحدها فتخاف قال الجند: "انّهُ لم يصدر الامر إلا بإحضار فبرونيا" فحينئذٍ شرعت برونة تقول لفبرونيا: "هوذا تذهبين يا عزيزتي فبرونيا الى الجهاد، فتفكري ان العريس السماوي ناظر الى جهادك وان اجواق الملائكة الواقفة امام عرشه حاملة

على ايديها اكليل الغلبة منتظرةً أن تضعهُ على هامتكِ فلا تتخوفي من الاذيات والضيقات ولا تضحي اضحوكةً للشيطان، ولا تشفقي على جسدك الذي سينحلّ من شدّة الضربات، لانّ جسدنا هذا سينحلّ رغماً عنّا فيمسي تراباً في القبر وإني أمكث في الدير حزينة كئيبة متوقعةً اخبارك سارةً كانت أو محزنة فاريد منكِ يا حبيبتي أن ترسلي لي خبراً ساراً، من ذا يقول لي ان فبرونيا أسلمت نفسها للعذاب! من ذا يبشرّني أن فبرونيا كملت جهادها فعُدت بين اجواق الشهداء"

قالت فبرونيا: "إني لمتوكلة على الله يا امّاه، وكما انّي الى حدّ الآن لم انقض اوامركِ ونصائحكِ فكذلك لن اخالفها حتى الممات، ولابد الناس لدى مشاهدتهم جهادي يعطون الطوبى لشيخوخة برونة قائلين حقيقةً ان هذا الغرس لغرس يمين برونة ولأظهرن في جسمي النحيف حزمَ الرجال، لكن أتركيني يا امّاه فانطلق". فقالت لها تومايس: "وحياة الرب لأتزيّن بزيّ النساء العالميّات واتبعنّكِ يا ابنتي فبرونيا فأُعاين جهادكِ" وأذ كان الجند يعجلون في الذهاب بها قالت لهما: "اطلب اليكما يا والدتيَّ ان تزوّداني بصلواتكما وبركاتكما فتدعاني اذهب الى الجهاد" حينئذٍ مدت برونه يديها نحو السماء ورفعت صوتها وقالت: "ايها الرب يسوع المسيح أنتَ الذي ظهرتَ لأمتك تقلا انظر الآن في اوان الجهاد الى جاريتك هذه البائسة" قالت هذا وعانقت فبرونيا وقبلتها بدموع سخينة قائلةً: "اذهبي بسلام" فذهب بها الجند وانصرفوا امّا برونه فعادت الى الدير وذهبت تواً الى المعبد فألقت نفسها على الحضيض وهي تبكي بكاءً مراً وتتضرّع الى الله في شان فبرونيا.

امّا تومايس فما عتّمت ان خرجت متنكرةً من الدير، فطار الخبر على جناح السرعة فبلغ الى النساء اللواتي كن ياتين الدير في يوم الجمعة لسماع الكلام الإلهي، فأسرعنَ قاطبةً الى المشهد وهن باكيات وضاربات على صدورهنّ ولما اتصل الخبر بإياريّا أُوعب قلبها غماً عظيماً وكدراً جسيماً، فاخذت تبكي بكاءً مراً فسألها اهل دارها عن السبب فقالت: "واهاً لي ان اختي فبرونيا جُلبت الى

المحكمة، ان معلمتي تُدان ويُحكم عليها لكونها مسيحيّة" فاخذ اهلها يلتمسون اليها أن تسكن حزنها فلم تأبَ الا ازدياداً في البكاء والعويل بحيث إنها حملت اهلها ايضاً على التاسف على فبرونيا فجعلوا يبكون معها وإذ لم تزل تتوسل بهم بدموع وافرة أن يخلوها فتذهب الى المحكمة لتشاهد جهاد فبرونيا، اذنوا لها بالذهاب، فاخذت معها كثيراً من الخدم والجواري واسرعت الى المشهد سابقة نساء كثيرات كن ذاهبات هن ايضاً باكيات الى المشهد، وصادفت في طريقها الاخت تومايس فعرفتها، فانطلقتا سويةً حيث كانت تُدان فبرونيا.

وغصَّ المشهد بأناس كثيرين رجالاً ونساءً فجلس سيلينس ولوسيماكس كل واحد منهما على كرسيهِ، وامرا باحضار فبرونيا، فأُحضرت وكانت يداها موثقتان وفي عنقها سلسلة حديديّة فلما بصر بها الحضّار على تلك الحالة هملت عبراتهم وعظم الضجيج الا ان سيلينس لما وقفت فبرونيا بين يدَيهِ أمر بالسكوت، وقال للوسيماكس: "استنطقْها انتَ" فقال لها لوسيماكس: "قولي لي يابنت من انتِ، أحُرة أنتِ ام جارية؟" فبرونيا: "إني جارية" لوسيماكس: "وجارية من انت؟" فبرونيا: "جارية المسيح" لوسيماكس: "ما اسمكِ؟" فبرونيا: "إني مسيحية بائسة" لوسيماكس: "إنما اسمكِ اريد ان اعرف" فبرونيا: "قلتُ لك إنني مسيحية بائسة، واما اسمي فسيدتي تدعوني فبرونيا" وحينئذٍ أسكت سيلينس لوسيماكس، واخذ هو يخاطب فبرونيا وقال لها: "وحياة الآلهة يا فبرونيا، إني لستُ ممَّن يؤهلك للاستنطاق، لكن وداعتكِ وتواضعكِ وحسنكِ الفريد سكنَّت غضبي، فلستُ اذن بمستنطقكِ نظير مذنبة، بل انما اتخذتكِ لي بنتاً، فأصغي يا عزيزتي اننا استنفقنا نفقات جسيمة على خطبة امرأة لسيدي لوسيماكس، وخطيبتهُ ذات ثروة جزيلة واموال وافرة اما اليوم فاني ناوٍ ان افسخ هذه الخطبة واتخذك انت خطيبة لسيدي لوسيماكس هذا الذي انا جالس عن يمينهِ، وهو ايضاً بهيّ المنظر نظيركِ فاسمعي مني واقترني بهِ، ولا تخافي لأنك فقيرة، فاني انا لا امرأة لي ولا ولد، فكل ما لي اعطيه لكِ جاعلاً إياك ربَّة داري

وكل ما فيها فتزوجي بسيدي وكل شيء مبذول لكِ، وانا اكون لكما اباً وانتِ تتمجدين على وجه الارض وجميع النساء يعطينكِ الطوبى ويحسدنكِ على مقامكِ السامي، وان ملكنا العظيم هو أيضاً يفرح بكما فيهب لكما هدايا كثيرة نفيسة، وقد وعد سيدي لوسيماكس ان يرقي منزلتهُ فيجعلهُ حاكماً، فها قد سمعتِ، فردي لي جواباً يُرضي الآلهة ويجديكِ نفعاً واما إن خالفتِ امري، فبحياة الآلهة لأُبيدنكِ من على وجه الارض، فقولي ما تشائين".

قالت فبرونيا: "إن لي في السماء خدراً لم تصنعهُ ايادي الناس وعرساً لا تنتهي مدّتهُ معدٌّ لي، وملكوت السماء كلهُ مهري، ولي عريس لا يموت ولا يتغير وغير قابل الفساد، فمعهُ اتنعمّ الى ابد الآبدين ولستُ اسكن مع رجل مائت قابل الفساد، ولا اذعن لك أبداً، وحذارِ ان تعيد كلامك عليّ يا سيدي، فان تمليقاتك لا تجديك نفعاً ولا تستطيع الى تخويفي بتهديداتك سبيلاً، فافعل مهما شئتَ" فلما فرغت فبرونيا من مقالتها هذه، استشاط سيلينس غضباً وامر الجند في ان يمزقوا ثيابها ويشدوا على جسمها رقاعاً بالية ويوقفوها على تلك الحالة من الهوان والعراء امام الحضار حتى انها اذا ما شاهدت نفسها في تلك الحالة السيئة تُعطي الويل لنفسها فامتثل الجند امر مولاهم فعجلوا في تمزيق ثيابها وشدوا على جسمها رقاعاً باليةً واوقفوها على تلك الحالة في وسط المشهد فقال لها سيلينس: "ماذا تقولين يافبرونيا؟ شاهدي في اي حال كنتِ من المجد والخيرات وفي اي حال أصبحتِ من الفضيحة والهوان" قالت فبرونيا: "ولو انك عرَّيتني من كل ما عليَّ من الرقاع لَمَا حسبتُ ذلك شيئاً، لان خالق الذكور والإناث واحد، واعلمنّ يقيناً أني منتظرة ليس فقط العرية بل النار والسيف ايضاً إذا ما جعلني الرب اهلاً لان اتألم من اجله" فقال لها سيلينس: "ايتها الشقية الوقحة المستحقة كل الهوان إني لعالم انك إنما من اجل مباهاتكِ بُحسن جسدكِ لا تحتفلين بعريته حاسبةً إياها مجداً وفخراً" اجابتهُ فبرونيا: "علم الله انني حتى الآن لم ارَ وجه رجل ابداً، فمن اجل اني وقعتُ بيدَيك انما دُعيتُ وقحة بلا حياء، لكن قُل لي انت

ايها القاضي الجاهل غير الفطن متى سمعتَ او رايتَ مجاهداً نزل الى الجهاد في الأُلَمبيَّات دون أن يتعرى من ثيابه، أفما يقوم عرياناً بالجهاد حتى يغلب خصمهُ؟ فإن كنتُ انا اتوقع الاذيات والحريق، فكيف احتملها يا تُرى وانا متوشحة بثيابي؟ لعمري انّي لأُقاسيَنّ هذه الشدائد وانا عريانة حتى انتصر على ابيك الشيطان وانا مزدرية بعذاباتك وتهديداتك وغير مبالية بها البتة" فجاشت حينئذٍ في صدر سيلينس عوامل الغيظ، فرفع صوتهُ وقال للجند: "من حيث إنها هي نفسها ارادت ان تكابد الاذيّات وسخرت بعذاب النار، فمدّوها حالاً على الارض واشعلوا النار تحتها وليتقدم منها اربعة جنود ويجلدوا ظهرها بقضبان" فامتثلوا امرهُ واخذوا يضربونها بقساوة شديدة حتى إن قطرات الدم بدأت تقطر بغزارة على الارض من ظهرها، مع ان النار كانت تحرق بطنها مشتدة أكثر فأكثر لأنهم كانوا يُشعلونها بالدهن فتزيد اضطراماً واستمروا على هذه الحال وهم يضربونها زماناً طويلاً حتى إن الحضار لم يتمالكوا من ان يصيحوا بسيلينس قائلين: "ايها القاضي ذو المروة ألا يرق قلبك على هذه الفتاة البائسة؟" أما هو فلم يكن يزداد إلا هياجاً فتمزق جسمها كلهُ وتناثرت لحمانها مع الدم على الارض، ثمّ أمر الطاغي ان يكفوا عن ضربها فأخرجوها من النار والقوها على الحضيض وهي كالميّتة.

فلما عاينت تومايس ما اصاب فبرونيا من الاذيات الشديدة ضاقت بها نفسها فوقعت على الارض على قدَمي أياريّا، فأحرقت اذ ذاك نار الحزن احشاء إياريّا فصرخت رافعةً صوتها وقالت وهي تتنفس الصعداء: "وا اختي فبرونيا! وا سيّدتي! وا معلمتي! اليوم حُرمنا تعليمكِ وليس فقط تعليمكِ بل تعليم سيّدتي توما يس ايضاً" فلما طرق صوت اياريّا بأذنَي فبرونيا وكانت ملقاة على القاع، طلبت الى الجند ان يأتوها بماءٍ فيرشوهُ على وجهها، فلما فعلوا ذلك استفاقت وطلبت مشاهدة اياريّا اما سيلينس فامر بها تنهض لتعطي الجواب، ثم قال لها: "ماذا تقولين يا فبرونيا، وماذا تعلمت مما اصابك من العذابات الشديدة؟" قالت:

"تعلمتُ أن لا أُغلَب ابداً، وان احتقر عذاباتك" فاضطرم سيلينس غيظاً وصاح بالجند مغضباً ان: "علقوها على خشبة ومشّطوا جنبيَها بامشاط حديدية ثم أُحرقوا بالنار اعضاءَها حتى عظامها" فصنع الجلادون كما أُمروا واخذوا يمشّطونها بامشاط حديدية حتى تناثر لحمها ثانيةً على الارض، ثمّ اتوا بالنار واخذوا يُحرقون جنبَيها اما هي فكانت في وسط هذا العذاب القاسي رافعةً بصرها الى السماء وقائلة: "هلم يا رب الى معونتي ولا تتغافل عني في هذه الساعة" قالت هذا وسكتت لانها كانت تتألم كثيراً.

وكثير من الحضّار لم يقدروا على احتمال هذا المنظر المريع الذي كانت تقشعر منهُ الابدان وتتفتت الاكباد حزناً، فرحلوا نافرين من قساوة القاضي الجافي امّا الآخرون فكانوا يصرخون ويقولون: "ارفعوا ارفعوا عنها النار" فامر الظالم برفع النار عنها، واراد ان يستنطقها وهي معلقة على الخشبة واذ لم تقدر على مجاوبتهِ، امر ان تُنزَّل من الخشبة المعلّقة هي عليها فتُعلَّق على خشبة اخرى، إذ إنها لم تكن تطيق ان تقف على رجلَيها وامر وقتئذٍ باحضار طبيب، فلما وقف بين يدَيهِ قال لهُ: "من حيث ان هذه الملعونة الدنسة ليست تروم أن تجاوبني فامرك ان تقطع لسانها" فلما سمعت فبرونيا هذا الكلام، أخرجت لسانها مُشيرةً الى الطبيب ان يقطعهُ، فلما دنا منها واراد قطعهُ رفع الحضّار اصواتهم واستحلفوا سيلينس ان يُضرب عن ذلك اما هو فأمر الطبيب ان يقلع اسنانها، فأخذ الطبيب آلتهُ وشرع يقلع اسنانها ويرمي بها الارض حتى اذا قلع سبعةً سال الدم غزيراً من فيها، فأغمي عليها، فاضطر سيلينس ان يأمر الطبيب ان يوقف الدم، فوضع عقاراً في فمها فوقف الدم، ثم قال لها سيلينس: "ماذا تقولين يا فبرونيا؟ أفما تخضعين لنا الآن مقرة بالآلهة؟" قالت: "قبحك الله أيها الشيخ الملعون الشرير، لأنك تصدني عن الذهاب الى عريسي الإلهي فاستعجل وأخرجني من هذا الجسد، فان مُحبّي ناظر اليَّ متوقع ايَّاي" قال: "إِني اريد ان احرق جسمكِ بالنار قليلاً قليلاً ثم اعدمهُ بالسيف" فلم تقدر فبرونيا ان تجاوبهُ من

شدة عذابها الاليم، فازداد غضباً وغيظاً وفار كالنار الملتهبة موعزاً الى الطبيب بقطع ثديَيها فلمَّا اخذ الطبيب سكيناً ودنا من القدّيسة رفع الحضّار اصواتهم مسترحمين القاضي بدموعٍ سخينة ان يرق قلبهُ لهذه الفتاة البائسة ولا يعاملها هذه المعاملة الوحشيَّة فعظم الضجيج وتزايدت الضوضاء وعلت الزفرات، لكن الظالم القاسي القلب لم يلتفت اليهم بل صاح بالطبيب قائلاً: "اجدع اجدع ايها الملعون المحروم حياة الآلهة" فلما بدأ بقطع ثديها الأيمن رفعت عينيها نحو السماء وصرخت بألمٍ عظيم لامزيد عليهِ قائلةً: "ايها الرب الاله انظر الى ما انا فيهِ من الضيقة والظلم الشديد وهلم فخذ روحي" قالت هذا وسكتت من شدّة الوجع فلما جذم الطبيب ثدييها ورمى بهما الارض امر سيلينس الطاغي باحراق موضعهما بالنار فلم يزالوا يحرقون موضعهما الى ان تولجت النار داخلها، فاشمأزّ الحاضرون من هذا المنظر الشنيع واقشعرت منهُ ابدانهم وذابت قلوبهم اسفاً وتقطعت اكبادهم حزناً، فابتعدوا عن المشهد متأسفين قائلين: "محروم ديقلطيانس هو وآلهتهُ".

فأرسلت اياريا وتومايس فتاةً الى برونة رئيسة الدير تخبرها بكل ما جرى ولما وصلت الفتاة الى الدير رفعت صوتها وقالت للرئيسة: "إن سيدتي اياريا وسيّدتي تومايس تقولان أن لا تكفي عن التضرّع الى الله سبحانهُ في شان فبرونيا، فانها في ضيقة شديدة" ففرحت الرئيسة بهذه البشارة واخذت تصلي بخشوع وتقول: "يا ربنا يسوع المسيح هلم الى معونة جاريتك فبرونيا" ثم اصابها حزن شديد فالقت نفسها على الارض وهي تبكي وتقول متنهدةً: "وا بنتي فبرونيا وا بنتي فبرونيا اين انت؟" ثمّ عادت الفتاة الى المحكمة، وبقيت برونه مداومةً على صلاتها وهي تقول: "انظر يا رب الى تواضع امتك فبرونيا وهلمّ الى معونتها، يا ليتني يا رب اراها مستشهدةً".

امّا ما كان من أمر فبرونيا، فان سيلينس امر ان تُحَل من الخشبة فلما حُلَّت سقطت على الارض لان لم يكن لها قوة على القيام فقال حينئذٍ ابريما

للوسيماكس: "على مَ تترك هذه البائسة في هذه الحال التعيسة؟" اجابهُ لوسيماكس قائلاً: "دعها يا سيدي ابريما، لانها تجاهد لمغفرة خطايا كثيرين من الناس ولعل ذلك يعود لمغفرة خطاياي ايضاً، فان والدتي كانت تقول لي اموراً كثيرة نظير هذه، وانا لي قدرة على اطلاق سبيلها، لكن لا أريد ذلك، فدعها تجاهد فتنتصر، فانها لخلاص كثيرين قائمة بهذا الجهاد".

امّا اياريا فعند مشاهدتها ما كانت عليهِ فبرونيا من الضيقة الشديدة، جاشت في صدرها الحميّة فتحمّست ونهضت من مكانها واخذت تعنف سيلينس وتقول لهُ: "ايها الطاغي الحجريّ القلب القاسي الفؤاد الرديء السيرة، أما اكتفيتَ بما فعلت بهذه الصبيّة البائسة من الشرور العظيمة؟ أو ما خطر لبالك انّ والدتك ايضاً كان لها جسد كجسدها؟ وثديان كثديَيها؟ وانك بعد ان رضعتهما وصلتَ الى ما وصلت اليهِ الآن من القامة والقد وبئس ميلادك وقبحاً لسيرتك، وإني لمتعجبة كيف انهُ ولا امر من هذه الامور أثّر في قلبك فسحقهُ، فلا اشفق عليك الملك السماوي، لانك لم تشفق على هذه الفتاة البائسة".

فلما قالت هذا الكلام، غضب سيلينس عليها وامر بأن ينزلوها هي ايضاً الى المحكمة فلما سمعت اياريا كلامهُ بادرت الى النزول فرحةً مسرورة وهي تقول: "يا إله فبرونيا اقبلني أنا الوثنية الخاطئة ايضاً مع سيدتي فبرونيا" وبينما كانت تنزل اشار الى القاضي بعض اصدقائهِ بان يمنعها من النزول وإلا فيستشهد معها كل القوم فتخلو المدينة من السكان فامر ان يتركوها غير أنهُ صاح بها قائلاً وهو يتقد عليها غضباً: "بئس ما فعلت يا اياريا، فانكِ بتصرفكِ هذا السيء جعلتِني أن أُذيق فبرونيا اذيات اخرى كثيرة" قال هذا وللحال امر بقطع يدي فبرونيا ورجلها اليمنى، فاتى الجلاد بسندان ووضع أولاً عليهِ يدها اليمنى فقطعها بفاس ثمّ قطع يدها اليسرى، لكنهُ لما اتى الى رجلها اليمنى لم يقدر على قطعها في اول الامر، فضربها ضربةً ثانية ولم يمكنهُ ايضاً قطعها ثم ضربها ضربةً ثالثة فاطارها من جسمها اما فبرونيا فمع ان جسمها كلهُ كان يرتعد ارتعاداً

شديداً وكادت نفسها تفيض كانت تهم بوضع رجلها اليسرى على السندان لتُجذَم هي ايضاً فلما عاين منها القاضي ذلك ازداد غضباً فهتف قائلاً: "عاينوا عاينوا هذه الوقحة" ثم صاح بالجلاد مغضباً ان: "اقطعْ اقطعْ" فجذم رجلها اليسرى ايضاً.

حينئذٍ نهض لوسيماكس وقال لعمه: "أبقيَ لك شيء آخر تصنعهُ بعد بهذه البائسة؟ فقم بنا ننطلق لأن قد حان وقت الطعام" فجاوبهُ عمهُ قائلاً: "لعمري لا ابرحن حتى اراها قد نزلت الى الجحيم" اما فبرونيا فحصلت في النزاع، فسأل سيلينس الجلادين قائلاً: "أفي قيد الحيوة هي بعد هذه الملعونة؟" اجابوهُ: "نعم" فامر بقطع راسها، فاخذ السيّاف سيفهُ فامسك فبرونيا بشعرها ونحرها كما تُنحَر الشاة والقى عنها راسها المقدّس الى الارض، فللحال نهض القضاة وذهبوا ليتغدوا وكان لوسيماكس يمشي وعيناهُ تدمعان فلما انطلقوا استعجل القوم وبادروا الى الجثة المقدسة مريدين خطفها غير ان لوسيماكس كان قد امر الجند ان يمكثوا هناك ليحرسوا جسدها المبارك ودخل هو حجرتهُ حزيناً كئيباً وامتنع عن اخذ الطعام فعلم بهِ عمهُ سيلينس، فحزن واغتم وما اراد هو ايضاً ان ياكل ويشرب وشرع يتمشى ذهاباً واياباً في حوش دار الولاية وهو غارق في بحر افكارٍ اليمة واذ ذاك نظر الى السماء زماناً وهو في دهشةٍ عظيمة ثمّ صرخ غفلةً صرخةً عظيمة نظير خوار الثور ووثب وثبةً بها ضرب راسهُ على أسطوانةٍ كانت هناك فوقع ميتاً.

فعظم الضجيج في دار الولاية، فأسرع لوسيماكس، ولما رأى ما حلّ بعمه انغض عليه راسهُ قائلاً: "لعظيمٌ هو إله النصارى، فانهُ اخذ بثار فبرونيا التي قُتلت ظلماً" ثمّ امر بالجند ان يُخرجوا جثة سيلينس، فامتثلوا امرهُ، واما هو فدعا ابريما ابن أخته وقال لهُ: "استحلفك يا سيّدي باله النصارى ألا تخالف ما اقول لك وهو ان تصنع سريعاً لفبرونيا صندوقاً من احسن الخشب وتُرسل من ينادي في كل المدينة أن سيلينس الطاغي قد مات، فكل من اراد الحضور في دفنة

فبرونيا ليعجّل في الاتيان وانت يا سيدي ابريما مُر الجند ان يحملوا جسد فبرونيا فيذهبوا بهِ الى ديرها وابذل الهمة كيلا يخطف احدٌ شيئاً من جسدها المقدّس او من اعضائها المقطعة ولا يلحس كلب او حيوان آخر دمها الكريم المسفوك على الارض، واجمع التراب المهراق عليهِ واذهب بهِ الى الدير" فامتثل ابريما أمر خالهِ، وحمل الجند جسد فبرونيا اما هو فاخذ أعضاءَها المقطعة فلفها في طيلسانه وحملها هو نفسهُ ذاهباً بها الى الدير، فتراكض القوم مزدحمين اجواقاً اجواقاً ليخطفوا اعضاء القدّيسة المقطعة، فاضطر الجند أن يستلوا سيوفهم ليدافعوا عنها، وبعد الجهد الجهيد تمكنوا من اختراق صفوف الجمهور الحاضر ووصلوا الى الدير ولم يتركوا احداً يدخل الدير سوى تومايس وايارّيا، ثم ان ابريما بعد ان ترك حراساً يقومون على الدير رجع لاحقاً خالهُ في دار الولاية.

اما ما كان من أمر برونة رئيسة الدير فانها لما عاينت جسد فبرونيا وهو مقطع ارباً ارباً، ضاقت بها نفسها فسقطت على الارض مضطربةً ظهراً على بطنٍ ثم أُغمي عليها زماناً مستطيلاً، وبعد ذلك أفاقت فنهضت وانطرحت على جثة فبرونيا تقبلها وتبلها بدموع أحر من الجمر وتقول: "وا عزيزتي وابنتي فبرونيا !وا أسفاه اليوم حُرمتْ امكِ مشاهدتكِ اللطيفة! فمن الآن من يقرأ على مسامع الاخوات الكتب الالهية؟ وايّ أيادٍ تقلب صحائف كتبكِ؟".

وبينما كانت على هذه الحال أقبلت جميع الراهبات مع ايثاريّا فانطرحن هن ايضاً على الجثة المقطعة باكيات نائحات اما اياريّا فكانت اشد حزناً من الجميع فكانت تحضن الجثة وتبكي وتقول: "اني اسجد لهاتين الرجلَين المقدّستين اللتين سحقتا راس الافعى الجهنمية، واقبّل هذه الجروح التي بها شُفيتُ من قروح نفسي، وأُكلّل بزهور المدح والثناء هذا الراس الجليل الذي كلّلنا وجملنا فخراً وشرفاً" واستمرت الراهبات على هذه الحالة الى ان حانت الساعة التاسعة التي فيها كنّ يصلين الفرض الآلهيّ، فحينئذٍ صرخت الرئيسة قائلةً والدموع ملء عينيها: "يا ابنتي فبرونيا، هوذا حان وقت الصلوة فقومي نصلي، آه اين انتِ يا

ابنتي الصغيرة، انهضي فصلي معنا" وقالت تومايس: "يا اختي فبرونيا انكِ لم تخالفي ابداً امر سيدتنا فلمَ لا تمتثلين امرها الآن" هذا وانهن لم يأَبين الا ازدياداً في العويل والضجيج حتى إذا كان المساء غسلن جثتها ووضعنها على سرير ضاماتٍ اليها جميع الاعضاء المقطعة، ثم امرت الرئيسة بفتح باب الدير فدخل الجمع المحتشد افواجاً افواجاً وهم مسبحون الله والنساء يبكين بكاءً مراً ووصل ايضاً في تلك الاثناء اسقف المدينة مع بعضٍ من الكهنة وجمّ وافر من الرهبان، فقضوا الليل كلهُ في الصلوة الفرضية اما ما كان من امر لوسيماكس، فإنهُ دعا ابريما وقال لهُ: "يا سيّدي ابريما انّي كفرتُ بجميع عوائد والديَّ نابذاً ميراثها بأسرهِ وآمنتُ بالمسيح" فاجاب ابريما قائلاً: "واني انا ايضاً يا سيدي حرمتُ ديقلطيانس ومُلكهُ نابذاً ارث والديَّ ومعتقداً بالمسيح" قالا هذا وخرجا سويةً من دار الولاية وانطلقا الى الدير.

ولما كان صباح اليوم الثامن جيءَ بالصندوق، فوضعوا فيهِ جسد القديسة باحتفال عظيم ضامين كل واحد من الاعضاء مكانهُ أمّا الاسنان فوضعوها على صدرها، وكان الحضار يبكون قاطبةً وقد ملأُوا الصندوق مسكاً ومراً وطيوباً حتى إن جسدها ما كاد يُعرَف من كثرة العطور وعندما ارادوا إطباق الصندوق جعل الحضار يقبلون اليهِ زرافاتٍ انتجاعاً للبركة بمس الجثة حتى انهُ لم يمكن إطباق الصندوق فطلب اليهم الاسقف والكهنة والرهبان ان يتنحوا قليلاً فيُطبقوهُ، فلم يلتفتوا الى اقوالهم، فتقدمت وقتئذٍ برونة فاخذت تلح على الحضار ان يتنحوا وقالت لهم وهي تذرف العبرات: "التمس اليكم يا سادتي واخوتي ان تخلوا هذه المسكينة فتذهب في سبيلها" فلما عاينوا دموعها الغزيرة تجنبوا، فوضعوها في مكان لائق في الدير برهجٍ واحتفال عظيم.

وآمن في ذلك اليوم جم غفير من الوثنيين بالمسيح وتعمّدوا، وتعمّد ايضاً لوسيماكس وابريما وكفرا بالعالم واباطيله وتبعا رجلاً يدعى مرقليا وكان رئيساً لدير في قرب نصيبين فذهبا معهُ الى الدير وقضيا باقي ايامهما في العبادة والتقوى

وتعمّدت أيضاً اياريا مع جميع آل دارها وأعطت كل ما لها من الاموال والمقتنى للدير فدخلتهُ وطلبت الى برونة قائلة: "التمس اليك يا سيّدتي وامي ان تأذني لي فأقوم لديك مقام فبرونيا واخدمكِ عوضها" ثم انها القت كل ما كان عليها من الحلى والجواهر الكريمة على الصندوق الذي كان فيهِ جسد فبرونيا.

وتقول كاتبة هذه السيرة انهُ في يوم تذكار استشهاد القدّيسة يجتمع في الدير جمّ غفير من الراهبات والعالميات والعالمين لمشاهدة المعجزة التي تحدث في منتصف الليل، وذلك أنّهُ عندما تبدأ الراهبات بصلاة الليل تتراءى القديسة فبرونيا واقفةً مكانها، فيشمل الخوف قلب كلّ احد ويتغشّاهُ، فلا يتجاسر احد على الدنوَّ منها أو على مخاطبتها لانهُ في المرّة الاولى من ظهورها اعترت الرجفة قلوب جميع الراهبات فاسرعت الرئيسة اليها لتعانقها وهي تقول: "هوذا ابنتي فبرونيا" لكن القديسة رُفعت حالاً، فمنذ ذلك الحين لم يتجرأ احد على الدنو منها، بل كان الجميع يتهللون فرحاً ويبكون.

ثم ان اسقف المدينة بنى للقدّيسة فبرونيا كنيسة فاخرة وأكملها في ست سنين فلما أتمها صار عيد عظيم في المدينة، فدعا الاسقف جميع الاساقفة المجاورين، واجتمع جمّ وافر من النصارى وذلك في الرابع والعشرين من حزيران، حتى إنّ الكنيسة لم تكن تسعهم، وكانوا يصلون في كل مكان الصلوة الفرضيّة ساهرين، ولما اصبحت وصلوا صلاة الصبح توجه الاساقفة الى الدير لكي ياخذوا ذخائر فبرونيا المباركة فيضعوها في الهيكل المبني لها، وتبعهم جم وافر من المؤمنين حاملين شموعاً ومصابيح ومباخر فلما دخلوا الدير وصلوا، استدعوا برونة الرئيسة وقالوا لها: "إن شجرة اعمالكِ الصالحة وافعالكِ التقوية اثمرت اثمارا صالحة علمت بها كل المسكونة، فما من احدٍ قادر أن يثني عليكِ كما يقتضي، ولعمرنا ان جميع رئيسات الدير لحقيقات أن يُثمرن نظيركِ اثماراً جيّدة، وحيث انّ اللسان لا يمكنهُ وصف مزايا الشهيدة المغبوطة وفضائلها فنسكت عنها،

وانما قصدناك نظير اختنا طالبين اليكِ أن توقري معنا الشهيدة الجليلة فتُعطيها ايانا لكي تسكن فيما بيننا في الهيكل الذي بُني اكراماً لها".

ولما فرغ الآباء من كلامهم هذا خرّت الراهبات قاطبةً على اقدامهم باكياتٍ قائلات: "نتوسّل الى قداستكم أن تترحّموا علينا نحن البائسات ولا تحرمونا هذه الجوهرة الثمينة" فقال اسقف المدينة للرئيسة: "اسمعي يا اختي، انكِ تعرفين ما كابدتهُ في مدة ستّ سنين من عناء وتعب ومشقة في بناء الهيكل ابتغاء تعظيم شأن الشهيدة وتمجيدها، فلا تحاولي إحباط مساعينا وترجعينا بصفقة خاسر" قالت: "اصنعوا ما تستحسنونهُ انتم وتستحسنهُ الشهيدة واما انا البائسة فمن انا يا تُرى حتى امنعكم هذا الامر، فدونكم ذخائرها" فلما نهض الآباء واخذوا يصلون، شرعت اياريّا تبكي وتقول: "الويل لنا فانكم اليوم تحرمون ديرنا بركةً جزيلة، واهاً لنا فان اليوم يتيتَّم ديرنا، ويحنا فاننا نحن انفسنا نسلم جوهرتنا بيد غيرنا" ثم أخذت تصرخ على برونة فتقول: "ماذا تصنعين يا اماه؟ لِمَ تحرمينني اختي؟ فإني انّما من جرائها قد تركتُ كل شيءٍ فأتيتكِ ملتجئة اليكِ" فلما رأت برونة ما هي عليهِ اياريا من الحزن الشديد التفتت اليها فقالت: "ولِمَ تبكين يا اياريّا، فان الشهيدة إن حسن لها ان تذهب فتنطلق وإلا فلا".

وعندما فرغ الاساقفة من الصلوة وقال كل احد آمين ختماً لها، دنوا من الصندوق الذي فيهِ ذخائر فبرونيا لياخذوهُ، واذا بالسماء رعدت شديداً حتى إنّ جميع الحضار خرّوا على وجوههم خائفين ثم بعد برهة مدوا عليهِ ايديهم ثانيةً واذا بالارض قد تزلزلت شديداً حتى انهم خُيل لهم ان الدير يسقط حالاً، فعرف الاساقفة والذين بصحبتهم ان القدّيسة غير راضية ان تُخرَج من ديرها، فحزنوا واغتموا وقالوا للرئيسة: "من حيث ان الشهيدة ليست براضية أن تترك مكانها فأعطينا اقلما ما يكون عضواً من اعضائها المقطعة فنأخذهُ ونذهب" فأخذت برونة المفتاح وفتحت الصندوق واذا ببروق نارية تنبعث من جسد فبرونيا وهو يضارع شعاع الشمس، فبخوف عظيم مدت برونة يدها فقبضت على يد القدّيسة

مريدةً أن تاخذها فتُعطيها الاسقف، واذا بها قد مُسكت ولم تستطع اخراجها، فبكت برونة قائلةً : "اطلب اليكِ يا سيّدتي فبرونيا ألا تغضبي على امكِ، بل ان تذكري عناءَها فيكِ فلا تُخزيها في شيخوختها" فلما قالت هذا امكنها ان تُخرج يدها، ثم مدّت يدها ثانيةً وهي تقول: "أعطينا بركةً يا سيدة ولا تُحزنينا" قالت هذا وتناولت سناً من اسنانها التي كانت موضوعة على صدرها فسلمتهُ للاسقف وقفلت الصندوق.

واما السنّ فقبلهُ الآباء بكمال الفرح والسرور فوضعوهُ في إناء ذهب وعادوا الى المدينة مرتلين تراتيل الفرح، وكل من وُجِد حينئذٍ في الكنيسة من العمي والعرج والمجانين نالوا الشفاء فشاع الخبر في كل المدينة، فأتوا بكل السقماء المصابين بامراضٍ واوجاع مختلفة فشُفوا قاطبةً ثم إنهم وضعوا الدرّة النفيسة في مكان لائق في الكنيسة، وكان ذلك في الخامس والعشرين، اما برونة فعاشت سنتين بعد بنيان الهيكل ورقدت بالرب.

وتقول كاتبة هذه السيرة: "انا تومايس الفقيرة بعد وفاة سيّدتي برونة خلفتها في مكانها، واذ انني كنتُ عارفة جيداً بما جرى لسيدتي فبرونيا واخبرني بالباقي سيدي لوسيماكس كتبتُ هذه السيرة اكراماً لها وتشجيعاً للسامعين حتى يستيقظوا من هجعتهم فيخافوا الله ويتقوهُ فيستحقوا الدخول في ملكوت السماء ويسبحوا معها ربنا يسوع المسيح الذي لهُ المجد والقدرة الى ابد الآبدين آمين".



الشهداء الذين قُتلوا في زمان شابور الملك

انّ شابور بن هرمز ملك الفرس الملقّب بذي الاكتاف لم يفتر حتى موتهِ من اضطهاد النصارى الذين في مملكتهِ، وقتل منهم افواجاً افواجاً في كلّ مكان من كل صنفٍ بالتعذيبات المهولة المختلفة وملك سبعين سنة، اي منذ سنة ٣١٠ الى سنة ٣٨٠، واثار في مدّة ملكهِ اربعة اضطهادات قاسية مريعة: الاوّل في السنة التاسعة من ملكهِ، والثاني في السنة الثامنة عشرة، والثالث في الثلاثين، والرابع في الحادية والثلاثين، وكان هذا الاخير الأطول والاقسى ودام أربعين سنة اي الى موت شابور، ولهذا يُدعى الاضطهاد الاربعينيّ.



✝ الشهداء الذين قُتلوا في زمان شابور قبل ✝ الاضطهاد الاربعيني

١- أستشهاد سلطان ماهدوخت واخويها اذرفروا و ميهر نرسا

(٣١٩- ١٢ كانون الثاني)

في سنة ٣١٣، وهي السنة التاسعة لملك شابور، ابرز هذا امراً عاماً بقتل النصارى إن لم يرتدوا عن إيمانهم وكان في ذلك الزمان في ارض درساس مُلَيك اسمهُ بولار، وكان من نسل اريوخ الملك الذي كان بصحبة كردلعمار الذي ذهب لمقاتلة ملك سدوم وعامورة في زمان ابراهيم الخليل وكان لهُ ابنان وابنة ذوو جمال لا يوصف، وكان منشأهم في نعمة كاملة، وكان ابوهم محتفظاً بهم اشدّ الاحتفاظ، فاهتمّ في تأديبهم فاتقنوا العلوم وحذقوا بها، ولا سيمّا بعلم المجوس فلمّا امر شابور بقتل النصارى كان بولار يقبض على الذين في ارضهِ ويسوقهم الى كرخ سلوخ (وهي كركوك) قدّام مؤتمن الملك لكي يُذبَحوا هناك لأجل ايمانهم بالمسيح واذ أنّهُ كان يريد ويحب ان يطير صيت اولادهِ الى عند الملك شابور بواسطة مؤتمنهِ، أتاهُ بهم في مدينة كرخ سلوخ، فسألهم المؤتمن وحاورهم فعجب بهم ووعد والدهم أن يُخبر عنهم الملك العظيم.

فلمّا رجع الاولاد الى ارضهم وصاروا بقرب قرية اسمها احوان أخذوا يطردون على خيلهم، فوقع الصغير منهم وكان اسمهُ ميهر نرسا فانكسرت فخذهُ وكادت ساقهُ تنفصل عن جسمهِ، فسقط مغمياً عليهِ فمزق اخوهُ اذرفروا واختهُ سلطان ماهدوخت ثيابهما وجعلا يولولان عليهِ ويبكيان، واتيا بهِ وهو كالميت الى قرية احوان وهما قد يئسا من حياتهِ فاضطربت كل القرية وشرع الجميع يعولون ويبكون على ابن ملكهم الذي كان أشرف على الموت فاتفق أنهُ في غضون ذلك،

وصل الى تلك القرية مار عبدا القديس أسقف خربة جلال، الذي أتى ليتفقد احوال النصارى الذين في ابرشيتهِ، فبلغهُ ما جرى، فرق قلبهُ على ابن الملك وتحنن عليهِ، وذهب حالاً حيث كان ميهر نرسا ولما وصل رأى الجميع مضطربين حزينين باكين فجثا على ركبتَيهِ وصلى، ثم لما فرغ من صلاتهِ قام فدنا من ابن الملك الذي كان كالميّت وسم على ساقهِ علامة الصليب قائلاً بصوت عالٍ: "باسم ربنا يسوع المسيح ابن الله الحيّ الذي يجدّف عليهِ الاثمة ويضطهدونهُ في اشخاص المؤمنين به، لك اقول يا أيها الولد قم فامشِ" وللحال فتح عينَيه وجلس لا علة فيهِ ابداً، ففرح الجميع متهللين منذهلين وجعلوا يحمدون ويسبحّون الله عزّ وجلّ الذي صنع هذه الآية على يد خادمهِ عبدا راداً عزيزهم الى الحيوة.

امّا الفتى فلمّا تفرّس بالذين حولهُ ووقع بصرهُ الى القدّيس عبدا، أسرع فخرّ لهُ ساجداً وقال لهُ متضرعاً: "يا مولاي كاهن المسيح الملك العظيم ترحّم عليَّ أنا الخاطئ ولا ترد وجهك عنيّ إنّك لقد أُعطيتَ ما طلبتهُ من سيّدك، فتلمذني وعمّذني وقرّبني الى مولاك كما أُمرتَ إن سيّدك سيدي والهك الهي، وأنا ليس لي ملك سوى الذي قيل لي عنهُ: ان جميع الذين يتكلون عليهِ لا يخزون ابداً فما يوجد آله سوى الذي خلق السماء والارض وكل ما فيهما بمجرد ارادتهِ الإلهية، كفرتُ بالشيطان وبتعاليمهِ النجسة التي تُلقي المتمسكين بها في نار جهنم" ثم اخذ يتلو على مسامع الجميع ما عاينهُ وشاهدهُ إذ كان ملقىً على الارض مغشياً عليه فقال: "إنّي رأيتُ ذاتي في السماء، فشاهدتُ واحداً جالساً على كرسي يتلألأ بانوار ساطعة باهرة لا مثيل لها على الارض، ويُحيط بالكرسي جم غفير من العساكر السماويّة، يسبحون الجالس على الكرسي ويعظمونهُ، وشاهدتُ ايضاً آخرين قائمين امام الجالس على الكرسي وهم متجلببون بانوار ساطعة وعلى رؤوسهم اكاليل الظفر والانتصار، ثم نظرتُ واذا برجلين جميلي المنظر واحد منهما متمسك بي من شمالي والآخر من يميني، فالتفتُ اليهما وسألتهما مذعوراً من هذا الجالس على الكرسي؟ ومن هم الواقفون امامهُ؟ ومن هم هولاء الذين

يوقرونهُ بخوفٍ عظيم؟ فقالا لي: "هذا هو الرب المسيح الجبار القهار، هذا هو الملك العظيم الموقر الذي لايُخزي المتوكلين عليهِ، وانّ المحتاطين بكرسيّهِ هم اجواق الارواح السماويّة التي خلقها سبحانهُ من العدم، والواقفين امامهُ هم النصارى المعمَّذون المقتولون من اجلهِ" قالا لي هذا وذهبا بي الى موضع آخر ممتلئ ظلاماً وعذاباً لا يوصف وناراً شديدة تعذب الكفرة والخطأة فارتجفتُ من هول هذا المنظر الشنيع، ثمّ رجعا بي الى امام كرسي الملك العظيم، فبينما أنا متفرس بهذا كلهِ، إذ بصرتُ بهذا الاسقف القديس قد دخل فاخترق الصفوف حتى جاءَ وخرّ ساجداً امام يسوع المسيح ملك السماء والارض وتضرّع اليهِ ان يهبهُ روحي، فدنا منهُ ملاكان وتمسكا بهِ واقاماهُ واتيا بي اليهِ وسلماني اليهِ قائلَين: "ها إنّ طلبتك قد أستُجيبت، فاذهب وتلمذْ وعمّدْ وقرّب الى سيّدك" وكان ميهر نرسا يقصّ عليهم هذا والدموع تهطل من عينَيهِ مدراراً، وكان الجميع متفرسين بهِ باندهال وتعجّب عظيم، ثم رفع عينَيهِ الى السماء وهتف قائلاً: "إنّي اشكرك يا يسوع الهي شكراً جزيلاً على هذا الاحسان العظيم الذي أسْدَيتَهُ اليَّ، لا تغلق يا ربّ باب مرحمتك بوجهي انا الخاطئ، إقبلني في منازلك القدسيّة ولا تطالبني بدم الشهداء القدّيسين الذي سفكهُ ابي، أطلع في آفاق قلبَي أخي وأختي شموس معرفتك حتى يعرفا ويؤمنا بالوهيّتك لأن لا إله إلا انت وحدك، اهلني يا سيدي الى المعموديّة المقدّسة كي لا أُحرَم الاختلاط في اجواق قدّيسيك في ملكوتك السماويّ".

فكان يقول هذا وهو منطرح على الارض ويبكي فنهض اخوهُ الكبير فأقامهُ وقال لهُ: "اكفف يا اخي عن البكاء وهلم بنا نعتنق جميعاً الديانة النصرانيّة مُقرّين بان المسيح الذي يعبدهُ النصارى هو الإله الحق وخالق ومدبّر العالم، ولعمري من ذا الذي يقدر أن يحيي ميتاً سوى الذي نفخ بهِ نسمة الحيوة وهو في احشاء امهِ، ومن ذا الذي يستطيع ان يقويّ اعضاء انحلت منفكةً سوى الذي خلقها وركبها فلا نتأخر ولا نتباطأ، بل هلموا نقتبل علامة المسيح على يد

خادمه هذا القدّيس الذي إنما لهذه الغاية قد ارسلهُ الله الينا" ولما سمعت سلطان ماهدوخت ما نطق به اخواها هتفت هي ايضاً قائلةً: "مبارك المسيح الذي جعلنا أن نرجو بهِ نحن الذين لم يكن لنا رجاء بهِ البتة، مبارك المسيح الذي في انكسار فخذ اخي اصطادنا الى الحيوة الابديّة" ثم التفتت الى مار عبدا وقالت لهُ: "وانتَ يا خادم السيح الذي ارسلهُ ربّهُ لخلاص انفسنا لِمَ تُهمل امرنا؟ ان الله سبحانهُ يريد بواسطتك أن يقود انفسنا من تيهِ الاضاليل الى مناهج طاعته فانتَ الذي ابرأتَ الجسد الذي تكسر استعجلْ فاجعل البعثَ لأنفسنا المائتة في الخطيّة عن الله، فانها مع كونها اثمن وافضل من اجسادنا مدنَّسة بالاثم والكفر وبعيدة عن الله خالقها" فلما سمع مار عبدا اقوالهم فاض قلبهُ فرحاً وتعزية ففتح فاهُ وقال: "إفرحوا يا اعزتي بالرب الإله، فها إنّهُ تعالى قد كتب اسماءكم في سفر الحيوة جاعلاً اياكم وارثي ملكوتهِ فالله الآب مسرور بكم والابن محبكم والروح القدس مقدّسكم إن باب الخدر السماوي مفتوح لكم، فادخلوهُ فيخيم البهاء على صورتكم وتُقدَح الانوار من اسارير وجناتكم، فهلموا توشَحوا بالاردية النورانيّة إن اكاليل الظفر والانتصار المقتناة بالسيف والعذابات معدة لكم، فلا تفشلوا في الجهاد الذي بهِ تنالون كلّ الخيرات" فلما قال هذا امر كهنة القرية وشمامستها أن يُعدوا كل ما يقتضي للمعموديّة، فعمذهم وناولهم جسد ودمّ ربنا يسوع المسيح.

ولما صعدوا من الماء وتناولوا القربان المقدّس وجعل النصارى يُقبلون اليهم زرافاتٍ انتجاعاً للبركة بمسّ ثيابهم، اذ خطفهم الرب فلم يعد الحضّار يعاينوهم بعد، لأن روح الرب خطفتهم الى كهف صغير كان موجوداً في وادٍ كان بقرب تلك القرية، وكان بقرب الكهف ركيّة فيها قليل من الماء فلما وجدوا أنفسهم في ذلك الكهف الحقير فرحوا فرحاً عظيماً وجعلوا يقولون بعضهم لبعض: "إذا اراد الرب فبقينا في قيد الحيوة فنتبوأ في الراحة والسرور هذا الكهف الذي حضرتهُ لنا العناية الآلهية، وان كان آن انتقالنا من هذه الحيوة الشقيّة الى الحيوة الحقيقية

قريباً فيُصبح هذا الكهف سترةً لاجسادنا" فاستمرّوا في ذلك الكهف ثلاث سنين عاملين عمل آخرتهم بعيشة قشفيّة قامعين اجسادهم وكاسرين قوّة ابليس بشدّة الصوم وطول الصلوة.

امّا الذين كانوا قد رافقوهم من اقاربهم وأهل قريتهم فمكثوا في قرية أحوان عشرة أيام وهم يتوقّعون رجوعهم، ولما يئسوا وحبطت آمالهم ذهبوا فاخبروا بولار الملك بكل ما جرى فشقّ ذلك عليهِ واستحوذ عليهِ غم عظيم وكدر جسيم فكتب لشابور الملك يخبرهُ بفقد اولادهِ، فرد لهُ الجواب آمراً اياهُ ان يفتش عليهم بهمّة واجتهاد، فاذا ما وجدهم يعلمهُ بذلك فأرسل بولار الملك من يفتش على اولادهِ في كل قطر ومصر، فطافوا البلدان والجبال لا اقل من ستة أشهر غير تاركين موضعاً الا وفتّشوا فيهِ، فلم يجدوا لهم اثراً، فرجعوا حزينين كئيبين الى مولاهم، واخبروهُ بذلك فيئس من وجدان اولادهِ.

اما سلطان ماهدوخت واخواها فلم يزالوا عائشين في ذلك الكهف الضيق براحة هنيئة فترى اي لجام كبح تلك المحبّة التي كانت لهم للرغد واللذات جاعلاً اياهم ان يكابدوا صابرين مشقات ذلك الحبس الطويل، وكيف قدروا ان يستقروا في ذلك المكان الحَرِج هم الذين كانوا يسكنون قصر ابيهم الفسيح الفاخر العظيم، افما بليت ثيابهم، اما اضجرهم حر الصيف المُذيب، اوَ ما آذاهم قر الشتاء الشديد، أفما خطرت لذهنهم الملذّات والمآكل التي كانوا قد تمتّعوا بها في دار ابيهم؟ إن النعمة التي كانت قد ربّت يوحنا المعمذان وهو في البراري ربّت ايضاً هؤلاء القديسين، فأقاتتهم وحفظتهم، فاستغنوا عن كلّ شيء، وكانوا يسبّحون ليلاً ونهاراً الثالوث القدّوس الذي سكب عليهم سوابغ النعم والبركات، إذ جعلهم اولاداً لهُ يتجشمون فرحين مسرورين جميع تلك المشقّات الصعبة حباً بيسوع المسيح الذي مات لأجلهم على خشبة العار والاهانة وان الرب لهُ المجد أهلهم ان يعلموا بالمستقبل فذات يوم إذ كانوا يخاطبون بعضهم بعضاً عنهُ تعالى هتفَ غفلة ادرفروا وقال: "إنّي أرى مار عبدا الاسقف قد هيّأ كل شيء وهو مزمع أن يأتينا

بموجب امر الملاك لهُ لينا ولنا جسد ودم مخلصنا يسوع المسيح" فقاموا حالاً وشرعوا يصلون بتخشّع عظيم واستمروا مُصلين الى ان وصل عندهم مار عبدا القدّيس مع شماسٍ كان يقال له ادى، فاستبشروا بهِ فرحين مسرورين، فناولهم الاسرار الإلهية وشجعهم وقال لهم: "تقوّوا يا اولادي وارفعوا رؤوسكم، لأن قد حان زمان خلاصكم، وتضرّعوا الى الله مبتهلين اليه في شان ابيكم الشيخ لكي يتحنّن عليهِ برحمتهِ الإلهية" فقال لهُ ميهر نرسا: "لا بل انت يا ابانا صلِّ لاجلنا، فانّك عتيد ان تسافر قبلنا الى السمآء بثلاثة أيام" وقالت ايضاً سلطان ماهدوخت: "باركنا ايّها الاب القدّيس وصلّ لاجلنا، لانّهُ بعد مرور سبعة أيام يلحقنا اعداؤنا وفي اليوم الخامس عشر نتكلل باكليل الاستشهاد" فعجب منهم القدّيس منذهلاً، ورحّب بهم وعانقهم وقبّلهم ثم استودعهم النعمة الإلهية وانصرف من عندهم.

فلما كان اليوم السابع من زيارة مار عبدا لهم اتفق أن حصان ابيهم بولار أفلت فذهب راكضاً الى الموضع الساكنون هم فيهِ ووقف هناك، فلما شاهدوهُ علموا انهُ حصان ابيهم، فانتصبوا قائمين ليروا هل من احد يتبعهُ، فوقع بصرهم على شابَّين من اهل دارهم راكبَين على فرسَين جادَّين في اثر الحصان، فخرّوا على وجوههم مصلّين، فلمّا وصل الشابان الى المغارة تطلعا فرأيا القدّيسين خارّين على وجوههم، فأخذهما الفرَق والرعبة واستمرّا ساعةً متحيّرَين غير مستطيعَين لا التكلم معهم ولا الانصراف من عندهم غير انّ القدّيسين لدى فراغهم من الصلوة انتصبوا قائمين واخذوا يخاطبونهما فقالوا لهما: "السلام عليكما، ما لنا نراكما قائمَين هنا متحيرَين؟" فحالما عايناهم عرفا انهم أولاد مولاهما الملك، فاخذتهما الدهشة فانطرحا على وجهيَهما لكن القدّيسين قالوا لهم: "إذهبا فقولا للملك: انّنا قد راينا الذين انت سعيت بهم زماناً طويلاً دون ان تقف على اثرهم" فطلب اليهم الشابّان قائلَين: "إن اردتم فهلموا اركبوا الفرسان فنذهب الى أبيكم" فقالوا لهما: "كلا بل انتما اذهبا واخبراَ الملك بامرنا" فارادا الرجوع حالاً الى مولاهما ليبشراهُ

بوجدان اولاده، غير انّ واحداً منهما قال لصاحبه: "ليس من الراي أن نذهب كلانا، بل ليبقَ واحد منا هنا لئلا ينهزموا فيقتلنا ابوهم" فبقي واحد منهما بقرب الكهف متخفياً.

اما الاخوة القدّيسون فقضوا ذلك الليل بالصلوة والتامل، فامتلأ الجبل الكائن فيه الكهف الساكنون هم فيه نوراً سماوياً ورأى الشاب المذكور ملاكَين متوشّحَين بأنوار ساطعة سماويّة نزلا من السماء فاتيا ودخلا المغارة التي فيها الاخوة الثلاثة، فاخذا يشجعانهم وقالا لهم: "تقووا ولا تخافوا لانهُ قد أُعطي لكم لمحاربة اعدائكم قوة لا يقدر احد على كسرها وسلاح قاطع لا يستطيع احد أخذَهُ منكم، فتغلبون وتنتصرون، وها إن المسيح إلهكم ينتظركم في السماء" فلما عاين الشاب هذه الرؤية المهولة حاول الاقتراب من المغارة وهو يقول في نفسه: "إن هؤلاء قد تأدبوا في سحر النصارى، وحذقوا فيه، ولاجل هذا يُظهرون اشباحاً كهذه، فلادنونّ واشاهدنّ حقيقة الامر" وللحال أُطلقت عليه شرارة من النار احرقت جسمهُ تاديباً لهُ كي يعلم أن ما رآهُ ليس شبحاً كما ظن بل واقعة حقيقية لا ريب فيها، فانهزم خائفاً" امّا رفيقهُ فلحق بالملك فبشرهُ انهُ وجد اولادهُ في موضع كذا، فتهلل قلبهُ فرحاً وارسل معهُ ثلاثين فارساً لكي ياتوهُ سريعاً باولاده اما هو فكتب واخبر الملك شابور بوجدان اولاده وكان الملك قد بلغهُ عن جمال سلطان ماهدوخت، فكتب لبولار يامرهُ بان يرسل لهُ ابنتهُ لكي تكون لهُ امرأة، وبعث لذلك واحداً من خاصته اما الذين أُرسلوا الى القدّيسين فكانوا يُعدون فرسانهم بشدّة لياتوا بهم سريعاً الى ابيهم، والتقوا في الطريق بالشابّ الذي كان مكث عند المغارة، فقال لهم ان يُمسكوا عن الانطلاق اليهم، لانهم لا يستطيعون الى الدنو منهم سبيلاً وقصَّ عليهم الواقعة، لكنهم لم يبالوا بقوله، ولما بلغوا الكهف لم يعاينوا شيئاً مما ذكر لهم الشاب المنهزم، فارادوا الدخول غير انهم لم يطيقوا، فان الله تعالى ضربهم بالغشاوة فلم يبصروا بمدخل المغارة فكانوا يسمعون اصوات القدّيسين يسبحون الله وهم لا يقدرون على

الدخول عليهم، فقالوا: "نمكث هنا حتى الصباح فنفوز بمدخل الكهف فندخله ونمسكهم" فلما اصبحت وانارت الشمس وجه الارض عادوا وبذلوا وسعهم لوجدان المدخل، لكنّهم اخفقوا ولما بلغ منهم الجهد كلّ المبلغ ولم يستطيعوا الى الدخول سبيلاً، رجعوا الى مولاهم ليخبروهُ بكل ما جرى.

اما بولار فلما اصبح واستبطأ رجوع الرسل الذين ارسلهم، اضطرب وتلاطمت به امواج الجزع والحيرة فقام وركب قاصداً المغارة التي فيها اولاده، فصادف رسلهُ راجعين وليس معهم احد، فتوهّج غضباً وقال لهم وعيناهُ تتّقدان غيظاً: "اين هم الاولاد، ولماذا ما اتيتم بهم" فقصّوا عليهِ القصّة على جليّتها فامرهم بالعود معهُ، ولما بلغوا قرب المغارة إذ وقفت الخيل مكانها من دون ان تتحرّك يميناً ولا شمالاً، فشرعوا يضربونها بشدّة لكن اتعابهم ذهبت ادراج الرياح، فاضطروا ان ينزلوا ارادةَ ان يذهبوا الى الكهف ماشين، لكن تلك القوّة التي منعت فرسانهم من المشي صدتهم هم ايضاً عن ذلك، فخافوا خوفاً عظيماً واحتاروا في أمرهم اما القدّيسون فبعدما صلوا برهةً من الزمان انتصبوا قائمين، فأخرجوا رؤوسهم من المغارة متطلعين الى والدهم، وكانوا اشدّ حُسناً من كواكب السماء فلما شاهدهم ابوهم رفع صوتهُ وبكى بكاءً مراً وقال لهم: "أما تأتون يا بَنيّ الى والدكم البائس؟ ألستُ أنا والدكم؟ أوَما ربّيتكم في نعمة كاملة؟ أما هذبتكم في العلم والآداب؟ أما عرّفتُ امركم لشابور الملك لتكونوا لديه مكرّمين؟ فلمَ اخطأتم اليّ يا اعزّتي؟ لماذا جعلتم صنيعي بكم باطلاً؟ علىمَ جعلتموني انا والدكم مثلاً واضحوكةً وسخريّة في جميع مملكة فارس؟" فقال لهُ اولادهُ ببشاشة: "إن لنا اباً افضل منك وهو في السماء، فهو قال لنا من لايترك اباً او اماً فيتبعني فلا يستحقني واما الآداب التي هذبتَنا فيها لمُضرة بحياتنا الحقيقية، وإننا لا نزال نصلي متضرعين الى الله سبحانهُ ان يمحو ذكرها من عقولنا، واما ما ذكرتَ من امر شابور الملك وكرامته، فنحن لنا ملك أشدّ سطوةً وبأساً واقوى سلطاناً منهُ، فإيّاهُ نعبد ولهُ نسجد إذ إنهُ وحدهُ فقط قادر ان يرفعنا من المنزلة الوضيعة الى

المنزلة الرفيعة ويُزيد في كرامتنا، امّا انت فاذهب الآن الى قصرك منتظراً قدوم رسول شابور الملك، فانهُ ما حان بعد زمان استشهادنا" فانتظر بولار الملك الى المساء وبلغ منهُ كل الجهد لكي يدنو من المغارة فيدخلها ويقبض على اولاده فلم يقدر، فكثيرون من الذين كانوا معهُ لما عاينوا هذا استناروا بنور الايمان المهدي الى الصواب واعتمذوا اما بولار فعند مشاهدته انهُ لا يستطيع الى الدنو من الكهف سبيلاً، التمس كثيراً الى اولاده متضرعاً اليهم أن يأذنوا لهُ بالاقتراب منهم فلم يجيبوا الى سواله هذا، فكر راجعاً الى منزله وهو يشق ثيابهُ ويولول باكياً بكاءً مرّاً.

هذا وان خبر القدّيسين شاع في كل البلد، فكان الناس ياتونهم افواجاً افواجاً بالمرضى فيشفون وبالعمي فيبصرون وبالعرج فيمشون وبالبرص فيطهّرون وغير المؤمنين فيتنصّرون وقصارى القول ان ذلك المكان صار كينبوع تجري منهُ جميع الخيرات والبركات السماويّة فياتي الناس بازدحام فيستقون ماء الشفاء الروحي والجسدي معاً.

فلما كان في اليوم السادس من زيارة ابيهم لهم، اتى رسول شابور الملك ومعهُ سبعة من الضبّاط ورسالة من جلالة ملكهُ لبولار بها يامرهُ أن يُرسل لهُ ابنتهُ لتكون لهُ امرأة فلما قرأ بولار رسالة شابور الملك، اخذت العبرات تجري منسجمة، فسألوهُ عن السبب، فلم يَفُه بكلمة فقالوا لهُ: "إنما أتينا لنذهب ببنتك الى الملك العظيم" فتأوَّه بولار وقال: "وا اسفاه ! من أين لي بنت أُعطيها ايّاهُ" واخبرهم بكل ما جرى وحدث، فانذهلوا بما سمعوا وقالوا لهُ: "هلم بنا نذهب اليهم فنراهم ونسمعهم" فانطلقوا جميعاً وعاينوا حوالى المغارة جماً غفيراً من الناس، فسألهم رسول الملك قائلاً: "لمَ أنتم هنا وماذا تطلبون" فقالوا: "انّما اتينا الى القدّيسين ابتغاء الشفاء من امراضنا" فاخترقوا الصفوف حتى وصلوا الى مدخل المغارة، فشاهدوا القدّيسين وهم يصلون واياديهم ممدودة نحو السماء، فقالوا لهم: "ان شابور ملك الملوك يُهدي لكم اوفر السلام واجزلهُ" امّا هم

فامتنعوا عن الكلام وسكتوا عن السلام فاغتاظ الرسول غيظاً شديداً وقال مغضباً: "أو بلغ من مقامكم ان لا تردّوا السلام لجلالة شابور ملك الملوك؟" فمكثوا صامتين لا ينطقون ببنت شفة فتمزّق الرسول من الغيظ فأخذ حجراً ورمى بهِ القدّيسين، لكن الحجر عاد عليه فاصاب جبهتهُ فشدخها، فهتف الحضّار مسبحّين الله.

فلما عاين الرسول وكان اسمهُ كوشتازد ما في القدّيسين من القوّة الإلهية ضمّد جبهتهُ وسكت واما القدّيسون فلما فرغوا من الصلوة دعوهُ باسمه قائلين: "كوشتازد كوشتازد!" فتعجب كيف انّهم يعلمون باسمه وهم لم يشاهدوهُ ابداً فجاوبهم: "هأنذا!" فقال لهُ الاخوة القديسون: "نسألك عن كلمة واحدة، قُل لنا ايّ اعظم أألله ام الانسان؟" قال: "لا ريب انّ الله اعظم من الانسان" قالوا: "إن كان الامر كذلك لِمَ يا تُرى غضبتَ علينا إذ امتنعنا عن محاورتك ابتغاء ألا نُضرب عن مخاطبة الله عزّ وجلّ؟ أفكنا احق ان نُمسك عن مخاطبة الله تعالى لنرد السلام لملكك الذي هو إنسان نظيرنا؟" اما كوشتازد فلم يرد لهم الجواب عن هذا الامر، بل طلب اليهم ان يوعزوا الى الحضّار ان يتنحوا ناحيةً، فلم يبقَ حول المغارة سوى بولار ورسول شابور الملك والذين معهُ فقال لهم كوشتازد: "انتم خبيرون بقوّة شابور الملك وسطوته وبالاذيّات والمشقات التي قاساها منهُ النصارى وهم مكابدوها لحدّ الآن، وحيث إنّهُ بلغهُ خبر حسن اخلاقكم وآدابكم وحذاقتكم في علم المجوس اراد ان يقرّبكم اليه، ويُكرمكم ويتخّذ أختكم قرينةً لهُ؟ وإنما من اجلها قد ارسلني الملك لكي انطلق بها اليه باكرام ووقار لكن يجب عليكم ان تخرجوا من وهدة ضلالة النصارى، فتدينوا بدين المجوس فإن صنعتم هذا فكل شيءٍ مبذول لكم من قبل الملك، فماذا تقولون؟".

قال اذرفروا: "كل منا عن نفسه يجاوب، فاقول إذاً إن ملكي وسيّدي والهي هو يسوع المسيح، وإني من الآن قد فزتُ بعربون المواهب والعطايا الجليلة السامية المزمع ان يمن هو بها عليَّ في العالم العتيد والتي لا يقدر ملكك شابور مع كل

مجده ان يبلغ الى اصغر هبوة منها، ثم اعلمنّ يقيناً اني لمزمع ان اموت حباً بالضلالة التي قلتَ عنها، وها إن أخي وأختي فليجاوبا هما عن نفسيهما" فقال ميهر نرسا: "إنّني انا ايضاً نصرانيّ وعبد المسيح وخادمهُ ولا ازال اسجد لهُ تعالى في كل حينٍ واوان، فليس لي سواهُ ملك وسيّد وإله ابداً واصلاً واعلمْ يا كوشتازد انك انت ايضاً عتيد ان تكفر بالشمس والقمر والنار فتُقر بالوهيّة المسيح" ثم ان سلطان ماهدوخت ايضاً قالت: "إن فضل النساء لفي الحلم والتواضع والسكوت وذلك في كل اوان وفي كل امر ولا سيما بمحضر الافاضيل غير انهُ في اوامر الديانة الكلام افضل من السكوت، والجراءَة وعدم الحياء اولى من الحياء المولد الخطايا وانّي تفكّرتُ ان مجاوبة أخويّ اياكم يؤول منها الى معرفة رأيي، ومن حيث انّ رأي اخويّ هو مجاوبة كل واحد منا عن نفسهِ، فانا اولى بهذا الامر، لأنّكم إنما من اجلي قد اتيتم هنا وتريدون معرفة رأيي في الذهاب معكم الى شابور ملككم فاقول اذاً: انكم تشيرون عليَّ ان اترك النور فانطلق الى الظلام، وانتقل من العذوبة الى المرارة ومن الصلاح الى الشر ومن الحيوة الى الموت ومن رائحة المسيح الهنية الى رائحة شابور الكريهة ومن عريس سماوي ممجد الى عريس ارضي ذليل في حياتهِ تدب فيهِ الدبيب وفي القبر تأكلهُ الدود والسوس وقصارى القول: إنكم تريدون مني ان انزل من السماء الى الارض واترك الله فانقاد الى الانسان، فحاشاي ان اصنع هذا الصنيع، فإني مسيحيّة، فاكفر بشابور وبآلهته، وانتَ يا كوشتازد اعلمن ان رأسك سيُقطع بالسيف بأمر شابور الملك لإقرارك بالمسيح فطوبى لك فانك ستتمتع في ملكوت السماء فقد سمعتم اقراري، فاكتبوا لشابور الملك وأخبروهُ بما شاهدتم وسمعتم، ولا قدرة لكم أن تغصبونا فتُخرجونا من هذا المسكن الذي وهبهُ لنا ربّنا يسوع بنعمتهِ الإلهية".

فكتبوا حالاً لشابور الملك واخبروهُ بكلّ ما جرى وحدث فلما قرأ شابور المكتوب غضب غضباً شديداً وكتب لبولار ابيهم ولكوشتازد رسالةً بها يقول: "كيف انكما سمعتما بآذانكما اولئك الاشرار السحرة يجدفون عليَّ وعلى دیانتي

ولم تقتلوهم شر قتلة؟ فبوصول هذا الامر اليكما اقتلوهم مكانهم وأحرقوا اجسادهم في النار، والذي نصرهم امسكوهُ واصلبوهُ" فحالما قرأ الرسالة ارسلا بعضاً من الجنود ليقبضوا على مار عبدا الاسقف ويصلبوهُ، غير انهم عاينوهُ ميتاً وهو يُدفَن باكرامٍ ووقار فرجعوا متجلببين بجلباب الخزي والخيبة فلدى عودتهم دعاهم القدّيسون وقالوا لهم: "لماذا لم تأتوا بعبدا الاسقف فتصلبوهُ كما كتب لكم مولاكم؟" فتعجبوا منذهلين كيف انهم عرفوا ما كان مخفياً عنهم، فجاوبوهم قائلين: "من حيث انكم تعرفون ما كتبهُ مولانا لنا فتعلمون ايضاً السبب الذي من اجله لم نأتِ بالاسقف" وان كوشتازد كان يتعجّب مما يعاينهُ من القوة السماوية في الاخوة الاطهار، فثبتت عندهُ حقيقة الديانة النصرانيّة فاحبها وآثرها على المجوسيّة، فأتى ليلاً الى القدّيسين وقال لهم: "إنني لقد اعتقدتُ ان المسيح إله حقيقي يريد خلاص جميع الناس، فاريد ان اكون خادمهُ وعبدهُ، فتضرعوا اليه تعالى في شاني كيما يترحم عليَّ فينقذني من يد الشيطان" ففرحوا به فرحاً شديداً فعانقوهُ وقبّلوهُ كأخ عزيز لهم وقالوا لهُ: "إنك تنطلق الى مار شمعون برصبّاعي رئيس اساقفة المشرق، فيجلببك هو بجلباب المعموديّة المقدّسة وتنال اكليل الاستشهاد قبلهُ بيوم، فصلّ انتَ لاجلنا ولا تؤَخر استشهادنا والتمس الى ابينا لكي يُمضي فينا امر شابور الملك" ثم أن كوشتازد بعد ان عانقهم وقبّلهم انصرف فنام مكانهُ.

فلما كان من الغد وهو اليوم الخامس عشر لوجدانهم قال كوشتازد لبولار: "امضِ في اولادك امر شابور فنقوم ونذهب في حال سبيلنا، إذ إننا مكثنا هنا زماناً طويلاً ولم نأت بفائدة ما" وإذ كان كل احد يمتنع عن قتلهم خوفاً على حياته، نهض الاخوة القدّيسون فوقفوا على مدخل المغارة وقالوا: "تعالوا فحررونا من سجن هذه الحيوة التعيسة لننطلق الى الحيوة الابديّة المغبوطة، لأن قد حان زمان انتقالنا الى المسيح ملكنا العظيم الجليل" وكان هناك جمٌّ وافر من النصارى، فلما سمعوا اصوات القدّيسين تشهقوا قاطبة بالبكاء، وكذلك ابوهم

بولار اخذ يمزّق ثيابهُ والقى التراب على رأسهِ، وجرت من عينيهِ وأعين جنده العبرات كالسيول ثم اوعز الى أحد الخيّالة أن يأخذ رؤوس اولادهُ بالسيف، فانتضى سيفهُ وتقدّم اليهم مرتجفاً مرتعداً أمّا القدّيسون فكانت افواههم ممتلئة ضحكاً والسنتهم ترنيماً، فطلبوا الى قاتليهم قائلين: "أمهلونا قليلاً ريثما نصلّي" وكان الحضّار قد اسرعوا الى المغارة باكين ومولولين ومتمنّين أن يُقتَلوا مع القدّيسين، فسكتوا قاطبةً صامتين اتمّ الصمت إصغاء لمقالة الشهداء فرفعوا اعينهم الى السماء وبسطوا اياديهم وصلّوا بحرارة قائلين: "ايّها الربّ يسوع المسيح انت الذي وهبت لنا حيوةً جديدةً غير فانية بإطعامك إيّانا جسدك الطاهر، وعُلّقتَ على خشبة العار على الجلجلة وخلصتَ جنسنا من انياب ضلالة الاوثان إذ قربتنا الى معرفة الثالوث المقدّس، ووعدت لنا عوض الارض المُنبتة شوكاً وقرطباً ملكوت السماء الممتلئ غبطةً وسعادةً فانت يا رب عظم شان بيعتك في كل الاقطار ناصراً إياها على جميع الذين يحاربونها، بارك يا سيّد هذا البلد الذي فيه نُذبَّح لاجل اسمك القدّوس، وكل من يذكرنا ويجعل لنا عيداً امامك في هذا الموضع بارك يا رب بنعمتك الإلهية دارهُ وحقلهُ مُبعداً عنهُ جميع الاضرار الداخلية والباطنية بارك يا رب بنعمتك هذا الجمع الناظر الى جهادنا واشفِ بمرحمتك جميع اسقامهِ وامراضهِ، وترحم ايضاً على قاتلينا ولا تجعل عليهم دمنا الزكيّ، فنمجّد ونوقّر ثالوثك القدّوس الى ابد الآبدين" فجاوب الحضّار: "آمين" ثم التفتوا الى الحضّار وكانت وجوههم تضارع شعلة نارٍ ملتهبة وهتفوا بصوت واحدٍ قائلين: "ليكن معنا السلام الذي تركهُ المسيح لكنيستهِ الآن والى ابد الآبدين آمين".

فدنا حالاً اذرفروا الاخ الكبير فحنى راسهُ امام السيّاف فضرب عنقهُ، فأخذ ميهر نرسا من دمهِ وجعل يغسّل بهِ وجههُ، فقُطع رأسهُ ايضاً، وكذلك أُحتُزّ ايضاً راس سلطان ماهدوخت ولما زال الاضطهاد عن النصارى جُعلت تلك المغارة كنيسة، فكانت تجري فيها على يد القدّيسين كرامات كثيرة.

وكان استشهادهم في الثاني عشر من كانون الثاني سنة ٣١٩.

يوجد الآن في قرية ارادن من اعمال صبّنا بقرب العمادية كنيسة مبنيّة على اسم القدّيسة سلطان ماهدوخت واخويها، ويوجد فيها قبر يقول عنهُ اهل القرية إنهُ حاوي ذخائر هولاء القدّيسين، وانّهم في كل سنة يعيّدون لهم عيداً ويزورون كنيستهم.



٢- جهاد مار يونان وبَركيشوع ورفقائهما
(٣٢٨- ٢٩ كانون الثاني)

في سنة ٣٢٨ للمسيح وهي سنة ١٨ لشابور الملك، اثار هذا اضطهاداً شديداً قاسياً على النصارى، فضُيق عليهم بجبايات ثقيلة وهُدمت الكنائس وأُحرقت الاديرة، فصار الولاة يجبرون النصارى على التمجس، وكان في تلك الاثناء في قرية اسمها بيثاسا اخوان شقيقان يُعرفان بفضلهما يقال لاحدهما يونان وللآخر بركيشوع فلما سمعا ما يُلِم باخوتهما النصارى من الاضطهادات والاذيات عجّلا في الذهاب حيث كان القاضي يجبرهم على ترك إيمانهم ولما وصلا الى القرية التي كان هو فيها دخلا الحبس، فشاهدا فيه كثيراً من اخوتهم يقرون بالديانة النصرانيّة كافرين بالمجوسيّة فاخذا يشجّعانهم مكلمَين اياهم عن الكتب المقدّسة، ويُزيدانهم غيرةً وثباتاً على ديانتهم حتى ان البعض منهم اصبحوا معترفين وآخرين فازوا باكليل الاستشهاد وكانوا تسعة وهذه اسماؤهم: زَبينا، ولاعازر، وماروث، ونرساي، وإيليا، ومَهري، وحبيب، وسابا، وشِمْبيتي.

ثمّ سُعي بعد ذلك بمار يونان ومار بركيشوع لدى القاضي أنهما هما اللذان منعا المقتولين من التمجّس، فاغتاظ القاضي غيظاً شديداً وامر باحضارهما، فلما مثلا بين يديه قال لهما: "إني استحلفكما بحظ ملك الملوك ان تقولا لي الحقّ غير ناكرَين، أما ترومان ان تكمّلا مشيئة ملك الملوك بسجودكما للشمس والنار والماء بموجب سنّة ملوك ارضنا؟" قالا لهُ: "أرعِنا السمع ايها القاضي فنقول لك إن الملك قد اختارك واقامك قاضياً في مملكتهِ لكي تقضي بالحقّ دون ان تكون مذنباً في أحكامك فليس من الواجب عليك ان تخاف هذا الملك الذي قلدك هذا السلطان وتهابهُ، بل خليق ان تخشى ذاك الذي من عليك بالعقل والحكمة والمعرفة لانهُ هو وحدهُ ملك الملوك وربّ الارباب وخالق السماء والارض، فهو

الذي يُزيل الازمنة ويُبطلها، وهو الذي يجود على الحكماء بالعقل والحكمة حتى يبحثوا عن الدعاوي عادلين ويتفحصوها مميّزين فيتسلطوا بذلك على غيرهم فنستحلفك ان تقول لنا: على طاعة ايّ ملك حقيق انت ان تضطرّ الناس؟ أعلى طاعة الملك الذي جعل هذه الاشياء وهو ربّ الارباب؟ ام على طاعة ملكٍ يموت ويضمحلّ ويُدفَن نظير آبائه؟" فلمّا سمع منهما عظماء المجوس انّ ملكهم مائت مثل سائر الناس، ساورتهم جيوش الغضب، فامروا بإحضار قضبان غير مخروطة اشواكها وحبسوا كلَّ واحد منهما على حدة لئَلا يسمع احدهما مقالة الآخر، فذهبوا ببركيشوع والقوه في السجن، فقالوا ليونان: "ماذا تختار؟ أتبخر ساجداً للنار والشمس والماء مكملاً اوامر الملك العظيم ام تدخل متوغلاً في بحر العذابات القاسية والاذيّات المهولة المرّة؟ ولا تظن انّك تنجو من ايادينا إن لم تسجد للشمس والنار فأشفق على نفسك ولا تركب الاهوال" قال مار يونان: "إنّي شفقةً على نفسي وعلى الحيوة التي اقتنيتها بيسوع المسيح والتي لا تزول ولا تضمحلّ لستُ اكفر ابداً باسم ربنا وإلهنا الذي هو رجاء النصارى ولا يخزى الذين يتوكلون عليه كما وعد وثبت مُقسماً وقائلاً: الحقّ اقول لكم ان كل من يُنكرني امام الناس فانكرهُ قدّام ابي الذي في السموات، ومن يقرّ بي قدّام الناس فاعترف به انا ايضاً امام ابي الذي في السماء وامام ملائكته لأنّ ابن الانسان مزمع ان ياتي على السحاب في مجد ابيه ومجد ملائكته القدّيسين فيجازي كلّ واحد بموجب اعماله فما أمرتم به أمضوهَ عاجلاً، ولا تظنّوا انّنا نمرق من إيماننا مدنّسين هيكل المسيح الذي أهلنا برحمته ان نكون مدبّرين في كنيسته وقال لنا انتم نور العالم وقال ايضاً انتم ملح الارض فاذا فسد الملح فبماذا يُملَّح؟ فإن خضعنا لاوامركم نأثم ليس فقط في دمنا بل في دم كل الرعيّة ايضاً[1]".

١- يبان من هذه الاقوال انّ هذين الاخوين كانا كاهنَين.

فتوهّج القاضي غضباً وامر فاوثقوا رجلَي القديس على شبه الدوابّ الرابضة، فشدوا يدَيه على ظهرهِ ووضعوا عوداً على حقوَيه، فاقعدوهُ مقعياً، وجعلوا يضربونهُ بقساوة شديدة بقضبان غير مخروطية أشواكها، فبانت اضلاعهُ ظاهرةً اما هو فما قال شيئاً بل كان يصلي ويقول: "إنّي اشكرك واحمدك يا إله ابينا ابراهيم الذي سبقت فاخرجتَهُ من هذه الارض واهلتنا ان نعرف نحن ايضاً ايماننا قليلاً من كثير، والآن أعطنا يا رب نعمتك الالهية حتى نصنع ونكمّل ما قالهُ الروح القدس في فم ابينا داود اقرب لك محرقاتٍ سماناً مع بخور وكباش، اقدم بقراً مع تيوس هلم فاسمعوا وأُخبركم يا جميع خَدَمة الله، فإليهِ ننظر وإياهُ ننتظر كما هو مكتوب واحدةً سألتُ من الربّ وإياها التمس" ثم رفع صوتهُ وقال: "كفرتُ بالملك الكافر وجميع محبّيهِ الذين هم خَدَمة الشيطان، كفرتُ بالشمس والقمر والكواكب والنار والماء، اعترفتُ بالآب والابن والروح القدس". فلما سمعوا هذا الكلام، امتلأُوا حنقاً عليهِ، فربطوا إحدى رجليهِ بحبل وسحبوهُ وألقوهُ بالجليد واستمر فيهِ كل الليل، اما هم فنهضوا وذهبوا فاكلوا وشربوا وناموا.

ولما كان الغد اتوا فجلسوا في المحكمة وامروا ان يُؤتى ببركيشوع، فأُتي بهِ وأُوقف بين اياديهم، فقالوا لهُ: "ماذا تقول: أتسجد للشمس كما سجد لها رفيقك ام تقاسي الأذيّات المرّة المهولة؟" قال لهم: "اني مثلهُ واكثر منهُ اسجد واسبّح واعظم، وإن كنتم انتم تريدون غشّي والمكرَ بي، إلا انّ الحقّ لا يخلي عنكم ولا يُهملكم فترى من ذا الذي عميت بصيرتهُ نظير بصيرتكم حتى يسجد لِمَا خلقهُ الله لخدمة الناس؟ لعمري كيف يمكننا أن نوقّر النار التي خلقها الله لخدمة الانسان وهي تخدم الغنيّ والفقير معاً؟ وكيف تتجرأون على ان تغصبونا ان نكرم ونعبد ما خلقهُ الباري تعالى لخدمتنا ونخضع لِما اخضعهُ سبحانهُ لنا نابذين ذاك الذي خلق السماء والارض واليمّ واليابسة وكل ما في العلى وما في الاسفل ولهُ ينبغي السجود والتسبحة من الملوك والسلاطين والسادة وهو غير

محتاج الى احد بل جميع الناس اليه محتاجون اذ هو يُقيتهم ويدبرهم ويحفظهم وذلك ليعرّفهم اسمهُ القدّوس وقد قال سبحانهُ لا تصنعوا لكم تمثالاً ولا صورةً ولا تسجدوا لها ولا تعبدوها، انا الآخِر والاول، إني انا هو وليس إله غيري، لستُ أُعطي وقاري للآخر ولا مجدي للمنحوتات، انا أُميت وأُحيي وليس من ينجو من يدي" فلما سمع رؤساء المجوس هذه الاقوال بهتوا منذهلين من قوة براهينه فقالوا: "لا نحكم عليهِ ونفحص عن امره في النهار لئلا تقع اقوالهُ في انفس الناس فيرتدّون ويزدرون بنا كما فعل رفاقهُ، بل لنحكم عليهِ ليلاً" وامروا باحضار كرتَين من نحاس فأُحميتا حتى اصبحتا كالنار، ثم اتوا بقدرَين محمرَّتَين بالنار ايضاً فاوقفوا عليهما القدّيس ووضعوا الكرتين تحت ابطيه وقالوا لهُ: "وحياة ملك الملوك ان القيتَ إحدى هاتين الكرتين فقد كفرت بالهتك" فقال بركيشوع: "وحياة سيدي يسوع المسيح ابن الله العظيم لا اتخوف من ناركم يا خدام الشيطان، ولا أُلقي إحدى كرتيكم على الارض، وإنني استحلفكم بالله ان تأتوا بأمر العذابات واشدّ الاذيّات وتذيقوني اياها، لان المجاهد في سبيل الله خليق ان يناضل بقوّة وشدّة، فمن صنع هذا فاجرهُ عظيم" فلمّا قال هذا تضرّموا عليهِ وتلظوا، فاتوا برصاصٍ فذوبوهُ وسكبوهُ في عينَيهِ ومنخَريهِ، ثم انطلقوا بهِ وحبسوهُ رابطين احدى رجليه.

ثم اتوا بمار يونان وقالوا لهُ على سبيل التهكم: "كيف أصبحتَ يا يونان؟ وكيف ترى نفسك مما اصابك في هذه الليلة القرّة من شدّة البرد القاسي وانت نائم في الجليد؟" - "لعمري إني منذ يوم ميلادي حتى الآن لم أنم ليلتي نظير هذه الليلة وانا في الاستراحة والحبور والغبطة والسرور، وما ذاك الا لأني ذقتُ قليلاً من آلام يسوع المسيح الفادحة" - "إن اخاك قد كفر" - "إنني انا ايضاً اعرف انهُ قد كفر بالشيطان وبجنوده" - "لا تُهلك ذاتك يا يونان، لا الله يريد ذلك، ولا الناس" - "كيف تقولون ايها الكفرة العمي انّنا حكماء؟ وكيف تبحثون عن الدعاوي بالحكمة والفطنة؟ قولوا لي أيحفظ الانسان ويخزن حنطتهُ في الاهراء

تحرزاً عليها من الامطار والثلوج والبروق والرعود؟ لا لعمري، بل إنهُ يملأ منها يديه فرحاً مسروراً ويبذرها متوكلاً على الرب متوقعاً زمان الحصاد ليملأ بيدره من الزرع القليل الذي زرعهُ متوكلاً على الله لانهُ اذا تركها في الأهراء فتنقص وتقل، فلا يستفيد منها شيئاً، كذلك من اهلك نفسهُ في هذا العالم لاجل اسم المسيح، ففي العالم العتيد عندما يأتي يسوع ويظهر في الميدان ليُجدّد جميع الناس الذين توكلوا عليه عاملين بارادته يجعلهم جدداً بنوره الذي لا يزول واما الذين ازدروا باوامره فيُلقيهم في هاوية النار كما هو مكتوب انهُ ليس لنارهم جمر ولا للهبهم ازدهار" - "لا تغرنّك الكتب، فإن الكتب تُغوي وتضل كثيراً" - "حسناً قلتم انّ الكتب تغوي وتغش، فانّها باذاقاتها الانسان آلام يسوع المسيح تُنسيه ضيقات هذا العالم واذياته[1]، فإذا ما صنع رجلٌ عظيم وليمةً يدعو اصدقاءَهُ الى داره، فكلّ واحد منهم عند خروجه من بيته يعلم انّهُ ذاهب الى الوليمة، واذا وصل هناك وذاق من المدامة وطاب بها نفساً فيشرب ويسكر حتى إنهُ لا يعود يذكر دارهُ وما يعرفها فينصرف اليها، لانهُ سكر بخمر الوليمة وثمل، فيحملهُ اهل داره ويذهبون به الى منزله، فينهض عند الصباح فيرى نفسهُ في داره فيفرح ويُسر بكونه قد نجا من الفضيحة، اذ لم يبت عند رفاقه، كذلك خادم المسيح عندما يُساق يعلم انهُ مدعوّ الى وليمة القضاء والحكم، فاذا ما وصل هناك وذاق من خمر آلام المسيح وسكر بها فلا يذكر ولا يعرف دار هذا العالم الفاني ولا المقتنى ولا الاملاك ولا الذهب ولا الفضّة، فيحتقر الملوك والرؤساء والارباب والولاة ولا ينتظر إلا ملكاً واحداً مُلكهُ لا يزول وسلطنتهُ تبقى الى جيل الاجيال".

١- ان الكلمة لهما معنيان: اي غشّ وأنسى فقال المجوس لمار يونان ان الكتب تغش فاتخذ هو المعنى الثاني اي أنسى فقال: (تنسيه ضيقات هذا العالم...).

فلما قال هذا ازدادوا هياجاً وحنقاً فقطعوا اصابيع يديه ورجليه واحدةً فواحدة مبتدئين بالمفصل الاوّل ثم بالثاني، وذرّوها قائلين: "هوذا نحن نزرعها، فتوقّعها الى زمان الحصاد فتاتي لك باياد كثيرة عديدة" قال: "انّي لستُ اريد أيدياً كثيرة عديدة، لكنّ الله الذي خلقني لموجود، فهو يجدّدني معطياً لي اجنحة جديدة" فلمّا نطق بهذا اتوا بمقلاة كبيرة فملأوها زفتاً مغلياً، ثم سلخوا جلد راسه وقلعوا لسانهُ فالقوهُ في المقلاة، امّا القدّيس فانتصب فيها قائماً فطفا الزفت وفاض، ولم يصبهُ ادنى ضرر، فلمّا عاينوا ذلك جاؤوا بآلة خشبيّة بشكل قفيز فجعلوهُ فيها واخذوا يضيّقون عليه بشدّة لا مزيد عليها وبعد ذلك اتوا بمنشار فنشروهُ بها فقضى نحبهُ وحاز السعادة الابديّة، فجروهُ والقوهُ في جبّ.

ثم أحضروا مار بركيشوع وقالوا لهُ: "اشفق على جسدك ولا تكن سبب شينه وتمزيقه" قال: "لست انا بخالقه ولا بممزّقه ولا بمخلٍّ به، بل ان خالقهُ الله، فهو يجدّدهُ، وياخذ ثاري منكم ومن ملككم المعتوه الذي لا يعرف مولاهُ وخالقهُ، بل يريد ان يجري اوامرهُ ويثبّتها" فقال حينئذٍ هرمزد ارداشير[1] لميهر نرساي: "إنّما نحن نهين الملك ونستصغر امرهُ، فانّ هؤلاء متوغلون ومتهوّرون في اهوية ضلالتهم فلا يعتبرون احداً ولا يعتدّون به" فامروا ان يُجلَد القدّيس بالاشواك، ثم عرّوهُ من ثيابه، واتوا بقصبٍ كثير فاشظوهُ وألصقوهُ بكل جسمه، وشدوهُ في مرسةٍ دقيقة، فنفذ القصب كلهُ في لحمه، ثم رموا به الارض، وأمسكوا بالقصب وجرّوهُ حتى تمزقت جثمانهُ، ثم وضعوهُ في قفيز واغلوا زفتاً وكبريتاً فسكبوها في فمه، ففاضت نفسهُ وأراح وحينئذٍ جاء احد النصارى وكان يقال لهُ عبطوشطا وكان رفيق القدّيسَين، فاشترى جثّتَيهما بخمسمائة درهم وثلاث خلع من حرير، وكان جهادهما في اليوم التاسع والعشرين من كانون الثاني سنة ٣٢٨.

١- كان هذا اخاً للملك شابور وملكاً على حدياب.

ثم ان كاتبي جهاد هؤلاء القديسين يستتليان ويقولان: "هـذا هـو جهـاد هـؤلاء الشهداء القدّيسين الذين حاربوا باسم المسيح فغلبوا وانتصروا وتكللوا، فنلـتمس اليهم ان يذكروا قـدّام الله اشـعيا بـن حـدابو وارزحنانيـا مـن خيالـة الملـك اللـذَين حضرا صدفةً فعاينا جهاد القديسين فاهتّما بكتابته".



٢- جهاد معنا اسقف كرخ سلوخ والعذارى تقلا وداناق وطاطون وماما وامزكيه وانا الشهداء

(نحو ٣٢٨)

في نحو هذا الزمان كان استشهاد مار معنا اسقف كرخ سلوخ وهي كركوك، إذ ثار بايامه اضطهاد شديد على النصارى خصوصاً على الذين في كرخ سلوخ، فهُدمت الكنائس ونُهبت اموال المؤمنين وقُتل منهم جمّ غفير، فاستخفى مار معنا بصحبة اناسٍ قليلين من النصارى بمكان قريب من المدينة اسمهُ خاصا وهناك بنوا لهم مساكن صغيرة فيها كان القدّيس يقدّم الذبيحة الالهية فيتناول المؤمنون من يده القربان المقدّس لكن الوثنيّين لم يلبثوا ان علموا بهِ، فهجموا عليهِ كأُسودٍ ضارية معذبين اياهُ رجاء ان يمرق من دينهِ الحقيقيّ فيسجد للشمس ويُكرم النار والماء ولما رأوهُ غير متزعزع لا يستبدل الحقّ بالكذب رجموهُ بالحجارة فمات.

وكان في المدينة عذارى نذرن بتوليتهنّ لله تعالى كن قد قدمن من عاصمة المملكة وكنّ ستاً وهن: تقلا، وداناق، وطاطون، وماما، وأمزكيه، وأنا، فوشى بهنّ المانويّون لدى الحاكم، فامر باحضارهنّ، فلما مثلن بين يدَيهِ امرهنّ ان يتزوّجن ويسجدن للشمس فأنكرن عليه ذلك قائلات: "إنّنا قد خصّصنا بتوليّتنا ليسوع المسيح خالق السماء والارض فلهُ وحدهُ نسجد واياهُ نعبد" فلما رآهنَ ثابتات في إيمانهنّ غير متزعزعات أمر بقتلهنّ، فقُتلن قاطبةً في خارج المدينة في موضع اسمهُ حَوْرا، وبعد استشهادهنّ نبتت ثَمّ من دمهنّ شجرة تين صارت كينبوع منها كانت تجري كرامات كثيرة باهرة لجميع زائريها، فلما شاهد ذلك المانويّون بلغ منهم الغيظ كل مبلغ، فقلعوا تلك الشجرة حسداً واحرقوا ذلك المكان كلهُ بالنار اما الله تعالى الذي لا تعجبهُ إهانة اعدائهِ لمحبيهِ ابلاهم جذاماً

فاقروا بذنبهم وانهُ منذ ذلك الحين غلب على ذلك الموضع اسم بيت تيتا اي موضع شجرة التين[1] وكل سنة في جمعة الحاش اذ كان جميع الاكليريكيين والمؤمنين يصعدون الى بيت ساهدي[2] كانوا يعدلون الى بيت تيتا وامامهم الصليب وهم يرتّلون تراتيل المدح والشكر لله تعالى.



١- ان هذا الموضع بشرقي كركوك على مسافة اقلّ من نصف ساعة والى الآن يسمى (انجير اغاجى) اي شجرة التين.

٢- سريانية كلدانية معناها محل الشهداء او مدفن الشهداء.

٤- جهاد مار دادو وكوبرلاه بن شابور الملك وأخته قازو

(٣٣٣- ٢٢ أيلول)

إن دادو كان معروفاً بفضله لدى الملك شابور وكان من اقاربهِ، وكان قد تنصّر ففي حومة الاضطهاد الذي اثارهُ الملك على النصارى الذين في ارضهِ كان دادو رئيس الجيش الذي في بلاد مادي، فوشي بهِ بعض المجوس لدى الملك قائلين: "إنّ دادو الذي جعلتَهُ قائداً للجيش الذي في ارض الماديّين قد تنصر، فإنهُ لا يدخل معبد النار ابداً، ولا ياكل الذبائح، بل يسلك مسلك النصارى" فدعا الملك ادرمخول رئيس المجوس وقال لهُ: "اذهب سريعاً الى ارض الماديّين وحقّق ما قيل عن دادو" فلما وصل ادرمخول هناك رأى القديس جالساً في السوق يخاطب النصارى فصاح به قائلاً: "لماذا تحادث النصارى وما تدخل معبد النار؟" فاجابهُ قائلاً: "واي خير لنا أأن نحبّ الحقّ أم الباطل؟" قال لهُ وقد اشتدّ غضبهُ الى الغاية: "اوَ بلغت منك الحماقة هذا المبلغ حتى إنك تدعو دين ملك الملوك باطلاً؟" قال دادو: "لو كان لك ولملكك عقل لمَا سجدتما للخلائق نابذَين الخالق".

فكتب ادرمخول رسالةً الى الملك بها أطلعهُ على ما جرى بينهُ وبين دادو فلما قرأ الملك الرسالة، استشاط غضباً فكتب الى رئيس المجوس ما نصهُ: "من حيث إنّ دادو قد تجرأ وتنصر فانا مُعطيك الاوامر بالتنكيل بهِ مثلما تريد، وليس فقط بهِ بل بجميع النصارى الذين هناك" وكان بين كوبرلاه ابن الملك وبين دادو إخاء ومودّة فانطلق من ساعته الى بلاد مادي لعلهُ يُقنع صديقهُ، فيحملهُ على نبذ الديانة النصرانيّة فلما تلا رئيس المجوس رسالة الملك بكر في الغد فجلس في المحكمة، وامر بإحضار دادو، وحضر ايضاً كوبرلاه، فقال ادرمخول لدادو: "ما حملك يا ترى ان لا تسجد للشمس التي يسجد لها الملك عينهُ؟" قال دادو: "أما

قلتُ لك لو كان لك ولملكك عقل لما عبدتما الشمس عوض الخالق؟" فامر الظالم وهو يتقلى على جمرات الغضب بإشعال النار، ولما تشعّلتْ امر بطرح دادو فيها، فاشار القدّيس بسمة الصليب على جبهتهِ وصدره، وما رفع رجلهُ ليدخل النار إلا وولت هاربةً من امامهِ، وترشش مكانها الندى وتقطّر فلما رأى كوبرلاه منهُ ذلك قال لهُ: "أبلغ منك التعميه في سحر النصارى هذا المبلغ حتى إن النار الساجد لها الملك ولَّت منك هاربة؟".

دادو: "يا ليتك انت يا اخي كنت تعرف سحر المسيح، فاما نحن فما نعلم شيئاً من السحر، بل إنما باسم المسيح نبطل السحر وكل ما يتأتى من الشيطان".

كوبرلاه: "أفانا ايضاً قادر ان اهزم النار نظيرك إن ذكرتُ اسم المسيح؟" دادو: "إن دعوت بالايمان اسم المسيح فليس فقط النار تُطيعك بل السماء والارض وكل ما فيهما ايضاً" فأثرت النعمة الآلهية في قلب كوبرلاه تاثيراً شديداً، فآمن ودنا حالاً من النار واشار بسمة الصليب على جبهتهِ وصدرهِ، وفي الساعة ولَّت النار هاربةً من امامهِ، فتشبّث حالاً باثوابهِ المجوسيّة ومزقها وهو يقول بأعلى صوتهِ: "إنني نصرانيّ وللمسيح وحدهُ اسجد وإياهُ اعبد".

فلما عاين ادرمخول ما جرى رفع صوتهُ وقال: "يا ليتني ما رأيتك ابداً يا دادو، الويل لنا ماذا اصابنا؟ فباي وجه اتلقّى الملك؟ فإن ابنهُ إنما قدّامي تنصّر" ثم انطرح على قدَمي كوبرلاه وقال لهُ: "التمس منك يا سيّدي ألا تتبع سحر دادو الخدّاع المكّار" فقال لهُ كوبرلاه: "او لعلك انت ايضاً تروم أن تؤمن بالمسيح؟ لعمري انهُ تعالى لا يمنع مِن رحمتهِ مَن هو خاطئ نظيري" فقام ادرمخول حزيناً كئيباً وانطلق الى الملك، فانطرح على قدَميهِ وقال لهُ: "اطلب اليك يا سيّدي ان تترحّم عليّ لئلا اموت" فقال لهُ الملك متعجباً: "ماذا حدث؟ ألعل واحداً من الجسورين استهزأ امامك باوامري؟" قال لهُ وهو يرتعد خوفاً: "إن دادو الخدّاع قد سبي قلب ابنك كوبرلاه بسحرهِ".

فلما سمع الملك هذا الخبر اضطرب وتوجّع فتداخلهُ من الحزن ما لا مزيد عليهِ وتغير لون وجههِ، فأرسل حالاً من ياتيهِ بدادو وكوبرلاه فلما مثلا بين يديهِ، التفت الى ابنهِ وقال لهُ: "ماذا جرى لك يا بُنيّ؟".

اجابهُ قائلاً: "لم يعرض لي عارض سوءٍ، غير انّ المسيح ذهب بي برحمتهِ من الموت الى الحيوة".

فغضب الملك غضباً شديداً وقال لهُ بحدة: "ومن هو يا ترى هذا المسيح الذي ذكرتهُ؟".

قال: "هو رب السماء والارض ورب الارباب وملك الملوك، وهو الذي يعقد التيجان على رؤوس جميع الملوك" فقال الاعيان للملك: "ما هذا الامر يا مولانا، فها ان ابنك ايضاً قد تمرّد عليك".

وكاد الملك يتمزق غيظاً، فامر بابنهِ فمددوهُ امامهُ، وشدوهُ بحبل، وأخذ اربعة رجال يستجرونهُ من قدّام واربعة من وراء كأنّهُ حبل، وجلادان يضربانهِ بقضبان على بطنهِ وجلادان آخران على ظهرهِ واذ كانوا يضربونهُ، قال لهُ ابوهُ: "اعدل عن القحة التي تعلمتها من دادو" قال: "يا ليتني تعلمتها منذ نعومة اظفاري" واذ كانوا يعذّبونهُ كان جسمهُ يرتعد ارتعاد الخروف امام الجزّار، وارسل نظرهُ الى دادو وقال لهُ: "تضرّع يا اخي الى المسيح لكي يساعدني".

فصلى دادو قائلاً: "ايها المسيح المشجع الساجدين لهُ هلمَّ الآن الى معونة خادمك كوبرلاه وشجعهُ مقوياً اياهُ في هذه العذابات الشديدة" ومن ساعتهِ تراءَى لكوبرلاه شاب متوشّح بلهيب نار، وصار يشجّعهُ قائلاً: "لا تخف يا كوبرلاه، فانّك مزمع ان تقاسي اذيّات كثيرة، فتخزي الملك منحياً عن نفسك مكرهُ وحيلتهُ" ثم انّ الملك امر بهِ ان يلقوهُ في السجن.

وامّا ما كان من امر دادو فامر الملك فقُطّع ارباً ارباً، فانتقل الى حضن ربّهِ اما كوبرلاه فكان يصلي متواتراً في السجن ويقول بلا ملل: "قوّني يا رب وهلم الى معونتي" وبعد ان مرّ عليهِ خمسة ايام في السجن، دعا الملك واحداً من المجوس

وكان اسمهُ كركاموش وقال لهُ: "تشجَّع وخُذْ معك من المجوس من اردتَ، وعذب كل من اقرّ بالمسيح، وخصوصاً نكل على رايك بكوبرلاه العاصي رفيق دادو الخدّاع من دون ان تشفق عليهِ فإِنّهُ ليس ابني إذ إِنهُ خلع طاعتي متمرداً على دولتي" فخرج كركاموش من قدّام الملك وهو حردان على جميع النصارى فدعا كوبرلاه وقال لهُ: "من علمك ان تتمرّد على دولة ابيك مزدرياً بها؟" - "حاشا ان يكون شابور من الآن ابي، فانّ ابي المسيح، وهو ابو جميع التائبين وملجأهم"- "لا تستحقر دولة شابور ملك الملوك"- "اخزاك الله انت وملكك الفاني الزائل المُلك"- "وحياة شابور الملك إِنّي لأنتقمن منك جاعلاً اياك عبرةً لمن يتجاسر ان ينبذ اوامر الملك" وفي الحال امر فمددوهُ على الارض وأخذوا يعذبونهُ بقساوةٍ شديدة اما القدّيس فكان يُشترُّ بالملك مستصغراً امرهُ فقالوا لهُ: "لا تشتم الملك" قال لهم: "اخزاكم المسيح انتم وملككم" فامر كركاموش الطاغي بتقديد قِدّتَين من كعبَيهِ الى راسهِ فلما قُطعتا قال لهُ: "ليات المسيح المقرّ انت بهِ، فيصل هاتين القدّتين مكانهما" ثم اوعز ان يربطوا القدّيس بهما ويودعوهُ سجناً فلما دخل السجن هتف قائلاً: "الرب عوني فلا اخشى، ماذا يصنع بي الانسان، الرب عوني وانا أبصر باعدائي" فمن ساعته حُل رباطهُ فرئمت كلومهُ، فصار لا عيب فيهِ فكان يتمشى في الحبس ذهاباً واياباً شاكراً الباري تعالى.

اما كركاموش فانطلق الى الملك واخبرهُ بما فعل بابنهِ وقال لهُ: "انّ كوبرلاه بلغ منهُ التمرّد كل مبلغ" فقال لهُ الملك: "وانت ايضاً بالغ في تاديبهِ كل مبالغة، لانّهُ تجرأ على الآلهة العظيمة" فنهض من عندهِ وذهب فجلس في المحكمة، وامر باحضار القدّيس، فلما حضر بين يدَيهِ ورآهُ لا جرح فيهِ تعجّب، فسألهُ قائلاً: "استحلفك بحياة الملك ان تقول لي من حلّ رباطك وأبرأك؟" - "إِنّ المسيح حلّ رباطي وشفاني" - "ولِم تكذب؟ اما اعلم انّ واحداً من اصدقائك اتاك بطبيب فأبراك؟" - "اخزاك المسيحُ الذي شفاني انت والشيطان اباك" فتكوى غضباً

واوعز ان يُحموا بالنار سفوداً من حديد ويشكوهُ باذن القدّيس، فيخرج من اذنه الاخرى، فشكوهُ باذنه وانطلقوا بهِ الى السجن واوصدوا الابواب عليهِ ولم يخلوا احداً ان يدخل عليه.

ولما صار في الحبس اخذ يصلي ويقول: "يا ربي، إسمع صلاتي وليدخل اليك صُراخي، لاتردّ وجهك عني فانّي في ضيقةٍ شديدة" وفي الحال وقف امامهُ شابٌ جميل المنظر مليح الشكل عليهِ ثياب تُضيءُ كالنار، فمدّ يدهُ ورفع السفود من اذنهِ والقاهُ عند قدميهِ وغاب عنهُ، اما القدّيس فلم يَزل يحمد الله ويسبّحهُ، وكانت الملائكة تزورهُ فتخاطبهُ مشجّعةً اياهُ فبادر الحارس الى كركاموش القاضي وقال لهُ: "إني اسمع صوت كثيرين يتحاورون في البيت المحبوس بهِ كوبرلاه ابن الملك" فغضب عليهِ القاضي لانهُ دعاهُ ابن الملك، فامر بجلدهِ ثم انّهُ استدعى كوبرلاه من السجن فدخل عليهِ القديس يتبسم وهو صبيح الوجه كوردة الصبح فقال لهُ كركاموش: "قل لي يا كوبرلاه، من هم الصادرون والواردون اليك في السجن؟" اجابهُ القدّيس قائلاً: "لو كنتَ اهلاً لان تعرفهم لقلتُ لك، فيبين انك متعجّب من انفتاح الابواب مع حال كونها مغلقة لكن ان طالت ايامك فسترى آيات كثيرة يصنعها المسيح على يدي" فاشتدّ غضب القاضي واوعز الى الجند ان يجلدوهُ بقضبان شائكة، وبينما كان يُجلَد، قال لهُ: "ليأتِ المسيح الذي فتح لك الابواب فيُنقذك من يديّ" اجابهُ القديس قائلاً: "اما الآن فيستانيك المسيح بنعمته واما في اليوم الاخير فيعاقبك عقاباً صارماً على فتكك بعباده" فامر ان يعلقوهُ على خشبة، ويمزقوا لحمان أضلاعه ففعلوا ذلك بقساوة وحشية حتى بانت احشآؤهُ، فقال لهُ رئيس المجوس مستهزئاً بهِ: "ليأتِ الآن المسيح فيخلصك" لكنّ القديس لم يقدر على مجاوبتهِ من شدة الوجع، فامر بهِ ان يُحمَل ويُطرح في السجن وتُغلق عليه الابواب فكان منطرحاً على وجههِ صابراً على وجعه ويصلي ويقول: "يارب، انما من اجل اسمك القدّوس اتجشّم هذه الاذيّات الشديدة، فهلمّ الى معونتي وكن مسندي، ما امجد اسمك في كلّ الارض،

فلك يليق المجد والحمد" ولما انتصف الليل، إذا بالسجن ضاء كلهُ فارتعدت فرائص الحراس وبُهر المحبوسون، فكانوا يلتجئون الى الحيطان تحرزاً من اشعّة النور الباهرة اما القدّيس فانتصب قائماً لا جُرح فيهِ وبعد ان اقام الشهيد في الحبس احد عشر يوماً امر كركاموش بإخراجهِ وسأل الحاضرين قائلاً: "أحق ما سمعتهُ عن شفاء جروح هذا الكافر؟" اجابوهُ قائلين: "وحقّ حياة الملك انهُ لا جرح فيهِ ابداً" فتعجب القاضي من هذا الامر، وامر ان يربطوا لهُ ذراعاً ويعلقوا بها جزءاً من الحديد ثقيلاً، فاستمر القدّيس على تلك الحالة من الصبح الى الساعة التاسعة أما القاضي فذهب يتغذّى ولما رجع أوعز بحبسهِ، لكن القدّيس لم يكن يقدر يدنّي ذراعهُ الى شقّهِ، فادنوها منهُ على كراهيةٍ.

وبلغ والدتهُ واختهُ ضرّهُ، فجزعتا عليهِ، واغتمتا لذلك غماً شديداً، فكتبتا لهُ رسالة طالبتَين اليهِ ان ينقاد لامر ابيهِ الملك فيطلق سبيلهُ، فيذهب ويقيم في بلدٍ للنصارى، وإذ إن اختهُ كانت تودُّهُ كثيراً، عزمت ان تذهب لتراهُ في السجن، لكنّ امها انكرت عليها ذلك فلما اصبحتا كلتاهما ودخلتا على الملك وانطرحتا على قدميهِ ملتمستين اليه ان يترحّم على ابنهِ كوبرلاه، انتهرهما بغضبٍ شديد وقال: "وحقّ حياة النار والشمس الساجد انا لهما إن لم تقوما الآن من هنا فلآمرنّ بقتلكما ايضاً" فنهضتا وخرجتا من امامهِ ودموعهما منسجمةً.

ثم انّ الملك انفذ من يعنّف من قِبلهِ كركاموش على عدم تنكيلهِ بكوبرلاه فاستدعى كركاموش الشهيد وقال لهُ: "أوَما تسجد يا شقيّ للنار والشمس؟" فاجابهُ: "لتُمح من وجه الارض الآلهة الكاذبة التي ليست بخالقة السماء والارض، فليس بجائز للناس أن يتركوا الخالق ويسجدوا للخليقة" فغضب المجوسي وقال لهُ: "أمخلوقة يا شقي ومصنوعة الآلهة العظيمة التي يسجد لها الملك؟"-: "نعم، لانها إنما لخدمة الناس قد خلقها الله العظيم وصنعها" فازبد القاضي غيظاً وامر بسلخ جلد وجههِ، فلما سلخوهُ، امر بان يدقوا مسامير في جبهتهِ ويُلقى في السجن وعند الصباح بكر وامر بإحضارهِ، وكان القدّيس يضارع ميتاً خرج من القبر الا

انّهُ كان بشوش الوجه فرحاً مسروراً فامر بقلع أظفار اصابيع يدَيه ورجلَيه، ثم أحضر طبيباً وأوعز اليه ان يقلع أضراسهُ ثُناءَ، ثم حملوهُ وانطلقوا به الى السجن، وامر الطاغي ان لا ياتيَهُ احدٌ بماء، وكان القيظ شديداً، إلا ان اختهُ اخذت معها ماء وتوجّهت اليه، ولما خرجت من عنده هدّدت حارس السجن وقالت لهُ: "بابي الملك إذا احسّ احد بدخولي هنا لأُطيرنّ راسك عن جثّتك" ثم انّ كركاموش دخل على الملك وقال لهُ: "لستُ ادري ماذا اصنع بعد بكوبرلاه، فانّي قد نكلتُ به اكثر مما بجميع القتلة ولم اغلبهُ" فقال لهُ الملك: "امحُ حياتهُ من على وجه الارض، فقط لا يُذكَر اسمهُ امامي".

وكان المحبوسون مع كوبرلاه على اتمّ الفرح والسرور متمتّعين بمعاينة الاشعة النارية التي كانت تنير السجن وصوت تهاليل القديس وتهاليل الملائكة، فكان السجن يشابه بنوره مخدع ملك، وكان ثَمَّ احد المجوس اسمهُ كركامون كان حُبس من جراء سيّئاته الكثيرة، فهذا لدى مشاهدته نوراً ساطعاً يُضيء السجن والملائكة تخدم كوبرلاه، استنار عقلهُ بنور الايمان الهادي الى الصواب، فاتى وخرّ على قدمَي القدّيس وقال لهُ: "أطلب اليك يا مولاي ان تترحّم عليّ فتذكرني لدى المسيح رجاءَ ان ينقذني من بحر الضلالة الغارق انا فيه ويغفر لي جرائمي الكثيرة" فقال لهُ القدّيس: "إن اردتَ فيمكنك ان تنجو من جميع شرور هذا العالم" فهتف كركامون قائلاً: "ايها المسيح ترحّم عليَّ" ولمّا أصبحت، استحضر القاضي القدّيس وعند خروجه من السجن أخذ كركامون بمجامع ثيابه وقال: "معك أموت يا سيّدي" فاتصل هذا الخبر بالقاضي، فأحضر كركامون وقال لهُ: "لِمَ صرختَ يا شقيّ في السجن قائلاً: انّني نصراني؟" فاجابهُ قائلاً: "لانّ اله النصارى هو وحدهُ الإله الحقّ، واما الشمس والنار فمخلوقتان" فامر بضربه بقضبان شائكة فامتثلوا امرَهُ واخذوا يضربونهُ بقساوة شديدة واما هو فرفع بصرهُ الى السماء وقال: "ترحّم عليَّ ايها المسيح في هذه الساعة وهلمَّ الى

معونتي" فأتاهُ من السماء صوت قائل: "هلمَّ بالسلام يا ايها الحامل اكليـ
الغلبة" وللحال أسلم الروح بيد ربه.
ثم اتوا بكوبرلاه، فقال لهُ القاضي: "ارعني السمع: ترحّم على نفسك ونجِّها مم
أُعد لك من الاذيّات الفادحة" قال: "انّ بغيتي أن تذيقني عاجلاً هذه الاذيّا
المرّة" فجُن غيظاً وامر بجلدهِ، فجلدوهُ شديداً، ثم اتوا بكرتَين من حديـ
فأحموهما بالنار، ووضعوهما تحت إبطَيهِ، وذهبوا بهِ الى السجن، اما هو فكا
في وسط هذا العذاب الفادح يستدعي المسيح الى معونتهِ ويقول: "استيقظ يا ر
ولا تكن كالنائم أو كالرجل الذي تلَّهُ الخمر، قُمْ لمصارعة جميع الذين يعادو
الصليب" ثمّ اخذ يرتّل ويقول: "هلمَّ نرنم للرب ونهلل لإله خلاصنا، نسبق ا
وجهه بالحمد، ونهلل لهُ بالتراتيل، لانهُ لعظيم ومخلص جميع المتوكلين عليهِ"
وكان المحبوسون ياخذون من الدم الجاري من رجلَيهِ فيضعونهُ على كلومهـ
فيشفون.
وبعد ان مرّ على القدّيس في السجن خمسة عشر يوماً، أمر القاضي باحضار
فلما مثل بين يديهِ قال لهُ: "هل شُفيتَ من جروحك؟" فاجابهُ قائلاً: "وحق
حياة المسيح لا جرحَ فيَّ ابداً" فاوعز القاضي ان يملأُوا قدراً كبريتاً وزفتاً وا
يحموها بالنار، فيصبوها على راسهِ فرفع القدّيس بصرهُ نحو السماء وصلّى
قائلاً: "يا رب إله خلاصي بالنهار والليل صرختُ قدّامك، فلتدخل امامك صلاتي
أمِل اذنيك الى توسلاتي، واخزِ المضطهد ولاشِ جميع مكائدهِ" فلما اخذوا القد
مريدين ان يصبوها على راسهِ، اذا بالزفت والكبريت بردا واصبحا كالثلج، فلـ
يماسا جسمهُ فلما رأى القاضي ما جرى أوعز بطرح القدّيس في السجن، وارسل
حالاً من يستدعي اليهِ المجوس، فلما اتوهُ قال لهم: "لستُ ادري ماذا اصنع
بكوبرلاه، فانهُ قد غلبنا بسحرهِ" فقال لهُ أحدهم: "مُرْ بصلبهِ ونحن نرشقه
بالنبال، فلا يجديهِ سحره نفعاً، ولا المسيح الذي خدعهُ يخلصهُ، وبعد ان نرشقه
نطرحهُ للحيوانات والجوارح".

فبعد ان مرّ على هذا الحديث احد عشر يوماً، امر القاضي باستحضار القدّيس وقال لهُ: "من اجل انّك تشفي كلومك بسحرك، فلقد فزنا ايضاً بما يلاشي رقيتك" وامر به ان يُصلب على خشبة ويُرشق بالنبال فاتى اثنا عشر نابلاً فرموا القدّيس بالسهام، غير انّ السهام وقفت بالفضاء فلما رأى المجوسيّ المشير بصلب الشهيد ما جرى اتّقد غضباً، فركض واستقرّ تحت الصليب، فوتّر قوسهُ مريداً ان يرمي الشهيد بنصله لكنّ النبل نزلت فرُشقت بها عينهُ اليمنى، فانتبل من ساعته.

فلما عاين القاضي ذلك، أخبر الملك بكل ما جرى وحدث فأمر شابور اختهُ قازو ان تذهب اليه، لعلها تحملهُ على ان ينبذ الديانة النصرانيّة فدخلت عليه حزينةً كئيبةً وقالت لهُ وعيناها مغرورقتان بالدموع: "وا اخي، وا سيدي، وا حسرتاه ماذا حدث لك؟ فانك لفي ضعفٍ وذل وضر لا مزيد عليها" فاجابها القديس قائلاً: "إن ما ترينهُ فيّ من الذل والضر انما يعود عليّ مجداً لا يوصف حفظهُ الرب لخائفيه، ولئلا تُحرمي هذا المجد أطلب اليك يا اختي ان تنبذي السجود والذبائح للآلهة المخلوقة التي لا حاسّة لها، و تسجدي للإله الحيّ الذي صنع السماء والارض وكل ما فيهما" قالت: "لا قدرة لي على احتمال الشدائد الفادحة نظيرك" قال: "فقط اعتقدي بالمسيح فهو ينقذك من العذاب" ثم لم يزل يخاطبها عن معتقد النصارى ويُريها بطلان المجوسيّة وخرافاتها حتى أودع اراضي قلبها بذور الحيوة الابديّة، فتشربت بغض الاباطيل المجوسيّة، وتعشقت الفضائل المسيحيّة، فانصرفت من عنده موعبة القلب سروراً وحبوراً وان الملك اباها استدعاها وذلك بعد مرور يومين على زيارتها لاخيها وقال لها: "هل حملت يا بنتي اخاك على نبذ الديانة النصرانيّة؟" قالت: "وكيف يمكنني ان احملهُ على السجود للشمس والنار وهما مخلوقتان لا تجديان الساجدين لهما نفعاً، فيما ان الإله الساجد هو لهُ إله حيّ حقيقي لا إله غيرهُ" فاغتاظ الملك وقال لها: "أو أنت ايضاً يا لئيمة استغويت بسحره؟" قالت: "يا ليتك انت ايضاً كنت تعلم

بسحره" فازداد غضباً وغيظاً وفار كالنار لهباً وشواظاً، فامر بتمديدها على الحضيض امامهُ، واخذوا يضربونها بالسياط، فسمعت امها، فأتتها وألقت نفسها عليها وقالت للملك: "أوَ تريد يا هذا ان تفطمني عن جميع اولادي؟" فقال لها الملك بغضب: "أوَ أنتِ ايضاً يا ايتها الوقحة تريدين ان يزدري اولادكِ بالهتي مستهزئين بالنار والشمس الساجد انا لهما؟" ثم امر بحبس قازو عند اخيها كوبرلاه فلما صارت عندهُ قالت لهُ: "لا طاقة لي يا اخي على احتمال العذاب نظيرك" – "آمني انتِ بالمسيح فلا يصيبكِ بعد عذاب" – "تضرّع انتَ الى المسيح في شاني حتى ينقذني من شدائد الاعداء كما أبرأك انت من جميع كلومك" – "إنّي لمتوكل على مراحم المسيح بانكِ لا تعودين بعدُ تحضرين بين يدَي العدوّ".

ثمَّ ان الملك استدعى القدّيس وقال لهُ: "قل لي ايها الوقح الجسور ايّ رجل من رجال مملكتي تجرأ على تعليمك ان تمكث مستمراً على رايك هذا مُهيناً اياي ومزدرياً بدولتي وآلهتي؟" القدّيس: "وايّ رجل من رجال مملكتك يا تُرى لهُ حكمة كافية حتى ينتقل من الظلام الى النور؟ فانّهم قاطبةً جهله وعُمي البصيرة نظيرك" – "لقد عجبتُ منك ايها الشقيّ لقلة حيائك وكثرة قحتك، أما خجلتَ وخزيتَ مني بجوابك هذا؟" – "إنّي لا اخجل ولا استحي، فاني انّما احادث كافراً لا رجلاً عاقلاً" فصاح الملك وقد بلغ منهُ الغيظ كل مبلغ وقال: "اربطوا هذا الشقيّ واطرحوهُ في الاصطبل تحت ارجل الفحول لترفسهُ فتحطمهُ، فان معرفتهُ كمعرفتها" فربطوهُ من يدَيهِ ورجليه وطرحوهُ في الاصطبل تحت ارجل الحصن واوصدوا عليهِ الابواب.

فلما كان في الغد امر الملك بإحضار القدّيس فلما فتحوا الابواب رأوهُ محلول الرباط وهو يرتّل قائلاً: "باركي يا نفسِ الرب وجميع عظامي اسمهُ القدّوس، باركي يا نفسِ الرب فانهُ يعينكِ في الضيقة وهو في كل وقت واوان معيني" فلما اوقفوهُ بين يدَي الملك قالوا لهُ: "انّنا شاهدناهُ محلول الرباط وهو يمشي ذهاباً

وإياباً في الاصطبل بين الفحول" فقال لهُ الملك: "أوَ بلغ منك يا لئيم السحر هذا المبلغ حتى انّك أخضعتَ الحيوانات ايضاً لأمرك؟" اجابهُ القدّيس قائلاً: "وايّ شيءٍ في العالم لا يُذعن لارادة المسيح؟" قال الملك: "انّي لأذيقنك أمرَّ العذاب فأرى هل يقدر المسيح المتوكل انت عليهِ أن يُعينك فينقذك من يديّ؟" وللحال امر بهِ ان يُقوسوهُ ويحدبوه، فحدبوهُ حتى انّ فقارهُ تحطمت، فقال لهُ الملك على سبيل التهكم: "ليأتِ الآن المسيح فيخلصك من يديَّ" واستمر مقوساً من الصبح الى الساعة الثالثة، وفيها اوعز الملك ان يُحموا سفافيد حديديّة فيكووا بها حقويهِ، ففعلوا بهِ ذلك، ثم حملوهُ وذهبوا بهِ الى السجن والتفت الملك الى كركاموش وقال لهُ: "اذهبنّ ونكلنّ بكوبرلاه بقساوة شديدة" وبعد ان مرّ على القدّيس تسعة ايّام وهو في السجن استدعاهُ كركاموش وقال لهُ مغضباً: "انما من اجل صبري عليك مراعاةً للملك تريد انت ان تتمرّد عليّ، ولكن الساعة انتقم منك" وللحال امر باحضار سفودَي حديدٍ، فضاموهما الى يديهِ، ثم أتوا بخشبتَين وركزوهما في الارض على مسافة ثلاثة اذرع الواحدة من الأُخرى، وعلقوا عليهما القدّيس، فصار في عذابٍ شديد عظيم، وكان يقول: "أمِل يا رب أذنيك واستمعني، لاني انا مسكين وبائس، وأخرج من السجن نفسي لكي احمد اسمك".

وكان داديشوع وعبد يشوع الكاهنان واقفين هناك وهما متزييان بزي المجوس ويكتبان ما يجري على القدّيس، فشاهدهما القدّيس وقال لهما: "باركا ان امكنكما الزيت والماء وصباهما عليَّ لاقبل سمة المسيح، وإلا فاطلبا الى المسيح ان يقبض روحي، فإني لعالم انكما تخافان الاضطهاد" وفي الساعة ظللتهُ سحابة نظير قبة نور، فانصبّ منها على راسهِ زيتٌ وماء واذا بصوت من السماء يقول: "هوذا قد اعتمدتَ يا كوبرلاه عبد المسيح" فضاءَ وجه القدّيس ضوءَ النبراس وفاحت ثَم رائحة ذكيّة كرائحة العطور ولما سمع ذلك الصوت اخذ يقول: "لتفرح نفسي بالرب وتبتهج بخلاصهِ ولتقل جميع عظامي يا رب مَن نظيرك، لانك انقذتَ

نفسي من اوجاع الجحيم" ثمَّ انَّ القاضي اوعز بإنزالهِ فلما اتوهُ بهِ، امر باحضار قصب، فخرطوهُ وانشبوا منهُ في جسم الشهيد المعظم من كعبيهِ حتى قمة راسهِ، فاحنى راسهُ رافعاً عقلهُ الى العلى وصلى قائلاً: "كُفَّ ايها المسيح عن الغضب على شعبك، وليسطع الأمنُ والسلام في كنيستك المخلَّصة بدمك الزكي، واحفظ اولادها من جميع الاضرار حتى يُصعدوا لسيادتك المجد والتسبيح، واقبل الآن روح عبدك" وفي الحال اضاءَ وجههُ كالشمس واتاهُ صوت من السماء يقول: "حسناً جاهدتَ يا كوبرلاه، فتعال بالسلام، فانّ المسيح قد رضي عنك" فنكس راسهُ وسلم نفسهُ بيد ربّهِ.

فاخبر كركاموش الملك بوفاة ابنهِ، فأرسل شابور مَن يقول لهُ: "نكّل بجثتهِ ايضاً" فاتوا بحصانَين هائجَين وربطوا الجثة المباركة بهما ليستجراها الى ارض قفر، فلمّا أُطلقا اذا بنسرٍ نزل عليهما فوقفهما موضعهما وبسط جناحَيهِ وظلّل الجثة، فأُخبر القاضي بذلك، فامر بالجثّة ان تُقطَّع ثلاث قطع، فاستجرّوها ونزّلوها في حفرة بشرق لادن وقطّعوها كما أُمِروا.

ويقول داديشوع وعبديشوع الكاهنان كاتبا هذه السيرة: "اقتربنا نحن داديشوع وعبديشوع الكاهنين وهرمزداد الشمّاس فوهبنا اربعمائة استار واخذنا جثة القدّيس ولما أظلمت ذهبنا بها الى دار هرمزداد الشمّاس، لان اخاهُ كان رئيس جميع المجوس الذين في مملكة الفرس، فلفيناها في ثيابٍ فاخرة مع طيوب وعطور ووضعناها في بيتهِ، وقضينا الليل كلهُ في الصلاة وتلاوة المزامير والاناشيد ولما انتصف الليل ونحن كنا راكعين نصلي، اذا بالقدّيس ظهر لنا واقفاً في الوسط وقال لنا: "تشجّعوا فقوموا ولا تخافوا" فلما شاهدناهُ اعترانا خوف عظيم، فقوّانا ثانيةً وقال: "لا تخافوا، انّني انا كوبرلاه عبد المسيح، كافاكم المسيح في ملكوتهِ عما اديتموهُ لي" ثمّ انحنى امام داديشوع الكاهن وقال لهُ: "خُذ معك يا اخي قنينة الزيت وزُلفةَ القربان المقدّس وقم مستعجلاً وادخل بستان الملك، فعمّد اختي قازو، وها انَّ ملاك الرب يمشي امامك" فلما خرجنا مشيّعين داديشوع

الكاهن لاقاهُ ملاك الربّ خارج البيت وقال لهُ: "اتبعني ولا تخف" فانطلقا، ولما بلغا البستان انفتح الباب، فبقي داديشوع عند مجرى المياه، ودخل الملاك واتاهُ بقازو وهي ماسكة بيدها كوز فضّة، فدهنها وعمّدها باسم الرب وناولها جسد ودم المسيح، فتهللت فرحاً وابتهجت واخذت تسبّح الله على انهُ انقذها من ضلالة الاوثان، وأدخلها في حظيرتهِ الممجّدة، وركعت وسجدت لهما قائلةً: "صليا لاجلي وباركاني" ثم دخلَت وهجعت فتنيَّحتْ.

ولما اصبح الصباح دخلت عليها امّها فرأتها ميتةً، فأخذت تولول باكيةً، وتوجهت الى الملك وقالت لهُ: "استرح الآن، ولتسترح ايضاً دولتك معك، فها ان بنتي ايضاً قد ماتت" فاضطرب الملك وانقبض صدرهُ كدراً وألهم الله امّها ان تلفها بلفائف كتان وتامر بها ان تُطرَح حيث كان أُلقي جسد اخيها، فقمنا ليلاً واتينا بها فقبرناها في زاوية دار هرمزداد الشمّاس، ولم نزَل نصلي ونرتّل المزامير على قبر القدّيس كوبرلاه سبعة ايام مع لياليها.

"انّ الله ومسيحهُ وروحهُ القدّوس لشاهد اننا لم نكتب إلا ما رايناهُ بأعيننا وسمِعَتهُ اذاننا ونحن في خوف عظيم من المجوس لا نزال نسهر ونصلي ونصوم وتركنا على جانب ما لم يصل إلينا مما اجراهُ الله على يدهِ في السجن من القوات والمعجزات، وما كتبناهُ من الآيات وهو قليل لم نات بهِ إلا تذكاراً للقدّيس".

"اما ما كان من امر كركاموش الذي سوّم القدّيس هذهِ العذابات الفادحة والمصائب الشديدة فانهُ بينما كان في اليوم الثالث لوفاة القدّيس ذاهباً الى دار الملك اذ انقلبت بهِ ركوبتهُ على الارض فتحطم ومات فانطلقنا وشاهدناهُ ميتاً مقطعاً، فسبَّحنا الباري وحمدناهُ على انّهُ جعلنا ان نشتفي بموت هذا الكافر الطاغي".

واستشهد القدّيس في الثاني والعشرين من شهر ايلول سنة ٣٣٣.

٥- جهاد مار شابور أسقف بيت نيقاطور واسحق أسقف كرخ سلوخ ومعنا وابراهيم وشمعون الشهداء

(٣٤٠)

في سنة ٣٤٠ للمسيح وهي سنة ٣٠ لمُلك شابور، أجمع المجوس كيدَهم واتّفقوا قاطبةً على ان يحملوا شابور الملك على قتل النصارى، فاتوهُ وقالوا: "لانقدر أن نعبد الشمس ونروق الهواء ونصفّي الماء ونطهر الارض فان النصارى يهينون الشمس ويزدرون بالنار ويستهزئون بالماء" فغاظ هذا الامر الملك وساءَهُ، فأبرز أمراً بالقبض على النصارى وحبسِهم، فخرج روساءُ الشرط وفيوج الملك، فاتوا بمعنا وابراهيم وشمعون فحبسوهم وفي الغد وافى المجوس فضجوا وقالوا لملك الملوك: "ان شابور اسقف نيقاطور واسحق اسقف كرخ سلوخ يبنيان معابد ويشيدان كنائس، وفي مداهنتهما يغشان الناس مانعَينِ اياهم من السجود للشمس" فامر الملك بارسال الخيالة ليقبضوا عليهما فجيءَ بهما وطُرحا في السجن.

فلما كان في الغداة، دعا الملك الاعوان من النصارى وسألهم قائلاً: "أتعرفون شابور واسحق النصرانيَّين؟" قالوا: "نعم نعرفهما" فغضب غضباً شديداً وامر باحضار الجميع فلما مثلوا بين يديه، قال لهم: "اما تعلمون انّي مع كوني من سلالة الآلهة اسجد للشمس واوقر النار؟ فمن انتم يا ترى حتى تنقضوا اوامري مستصغرين شاني ومستهزئين بآلهتي؟" فاجابوه قائلين: "نحن لا نعرف إلا إلهاً واحداً خالق العالم ومدبّرهُ، ولهُ وحدهُ نسجد واياهُ فقط نعبد" قال لهم: "أيوجد إله اعظم من هرمزد او اشدّ غضباً من اهرمان؟ وترى من ذا الذي يدَّعي بالعقل والحكمة ولا يسجد للشمس؟" – قال شابور الاسقف: "لم يوجد ولا يمكن ان يوجد إله غير الله الذي خلق السماء والارض والشمس والقمر وكل ما يُرى وما لا

يُرى، فبهِ نؤمن ولهُ نسجد مع ابنهِ الوحيد يسوع المسيح" فتشزّر الملك وساورتهُ جيوش الغضب، فامر بهِ ان يُضرَب شديداً على فيه، فضربوهُ ضرباً شديداً حتى إن جميع اسنانه قُلعت، فقال لهُ الملك على سبيل التهكم: "ادعُ الآن سيّدك يسوع ليُعطيك اسناناً" - "إنّ سيّدي يسوع يعطيني ما لستَ انت بقادر ان تعرفهُ"- "ولماذا لا اقدر على معرفته"- "لانك كافر فاجر" فحنق منهُ وتضرم وحرَق عليه الأُرّم، واوعز ان يضربوهُ بقضبان، فضربوهُ بشدّة لا مزيد عليها حتى ان جميع عظامهِ تكسَّرت، فوقع مغشياً عليهِ، فكبّلوهُ بالحديد واودعوهُ سجناً ضيقاً.

ثمّ أوقفوا أمامهُ اسحق الاسقف، فامر بان يخلعوا عنهُ رداءَهُ، ففعلوا، فقال لهُ الملك: "لعلك انت ايضاً متمسك بجهالة شابور وحماقتهِ وضلالتهِ، فتريد ان اخلط دمك بدمه؟" قال اسحق: "إنّ ما قلتَهُ من الجهالة والحماقة لَحكمة سماوية، اما انت فلا علمَ لك به" -قال الملك: "ارى انك تتكلم كثيراً مغلظاً في الجواب، فأُبرز امراً بقطع لسانك" -اسحق: "مكتوب اني اتكلم بالحقّ قدّام الملوك ولا اخزى" -الملك: "كيف جسرتَ وبنيتَ كنيسةً؟" القدّيس: "ومتى فترتُ من بناء الكنائس؟" فلما قال هذا غضب الملك غضباً شديداً، والتفت الى الذين حضروا عندهُ من اعيان البلد وكانوا نصارى وقال لهم: "أما تعلمون انّ الذي في قلبهِ او لسانهِ حيلة ومكر يستحقّ الموت؟ فكيف إذاً طابت أنفسكم بإهانتي وتلذذتم بعاري فشاركتم اسحق في اموره السرّية؟ فلعمرُ الشمس والنار التي لا تخمد إن لم تُزيلوا عني هذه الشبهة التي فيكم فلأضربن رؤوسكم منكلاً بكم" فلما سمع الاعيان هذا الكلام طارت قلوبهم شعاعاً وترمضوا، فخرّوا على وجوههم قدّام الملك، وانطلقوا بالقدّيس الى خارج المدينة فرجموهُ بالحجارة ومات.

ولما بلغ خبر ذلك الى شابور الاسقف الذي كان في الحبس، سُرَّ قلبهُ وحمد الباري تعالى على تكليل اخيهِ اسحق، وهو ايضاً بعد يومَين فاضت نفسهُ في السجن من

شدّة الضربات ووزر السلاسل الحديديّة، فأُخبِر الملك بموتـهِ، فلـم يتيقنـهُ الى ان امر فقطعوا راسهُ واتوهُ بهِ.

ثم إنّهُ امر ان ياتوهُ بمعنا وإبراهيم وشمعون فلما مثلوا بـين يدَيـهِ، قـال لهـم: "أما تسجدون للشمس والنار؟" قالوا: "حاشـا وكـلا، فاننـا ليـسوع نـسجد وبـهِ نعترف وإياهُ نعبد" فأمر ان يُقتلوا بـامرّ العذاب وأفدحـهِ اما مـار معنـا فـسلخوا جلدهُ مبتدئين من راسهِ، ولما وصـلوا الى مـشدّ نطاقـهِ مـات مـن شـدّة الاوجـاع، ومار ابراهيم طعنوا عينيهِ بمسامير حديديّـة حمّوهـا في النـار، واسـتمر علـى تلـك الحالـة يـومَين فقـضى نحبـهُ واما مـار شمعـون فحفـروا حفـرةً وانزلـوهُ فيهـا الى صدرهِ، فاتى القواسون ورشقوهُ بسهام كثيرة فمات، ثـم جـاء بعـض النـصارى وحملوا جثثهم سراً وقبروها.



✝ الشهداء الذين قُتلوا في الاضطهاد الاربعيني ✝

انّ الاضطهاد الاربعينيّ بدأ كما قلنا انفاً في سنة ٣١ من ملك شابور الملك وهي سنة ٣٤١ للمسيح، واصبح نصارى بلادنا يُقتلون افواجاً افواجاً في كل مكان وبكل صنفٍ من التعذيبات المريعة المختلفة وذلك في مدة سني شابور الاربعين الاخيرة.

وروى سزومنُس المؤرخ اليوناني انّ الشهداء المقتولين في هذا الاضطهاد الاربعينيّ الشابوريّ رجالاً ونساءً المعروفة اسماؤهم يبلغون نحو(١٦٠٠٠) نفس واما المجهولون فلا يُحصى عددهم، وانّ الفرس والسريانيين والرهاويين مع انهم اعتنوا في ذلك كثيراً لم يتمكنوا من معرفة اسمائهم بعينها وتعدادها.

وروى ماري المؤرخ ويشوعياب النصيبيني انّ المقتولين بامر شابور في الدير الاحمر وباجرمي وغيرهما يجملون نحو(١٦٠٠٠٠) نفس، وفي بلدان الفرات مقدار (٣٠٠٠٠) من رجال ونساء، فتامّل! وانّ الذي اعتنى في جمع مُعظم قصصهم الصحيحة[١] هو مار ماروثا اسقف ميافرقين الشهير الذي اقبل بسفارة جليلة مرتين من لدن ثاودوسيوس ملك الروم الى يزدجرد ملك الفرس لعقد الصلح بين الدولَتَين وتخميد نار الاضطهاد المشتعلة على أبناء جنسه الكلدان، واتى القدّيس ماروثا في كتابة هذه القصص من فصاحة المنطق وبلاغة البيان ما يَسبي العقل ويفتن الجنان وبالحقيقة انّ تاليفهُ هذا لأنْفَس تاليف صُنِف في هذا الشان.



١- كل قصة ليست مكتوبة بقلم ماروثا قد وضعنا عليها نجمة ☆ وهي قليلة.

١- جهاد مار شمعون برصبّاعي ورفقائه المائة والثلاثة الشهداء

(٣٤١-١٤ نيسان)

ان مار شمعون برصباعي كان جاثليق سليق وقطسفون، وقيل إنه إذ كان نائب مار فافا الجاثليق حضر المجمع النيقاوي الاول باسم كنيسة المدائن والجاثليق مرسلهِ وحسناً دُعي باسم برصباعي اي ابن الصباغين، لان اباءَهُ كان من حرفتهم ان يصبغوا بدم ليس من دمهم ثياباً حريرية كسوةً لمملكة عدوة الحق، فيما ان قديسنا المعظم صبغ بدمهِ عينهِ ثوب نفسهِ الذي تزين بهِ في ملكوت السماء، فقبِل الموت من اجل إلههِ وشعبهِ بطيبة نفسٍ منهُ، وذلك انهُ عند رؤيتهِ ما لحِق كنيسة الله من الضر والمكروه بذل نفسهُ للقتل كما فعل يهوذا المقابي في الزمان الذي فيهِ كان شعبهُ في ضيقةٍ شديدةٍ.

ولله درُّ يهوذا وشمعون كاهنَين، الاول أنقذ بالسيف شعبهُ، والثاني نجى بموتهِ ملتهُ، المقابي بغلباتهِ قد اشتهر، واما برصباعي فبسقطتهِ قد غلب يهوذا رفع شان ملته بتقتيلهِ العدو، واما شمعون فبموتهِ عظم شأنَ شعبهِ، هذان كانا رئيسَي الاحبار والكهنة اللذَين توشحا بمدرعة قدس الاقداس، وخدما المذبح بقداسة، وكملا خدمتهما بطهارة، وطهرا الانفس بمياه البرارة، وأرَيا شعبهما دم العنب بشجاعة واعتنيا بهِ مضطربَين، ودحجاهُ أسلحةً خائفَين، ودعواهُ الى الموت مستأسدَين، وأدَباهُ الى القتل حازمين، وركضا الى القتال امنَين، ودنوا من السيف غير خاشيَين، وعمذا بالدم محسنَين، وذاقا كاس المنون مسرورَين، ووزعا المواهب صائبين، وقسما التيجان عادلَين، وأجرَيا اوامر ربهما باجتهاد مستبسلين، وعملا بوصية الههما بنقاوة فرحَين.

احدهما كملها بالصواب، لانه قتل نفساً بدل نفس وقُتل فخلص، والاخر اجراها مع كونهِ في العبودية لانه طاعةً لأمر المسيح القائل من ضربكَ على خدك حول لهُ

الاخر مد عنقهُ الى السياف، يهوذا من كونه طالباً الانتقام انتُقم لهُ، وشمعون من كونهِ متواضعاً اتضع المقابي بكهنوتهِ كفر عن ذنوب الاموات الذين في الجحيم، واما برصباعي فبعث المائتين في الخطايا اليهودي صادم الاعداء مصادمةً جهريةً ماسكاً بيدهِ سيفاً لامعاً، اما الكلداني فقاومهم مقاومةً خفيَة عارضاً نفسهُ للقتل يا ماأعظمك يا قتل القديسين خصوصاً اذ انهُ بك تغلب مخلصنا تغلباً جهرياً على الخطية الخفية، ويهوذا ايضاً اذ ارتفع شانهُ في غلباتهِ إنما بك نزل الى الجحيم ليتولى تطهير ذاته بدم اقنومهِ، هذان هما الراعيان الحقيقيان والمدبران الحكيمان اللذان بذلا نفسَيهما عن القطيع لئلا يهلك، فأهلكا نفسَيهما طمعاً في حياتهِ.

والآن لنأتِ الى قصة استشهاد الشهيد المعظم مار شمعون رئيس اساقفة الكنيسة الشرقية وجاثليقها الذي تمجد قبل الكل باستشهادهِ في المشرق[1]، ومار كدياب ومار سابينا اسقفَي بلافاط، ومار يوحنا اسقف هرمز ارداشير، ومار بوليداع اسقف فرات ميشان، ومار يوحنا اسقف كرخ ميشان، وسبعة وتسعين من الكهنة والشمامسة، ومار كوشتازد رئيس الخصيان الذين تكللوا قاطبةً مع مار شمعون القدّيس.

فنقول اولاً إنهُ منذ ملك قسطنطين الملك الى ان توفي اعني في مدّة ثلاث وثلاثين سنة لم يوجد في مملكة الروم مَن يضطهد النصارى، ولكن حالما قضى قسطنطين نحبهُ، انتهز شابور الملك الفرصة، فاخذ يعبث بالنصارى الذين في ارضهِ ويضطهد الكهنة والرهبان منهم، ويهدم الكنائس والاديرة، وان كان الله تعالى قد وقف بعيداً واختفى عنا في زمان الشدّة فليس ذلك الا لعدم تمكين الشيطان وخدامهُ من القول: إنّما الامن جعل شعب الله يتكاثر، والرفاهية صيرَّت كنيسة المسيح تنمو، والسلاطين ساعدوها ورفعوا شانها إذ إنّهُ هوذا الامن متسلط في الشرق والغرب، وليس من يضطهد ولا من يضيّق ولا من يطغو انّهُ لقد

١- اي في الاضطهاد الاربعيني.

افتُري على ايوب لدى الله وقيل لهُ تعالى عنهُ أليس مجاناً يخافك ايوب، فانّك قد سيجتَ حوْلهُ وحول بيتهِ وحول اولادهِ وحول ما لهُ من كل جهة، وباركتَ اعمال يديهِ فانتشرت مواشيهُ في الارض، ولكن ابسط الآن يدك ومس من كل ما لهُ، فانّهُ في وجهك يجدف عليك وإنما الله تعالى سمح لأعدائِنا بان يضطهدونا لئلا يكون من يقول له تعالى: انما انت قد عظمتَ النصارى في هذا العالم، اذ إنّ الملوك منهم، والاكابر منهم، والحكام منهم، والقضاة منهم، والمدبرين منهم، فلاجل هذا قد تكاثروا وتزايدوا ونموا في الارض واشتدوا الى الغاية وتقووا في كل قطر ومصر، إنما الامن أنجح امرَهم فتكاثروا، والسلام أسعدهم فارتفعوا، فمن ذا يا ترى لا ينقاد الى الملوك؟ ومن ذا لايتبع الرؤساء؟ ومن ذا لايحب الشهرة؟ ومن ذا لايود الراحة واللذة؟ ومن ذا لا يتوق الى الثروة؟ ومن ذا لا يظمأ الى مجد هذا العالم؟ ومن ذا لا يخير الراحة على الضيقة واللذات على العذابات؟ ومن ذا لا يستحبّ الاكرامَ على الاهانة والمدحَ على الذم؟.

فلئلاّ يكون للثلاب سبيل الى التلفظ بهذه الاقوال وما يضارعها، أذنَ الله سبحانهُ بان يُضطَهد النصارى الذين في مملكة الروم ثلاثمائة سنة، فاختُبر المؤمنون بالاضطهاد والاذيّات، فظهر صدق المظلومين وثباتهم، فالتجم فم الشيطان بلجام السكوت لكنهُ تعالى أمدّهم بعد ذلك بالأمن، اذ ارسل لهم ملك السلام وهو قسطنطين الكبير القاهر، فأثْواهم في الراحة والاطمئنان، وبهذا أفحم الشيطان وأخابهُ معلناً أنهُ ليس من جراء عدم استطاعتهِ تغافل عن اغاثة الساجدين لهُ، وانه بامرهِ قد اشرق غفلةً نور ساطع من داخل ظلام الضيقات والاضطهادات، فبدد باشعتهِ عتمة ليلة الجور ثم إنّ الله سبحانهُ اذن للأشرار بان يقاوموا الساجدين لهُ ويضطهدوهم لكيما يظهر للعالم عنايتهُ الإلهية الممتلئة نعمةً وحكمة وقوتهُ الغير المغلوبة وذلك بواسطة ضعف ونحافة أجساد خدامهُ، كما ان رقّ يوسف صار سبباً لتقوت شعوبٍ كثيرة وانّ المسيح عندما بيع لليهود أعتقنا بثمنهِ من اسر الخطية، وبآلامهِ أزال آلامنا وبموتهِ ألغى الموتَ عنّا وبضعف

صليبه أبان قوته، فكذلك ايضاً بما يُصيب المؤمنين من الاضطهاد يظهر الحق المبين وتُعلن معرفة الله، وبموتهم تبين حياتهُ، وبصبرهم تُشهر قوّتـهُ، فينكشف الكذب ويفحم الشيطان هذا ما قلتهُ مختصراً لئلا يظن القارئ فيقول: إنّهُ ما كان جديراً ان يتخلى الله عنّا فنقع بيد أعدآئنا.

فنقول: إنّهُ في سنة ٣٤١ للمسيح وهي سنة ٣١ لمُلك شابور، وكان قسطنطين الكبير قد توفي، استمكن شابور من ان يتحرش باولادهِ وكانوا صغاراً، فكان دائماً يستغير على البلاد الروميّة هذا وإنّهُ ناصب النصارى الذين في مملكتهِ وشارّهم فكان يسعى بلقاء فرصة لاضطهادهم فأنتجت لهُ حيلتُهُ ودلّهُ مكرهُ على ان يُثقل عليهم بمضاعفة الجزية، فكتب الى الحكام الذين في بلد الاراميّين ان يقبضوا على شمعون رئيس اساقفة النصارى ويضطروهُ الى ان يمضي صكاً اخذاً على نفسهِ ان يجمع ويستلم الجزية من جميع النصارى مضاعفةً فلما وصلتهم رسالة الملك احضروا مار شمعون وتلوا على مسامعهِ ما كتبهُ الملك فجاوبهم القدّيس باتضاع عظيم وبشجاعة قائلاً: "إنّي اسجد لملك الملوك واوقّر امرهُ من كل قوتي، إلا انّ ما يطالبني بهِ من أخذ الجبايات من النصارى مضاعفة ليس هو من شاني، واظنّ انكم انتم ايضاً عارفون بهذا الامر فإنّ السلطان المعطى لنا عليهم ليس في ما يُرى بل في ما لا يُرى، اي في التعليم والوعظ بكلام الله والصلوات الطاهرة والضراعة الحارّة فلو كان سلطاننا قائماً بالامور الدنيويّة لما تمسكنا بالامور الروحانيّة، بل لتحلّينا بالحلية العالمية ومع هذا كله التمس الى حضرتكم ان تتنازلوا وتقولوا لي في اي طريقة نثقّل نحن بالجزية؟ ألعلنا اغنياء؟ يعلم الجميع بحال كوننا فقراء غير مفضلين من المال، أو لعلنا اعداء الدولة؟ لا لعمري، ولابد من ان يوجد فيكم من يعلم اننا نحبّ جميع الناس وخصوصاً ملك الملوك، لانهُ اذا كنّا قد أُمرنا ان نحبّ الذين يبغضوننا ونصلي لأجل اعدائنا، فكم بالحري نحن جديرون ان نحب حضرتكم ونصلي لاجل الملك الذي جعلنا الله تحت نير طاعتهِ وها إنّ كتبنا نفسها تامرنا

قائلةً لتخضع كل نفس للسلطنات الرفيعة، فانّه ليس سلطنة إلا من الله، ومقاومو السلطنة سياخذون دينونة لانفسهم ومكتوب ايضاً ان ندعو للملوك والعظماء اذ يقول لنا احد ملافنتنا: قبل كلّ شيء قدّموا الصلوة من اجل الملوك والسلاطين فان كانت كتبنا تامرنا هذا كلّهُ فكيف يمكننا ان نبغض ملك الملوك ونكون اعداء لهُ؟".

فلما فرِغ مار شمعون من مقالته، جاوبهُ رئيس الحكام قائلاً: "إنّ اقوالك لَعذبة ومملؤة حكمة، فمن حيث إنّ كل سلطنة من الله كما قلتَ انت، اخضع اذاً لشابور الملك الذي جوهرهُ من جوهر الآلهة، وأمضِ صكاً اخذاً على نفسك انّك تقبل ان تدفع الجزية مثلما يأمر ملك الملوك، ولا تخالف ما تقول لكم كتبكم التي تامركم بالخضوع للسلاطين".

-قال القدّيس: "لا سبيل لنا ان نخالف ما تقولهُ لنا كتبنا، ولكنها وإن كانت علمتنا ان نخضع أظهرت لنا مقدار هذا الخضوع، إذ قالت أدوا الى كل انسان حقوقهُ، الى من تجب لهُ الجزية جزيتهُ، والى من تجب لهُ العشور عشورهُ فلا تأمرنا ان نعطي الجزية مضاعفة" فاجابه الحكام قائلين: "تفكر الآن في ما تجلبهُ على نفسك من الرّوسب والبلاء بعدم إذعانك لأمر شابور الملك، فلا تحمله على عداوتك فيسفك دمك مثل الماء".

قال القدّيس: "إنكم قد سمعتم اقوالي وعرفتم افكاري، فاكتبوا وعرفوا الملك إنّ امرهُ يفوق طاقتنا، فلا نقدر ان ناخذ على انفسنا اعطاء الجزية مضاعفة لانّنا فقراء لا نملك شيئاً إلا انّ مساكننا واملاكنا قدّامكم فخذوها منّا، فقط لا تجعلونا حكاماً قساة طغاة على إخوتنا الذين هم خاصة الله فإنّ السلطان الذي أُعطيناهُ ليس من ملوك الارض بل من ملك السماء الذي ملكهُ لا يزول ابداً، فليس من شانهِ تعالى ان يامرنا نحن المتضعين والسلسين ان نكون قساة ظالمين، واما الملك إذا ما استمرّ على محبّتهِ إياي تاركاً إياي في محبّة إلهي فانا لهُ من الشاكرين، واطيعهُ من كل قلبي إذا ما خلاني اكمل وصيّة ملكي وإلهي، وعزيزة

عليَّ الحيوة إذا ما تركني على ما انا عليه من الاتضاع لكنهُ إذا اراد إبعادي من محبّة إلهي تحبباً اليَّ، فاشار اليَّ ان اوافقهُ في إرادته مخالفاً إرادة سيّدي، وحسّن لي الحيوة مريداً إماتتي عن الحيوة الحقيقيّة، فبغضهُ اعزُّ عليَّ من محبتهِ، ومقاومتهُ احبّ اليَّ من طاعتهِ، والموت اودّ لي من الحيوة الفانية".

فاخبر الحكام الملك بكل ما قالهُ القدّيس فلما اتصل مقالهُ بشابور، قام عرق الغضب بين عينيهِ فحرق أرمهُ وصفق بيديهِ وقال: "انّ شمعون يروم ان يحمل تلاميذهُ وملتهُ على خلع طاعتي ويجعلهم عبيداً لقيصر الذي هو من مذهبهم، فلأفعلنّ بهم ولأصنعنّ" فطار هذا الخبر على جناح السرعة في كل المدينة، وبدأ أعداءُ ملتنا يقرّفون شمعون وجميع النصارى امام الملك واكابر دولتهِ فجاوب الملك الحكام ما نصهُ: "حالما تصلكم رسالتنا الالهية هذه، استدعوا شمعون امامكم وقولوا لهُ من قبلنا: لِمَ تتجرأ على إتلاف حياتك وحياة ملتك دافعاً نفسك وإياهم الى اشنع قتلة إنما بكبريائك وصلَفك تحمل ملتك على خلع طاعتي، وانّي انا ايضاً لابذلنّ قصارى جهدي في محوكم من على وجه الارض".

فاستدعى الحكام القديس شمعون وقرأوا امامهُ رسالة الملك فلم يرتعد بل أجاب بشجاعة عجيبة قائلاً: "إنّ قولي الاوّل والآخر هذا هو: إنّني لستُ بمسلم الشعب الذي اودعني إياهُ المسيح سيّدي للخراج والجزية مبعداً إياهُ عن الحقّ، وانّي لقابل الموت من اجلهِ وكما انّ المسيح صُلب من اجل الامم الذين في كلّ قطر ومصر لكيما يحييهم بصليبه، فكذلك انا ايضاً اموت من اجل شعبه الموجود في هذه المملكة والذي استودعني إيّاهُ لئلا يموت عن الايمان بالمسيح، واني اقول الحقّ امام عظمتكم ولا اكذب إنّ الموت خير لي من عيش منغص، وعدم معاينتي نور هذا العالم اجمل لي من مشاهدتي شعب ربّي في الضيقات والرزايا، فلأبذلنّ دمي دون قطيعي، ولأحنين راسي تحت السيف من اجل اغنامي".

فكتب الحكام مخبرين الملك بما قال القديس فاغتاظ غيظاً شديداً ولا غيظ الاسد الضاري المستطعم في شُرب دم الناس، فسنّ انيابه وحرق اسنانهُ مستعداً

بشدّة غضبه للافتراس ومتهيئاً بقوّة حقده للتمزيق فزأر زئيراً شديداً ارتجت لهُ الارض آمراً بإبادة الكهنة واللاويّين وهدم الكنائس ونهبها والقبض على شمعون وإحضاره بين يديه، لانهُ مقت دولتهُ واهان آلهتهُ فكتب اذاً الى الحكام الذين في ارض الاراميّين ما نصهُ: "حالما تصلكم رسالتنا هذه اقبضوا على شمعون رئيس النصارى وكبلوهُ بالسلاسل وارسلوهُ اليَّ واهدموا بيعتهُ"

فلما سمع القديس ما امر به الملك لم يضطرب ولم يخف، وعند مشاهدته استئصال كنيسته لم يرتخِ عزمهُ ولا ذهب قلبهُ شعاعاً، بل تقوّى وتشجّع وسبّح الله وحمدهُ، فنهض ووافى الحكام قبل ان يقبضوا هم عليه، فأمهلوهُ ثلاثة ايام حتى إذا ما انقضت يذهب الى باب الملك فقبل القديس هذا الامر بفرح وسرور.

وحدث فجأةً اضطراب عظيم في المدائن فاسرع المضطهدون واخذوا يهدمون الكنيسة، فاستخفى الرهبان وتوارى القطيع ومُسك الراعي، وامتلأت الكنيسة كفّاراً بحيث انّهُ عوض اصوات المُصَلين كان يُسمَع اصوات الضجوجين، وعند تهدم سقف البيعة كان غبار الحيطان يرتفع الى السماء عوضاً عن البخور الذكي فصار اضطراب وخوف عظيم في جميع الكنائس، وفي هذا كله لم يتراخَ الرعاة ولا ارتخى حَزْم الكهنة ولا نقص إيمان الرهبان، بل تشجّعوا كلهم قاطبةً وتقوّوا باسم المسيح المخلص ولم يذعن احدهم للمجوس، بل كانوا جميعاً متجلببين بجلباب الايمان وماسكين بايديهم حربة صليب المسيح ابتغاءَ ان يطعنوا بها الاعداء، وجمع مار شمعون الجاثليق جميع الرهبان والكهنة والشمامسة فشجّعهم قائلاً: "تقوّوا ولا ترتخوا، إنّما لهذا دُعيتم وخصصتم انفسكم اي لتكونوا تلاميذ المسيح، فانظروا في ما كابدهُ من الاهانات من اجلكم إذ كان معلقاً على خشبة العار متاملين في ما لهُ عليكم من الحقّ العظيم ولعمري من ذا قادر ان يوفي الحقوق التي لهُ علينا في موته من اجلنا فلنمُت نحن ايضاً من اجله حدقوا الى الانبياء المقتولين والرسل المرجومين: لعرفوا انّ الله سبحانهُ ليس بضعيف ولا مسيحهُ بمتقاصر عن القوّة بل انّهُ يريد اظهار قوّته في الضعفاء والدلالة على

حياتهِ في موتهم وإذا ما رفعنا اليه عقولنا نظر الينا وشجعنا ونصرنا في الجهاد هذا واعلموا يا اعزّتي بانّ هذه الضيقة تزول ويُعقبها الراحة والفرج، وانّ البيعة التي هُدِمت ستُبنى باجلال وتُزيَّن بظرافة، فلا تحزنوا على استئصال بيعتنا التي على الارض، فلنا بنيان في السماء غير مصنوع بأَيدي البشر، وهو كنيسة الابكار المبنيَّة ليس في ساليق وكوخي بل في اورشليم العليا، وإني الآن ذاهب الى باب الملك، ولست ادري ماذا يحدث عقيب هذا، امّا انتم فكونوا دائماً على حذر متدرّعين دروع الايمان، حتى إنّهُ اذا ما ناشبكم الاعداء الحرب لا يكون للنشّابة سبيل الى خرق دروعكم إحفظوا اوامر الربّ لكي يحفظكم هو، احبّوا الذي احبَنا وقرَّب نفسهُ ضحيّةً عنا حتى يحيينا بموتهِ، حافظوا من كل نفسكم على عقائدكم الدينيّة محتملين عنها جميع الاذيّات والمشقات، واذكروا ما قالهُ الرسول : "الكلمة صادقة هي، واهلٌ لأن تُقبَل كلياً إن كنا مُتنا مع المسيح فمعهُ ايضاً سنحيا، وإن تالمنا نحن فسنملك معهُ، وان كفرنا بهِ فهو ايضاً سيكفر بنا، وإن كنّا غير امناء فهو يبقى اميناً، لانّهُ لن يقدر أن يُنكر نفسهُ" هذا ما اوصيتكم بهِ الآن، لاني عالم بانكم لن تروا بعد وجهي، فإني مزمع ان أُذبح من اجل الشعب المسيحيّ والايمان الحقيقيّ، ومَن لي بالمؤهل لهذا سوى مراحم يسوع المسيح ربّنا، فليكن هو معكم ومعنا ايضاً بجاه ادعيتكم الى ابد الابدين آمين".

فلما قال هذا شهق جميع الحضّار وبكوا على انفصال الراعي المتيقظ، وسفر المدبر النشيط، وانتقال الرئيس الحازم الصحيح، وذهاب الملفان البارع، وابتعاد البار القدّيس وتنائيهم عن الأب الشفوق الطيب النفس فكانوا يتنهدون ويقولون والدمع يملأ أعينهم : "الويل لنا فانّ شمعون الصفا يُرفع عنّا، فيك رأينا الرسل، فترى من يمنّ علينا بأسقف نظيرك" وخصوصاً كانوا يبكون بكآءً سخيناً على انّهم سمعوهُ يقول: "لن تعاينوا بعدُ وجهي، فانّي مزمع ان أُذبح" إلا انّ القدّيس أسكتهم منتهراً إيّاهم، وكان يقرّبهم اليه فيبشّ لهم ويعانقهم، وصلى ورفع يديه عليهم وباركهم قائلاً: "ليحفظ صليب ربنا الشعب المسيحيّ باسرهِ، وليكن سلام

الله عليكم مثبتاً قلوبكم بإيمان المسيح في الضيقة والراحة وفي الحيوة والموت الآن وفي كلّ زمان والى دهر الداهرين، آمين".

وحالما تّمم صلاتهُ سافر الى ارض الاهواز مع بعض الكهنة وكان في تلك الايام قد قُبض ايضاً على كدياب وسابينا اسقفي بيلافاط، ويوحنا اسقف هرمز ارداشير، وبوليداع اسقف فرات ميشان، ويوحنا اسقف كرخ ميشان، وعلى كثير من الكهنة والشمامسة، فسيقوا كافةً الى باب الملك في مدينة ليدان التي كان شابور قد بناها حديثاً وأعمرها كثيرين من الاسرى الذين كان قد أجلاهم من سنجار وبيت زبدي وأرزون وقردو وارمينية واماكن اخرى شتّى ففي تلك الايام بعينها كُبّل القدّيس شمعون الجاثليق وأُرسل هناك.

وكان على باب الملك رجل مُسن وقور اسمهُ كوشتازد وكان رئيس الخصيان، فقيل عنهُ للملك إنّهُ مسيحيّ، فاستدعاهُ شابور وقال لهُ: "يا كوشتازد!" فاجابهُ قائلاً: "هاءنذا انا عبدك يا سيّدي الملك"—فقال: "أهذه كانت استقامتك نحوي انا الذي جعلتك رئيساً على الخصيان وأكرمتك وعظمتك كثيراً، قُل لي، أما قربناك انا وابي ورفعناك من المنزلة الوضيعة الى المنزلة الرفيعة؟".

– "نعم ايها الملك الصالح، ولكن لمَ يقول لي الملك هذا الكلام؟".

– "اني سمعتُ عنك انك نصرانيّ".

– "نعم ايها الملك الصالح، انّ ما سمعتهُ لَحق" فغضب الملك عليهِ وقال: "كمّل الآن ارادتي واسجد للشمس، وإلا قتلتُك لا محالة" فاحتاط بكوشتازد اكابر الدولة وجميع الخصيان رفقائهِ، فخلوا بهِ واخذوا يستميلونهُ قائلين: "اذعن للملك زماناً يسيراً ثم ارجعْ الى مذهبك واثبت عليهِ" فعلق كوشتازد في شبكتهم، واذعن للملك وسجد للشمس.

فلما وصل مار شمعون الى مدينة ليدان اتصل بهِ خبر كوشتازد، فحزن عليهِ واغتم غماً شديداً واما كوشتازد فلدى سماعهِ بوصول القدّيس قام من ساعتهِ فذهب الى باب القصر حيث كان الجاثليق قد نزل، فدخلوا عليهِ وقالوا لهُ: "هوذا

كوشتازد بالباب ويريد الدخول عليك" فقال مار شمعون: "اغلقوا عليه الباب ولا تتركوهُ يدخل عليَّ، فإنّهُ قد كفر بيسوع ألهي" واما كوشتازد فأرسل الى القدّيس يقول لهُ: "التمس اليك يا سيّدي ان تأمر بإدخالي عليك، فاقصّ عليك كيفية ارتكابي هذا الاثم الجسيم" فلم يجبه القدّيس الى ذلك، فبعث ثانيةً يقول لهُ: "إغفرْ لي هذه المرّةَ خطائي هذا العظيم، فلن ارجع اليه البتة" فاجابهُ القدّيس قائلاً : "ان ما ارتكبتَهُ ليس بخطإٍ حتى اغفرهُ لك، ولا بنقيصة حتى اتجاوز عنها، بل انّهُ لَجرم جسيم وكفر عظيم، فانّك قد كفرتَ بإلهك، فترى من يغفر لك؟ لقد زغتَ عن المسيح مُحييك، فتُرى اي إنسان مائت قادر ان يُحييك؟ فقل لي اين إيمانك الصحيح؟ واين درّتك النفيسة؟ ويا للعجب من انّك بمجرد استماعك اسم العذابات خفتَ خوفاً شديداً فكفرتَ بالمسيح الهك، وفي دقيقة واحدة قد أهلكتَ نفسك، فلعمري انّ قصاصك لعظيم، لانّك استغرّيتَ بمجدٍ زائل دون ان تخاف من المسيح القدّوس السبّوح السرمديّ اللطيف ملك العالمين الذي لكثرة بهاء جماله الباهر لا يتجرّأ الساروفيم على النظر اليه وأعلم بانهُ لا سبيل لك للخروج من هذه الوهدة إلا الدخول من الباب الذي خرجتَ منهُ فعليّ أن ابكي عليك، عليَّ ان انوح عليك، عليّ ان اندبكَ، فيا ويلي على انكسارك يا ابن شعبي، ويلٌ لي على سقوطك ايها الجبّار، آهاً من هوانك ايها الجليل، آهاً من شقاوتك ايها الفاضل، وَيحاً لي على موت نفسك ايها الصالح، ويحاً لي على فقدانك درّتك الثمينة اذهبْ ولا تعدْ اليَّ ما لم تجد درّتك التي لا تُرَدّ الا بسفك دمك من اجلها، فإنّها هي ايضاً مُشتراة بدم يسوع سيّدي".

فلما اتصلت هذه الالفاظ باذنَي كوشتازد توجع توجعاً شديداً ونوى ان يتردى بلباس التوبة، واخذ من ساعته يبكي بكآءً مراً نظير مار بطرس عند انكاره الوهيّة المسيح خوفاً من اليهود، وانطلق الى دارهِ وتدثّر بالمسح والرماد راثياً نفسهُ ومُضنياً جسمهُ بالسهر المتوالي والبكاء الدائم والصوم الطويل وهو يصرخ ويقول مع الملك والنبيّ داود: "أرحمني يا رب فإنّي ضعيف، إِشفني يا

رب فانّ عظامي قد اضطربت، لقد أنتنت وقاحت جراحاتي" ولم يزَل يقول هذه الالفاظ وما يضارعها من المزامير في مدّة يومَين وهو لم يمثل بين يدَي الملك.

ثم ان مار شمعون لما مضى على وصوله الى ليدان ثلاثة ايام امر شابور الملك بإحضارهِ فلما سمع كوشتازد بذلك، ألقى عنهُ المسح واتى الى باب القصر رجاءَ ان يكون لهُ بذلك سبيل الى معاينة القديس ومخاطبتهِ فلما مثُل الجاثليق بين يدَي الملك، خر على وجههِ ساجداً لهُ فقال لهُ الملك: "أبلغ من وقاحتك يا شمعون ان تتجرأ عليَّ؟ أهذا كان جزاءَ محبّتي لك؟ او هذا كان جزائي منك عن إكرامي لك وثنائي عليك امام اكابر دولتي إذ كنت اقول لهم عنك إنّ شمعون لَرجل حاذق حكيم؟ قل لي اما جعلتُك فاضلاً كريماً بين المجوس؟ فلماذا صنعت بي صنيع العدوّ حاملاً ملتك على نشر لواء العصيان عليَّ بعدم إذعانك لاوامري؟" فسجد لهُ شمعون ثانيةً وقال لهُ: "يا مولاي الملك، مَن هذا العبد الحقير حتى يتجرأ على مخالفة أمر وُلاتك وعمالك وعبيدك فضلاً عن جسارتهِ على نبذ امرك السامي، واني لستُ بناكر ما فعلتهُ معي من الاحسان العظيم، لانّ الكذب شيمة قبيحة، والكذاب مكروه عند الله وعندك، غير انني لستُ اتعرى من حلة مجد إلهي العظيم إبتغاء نوال كرامتك، فانّهُ تعالى هو الذي عظمك ورفع شانك وجعلك ملكاً على الشعوب ورقّى حالك وثبّتك في هذه السلطة الجليلة العجيبة، ولكن لِمَ دعوت يا ملك الملوك أذلَّ عبيدك عاصياً؟" الملك: "لانّك لم تجبر ملتك على دفع الجزية مضاعفةً كما امرناك" - "حاشا عبدك يا سيّدي الملك ان يظلم شعب الله المتواضع، وحاشا دولتك الجليلة ان تامرني بمضايقتهِ وخَطف ثيابهِ فإنّي فقير ولا ازال اعلم شعبي الفقر والتواضع قائلاً لهُ من يضربك على خدك فحوّل لهُ الآخر، ومن ياخذ رداءَك فاعطهِ ايضاً قميصك، فحاشاي يا مولاي الملك ان اصنع هذا الصنيع".

فلما قال القديس هذه المقالة، اكتنفهُ من كل جانب مجوس وحكام طغاة قائلين: "إنّ هذا بعدم أخذه على نفسه دَفْعَ الجزية إنما يروم ان يحمل شعبهُ على نشر لواء العصيان على ملك الملوك".

فاجابهم القدّيس: "أما تكتفون بتجريدكم المساكين عن اموالهم والتعدي عليهم وتسخيركم الضعفاء بل تسعون بتحنية رؤسنا ايضاً تحت نير عبوديتكم القاسية؟ ألا تقولون لي لماذا تضربون علينا الجزية الضعفَ ضعفَين؟ ألعلنا أغنياء؟ لا لعمري، فانّنا افقر الجميع" فقال لهُ المجوس: "لانكم لستم من مذهب ملك الملوك المساوي للآلهة في الجوهر" فاجابهم القدّيس قائلاً: "فاذا كان الامر مثلما تقولون فليس لكم سبيل ان تضربوا علينا الجزية من اجل إيماننا بل من الواجب ان تحملونا على المحاجّة عن عقيدتنا وتعليمنا واعلموا جيداً انّنا مستعدّون ان نبذل اموالنا فضلاً عن انفسنا دون هذا الايمان الحقيقيّ، فما ناخذ على انفسنا غصب شعبنا على دفع الجزية المضاعفة، لانّ سلطاننا ليس من هذا العالم بل من الله نفسهِ الذي يامرنا بالتواضع موعزاً الينا باعطاء الصدقة للمساكين لا باغتصاب المقتنى منهم، وبتفريج الغمّ عنهم لا بمضايقتهم".

فلما سمع الملك كلام القدّيس هذا، التفت اليهِ وقال لهُ: "إياي خاطب يا شمعون، فإني انا مولاك، وخل عن رفاقك، وإنما لهذا الامر قد احضرتك عندي" –فسجد لهُ شمعون وقال : "ليقل سيّدي الملك لعبدهِ ما شاء" –الملك: "مع انّنا نقضي حياتنا في الحروب الدائمة، فانتم عائشون في امانٍ واطمئنان فضلاً عن انّكم اضدادنا في امر الديانة، فهلم الآن واذعن لي آخذاً لي من ملتك الجزية مضاعفةً واذهب بالسلام الى محلك" –القدّيس: "إنّ اجسادنا وبيوتنا وجميع ما لنا من الاموال وغيرها لَخاصّتك ايها الملك العظيم فإنّنا لسنا نملك شيئاً في هذه الارض الممتلئة آفات وضيقات فليامر سيّدي الملك، إن اعجبَهُ، فياخذها منا، فإنّي لا اضايق شعبي بضربي عليهِ الجزية وان امرتَ بسلخ جلدي ولعمري خير لي ان يُسلَخ جلدي من ان اغتصب الفقير رداءَهُ واضايق مَن حرَّرهُ إلهي بدمهِ الكريم".

– شابور: "لنترك إذاً امرَ الجزية فنأتي الى ما يُجدي حياتك نفعاً، وهو ان تسجد للشمس والنار فإنّي لستُ ابتغي قتلك، لانك حكيم حاذق كما قلتُ عنك مراراً كثيرة، فأطعني الآن واتعظ بكلامي ولا تعاندني".

– شمعون: "إنّ ما اشرتَ بهِ عليَّ من النصح لمُضرّ بحياتي يا سيّدي الملك".

– شابور : "أفما بصّرتك بما فيهِ من الخير والنفع؟".

– القدّيس: "انك لم تبصّرني إلا بما فيهِ اعظم مضرّة لي".

– الملك: "مدحتُك قائلاً بانك حكيم، وها إنّك الآن تبين لي جاهلاً إذ إنّك تعارضني في امري، لانّهُ من شأن الجهلة ان يقاوموا اوامرنا الآلهية".

– القدّيس: "إنّ شمعون عبد الإله الواحد الحيّ الحقّ يعوذ بإلههِ من السجود للشمس والقمر والنار فإنّ الشمس والقمر سوف يزول سيرهما ودورانهما، والنار تموت كلّ يوم إذ تُطفأُ وتزول، فلا اذعن لامرك هذا يا مولاي الملك وإن أحرقتَ جميع عظامي بالنار".

– الملك: "إن كنتَ لا تسجد للنار لكونها زائلة فانية، فلا تسجد ايضاً لإلهك، لانهُ هو ايضاً قد مات مصلوباً".

– القدّيس: "حاشا لله يا سيّدي الملك ان يتألم ويموت، فإنّ كل مَن يتالم ويموت ليس بإله، لأن الذات الإلهيّة فائقة الآلام والموت".

– شابور: "لقد كذبت بقولك إنّ إلهي لا يموت".

– الشهيد: "ما كذبتُ يا سيدي الملك".

– شابور: "أفما مات يسوع الذي تدعونهُ انتم المسيح؟".

– الشهيد: "بالحقيقة إنّ يسوع مات وانبعث وقام، ولكن ليس الله الذي مات وقام".

– شابور : "فترى من هو يسوع المسيح؟".

– القديس: "إنّ يسوع المسيح إله وإنسان".

– شابور: "فإذا لماذا صار إنساناً؟".

- الشهيد:"إنّ الله تعالى اراد ان يرد الناس من الضلالة ويشفيهم من امراضهم وحيث إن الناس لم يكونوا يستطيعون رؤية الله، أخذ سبحانهُ الطبيعة الانسانيّة، فعلم الناس الفضائل ومارسها هو نفسهُ، وأبراهم من اوجاعهم، وردهم من عبادة الاوثان فحسد اليهود ليس الذي لا يُرى بل الذي يُرى فقبضوا عليهِ وصلبوهُ، وإنّما اسلم ذاتهُ للموت لكي يحيا ايضاً فياتي بدليل قاطع على قيامة جميع الناس، فانبعث وقام وصعد الى السماء، وعتيد ان يأتي فيبعث الموتى وهذه الشمس التي تأمرني بالسجود لها هي ايضاً أعتمت في حين صلبهِ توبيخاً لليهود على قتلهم ذاك القدّوس".

- الملك: "الى الآن لم يتصل بي ما قلتَهُ عن إلهك، لانّي كنتُ اسمع إنّما اليهود صلبوا إله النصارى".

- القديس: "ما قال النصارى هذا الكلام، معاذ الله، واما الذين يزعمون بهذا فهم المرقيونيّون الذين كذباً يدعون انفسهم نصارى".

قال الملك: "إن لم تسجد للنار لكونها مائتة، فاسجد للشمس التي لا تموت".

- الشهيد: "كيف اسجد للشمس التي لا تدوم سلطتها، إذ إنّها تزول كل يوم فيعقبها الظلام، وهي مع ذلك تطول وتقصر، هذا وانّها معدومة الحيوة والمعرفة والنطق، وكيف يمكننا ان ننسب الموت الى ما ليس لهُ حيوة" وكان الملك يغضب لدى سماعه هذه الاقوال الشديدة، غير انهُ كان يكظم غيظهُ، فقال: "تخلَّ عن اقوالك هذه الركيكة واسجد للشمس كما امرتُك فتحيا" -شمعون: "لقد سبقتُ وقلت لجلالتك بأنك وإن امرتَ بإحراق جميع عظامي فلا اصنع هذا الصنيع ابداً".

- شابور: "اسجد للشمس والنار، فبسجودك لهما تنجو من القتل" - برصباعي: "إنّ الموت من اجل إلهي خير لي من جميع اللذات العالميّة، وإني لأقبلَنَّهُ بكمال الفرح والسرور، وطوبى لمن يُهان او يُحبَس او يحتمل الاذيّات في سبيل الله، وخصوصاً طوبى لمن يُقتَل من اجله تعالى، فإنهُ يرث الحيوة الابديّة".

– الملك: "ليس برأي، يا شمعون ان تثبت ارادتك وتكون انت نفسك سبباً لموتك وموت جم لا يُحصى من شعبك، فترحّم على نفسك وعلى شعبك فإنني اقسم لك بالشمس انهُ إن قاومتَني وخالفتَ امري فلأقتلنك انت وكل من يسمَّى بهذا الاسم، فامنعني عن سفك دمك ودم ربوات من الناس، وإذ كنتَ غير مشفق على ذاتك فاشفق على الاخرين".

– القدّيس: "لَمجنون وظالم من لايشفق على نفسه وعلى إخوته، واما انا فإنما إشفاقاً على ذاتي وعلى إخوتي متمسّك بتعليمي، وان كتبنا تُلقننا قائلةً ماذا ينفع الانسان لو ربح العالمَ كلَّهُ وخسر نفسهُ، او ماذا يُعطي الانسان فداءً عن نفسه انت لك سلطان على حياة اجسادنا، فان اردتَ فانزعها عنا سريعاً على الوجه الذي تريدهُ".

– شابور: "وإن كنتَ انتَ بجهالتك تُبغض نفسك إلا ان موتك يفزع تلاميذك ويُذعرهم فيطيعونني".

– القديس: "حاشاهم ان يتلاهوا بهذه الحيوة الزائلة متشاغلين عن الحيوة العتيدة ومنصدين عن سبيل قصدهم وستعاين عما قليل تمسكهم الوطيد بإلههم الحقيقيّ وشدة حبهم لمولاهم وخالقهم فإنهم لا يستبدلون ظلماً مجد الله الحيّ بتاجك الكريم المفخّم".

–شابور : "وهل تتجرّأ عليّ يا شمعون؟ وحقّ الله لأعيثنّ بالسيف حسنك البهيّ واخضبنّ بالدم قامتك الرشيقة فإن أكرمتَني الآن امام اكابر دولتي بسجودك للشمس وإلا لأضربنّ غداً عنقك بالسيف".

– الشهيد: "إني لستُ بساجد للشمس، اما حياتي فاعدمني اياها اليوم او غداً كما تشاء، وانا لستُ أُبالي بهذا فانّ لي من يبعثني".

فامر الملك بإلقائه في السجن قائلاً في نفسه لعلهُ يتعظ بكلامي فيذعن لي وبينما كانوا يستجرونهُ ويخرجونهُ من باب القصر وهو مكبل بالسلاسل كان كوشتازد واقفاً على ناحية ينتظرهُ لياخذ سلامهُ، وكان يتوق جداً الى نوال بركته، فتجاسر

ودنا منهُ وسجد لهُ فزجرهُ القديس وحوّل عنهُ وجههُ قائلاً: "ليس من الواجب ان أُسالم الذي كفر بملكهِ الحقيقي خوفاً من شابور الملك" فصارت هذه الالفاظ كسهم اصاب قلب كوشتازد وجرحهُ فاخذ من ساعتهِ يولول ولولةً عظيمة مُرّة، ورفع صوتهُ بالبكاء وقال : "ويلي ماذا حدَث لي! آه وا اسفاه! اذا كان شمعون اخص احبائي الذي كان يحبني كنفسهِ احتدَّ عليّ بهذا المقدار، ترى كم يكون شديداً غضب الله عليّ إذ إني كفرت بهِ فماذا يغنيني المسح المدثر انا بهِ في داري، وماذا يفيدني الرماد الجالس انا عليهِ خفيةً في البيت، فلأُقرنَ اليوم امام شابور بيسوع الذي كفرت بهِ قدّام شابور نفسهِ، ولأُقدّسنَ شفتيَّ بالاعتراف بهِ تعالى" قال هذا وهرول الى منزلهِ فخلع عنهُ ثيابهُ الثمينة وتوشح بلباس الحداد، وجاء وجلس مكانهُ بين الخصيان، وكان مكانهُ معلوماً لدى الجميع إذ إنهُ كان رئيس الخصيان وابن مربّي شابور الملك فكان كل من يراهُ يستغرب تصرفهُ هذا.

واتصل الخبر بالملك فأرسل اليهِ من يقول لهُ من قِبلهِ: "ما هذا الجنون الذي اعتراك؟ فانّني انا حيّ ومؤيد ومظفر، وتاجي على راسي، فلمَ انتَ لابس ثياب الحداد؟ فترى مَن مات من اهل دارك؟ امرأتك ام واحد من اولادك؟ والحال انهُ لأمر مُحقق ان لا امراة ولا ولد لك" فجاوب كوشتازد رسول الملك قائلاً : "إني بحقٍ حزين ومكتسٍ بثياب سود لاني مستوجب الموت" فلما اتصل هذا الكلام بالملك سأل الحضّار عما يعني كوشتازد بقولهِ هذا فقال البعض: "ليس لنا بدّ من ان نكتم عن دولتك ان كوشتازد منذ مجيء شمعون رئيس النصارى لم يأتِ إلا اليوم الى القصر، لا بل بلغنا انهُ كان مدثراً بالمسح والرماد في بيتهِ".

فلما سمع الملك هذا الكلام امر بإحضار كوشتازد ليستخبرهُ هو بنفسهِ عن سبب حزنه فلما مثل بين يدَيه، زجرهُ قائلاً: "هل اعتراك الجنون ايها الشقيّ حتى إنّك تفثّل دولتي بما فيهِ لها من المناحس والمكروهات؟".

– "لا يقُل سيّدي الملك هذا الكلام، فإنني بطيوب شيخوختي لقَادر على تطييب رائحة الجهّال فضلاً عن انهُ ليس فيّ شيء مما تظنّ".

– "إذاً لماذا انت متوشح بثياب الحداد؟ ولمَ قلتَ إنك مستوجب الموت؟".

– "وحق الله إني لَمستوجب الموت، لانّي ارتكبتُ ذنباً عظيماً وجنيتُ على نفسي جناية مُوبقة".

– "أعظيم ذنبك بهذا المقدار حتى إنهُ وجب ان تتدثّر بالمسح والرماد وتتجلبب بجلباب الحداد؟".

– "نعم يا سيّدي الملك، إن اثمي جسيم وليس لهُ مغفرة، فانا قاتل".

– "ومن قتلتَ؟".

– "لقد قتلتُ نفسي وذلك بسجودي للشمس".

– "إذَن أفما سجدتَ للشمس بصدق؟".

– "كلا، فإنّي سجدتُ لها كذباً وإنّما من جرى هذا الامر فقط قد احترقت احشائي بنار الحزن، إذ إنني خدعتك انت وإلاهي كذبتُ عليه تعالى لانّي تركتهُ فأذعنتُ لك وخنتك انت ايها الملك لانّي سجدتُ للشمس ظاهراً فقط لا باطناً" فلما سمع الملك هذا الكلام امتلأ غيظاً شديداً فقال: "أفَمِن جراء هذا الامر فقط انت حزين كئيب يا ايها الشيخ الجاهل؟ فلعمري لأُسرعن في جعل مناحتك حقيقيّة".

– "وإنّي انا ايضاً أُقسِم بإلهي العظيم باني لستُ اعود اصلاً الى الاذعان لك والكفران بالله تعالى".

– "إن ما يحملني على الصبر عليك يا كوشتازد وعلى تحضيضك على الإضراب عن تمسكك برأي النصارى السحرة هو ما اعرفهُ من جميل خدمتك لي ولابي فلعمري لأُحب ان تبقى في قيد الحيوة مداوماً على مصاحبة ملك كل الارض" فسجد حينئذٍ لهُ كوشتازد وقال : "ايها الملك السعيد جدهُ، دامت ايامك إني لَعامل بما قلتهُ لي من السعي في البقاء في قيد الحيوة وفي صحبة ملك كل

الارض الذي هو الله الحقّ خالق السماء والارض وكل ما فيهما فصدّقني ايها الملك وتيقّن قولي هذا وهو انهُ لا يقدر احدٌ ان يفصلني عن صحبة ملك السماء والارض حاملاً ايّاي على السجود للخلائق، لا انت يا سيّدي الملك ولا الملوك ولا الاعيان الواقفون امامك ولا الملائكة انفسهم" فاحتدّ عليهِ الملك وقال: "لعلما اسجد انا للخلائق يا ايها الشيخ الجاهل المنافق؟".

– "بماذا تامرني ان انطق ايها الملك أبالحقّ ام بالكذب".

– "قل الحقّ".

– "يا ليتك تسجد لخليقةٍ ذات روح وحيوة وحاسيّة، فإن ما تسجد لهُ لَمخلوقٌ وعادم الحيوة والمعرفة".

فاحتدم عليهِ الملك غضباً وأمر بقطع راسهِ وبينما كان السيّافون يذهبون بهِ الى القتل، قال كوشتازد لأُمناء الملك الذين كانوا معهُ: "أمهلوني يسيراً" فوقفوا لظنّهم فيهِ انهُ يعمل ارادة الملك فدعا واحدا منهم وقال لهُ: "انطلق فقل للملك ان كوشتازد يقول لي كلمة اقولها لجلالتكم" فانصرف الرجل وبلّغ الملك ما قال القدّيس ففرح شابور لظنّهِ انّ الخصيّ قد نوى تكميل ارادتهِ فأمر باحضارهِ فدخل عليهِ كوشتازد وسجد لهُ وقال: "إنك لعالم ايها الملك أني حفظتُ جيداً جميع اسرار دولتك ولم ازَل تابعاً رضاك ورضاء ابيك كما سمعتَ مراراً من امك الملكة هذا وإنّك اقررتَ قائلا إن ما يحملني على الصبر عليك هو ما اعرفهُ من جميل خدمتك لي ولابي فلقاء هذا المعروف اتوسل اليك ان توعز الى منادٍ بان يصعد السور ويجول في المعسكر وينادي بأعلى صوتهِ إن كوشتازد لم يُعرَض على السيف إلا لحال كونه نصرانياً لا غير، إذ إنّ الملك قد امرهُ بالسجود للشمس، واما هو فامتنع ولم يكفر بإلههِ".

ان هذا الشيخ الحكيم قال في نفسهِ لقد شاع خبر كفري بالهي، ولا بدّ من انّ كثيرين قد ارتخوا بسببي واذا قُتلتُ الآن فلا يمكنني ان اقلع تماماً بموتي ما زرعتهُ من الفساد في حقل المسيح في تشكيكي تلاميذه إن لم يُعلَن لكل احد انّي

إنّما من اجل المسيح أُقتَل، والمرتخون بسببي إذا ما سمعوا ذلك عنّي يتقوّون ويتشجّعون بسببي ايضاً ولله درّهُ حكيماً! يا ما اعجب ما اظهرهُ هذا الشيخ الحكيم من الفطنة في وقت الخوف والفزع، في آن الذعر والاضطراب، في حين الدهشة والرعدة، في زمان فيه تتبدّد غفلةً جميع الافكار وتضمحل المعرفة خوفاً من الموت، ففكر بفضل حكمتهِ في انّ الدواعي الى قتل من هو نظيرهُ في المرتبات العليا من الممكن ان تكون كثيرة ومختلفة، فدبَّر امرهُ تدبيراً حسناً، ووجد لهُ فرصةً بها عرّف الجميع انّ الداعي الى قتلهِ هو حال كونه نصرانياً لا غير فيا لهُ من شيخ وقور رأى رأياً وايّ رأي! يا لهُ من شيخ حكيم أولى شعبَ الله معروفاً وايّ معروف! يا لهُ من شيخ فاضل اورث كنيسة الله إرثاً وايّ إرثٍ! يا للعجب لشيخ ازداد عقلهُ نمواً وطيَّب برائحتهِ الذكيّة رائحة العقول الكريهة وانار بفهمهِ الجالسين في الظلام! يا للعجب لشيخٍ ضعيف الجسم قوّى افكار الضعفاء! يا للعجب لخصيّ بلا نسل ازدادت ذريتهِ في المسكونة! يا للعجب لخصيّ بلا اولاد تكاثر اولادهُ في البسيطة، يا للعجب من خصيّ بلا اثمار اثمر اعترافهُ بالله اثماراً في الغبراء كثيرةً غزيرة.

امّا الملك فلما سمع من كوشتازد ما قلناهُ انفاً فرح فرحاً جزيلاً لظنهِ ان كثيراً من النصارى لدى سماعهم هذا الخبر ترتخي عزائمهم خوفاً من القتل فيمتثلون امرهُ السامي، ففعل من ساعتهِ ما طلبهُ منهُ كوشتازد اما القدّيس فذهبوا بهِ ليقطعوا راسهُ، ولما بلغوا بهِ الى المكان المعين لقتله، خرَّ ساجداً لله نحو المشرق وقال: "احمدك ايّها المسيح على جزيل إِحسانك اليّ، إذ إنّني كنتُ من خرافك الضالة ورجّعتني انت الى حظيرتك المقدّسة بواسطة راعيك الغيور مار شمعون الذي خرج في طلبي، وجعلتني بين خرافك السمينة لاكون ابناً للرسل واخاً للشهداء، فشكراً لك على هذا الاحسان العظيم".

ثم قام ووجههُ يتهلل فرحاً، والتفت الى الحضار وقال: "ليفرح اليوم الله تعالى المبدع الحيوة بمائت قد انبعث، وليسر المسيح بالخروف الضال الذي وُجد،

وليبتهج الملائكة بخاطئ قد تاب، وليفرَح من كل قلبهِ الاب الروحاني مار شمعون الجاثليق ويسبح ويعظم الله لانهُ نظر الى تواضعهِ ورجع اليه ابنهُ الذي كان قد اضاع درّة إيمانهُ" قال هذا وأحنى راسهُ فقُطع بالسيف، وكان استشهادهُ يوم خميس الفصح لثلاثة عشر خلون من نيسان.

هذا هو العبد الامين ابن دانيال الامين، فانهُ قد ضارعهُ في كل امرٍ دانيال خدم درياوش، وكوشتازد خَدَمَ شابور، دانيال مَهَنَ ملكَ الماديّين والفرس، وكوشتازد ملكَ الفرس والماديّين النبيّ لم يخف الاسُود، وكذلك الخصيّ لم يذعر من السيف، لله درّك يا ايها الشيخ الامين الوقور الذي صار رفيقاً لدانيال الامين، فلكَ ان تفرح مع حننيا، ولك ان تُسَرّ مع عزريا، ولك ان تسبّح مع ميشائيل، ولك ان تبتهج مع خصيّ قنداقة ملكة الحبشة، ومع خمستهم متمتّع انت في السماء، فحسناً دُعيتَ باسم كوشتازد، فإن تفسيرهُ حُرّ المملكة وانتَ صرتَ اهلاً لان تكون من احرار الملكوت السماويّ، فلك يُمنَح اسمٌ افضلُ من البنين والبنات كما قال النبيّ، لك يُعطى مسكن فاخر في دار الرب كما شهد اشعياء، لك يوهب اسم لا يؤخذ منك ابداً كما صرّح الرب نفسهُ هذه كانت آخرة كوشتازد الصنديد، هذا كان ابتداء ذكاءِ نار القتال الروحانيّ الذي جرى لشعبنا مع اعدائهِ فهذا هو شهيد الشرق الحقيقيّ، الذي صادهُ الى الحيوة مار شمعون جاثليق الشرق وشهيد الشرق.

اما ما كان من امر مار شمعون القدّيس فبعد خروجهِ من عند الملك وما صار لهُ مع كوشتازد على باب القصر، جاءَ الى الاساقفة رفاقه وإخوته الذين ذكرنا اسماءَهم انفاً والكهنة والشمامسة الذين كانوا مسجونين بصحبتهم قبل إتيان القدّيس الى مدينة ليدان فلما عاينوهُ فرحوا فرحاً عظيماً لانهم منذ سماعهم بوصوله الى المدينة كانوا يتوقون جداً الى مشاهدته فلما دخل عليهم حياهم بالسلام وقبّلهم جميعاً واخذ يحاورهم قائلاً: "لستُ ادري ماذا اقول لكم، لانكم قبل ان أُحامي انا عن ديننا المقدّس باقوالي قد حاميتم انتم عنهُ بافعالكم فإنّكم سبقتم وكابدتم عنهُ اذيّات شديدة، وماذا أُذكّر عقولكم المستقرة في السماء؟

وماذا اقول عن سيرتكم التي قد رقتكم من الارض الى اعلى السموات فإنهُ قبل مجيئكم الى هنا قد تمَّ استشهادكم بالضيقات الشديدة التي قاسيتموها على يد المضطهدين، فرأيتم باعينكم استئصال كنائسكم ولم تشكوا في إيمانكم والآن ايضاً يا إخوتي تشجّعوا وتقوّوا بالرب معتصمين بهِ تعالى من كلّ قلبكم، فهوذا من الآن قد أُعدّت لكم اكاليل المجد، وباب محلّ المضيف مفتوح لنا فهلموا نعقد على رؤوسنا اكاليل الاستشهاد فندخل دار الضيافة المعدّة لنا إن الاكاليل في السماء، وامّا السبيل المؤدّي اليهِ فَحرِج، والباب الذي يُدخَل منهُ اليهِ ضيّق كما قال ربنا ما أضيق الباب واكرب الطريق التي تؤدّي الى الحيوة فتعالوا اذاً نحصّل لذواتنا اجنحة فنُسرع في السير، هلّموا نُرفق اجسامنا فندخل هذا الباب ونسير في هذه الطريق، فنطير ونرتفع الى اعلى السموات ونحن غير ملتفتين الى بني جنسنا وذوي قرابتنا، وغير ناظرين الى اخوتنا واهلنا، بل باذلين قصارى جهدنا في النظر الى جماعة الملائكة وزمرة السّروفين وطغمة الكاروبين وجوقة السادات وفوج السلاطين الذين سنختلط بهم عما قليل اذا ما جاهدنا جهاداً حسناً، فهلموا نُنعم نظرنا في جماعة الرّسل ونتامل ايضاً في الانبياء، فإنّ بعضهم قُتلوا، وبعضهم نُشِروا بالمناشير، وبعضهم رُجموا، وبعضهم صُلبوا، وقاسوا ألمَ العطش والجوع وهم مُعوَزون مكروبون مجهودون، ولم يكن العالم يستحقهم فإذا اردنا واجتهدنا ساعين في بذل دمنا نظيرهم من اجل الله، نشترك معهم في الخيرات العتيدة التي اعدّها لنا المسيح الذي مع كونهِ تالم وامتُحِن يستطيع إعانة الذين يتجربون، كما قال الرسول: فإذا تالمنا من اجلهِ، فيقوّينا ويُعيننا في هذا الجهاد فلنعمل بمشية المسيح ساعين في إكمال شهادتنا ومعتصمين باعتراف الوهيَة الآب والابن وروح القدس".

وبينما كان القديس يكلم إخوتهُ بهذا، دخل عليهم غفلةً احد النصارى فبشّرهم قائلاً: "إفرحوا بالربّ ايها السادات، فانّ كوشتازد الممجّد قد نال اكليل الاستشهاد" فتعجب الجميع بما سمعوا فحدثهم بالحديث كلهِ على جليّتهِ،

فامتلأت قلوبهم سروراً وتدفّقت حبوراً واخذ مار شمعون يصلي شاكراً الله على ما انعم من الاحسان على كوشتازد، وقال لجميع اخوته المسجونين معهُ: "هلموا نسبّح الرب ونرنم لله مخلصنا، تعالوا نعترف للمسيح ونعظم اسمهُ القدّوس شاكرين إيّاهُ على ما اسداهُ الينا من الفرح الجزيل بإعادة الخروف الضالّ من القطيع الى حظيرته، والدرهم المفقود الى صُرّته، والابن المبدّد امواله الى مسكن ابيه" ثمّ أخذ يقول: "انّ قوّتك لَعجيبة يا خالقنا، وسلطانك لَمذهل يا محبي الموتى، يا من هو رجاء لمن لا رجاء لهُ فهذا الرجل الذي كان أُخرج الى الظلمة الخارجيّة دُعي الى الوليمة السماويّة، والذي كنتُ اريد ان اسبقهُ سبقني ونقض اسوارَ الموت المهولة المنيعة ففرّحني، واهتدى الى سبيل الخلاص فأفعمني سروراً، وهداني طريق النجاة الضيّق فأوعب قلبي حبوراً فعلى مَ ابقى بعد في هذه الحيوة، فانهُ هوذا يستدعيني قائلاً لي بفرح قم تعال اليَّ يا شمعون، فمن الآن ليس لك سبيل ان تؤاخذني، وليس لك ان تطردني من مسكنك فهلم ادخل بفرح عليّ، فترى من يمنعني من المضي اليه، ومن يؤخرني من البلوغ اليه فالطوبى للساعة التي فيها ياتون وياخذونني الى القتل".

ثم خرّ ساجداً واخذ يصرخ ويقول: "هب لي يا إلهي اكليل الاستشهاد، لانك تعلم أنّي قد طلبتهُ من كل قلبي، وتعرف انت العليم بذات الصدور انّ حبّك قد شغف قلبي وأبهج قواي، فأهلني لان استريح في ملكوتك واتسلى ببهائك حتى لا اعود احيا فارى هدم كنائسك ودك مذابحك وتمزيق كتبك وتدنيس آنية دارك، وابصر بضيق رهبانك وتبديد عبادك، وانظر الى انخذال المتراخين وانكسار الهلعين، واعاين الذئاب الضارية تمزّق اغنامي الوافرة فأعطني يا رب ان اكمل استشهادي، أهلني يا رب لأن اكون إماماً لجميع المؤمنين الذين في الشرق بسفك دمي امامهم".

وكان الاساقفة والكهنة والشمامسة المسجونون معهُ مستعجبين مما رأوا فيه من الحماسة والتقوى والتخشّع، وكان وجههُ قد تغيّر وصار يضارع الورد رونقاً وبهاءً

ولما فرغ من صلاته، اجابهُ الجميع قائلين: "آمين" فالتفت هو اليهم وباركهم ثمّ قال لهم: "افرحوا يا إخوتي بالرب، تشجعوا وارفعوا رؤوسكم، لانهُ قد حان زمان خلاصنا، فاننا غداً نُقتل في اليوم الذي فيه تالم الرب ومات عنا" ثمّ شرع يخاطبهم من الكتب، وبعدهُ قال لهم: "هلمّ نسبّح للربّ ونرنم لإله خلاصنا الذي نجّى خادمهُ كوشتازد من الموت الابديّ، ونسبق الى وجهه بالاعتراف، لانهُ سبق سريعاً وأنقذهُ من سلطة الضلال، واهلهُ لنوال المجد السماويّ فهلم نقيم تذكارهُ بسرور وحبور، ونخلط فصحهُ بفصح المسيح، ونتمتّع بذبيحة جسد ودم الله الحامل خطايا العالم، فإنّهُ تعالى هو الذي علمنا واوحى الينا بانّ ذبيحة جسده الطاهر إنّما على يد خدّامه تكمل في الكنائس ولا على يد اليهود".

قال هذا وقاموا يصلون وقدّسوا القدّاس الإلهيّ على أيديهم وهم في السجن، لانّهُ لم يكن احد يطيق ان ياتيهم باواني الخدمة المقدّسة خوفاً من المضطهدين، وخلطوا هكذا الفصح بالفصح، والتذكار بالتذكار ثم قال لهم مار شمعون: "إنّ هذه ذبيحة جسد مخلصنا ترافقنا يا اعزّتي الى يوم ظهوره المجيد الذي فيه سياتي على سحابة السماء في صحبة ملائكته القدّيسين، فيرجّع انفسنا الى اجسادنا، ويجعل لنا البعث من التراب، فيلذّذنا ويمتّعنا برؤيته الحلوة الشهيّة، ويشركنا في مجده ويفرّحنا في ملكوته الى ابد الابدين" واجابهُ الجميع قائلين: "آمين".

ثمّ بدأوا بصلاة الليل لصُبح يوم الجمعة العظيمة، وقضوا الليل كلّهُ في تلاوة المزامير والمداريش والتسابيح، ولم يغلبهم النعاس، بل كانوا جاثين كلهم يتضرّعون اليه تعالى قائلين: "أعطنا يا ربّ ان نتالم نحن ايضاً في هذا اليوم، ونشرب فيه نظيرك كاس الموت من اجل اسمك القدّوس حتى لا يبقى على الارض إلا من يقول إنّ شمعون وإخوتهُ انقادوا ليسوع، ونظير يسوع قُتلوا يوم الجمعة في الرابع عشر من نيسان".

وفي صباح يوم الجمعة العظيمة في الساعة الاولى امر الملك باخراج المعترفين من السجن، فأُخرجوا وأُتي بهم الى باب قصر الملك فأرسل اليهم شابور يامرهم بالسجود للشمس فاجاب مار شمعون رسول الملك عن جميع إخوتهِ قائلاً: "لا نستطيع السجود لخليقة لا يمكنها مشاهدة سجودنا لها، ولا نقدر على تقديم الصلوة لمخلوق لا يستطيع استماع صلاتنا، فمعاذ الله ان يستبدل النصارى الخالق بالمخلوق، ولسنا نحن بناكري الله خالقنا وإن اقتضى لذلك احتمال كل ما يوجد في العالم من الشرور والاذيّات".

فأرسل الملك ثانيةً من يقول لهم: "إنقادوا اليَّ وامتثلوا امري، فاني أُقربكم واكرمكم وارقيكم الى مرتبات جليلة".

فبعث اليهِ الشهداء يقولون : "انتَ تعلم ايّها الملك انهُ اذا كان القائد الذي أرسلتَهُ انتَ الى محاربة الاعداء يُولي عن الصفوف هارباً ويعرض عنها مُدبراً خوفاً من الموت وحباً بالحيوة تقتلهُ قتلاً فإن كان الذي يهرب من صفوف عساكرك دابراً في القتال يستحق الموت، فترى ايّ قصاص لا يستوجب الذي ينبذ الله ديّان الاحياء والاموات ويولَي هارباً من القتال في سبيل ملك الملوك وربّ جميع الامم الذي لملكهِ ليس انقضاء فمن هذا الملك العظيم يجب علينا ان نخاف ولا من الناس المائتين ولهذا ينبغي السجود ولا للشمس التي يغطيها الظلام فلو كانت الشمس متصفة بالفهم والمعرفة لشكرتْ فضلنا، فانّ الله إنّما من اجلنا قد خلقها وجعلها في الرقيع لتنير الارض واما ما وعدتنا بهِ من الكرامة والمراتب فلنا كنز في السماء يتضمَّن كلّ ما نريد من الخيرات والكرامات السامية التي هي افضل بلا قياس من جميع منازلك واكراماتك الزائلة".

فلما اتصلت هذه الالفاظ بمسامع الملك، صاح مغضباً أن: "أحضروا فقط شمعون امامي" وكان قد مضى من النهار ثلاث ساعات فلما مثل القدّيس بين يدَي شابور، خرّ لهُ ساجداً فقال لهُ الملك: "ما كانت نتيجة افكارك في هذه الليلة

يا ايّها العاصي، أبقيتَ على عنادك ام استفدتَ من نصائحي؟" –القدّيس: "ان نتيجة افكاري لَحسنة يا سيّدي الملك".

– شابور: "وما هي؟".

– الشهيد: "انّ الموت افضل لي من الحيوة المقتناة بالكفران بالله تعالى".

– شابور: "واين بقَيتْ صداقتك لي؟".

– شمعون: "الحق اقول لك ايّها الملك، إني احبك محبةً حقيقيّة، وفي كل حين اصلي انا وشعبي من اجل دولتك كما تامرنا كتبنا، اما محبة الله فأفضل من صداقتك فان صداقة الملك لا تقاس على محبّة الله كما وانّ اصغر كوكب لا يقاس على الشمس، وإن كان كلاهما نيّرَين فاحبك انت بما انك ملك وصارف اهتمامك بمملكتك اما الله فاحبّهُ بما انهُ الله وخالق ومُبدع الحيوة".

– الملك: "اسجدْ للشمس مرة واحدة فقط، ولا تُعْد تسجد لها مرة اخرى، وانا انجيك من يد المجوس الذين يريدون قتلك".

– برصباعي: "اه ياسيّدي الملك! معاذ الله ان يُسمع هذا الكلام في المسكونة فيشمت بي اعدائي قائلين إن شمعون حاد عن الههِ وسجد للشمس خوفاً من الموت".

–شابور: "انّ الصداقة التي لي معك هي التي حملتني على ان استعمل معك وسائل عديدة من الحلم، وحيث انك لم تستفد منها شيئاً فعليك وبالك"

– الجاثليق: "كفاني ما نصحتني بهِ ياسيّدي الملك، فان كنتَ انت تحبني محبةً حقيقيّة فأمُرْ بقتلي، وهذا حسبي".

فلما سمع منهُ شابور هذا الكلام تعجّب من حماستهِ وشجاعتهِ، والتفت الى الحضار من اكابر دولتهِ وقال لهم متأسفاً: "وحقّ الالهة والشمس الاله الديان العادل إنّي طفتُ بلاداً كثيرة ورايتُ اقواماً مختلفة فضلاً عن بني مملكتنا، ولم ارَ ابداً صورة جميلة نظير صورة هذا الرجل، ولا رشاقة ظريفة مثل رشاقتهِ، فانظروا الى عظَم جنونهِ كيف انهُ لا يشفق على ذاتهِ رعايةً لِما هو متمسك بهِ من

الضلال" فاجابوهُ قائلين: "لا تنظر ايّها الملك الى ظرافته، بل حاول النظر الى حُسنِ النفوس العديدة التي يهلكها بحمله إيّاها على نبذ تعليمنا".

حينئذٍ أبرز الملك امراً بقطع راسهِ ورؤوس جميع إخوتهِ، وكان ذلك اليوم يوم الجمعة العظيمة نحو الساعة السادسة ففي الساعة التي فيها حمل يسوع صليبهُ ومضى الى الجلجلة ليُصلب أُخرج ايضاً شمعون واخوتهُ ليُساقوا الى القتل فجاءَهم حاكم الحكّام وقال لهم: "امتثلوا امر شابور ملك كل الارض فتحيوا وتنجوا من الموت" فقالوا جميعاً بصوت عظيم: "نعم اننا نمتثل امر ملك الملوك ربّ الارض بأسرها الذي لملكهِ ليس انقضاء" فلمّا سمعَ منهم ذلك فرح وقال لهم: "إذاً اسجدوا للشمس".

فضحك الشهداء عليهِ وقالوا: "اما قلتَ لنا ان نعمل بمشيّة ملك كل الارض؟ فإياهَ نطيع الآن وما نسجد للشمس".

– قال لهم: "ومن يكون يا ترى ملك الملوك وربّ كل الارض سوى شابور الملك؟".

– قالوا: "كذباً كذبتَ، إن مَلِك الملوك وربّ كل الارض ليس هو إلا الله خالق السماء والارض وكل ما فيهما فهو وحدهُ ابديّ وليس لملكه انتهاء، واما شابور ففي زاوية من الارض فقط لهُ سلطان، واليوم موجود وغدا ليس موجوداً".

فأخبر حاكم الحكام الملك بهذا كله فأمر شابور بقتل رفقاء شمعون قبلهُ لعلّهُ لدى مشاهدته قتلهم يرتجف خوفاً فترتخي عزيمتهُ فسيقوا قاطبةً الى القتل، وحدث في غضون ذلك اضطراب عظيم في مدينة ليدان، وكان الجميع يزدحمون عليهم ليشاهدوهم، فغصت الازقة والطرق بالناس، وكانوا يتعجبون لدى رؤيتهم المعترفين أشداء في رأيهم وكلامهم مع انهم كانوا مكروبين مجهودين ووجوههم ملوّحة مُسفعة من شدة الاذيّات الفادحة وكان مار شمعون يستقدمهم استقدام القائد عسكرهُ ويشجّعهم في الطريق بقوله لهم: "تقوّوا يا اخوتي بالله ولا تخافوا، فها إن الربّ يشجعكم قائلاً تشجعوا فانّي غلبتُ العالم انما من اجل الربّ المحيي

نموت ومن اجل المسيح نُقتَل، وهو قيامتنا وحياتنا كما قال هو نفسهُ انا هو القيامة والحيوة، من آمن بي وإن مات فإنّهُ سيحيا فكم بالحري سيحيا من يُقتَل من اجل اسمهُ القدوس".

وخرجوا قاطبةً فأتوا الى خارج مدينة ليدان وكان جمّ وافر لا يُحصى من الوثنيّين والنصارى محتاطين بهم وهم يتعجبون بهم من كونهم فرحين مسرورين ضاحكين غير مبالين بالموت وغير خائفين.

وكان مار شمعون بهيج الوجه فرحاً مسروراً، وكان لا يزال يرشدهم في الطريق ويقوّيهم، فلما ان انتهوا الى حيث كانوا يُقتَلون، اخذ يقول لهم: "لا تخافوا يا إخوتي، لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد، فإنهم لا يستطيعون قتلَ النفس، اذكروا ما قال الرب من أهلك نفسهُ من اجلي وجَدها وقال ايضاً ما مِن حبٍ أعظم من هذا ان يبذل الإنسان نفسَهُ عن احبّائه، فها إنّ المسيح بذلَ نفسهُ عنّا نحن الذين كنّا نبغضهُ، فلنُجهد نحن طاقتنا في بذل انفسنا عن يسوع الذي يحبّنا، اذكروا ما قال الروح القدس بفم الرسول وانّي احسب انّ اوجاع هذه الدنيا لا توازي المجد العتيد ان يظهر فينا وقال ايضاً إن تالمنا معهُ فمعهُ ايضاً نتمجّد، ولنصدّقهُ إذ يقول انّ الله امين فلا يهملكم ان تُجرَّبوا فوق طاقتكم، بل يجعل مع التجربة ايضاً مخرجاً لكي تقدروا ان تحتملوا واسمعوهُ يقول لكم إقتدوا بي مثلما اقتديتُ انا بالمسيح اما الرسول فذُبح نظير المسيح، فلنُذبَح نحن ايضاً مثلهُ اذكروا يا إخوتي امرَ هذا الرسول فانّ اليهود ابتلوهُ خمس مرات، وضُرب ثلاث مرّات بالعصيّ، ورُجم مرةً واحدة، وأوشك ان يُطرَح للسباع، وبعد ان قضى حياتهُ في أخطار ومشقّات كثيرة كما كتب هو عن نفسهِ، ذُبح اخيراً في رومية بأمر نيرون الملك فلنَمُت فرحين مع المسيح، تقوّوا بالرب وبشدّة قوتهِ فإن مُتنا مع ربنا ومع رسلهِ الاطهار نشاركهم ايضاً في المجد السماويّ فإن الله تعالى لم يُعطنا فقط ان نؤمن بهِ بل جعلنا ايضاً مدبرين لشعبهِ، فجعلنا مؤمنين ومدبرين، وليس فقط جعلنا مدبّرين ومؤمنين، بل أنعم ايضاً علينا بان نتالم من اجل اسمهِ

مجاهدين جهاداً حسناً، فلنحسب كل هذا العالم وكل ما فيه من المجد والحيوة نُفايةً كريهة، لكي نكسب المسيح فقط إفرحوا يا اخوتي بربنا وافرحوا فرحاً شديداً، ليتصل بكل إنسان خبر استشهادنا وبذل انفسنا عن المسيح فإنهُ قريب إلينا وهو يكلل اجسادنا المذبوحة في يوم الانبعاث لا نحزن ولا نغتم في هذه الساعة التي فيها نخرج من هذا العالم من جراء هدم كنائسنا والاضطهاد الذي اصابنا، فان هذا مما تكون اخرتهُ خيراً كقول الرسول ان جميع الذين يريدون ان يَحيَوا بيسوع المسيح يُضطَهدون وإن كانت كنائسنا قد دُكت، فلنا في السماء بنبان لم تصنعهُ الايدي، وان اغلب الابرار ماتوا قتلاً من اجل الله، ولإيجاز الكلام لنات بشهادة الرسول القائل واخرون ماتوا في وسط العذابات، واخرون رُجموا، واخرون نُشروا بالمناشير، واخرون ماتوا قتلاً بالسيف، وهم معوزون مكروبون مجهودون وهم لم يكن العالم يستحقهم فلنتشبه نحن ايضاً بهم في تسليم انفسنا للقتل، فهوذا اليوم المقبول، وهوذا زمان الخلاص، لا يخافنّ احد منكم السيف لنذكر قول الله الذي هو احدُّ من الصمصام، لا يغادرنّ احد منكم هذا الصفّ المبارك، بل لنذهبنّ فرحين الى لقاء الموت مستعدين لنوال ما قد هيّأهُ لنا الله في ملكوته فعلينا المحبّة، وعليه المجازاة، علينا التعبّد، وعليه التُحَف، علينا العمل، وعليه الاجر، علينا الآلام، وعليه الراحة، علينا الدم، وعليه الملكوت، علينا الموت، وعليه الحيوة، اذ يُريحنا ويفرّحنا ويُتكئنا في المتكأ السماويّ ويقول لنا بأعلى صوته نعماً يا عبيداً صالحين وامينين، تاجرتم جيداً بوزناتكم، فخذوا عشر وزنات أُخر، وادخلوا الى فرح سيّدكم".

وبينما كان شمعون القدّيس يتكلم بهذا دنا منهم السيّافون لياخذوهم الى القتل، فرفع أحد المعترفين صوتهُ من وسط اخوته وقال لمار شمعون: "لقد أبهجتنا جداً يا ابانا الجاثليق بإرشادك وتعليمك، فلنتقدم الآن الى تحقيق ما قلتَ" فلما قال هذا دنا منهُ القدّيس وقبّلهُ وقال لهُ: "مبارك لله يا بنيّ فمك المقدّس، فانّ ما أصدرهُ من الكلام الصريح القويّ لَدليل واضح على عظم ثقتك".

ثم التفت مار شمعون وجميع اخوته الى المشرق وخرّوا على وجوههم ساجدين وصلى مار شمعون وقال: "ياربّ ياربّ يا الله الازلي، إننا نعترف باقانيم ثالوثك المقدّس، ونحمدك ونشكرك على انك خلقتنا بجزيل نعمتك ولم تتركنا تحت نير عبوديّة الشيطان، بل رجّعتنا من الضلال بواسطة ابنك الوحيد وأنقذتنا من الموت والجحيم، وفي قيامته المجيدة جعلتَ البعث للجنس البشريّ بأسره والآن اخترتنا من شعبك المؤمن لنكون معلمين ومرشدين وكهنة ومدبرين ورؤساء في بيعتك المقدّسة، وأهّلتنا لأن نتألم من اجل اسمك ونموت عن انفسنا وعن بيعتك المفتداة بدم عزيزك ربّنا يسوع المسيح، فاقبل منا ياربّ هذه الذبيحة، ولتكن طاهرة نقيّة مقبولة لديك أشركنا في ما نالهُ القدّيسون من الحظ والسعادة في الملكوت السماويّ، شجع من هو ضعيف في شعبك، وثبت المؤمنين في الإيمان الصحيح في زمان الضيقة، واصنع معهم علامةً صالحة، فيرى ذلك مبغضوهم فيخزوا، لانك انت يارب معيننا ومسلينا، ولك واجب المجد والكرامة والتعظيم الآن وفي كلّ زمان والى دهر الداهرين" فجاوبهُ جميع الحضّار : "آمين" وقالوا لهُ: "بارك ياسيّد بارك ياسيّد" فمد يدهُ اليمنى اليهم وقال: "لتكن القوّة الغير المغلوبة عوننا الى ابد الابدين، آمين".

وبعد هذا أقبل عليهم السيّافون، وصاروا ياخذون منهم عشرة عشرة ويضربون اعناقهم بالسيف فاما المعترفون فكانوا يتقدّمون الى القتل فرحين مسرورين وافواههم ممتلئة ضحكاً والسنتهم ترنيماً، وكان الخارجون من الصف المبارك يعانقون الماكثين فيه واما مار شمعون فكان يشجعهم على التوالي قائلاً: "اكسروا يا اولادي شوكة الموت، لانّ ربنا يسوع قد سحقهُ بموته" وعند انتهاء استشهاد مائة منهم، صرخ باعلى صوته عند مشاهدته جثثهم ملقاةً على الارض كُوما كُوما: "اين شوكتك يا موت، واين غلبتك يا جحيم، شكراً لله على نصره ايانا بحقّ ربّنا يسوع المسيح، يا ما اجمل وما احسن الإخوة الذين تكللوا معاً، يا ما اظرف اكليل الشهادة الذي كمل بالمائة".

وبقي مار شمعون هو واثنان من كهنته الطاعنين في السنّ، وكان اسم احدهما حَننيا والآخر عبد هيكلا فلما بدأ السيّاف بنزعِ ثياب حننيا لكي يربطهُ ويضرب عنقهُ الكريم، اخذ جسمهُ يرتعد لطعنه في السن لا لِرخاوته في عزمهِ الثابت وكان واقفاً ثَمَّ رجل من اكابر الدولة اسمهُ فوسي، فهذا إذ رآهُ يرتعد قال لهُ: "لا تخافنّ يا حننيا لا تخافنّ، غمض عينيك قليلاً فترى نورَ المسيح" وهكذا تكلل القدّيس.

امّا فوسي فقُبض عليهِ بامر حاكم الحكام الذي كان قائماً هناك مقام أمين الملك، وكُبل بالاغلال الى ان يُرفَع شانهُ الى الملك هذا وبعد قتل حننيا أُحتُزَّ راس عبد هيكلا ايضاً.

فتقدّم حينئذٍ مار شمعون الشديد الباس وصلى قائلاً: "ايها الرب يسوع الذي صلى من اجل صالبيهِ تعليماً لنا ان نصلي نحن ايضا لاجل اعدائنا وقبلَ روح خادمه اسطفانس الذي صلى على راجميهِ اطلب اليك ان تتقبّل ارواح هؤلاء اخوتي وتقبل روحي انا ايضاً مع ارواحهم وارواح جميع الشهداء الذين تكللوا في المغرب وارواح جميع الرسل الاطهار والانبياء الابرار، واتضرّع اليك ألا تثبت الخطيّة على مضطهدينا وقاتلينا، بل اجعلهم يارب يرجعون الى معرفة الوهيّتك بارك يارب على جميع المدن والقرى التي في الشرق والتي أسلمتَها اليّ، واحفظ جميع المؤمنين القاطنين فيها مثل حدَقة العين، واسترهم بظل جناحَيك، وكن معهم الى انتهاء العالم كما وعدتَ بارك يارب على هذه المدينة ايضاً التي فيها تكللنا، وليكن صليبك حارساً لها في الايمان الحقيقيّ الآن وفي كل زمان والى دهر الداهرين آمين" قال هذا وقُطع راسهُ حالاً وكان ذلك نحو الساعة التاسعة من يوم جمعة الآلام فصار عتمة على الارض، وأظلمت الشمس، فاعترى الخوف والرجفة جميع الواقفين هناك وفي تلك الليلة نفسها خطف بعضٌ من الاسرى الروميّين الذين كانوا في ليدان جثّة مار شمعون برصباعي الجاثليق وجثث جميع الاساقفة والكهنة والشمامسة الذين تكللوا معهُ، وقُبروا بإكرامٍ عظيم، وكان في المدينة كثير

من النصارى كان الملك قد جلبهم اليها من امكنة مختلفة، فطلبوا ذخائر من اجسام القدّيسين، فاجابهم الى ذلك الاساقفة الذين كانوا وقتئذٍ في ليدان ولم يُقتلوا لانّ المدينة كانت قد بُنيت حديثاً، فكان الملك قد اعطى سكانها أماناً.

وان كان مار شمعون برصباعي ورفاقهُ قد استشهدوا في جمعة الآلام جُعل لهم تذكار في الجمعة الاولى من القيامة، ثم جُعل ذلك التذكار لجميع المعترفين والشهداء، ولذلك تُعرف بجمعة المعترفين، وامّا الباعث الى جعل التذكار لهم في الجمعة السادسة من القيظ فهو انهُ فيها كُرِس مذبح القدّيس مار شمعون الذي في مدينة ليدان هذا وان مار جبرائيل يوسف ادمو مطران كركوك جعل سنة ١٨٨٤ هذا التذكار عيداً في ابرشيَته، فنرجو ان يصير هذا العيد عما قريب عيداً عمومياً في كلّ الكنيسة الكلدانيّة.

ولمار شمعون رسائل وعونيثات اي قصائد روحية تستعملها الكنيسة الكلدانية في صلواتها منها (يا عارفا افكار الناس، وان نزعتكم وبعين الفكر...الخ) وهو الذي كما يقول ابن عبري رتّب وجعل ان يُصَلى بكودَين في كنيستنا الشرقيّة.



٢- جهاد مار فوسي

(٣٤١ – ١٥ نيسان)

كان القدّيس فوسي من نسل المسبيّين الذين كان شابور قد أجلاهم من مملكة الروم وأحلهم في مدينة بيشابور في مملكة الفرس، فكان ابو فوسي من جملة اولئك المسبيّين وكان مسيحياً، فسكن بأمر الملك في بيشابور واستوطن فيها، وتزوج بامرأة فارسيّة وتلمذها الى الايمان المسيحي، وصار لهُ منها اولاد فعمذهم ورباهم تربيةً صالحة.

ثم ان شابور الملك لما بنى مدينة ليدان وأجلى اليها خلقاً كثيراً حَسُن لديه ان ينقل ايضاً اليها من كل امة في مملكته ثلاثين قبيلة رجاء ان يترابط معها المسبيون حباً باختلاطهم معها، فلا يسهل عليهم الفرار شيئاً فشيئاً الى وطنهم فهذا ما أنتجت حيلة شابور لهُ، اما الله سبحانهُ فتسبب بذلك الى عمل الخير، اذ انّهُ تعالى باختلاط المجليّين مع تلك القبائل اصطاد منها خلقاً كثيراً الى معرفة الحقّ وكان في القبيلة التي اتت من بيشابور وسكنت ليدان فوسي الذي نحن في صدده، فسكن هو وامرأتهُ واولادهُ واخوتهُ وجميع آل داره في ليدان، وكان فوسي صانعاً حاذقا لهُ خبرة عظيمة في نسج الاقمشة وتطريزها بالذهب، وهو من جملة الصنّاع الذين جمعهم شابور من المجليّين واهالي مملكته وبنى لهم داراً للصنائع بجنب قصره في ليدان وحيث إن فوسي كان يفوقهم جميعاً حذاقةً أُثني عليه قدّام الملك، فكان يُحسن اليه دائماً بهدايا نفيسة وجعلهُ رئيساً على جميع الصنّاع الذين في ليدان وهو لا يزال يزداد في إكرامه وتعظيمه.

وحدث انهُ قبل ان قبض المضطهدون على شمعون واخوته بايام قليلة جعل الملك فوسي رئيساً على جميع الصنّاع الموجودين في سائر مدن مملكته وعقيب ذلك بايام قليلة امرهُ ان ينطلق الى مدينة شادبور فيبحث عن امور الصنّاع الذين

فيها وعند خروجهِ من ليدان التقى بجوقة المعترفين المائة والثلاثة وهم يُساقون الى القتل، وفي مقدمتهم القدّيس شمعون برصبّاعي الجاثليق، فرافقهم ابتغاء معاينة تتمة استشهادهم فلما انتهوا الى محل العذاب، وخرّ مائة منهم قتلى على الارض، أُحضر حننيا الكاهن امام السيّاف، وإذ كان الشهيد طاعناً في السن وضعيف الجسم، اخذ جسمهُ يرتعد لا لخوفهِ من الموت بل لنحافتهِ وهذا ما يحدث للكثيرين ليس فقط في وقت الخوف والرعدة بل في كل وقت واوان فلما رأى منهُ فوسي اللبيب ذلك، ظنّ ان ارتعادهُ متسبّب عن الخوف، فصرخ من بين الجمع وقال: "تشجّع يا حننيا ولا تخَف، غمّض عينيك قليلاً، فتعاين نور المسيح".

فلما قال هذا اخذ الحاضرين العجبُ من شجاعتهِ، وكيف انهُ في ذلك الوقت الرهيب صرخ صرخة شديدة كجبّار قوي على صفوف الشيطان، فحاكى بهذا الامر القائد الحكيم الذي إذا ما لمحَ احد جنودهُ ضعيفاً رخيّاً في القتال يُقبل عليهِ ويشجّعهُ ويقوّي عزيمتهُ محدّثاً اياهُ عن ضعف الاعداء وقوّة الصف الموجود فيه والهدايا النفيسة المزمع الملك ان يهبها لجنودهِ الذين يجاهدون جهاداً حسناً فارتاع حاكم الحكام ومَن معهُ من أُمناء الملك واضطربوا لدى مشاهدتهم هذا الامر الغريب ممّن كانوا يظنّونهُ مجوسيّاً، فامر للحال رئيس الحكام بالقبض عليهِ، فلما أُوقف بين يدَيهِ سالهُ قائلاً : "هل انت نصراني؟".

-"لا حاجة الى سؤالك هذا، فانّ ما قلتُ لدليلٌ واضح على انني نصرانيّ".

-"أأنت بنفسك تمسكتَ بهذا المذهب ام تبعتَ آثار أسلافك؟".

-"معاذ الله ان انكر إيمان آبائي، فإني قد وُلدتُ من ابوَين مسيحيين" فأمر حينئذٍ رئيس الحكام بحبسهِ الى ان يُرفع امرهُ الى الملك.

وفي صباح السبت الذي عَقَب جمعة الآلام التي فيها تكلل مار شمعون، دخل حاكم الحكام على الملك واخبرهُ بامر فوسي فلما سمع الملك ذلك اخذهُ العجب وقال: "بحظ الآلهة اني لم اكن اعلم ان هذا الرجل نصرانيّ، فلو كنتُ عرفتُ ذلك

لَما ائتمنتهُ على ما ائتمنتهُ عليهِ ولا يوماً واحداً، بل كنتُ اظنهُ من شيعتنا" ثم امر في شدّة غضبهِ ان ياتوه بهِ فلما دخل عليهِ القدّيس، خرَّ لهُ ساجداً فقال لهُ الملك: "كيف تجرأتَ عليَّ يا شقيّ ولم تعتد بي؟ إذ اهنتَ عظمتي واحتقرتَ دولتي فقلتَ ما قلتَ".

– فأجابهُ فوسي قائلاً: "حاشا لِعبد الإله الحي ان يحسبكَ حقيراً يا ايها الملك العظيم الشديد البأس والمراس".

– "وكيف لا، وها إنكَ تحلف امامي بالله ولا بالآلهة".

– "اقسمتُ بالله، لانني نصرانيّ، ولستُ احلف بالآلهة، لانني لستُ عابد الاوثان".

– "وكيف تحسبني شديد الباس والمراس وها إنك تجاسرتَ ان تقول امامي إنّك نصرانيّ".

– "ايّها الملك الفاضل، إنني ولدتُ نصرانياً، وتربَّيتُ تربيةً نصرانيّة، فكيف اكفر الآن بديانتي وهي سبب حياتي الحقيقيّة".

– "لا تُعد عليّ قولك هذا، إنّي نصرانيّ".

– "لا تزال تسمع مني إلا هذا القول وإن عرضتَ عليَّ في هذا الشان من السؤالات ما لا يُحصى".

– "أما انت واقف يا لئيم بين يدَي ملك كلّ الارض، أفما تستحي بإقرارك امامهُ بالشيعة التي يبغضها هو؟".

– "ارعني السمع ايها الملك الصالح إنّي اعترف امام عظمتك بالديانة النصرانيّة ولا اخجل فان احد عبّاد الله يعلمنا قائلاً اتكلم في البرّ امام الملوك ولا استحي، والمسيح المقرّ انا بهِ قال كل من يستحي بي وباقوالي فابن الانسان ايضاً سيستحي بهِ واما ما قلتَهُ ايها الملك الجليل عن بغضك للنصرانيّة، فإن انت ابغضتها فيوجد من يحبها، وهو الله الخالق العظيم وربّ الارباب وملك الملوك".

– "إنّي قد نهيتك ايها الشقيّ عن الاقرار بالنصرانيّة امامي، وهوذا الآن تكلمني عن كتب النصارى".

– "وحياة المسيح الذي انا عبدهُ ان تأمّلي وتفكري ليس إلا في ما قرأتهُ في كتب النصارى".

فلما سمع منهُ شابور هذا الكلام نبض فيهِ عرق الغضب، فالتفت الى الملوك واكابر الدولة الجالسين قدّامهُ وقال لهم: "ماذا يستوجب الذي يقول بحضوري هذه المقالة؟" فأجابوهُ قاطبةً قائلين: "إنهُ يستوجب أمرّ الميتات".

– ثم قال: "كم موتاً يستوجب ذاك الذي مع ما نال من كرامتي احتقرني وقال ما قال كما شهدَ عليهِ رئيس الحكام، واقرّ ايضاً امامي بدين النصارى وكلمنا ايضاً عن كتب النصارى؟" –فجاوبوهُ جميعاً قائلين: "يستوجب ان يموت الف الف مرّة".

ثم التفت الى القدّيس وقال لهُ: "أما اوصلتك الى غاية الشرف واعلى المراتب يا ايها الناكر الجميل، وبعثتك في الرسالة؟ فما كان شانك والسحرة؟".

فوسي: "نعم ايها الملك العظيم لقد خصصتَني بما لم اكن لهُ اهلاً من علو المرتبة وسمو الدرجة، وقد خرجتُ لأذهب الى حيث ارسلتَني، لكنّني عند خروجي رايتُ منظراً إلهياً منعني عن الذهاب".

–شابور: "وما هو يا ترى هذا المنظر المذهل الذي رايتَهُ؟".

–الشهيد: "وايّ منظر اعجب من معاينة جوقةٍ من الناس الابرار الصالحين الخالين عن كل خطا وقباحة قابلين الموت بفرح من اجل الههم ومزدرين بالعالم ولذاتهِ وغير خائفين منك ايها الملك الشديد البأس الذي ترتعب امامهُ جميع الامم، وغير مرتعبين من امرك الشديد المفزع قلوب الجبابرة، ومحتقرين السيف الزاهر القاطع والموت الهائل المخيف، ومحبين واحداً فقط لا غير وهو الله تعالى خالق السماء والارض؟".

- الملك: "أتحسب يا شقيّ منظراً عجيباً ما قد حملك على نقض امري لتعاين موت اناسٍ كسالى متعطلين عن كل عمل؟".

- فوسي: "لا تفترِ يا ملك الملوك على عبّاد الله، فإنّهم لو كانوا متعطلين عن عملٍ كما زعمتَ لمَا كانوا يموتون من اجل إلههم، وإذ إنّهم بذلوا انفسهم من اجل الههم فلا بدّ من ان يكون قد أهمَّهم في حياتهم امر احتمال المشقات والضيقات حباً بإلههم".

فغضب الملك غضباً شديداً والتفت الى من حضر من الملوك ورجال الدولة وقال لهم: "ألا تنظرون الى هذا الشقيّ الوقح كيف انهُ مع عدم استكفائه بالمجاوبة عن نفسهِ يحاول ان يجاوب ايضاً عن السحرة رفاقهِ، فلأقطعنَ انا كلامهُ بافدح العذاب وأمرّ الميتات".

قال فوسي: "إني لمستعدّ للموت من ايّ صنف كان، وانّما لهذا الامر لا ازال أُثني على المقتولين المشهورين متكلماً عن صدقهم وعقيدتهم".

- الملك : "لماذا احتقرتني يا لئيم واستخففتَ بإكرامي؟".

- الشهيد: "إني لم استخفّ باكرامكَ ابداً".

- الملك: "أما تعلم أن كل من هو نصرانيّ يستخفّ باكرامي؟".

- القدّيس: "معاذ الله ان يستخف النصارى باكرام الملك اذا ما تركتهم على ما هم عليهِ من توقير الملك كما يحقّ للملك، وتبجيل الله كما يحق لله لكنّهُ اذا لم يتركهم الملك على ما هم عليهِ من توقير الله تعالى، فلابد لهم من ان يحتقروا كرامة الملك الزائلة مُوثرين كرامة الله عليها".

- الملك: "ان كل نصرانيّ يبغضني".

- الشهيد: "لا تقل ايها الملك الصالح هذا الكلام، لانّ كل مسيحي يحبك".

- شابور: "وكيف لا يبغضني من لا يعمل بإرادتي ولا يسجد للشمس والنار؟".

- فوسي: "انّ النصارى يمتثلون امرك في كل شيءٍ وافق ارادة الله ولكن اذا كان امرك ضدّ إرادتهِ تعالى فغير مباح لهم ان يعملوا بهِ ما داموا نصارى".

– الملك: "وكيف يمكن ايها الشرير ان يكون امري ضد ارادة الله فيما انّني آمر بالسجود للشمس والقمر والنار والماء التي هي اولاد هرمزد؟".

– فوسي: "أتأمرني ايها الملك الفاضل ان اقول الحقّ؟".

– شابور: "مهما قلتَ لا مناص لك للإفلات من السيف، فقُل مهما شئتَ".

– الشهيد: "وإنّي انا ايضاً لتائق الى الموت يا ملك الملوك، لا بل إنّ موضوع صلاتي هو ان اموت من اجل الحقّ دون ان احيا لاجل ما هو باطل فاقول إذاً إنّ ما تأمر بهِ النصارى من تقديم السجود للخلائق عوض الخالق ليس مما يوافق ارادة الله، إذ إنّ الله خالق السماء والارض وكل ما فيهما ينهاهم عن ذلك بقولهِ لا تسجدوا لتمثالٍ ولا صورة مما في السماء من فوق، ولا مما في الارض من اسفل، وما في الماء تحت الارض وقال ايضاً لا ترفعوا اعينكم الى السماء خوف ان تروا الشمس والقمر والكواكب فتسجدوا لها وتعبدوها فكيف يمكنهم ان يجسروا على نقض اوامر الله عزّ وجلّ؟ واما ما قلتَ عن كون الشمس والقمر والنار والماء اولاد هرمزد فهذا مما ننكرهُ عليكم نحن معشر النصارى اذ انّنا لا نؤمن باخي الشيطان ولا نعتقد بشريكهِ كما يزعم المجوس أنّ هرمزد اخو الشيطان فإن كنا لا نسجد لاخي الشيطان، فكيف ترى نسجد لاولاد اخيهِ؟".

فلما فرغ مار فوسي من مقالتهِ هذه أرعب قلب الملك، إذ أغلظ لهُ في الجواب استصغاراً لآلهتهِ فقال لمن حضر مجلسهُ من الملوك والاعيان: "إنّ هذا الفاجر مع عدم سجودهِ للآلهة يستهزئ بهم ويزدريهم".

–فوسي: "إنّي لم استهزئ باحدٍ ايها الملك الصالح، وإن كان ما قلتهُ عاراً لآلهتكم فانما ذلك يتأتى من تعليم المجوس".

– الملك: "ما هذا روح الجنون الذي اعتراك؟ لعمري انّ اولئك السحرة لقد جعلوك معتوهاً إذ إنك ابغضتَ غفلةً اوامري ومقتَّ عظمتي واستهزأتَ بآلهتي، وانا مع هذا كلهِ صبرتُ عليك طويلاً فأُشير عليك ان تضرب عن هذه الافكار الرديّة وتتمجّس وانا أُكرمك وأُجزل عليك العطايا".

– الشهيد: "ايها الملك السعيد جدّهُ، دامت ايّامك، إنّ روح الجنون لم يعترني ابداً، والسحرة لم يضلوني، لكنّي نصرانيّ منذ نعومة اظافري، والنصارى يُخرجون الشياطين ويمقتون السحرة ويامرون بقتلهم، ومع انّي لم ازل اذكر ما نلتهُ من كرامتك لستُ انسى ابداً كرامة إلهي العظيم التي تفوق جميع الكرامات، وإذ إني اليها تائق ولها متمنٍ فلستُ أُطاوعك في امرك وأسجد للشمس والقمر والنار والماء، هذا وإنّي مستعد لاحتمال كل نازلة وابدة، فافعل ما تشاء".

– الملك: "تفكر يا فوسي في ما تجلبهُ من البلاء والبوار، وانّي لقد صبرتُ عليك صبراً عظيماً وطولتُ لك اكثر مما لشمعون الذي كان صديقي، فوقع شمعون في اعظم البلايا والرزايا لكونه ناهضني وخالف امري، وانت مع مشاهدتك ما اصابهُ هو من عظيم البلايا صرتَ اشد اجتراءً عليَّ منهُ، ونحن الآلهة نُشير اليك بالطاعة ولا تسمعنا فأُقسم الآن بالآلهة انّي لستُ اعود اسألك اكثر من هذه المرة، فإن أطعتَ طولت امري في هذا السؤال وإلا قتلتُك اشنع قتلة".

– الشهيد: "إنّك طولت لي وصبرتَ عليَّ كما يليق بعظمتك، فانا لفضلك من الشاكرين، اما الآن فاتضرّع الى دولتك ألا تُجهد نفسك بمحاورتك إياي، بل قدّمني سريعاً الى الموت الذي هيأتهُ لي، لانّ قولنا نحن معشر النصارى واحد هو كما علمنا ربّنا بقولهِ لتكن كلمتكم نعم نعم ولا لا فان قتلتَني انت من اجل الهي، بلغت بي من الاحسان والشرف ما لايقدر لساني على وصفهِ، إذ إنهُ ما من كرامةٍ او عطيّة توازي هذا الاحسان العظيم، لانّ المنعم هو الله عزّ وجلّ، وإنّما على يدك اراد سبحانهُ ان يمنّ به عليَّ، فتيقن ايها الملك انّهُ ما من احد قادر على ان يفصلني من محبّة الآله الحق لا انت ولا جميع الملوك الذين على الارض ولا جميع ملائكة الله ولا ما في السماء ولا ما في الارض".

فأمر حينئذٍ شابور قائلاً: "اذهبوا به الى خارج المدينة حيث شجع هو النصارى ونكلوا به شاقين قذالهُ ومستلّين لسانهُ من اصله، لانّهُ جسر وقال ما قال غير مبالٍ بسطوتنا نحن الآلهة".

فلما سمع مار فوسي هذا الامر تهلل فرحاً، وسجد للملك وقال : "لا زلتَ باقياً ايها الملك في الرغد والهناء الى ابد الآبدين، على انك أنعمت عليَّ بهذا الاحسان العظيم إذ امرتَ بقطع لساني من اجل الله لانهُ نطق من اجل الله".

فأخرجوهُ حالاً من قدّام الملك في تلك الساعة التي فيها سِيق شمعون الى القتل وهم يسحبونهُ ويعذبونهُ الى ان بلغوا بهِ الى الموضع المعهود في خارج المدينة، واوعز الملك الى حاكم الحكام قائلاً: "اخرج سريعاً في أثر هذا الشقيّ السيء الحظ، وافرغ جهدك في جذبهِ الى المجوسيّة ليحيا ولا يموت، لانهُ يصلح لنا ويفيدنا، فانّي قد حلفتُ ان لا اعود اكلمهُ في هذا الشان".

فخرج رئيس الحكام في إثرهِ وأجلسهُ امامهُ وأخذ يقول لهُ: "اقلع عما عارهُ لازم لهذه المملكة وشينهُ واقع بك، لا تغظْ ملك الملوك ولا تُحزن محبيك، بل هلم اقبل نصيحتي واسجد للشمس مرّة واحدة فقط، وانا انجيك من الموت".

– فوسي: "ترى لماذا تُتعب نفسك وتُنصب عقلك يا سيّدي، فانّي للملك نفسهُ لم اذعن مع ما اظهر لي من حسن الالتفات والاجتهاد في حملي على نبذ ديني، فكيف يا ترى اقبل نصيحتك؟ فلا تجهد نفسك، بل أمضِ فيَّ امرَ الملك من دون تاخير".

– رئيس الحكام: "لولا عرفتُ رأي الملك فيك لمَا بادأتك بهذا الكلام، فلا يغضب عليك لكونك اذعنتَ لي ولم تطع امرهُ، وإنّما من قِبلهِ اتيتك ناصحاً مشفقاً عليك".

– الشهيد: "إسمع ثانيةً منّي ما قد سمعتَني اقولهُ لملكك ما من أحدٍ قادر على ان يفصلني من محبّة الهي، وإن ألحَّ عليَّ بذلك جميع ملائكة الله" فيئس الحاكم من عودهِ وقال لهُ: "ويحك يا فوسي، ويلاً لحسنك، ويلاً لحكمتك ومعرفتك واقوالك العذبة، اذهبْ ومُت موتاً شنيعاً كما امر الملك".

فنهض حينئذٍ فوسي واسرع بشجاعة الى المكان المعيّن لعذابهِ، فتعرى عن ثيابهِ وسلمها الى واحد من اهل بيتهِ وعند ذلك ازدحم عليهِ جمّ وافر لا يحصى

من المؤمنين واحاطوا بهِ إحاطة الهالة بالقمر، ودنا كثير منهم وخطفوا ثيابهُ وجعلوا يمزّقونها ويغتصبونها بعضهم من بعض انتجاعاً للبركة فصار من اجل هذا اضطراب وضجيج عظيم حتى إنّ رئيس الحكام والمجوس الذين بصحبتهِ تعجّبوا مما شاهدوا من خطف النصارى ثياب فوسي متخّذين اياها بمنزلة اعظم كنز على الارض وبينما كان القوم في الاضطراب والضجيج جثا القدّيس على ركبتَيه وصلى قائلاً: "اشكرك يا آله الحقّ على انك شربتَني منذ نعومة اظفاري خمر قواعد الايمان الحقيقيّ، وربيتني في ديانتك المقدّسة، ومنحتني سرّ المعموديّة فاعتمدتُ باسم ثالوثك الكليّ القداسة الآب والابن والروح القدس وهي عربون ذخيرة البنين التي فيها صرنا وارثين واشتركنا في جسد المسيح الذي تألم من اجلنا ومات وحيي وقام، وفي قيامتهِ من بين الاموات وصعودهِ الى السماء صار مقدّمة الراقدين فأهلني يا ربّ لأن افرح بالميراث الذي هياتهُ لقدّيسيك في ملكوتك السماويّ، متمتعاً بذلك النور الذي انذرتُ بهِ حننيا قدّام الأعداء، واطلب إليك ان تكمل ما وعدتَ بهِ بطرس من محافظتك على كنيستك بكسر قوّة ابواب الجحيم، لكي تصرخ اليك بالدالة مع شمعون الصفا قائلةً: انت المسيح ابن الله الحيّ يا يسوع الاله الذي لهُ ولابيهِ ولروحهِ القدّوس المجد والتسبيح الآن وفي كل اوان والى دهر الداهرين آمين".

قال هذا وقام من صلاته، والتفت الى السيّاف وقال لهُ: "ادنُ الآن منّي، وأمضِ فيَّ امر ملكك" فأقبل اليه السيّاف وطرحهُ على الارض على وجههِ، وركب كاهلهُ، وأخذ سكيناً وشرع يشقّ قذالهُ، واستمر على هذه الحالة من تعذيبهِ نحو ساعة فما كابدهُ القدّيس من العذاب في هذه المدة لا يمكن للقلم ان يصفهُ وكان جميع الحضّار يبكون ويولولون تأسفاً عليهِ، فهملت عبراتهم، وارتفعت زفراتهم وعظم الضجيج، وهكذا في تلك الضيقة الشديدة والعذاب الاليم قطعوا لسانهُ واستلوهُ من قفاهُ، وللحال اسلم روحهُ بيد خالقه، وتكلل القدّيس نحو الساعة التي فيها تكلم مع حننيا حين تكليله، في يوم السبت العظيم الذي قبل يوم عيد القيامة المجيدة.

وحيث إنّ الاعداء كانوا قد عاينوا ما صار من امر جثث القدّيسين المائة والثلا
المقتولين في الأمس، اذ رُفعت كلها ودُفنت كافةً، لا بل انّ المواضع المسفو
عليها الدم كانت مجهولة لسبب ان النصارى رفعوا ترابها ابتغاءَ التيمن والبرك
أبرزوا امراً بحراسة جثّة القدّيس غير انّ الله أنزل بَرَداً شديداً وذلك على الحرّاس
فقط بحيث إنهُ لم يصب شيء منهُ المؤمنين الكامنين هناك لأخذ جثّة القدّيس
كما انّ مَلَك الله ميزّ بين ابكار المصريّين وبين ابكار الاسرائيليّين فصار صرا
عظيم بين الحرّاس، ونهضوا وولوا هاربين الى المدينة وهم يولولون لما اصابه
من الشدائد فقام واحد من النصارى الكامنين هو وخادمهُ فأتيا الى الجثّ
المقدّسة ووضعاها في جُوالق ورمياها على حمارٍ وعجّلا في السَّوق ولما دخ
المدينة صار فجاةً ظلام كثيف واذ كانا هما يعثران هنا وهناك لتراكم الظلام
سار الحمار الى ما امامهُ دون ان يتوجه الى بيت صاحبهِ، بل عرج الى طريق
أُخرى، ومشى الى ان وقف على باب دار امراةٍ كانت من نسل المسبيّين، وكانت
قد قضت جميع ايام حياتها في الزهد والتنسّك وهي لا تخرج من دارها وحين
تكليل مار شمعون ومار فوسي كانت تبكي وتنوح لعدم مقدرتها على مجاوز
الحدّ المعهود ابتغاءَ ان تنال بركتهما اما الله تعالى فبلّغها مرادها وذلك انهُ بينم
كان الحمار الحامل جثّة القدّيس فوسي واقفاً على باب دارها خرجت خادمته
وقت صياح الديك وفتحت الباب، فأسرع الحمار ودخل الدار، فرجعت الخادم
وقالت لمولاتها: "ان حماراً عليه حملٌ دخل الدار وها هو هنا" فقالت له
:"اخرجيه" فهمَّت الخادمة كثيراً بإخرجه، فلم يتحرك من مكانه، فنزلت الراهب
ايضاً وتعاونتا على إخراجهِ وضربتاهُ كثيراً ولم تقدرا على إخراجهِ فأمرت الراهب
خادمتها ان تستدعي اخاها الذي كان ساكناً في القرب منها ليأتي فيخرجهُ هو
فجاءَ اخو الراهبة، واخذ قضيباً وضرب الحمار كثيراً، فلم يتحرّك من موضعه
فدنا منهُ وجسَّ الحملَ وإذا جثّة عليهِ، فقال لاختهِ: "إيتيني بسراجٍ لعل الرب
أرسل لنا عطيةً" فلما أتتهُ بالسراج، أنزلوا الحملَ وفتحوا الجوالق وإذا بهِ جثة

فتأملوها جيداً واذا فوسي بعينه، وكانوا يعرفونهُ جيداً لانّهُ كان من مدينتهم؛ هذا وانّ قذالهُ المستل منهُ لسانهُ كان يشهد عليهِ شهادةً صريحةً اما الحمار فحالما حُطّ الحمل عنهُ أسرع وخرج من الدار وتوجه الى دار صاحبهِ الذي من خوفهِ الاعداء لم يجسر على ان يفتّش عن الجثة اما الراهبة واخوها فحنطا الجثة المقدّسة باعتناء ووضعوها باكرام عظيم في منزل الراهبة.



٣- إستشهاد القدّيسة مرتا ابنة فوسي
(٣٤١-١٦ نيسان)

انّ مار فوسي الشهيد كان لهُ ابنة عذراء اسمها مرتا، وكانت قد نذرت بتوليتها لله تعالى فوُشي بها، فلما كان نحو الساعة الثالثة من اليوم الثاني لقتل ابيها وهو أحد قيامة ربّنا المجيدة قبضوا عليها وأوقفوها امام مقدّم الحكام فدخل هذا على الملك واخبرهُ بشأنها فامرهُ ان يخرج فيوعز اليها إما ان تكفر بديانتها او ان تتزوّج، وإلا فلتُذبَح فخرج اليها رئيس الحكام وسألها: "من انتِ؟" -اجابتهُ مزدريةً: "إنّني امرأة كما ترى" ولما سمع الحضار ما سألها هو وما اجابتهُ هي طأطأوا رؤوسهم خجلاً، وكذلك حاكم الحكام اصفرَّ وجههُ لشدّة ما استولى عليه من الحقد والغضب وما اصابهُ من الخجل والخزي غير انّهُ كظم غيظهُ وقال لها: "عما سألتُكِ جاوبيني".

-مرتا: "وانا ايضاً عما سألتني جاوبتك، إذ انك سألتني من انتِ؟ فجاوبتُك إنني امرأة كما ترى".

-الحاكم: "سألتُكِ من ايّ مذهبٍ انتِ".

-مرتا: "انني نصرانيّة كما انّ ثيابي تشهد على ذلك جلياً".

-الحاكم قولي لي: "أأنتِ ابنة فوسي الذي اعتراهُ روح الجنون فناهض الملكَ ومات موتاً شنيعاً؟".

-القدّيسة: "بموجب الجسد انّني أبنتهُ، امّا في الايمان فانّي أبنة فوسي الحكيم العاقل الصادق القاطن في السموات الذي بموتهِ في الأمن من اجل إلههِ نال الحيوة الابديّة والآن مَن يُؤهلني يا ترى لأن اكون بنت فوسي المغبوط، وهو الآن قاطن في النور والراحة الابديّة فيما بين القدّيسين، وانّي ساكنة فيما بين الخطاة في هذا العالم المملوّ ضيقات وآفات".

-القاضي: "ارعيني السمع، فإنّي اشير عليك بما يُجديك نفعاً إنّ شابور ملك الملوك لكونه رحوماً لا يريد موت احدٍ من الناس، لكنهُ يُفرغ جهدهُ في ان يحمل جميع محبيهِ على اتباع مذهبه، وذلك ليقربهم اليهِ ويُكرمهم، وانّهُ لقد بلغ بابيك الذي كان يحبّهُ غايةَ الشرف واعلى المراتب، لكنّ اباك صنع ذنباً عظيماً بقولهِ ما لم يكن من واجباته، هذا وانّ ملك الملوك ألحّ عليه جداً ملتمساً اليه ان يقلع عن آرائه الفاسدة، ولما لم يذعن للملك مات موتاً شنيعاً والآن انتِ لا تحذي حذوَ ابيكِ، بل اقلعي عن رايكِ هذا الفاسد، وامتثلي امر شابور بسجودكِ للشمس، فإن فعلتِ هذا تكوني مكرمة معززة لدى الملك".

القدّيسة: "دامت ايام شابور الملك، وبقيت نعمتهُ لاولادهِ، ودامت مرحمتهُ لهُ ولبني جنسهِ المستحقين لها، وحقت لهُ ولاخوتهِ واصدقائهِ الحيوة التي يحبها هو، وحقّ لكل مَن يضارع ابي موتهُ الشنيع، وإنّي انا الجارية الشقيّة اصغر جاريات الله والملك تُرى ماذا تصلح لي الكرامة الزائلة وماذا تفيدني، فبغيتي إذاً ان أُهان نظير ابي من اجل اله ابي باذلةً نفسي عنهُ" فاغتاظ الحاكم غيظاً شديداً وقال لها: "إني أعلم بقساوة قلوبكم يا ايها الشعب المستوجب الموت، لعمري كيف يمكن لرجلٍ عاصٍ ان ياتي بنسل طائع؟ لكنّي ابتغاء ألا أُخطئ الى الآلهة ابذل قُصارى جهدي في جذبكِ الى دين الآلهة الصالحين المعتنين بامور المسكونة".

-الشهيدة: "انتَ قلتَ كلامك، وانا ايضاً قلتُ كلامي، فما بقي لك إلا ان تُمضي فيَّ اوامر ملكك".

-قال الحاكم: "سمعكِ اليّ يا مرتا ولا تقسّي قلبك، فمن حيث انكِ لا تريدين تركَ مذهبك، لكِ ان تفعلي ما تشائين، فقط اعملي بما أُشير بهِ عليكِ، وهو ان تتزوّجي فتنبذي عنكِ هذا الاسم اللعين أعني به اسم الراهبة فتحيي ولا تموتي فإنك فتاة رشيقة القدّ وبهية المنظر".

– البتول: "قل لي يا سيّدي أتأذن شريعتك ان ياتي رجل غريب فيخطف فتـ
مخطوبة لغيره او ان تتزوّج تلك الفتاة برجلٍ ليس خطيبها؟".

– الحاكم: "كلا".

– البتـول: "فكيـف اذاً تـامرني انـتَ ان اتـزوّج برجـل لم يختطـبني مـع كونـ
مخطوبة لغيره".

– القاضي: "هل إنّكِ مخطوبة؟".

– الشهيدة : "نعم إنّي مخطوبة".

– الحاكم: "ولمَن انتِ مخطوبة؟".

– القدّيسة : "لا تعرفهُ انتَ".

– القاضي : "اين هو؟".

– مرتا: "سافر في التجارة الى موضع شاسع، لكنهُ قريب ومزمع ان ياتي".

– المجوسيّ: "ما اسمهُ؟".

– مرتا: "اسمهُ يسوع".

– "واذ لم يكن يفهم بعد معنى قولها استطرد كلامهُ فقال والى ايـن انطلـق؟ وفي
ايّ مدينة هو الآن؟".

– العذراء: "سافر الى السماء وهو في مدينة اورشليم العليا" فلما قالت هذا فهـ
الحـاكم فحـوى كلامهـا فقـال: "أمـا سـبقتُ وقلـتُ إن النـصارى لَقساة وعـصاة
فهاءَنذا أُخضّب جسمكِ الجميل بالدم، فليأتِ خطيبكِ فيتـزوج بكِ وانـتِ صـائرة
تراباً غباراً".

– العفيفة: "لا ريب انهُ تعالى سيأتي متقمصاً بملء المجد والعظمـة راكبـاً علـى
صَهوات الغمـائمِ وجميـع الملائكـة وعساكر الـسماء معـهُ يحملـون كـلَّ مـا يلـزم
للـضيافة، فيبعـث اجـساد خطيباتـهِ مـن الثـرى، ويغـسلهنّ بالنـدى الـسماويّ
ويدهنهنّ بدهن الفرح، ويوشحهنّ بحلة البرارة، ويختمهنّ بخواتم الحقّ، ويضع علـى

رؤوسهنَ تيجان المجد الابديّ، ويجلسهنّ في مركبهِ الآلهي، ويرتفع بهنِ في الفضاء ليدخل بهنّ خدور الفردوس السماويّ".

فنهض الحاكم من ساعتهِ ودخل على الملك واخبرهُ بكل ما جرى فاغتاظ الملك وامر قائلاً: "انطلقوا بالوقحة ابنة الوقح الى خارج البلد واذبحوها حيث قُتل ابوها" فساقوا البتول النقيّة الى الذبح، وكان يوم احد القيامة المجيدة، والنهار قد انتصف، واذ كانوا يعدّون لها موضعاً للذبح ركعت هي وأدارت وجهها نحو المشرق وصلت قائلةً: "احمدك واشكرك يا يسوع سيّدي وملكي وخطيبي على انّك حفظتَ بتوليتي وأدخلتني في حظيرة بيعتك المقدّسة وصنتني في الايمان الحقيقيّ الذي بهِ اعتمدتُ وتربّيتُ، ومن اجله مات والدي وكوشتازد وجمّ لا يحصى من الرعاة والكهنة والشمامسة والرهبان، والآن انّما من اجل هذا الايمان أُذبح انا النعجة التي سمنتُ في مروج بيعتك وعلى ينابيع مواعيدك، فاقدم لك ذاتي ضحيّةً متضرعة اليك ان تجعلها نقيّةً مقدّسة، ترحّم يا ربّ على شعبك المظلوم، وصُنهُ في الايمان الحقيقيّ في هذه الشدائد المحيقة بهِ ليسجد بلا خوف للآب والابن والروح القدس الآن وفي كل اوان والى دهر الداهرين آمين".

وحالما فرغت من صلاتها، قامت فأسرعت وجلست من تلقاء نفسها فوق الحفرة التي كان الاعداء قد حفروها لتُذبح عليها، ولما دنا منها السيّاف ليشدّها، قالت لهُ: "لا حاجة الى ربطي، فانّي اقبل بفرح الذبح من اجل الهي".

وعند مشاهدتها السيّاف يسنّ السكين ضحكت وقالت: "فلي اذاً ان اقول ليس نظير اسحق هوذا النار والحطب، فاين الخروف للذبيحة، لكن هوذا الخروف والسكين، فاين الحطب والنار، لكنّ لي حطباً وناراً، الحطب هو صليب سيّدي، والنار هي تلك النار التي القاها المسيح على الارض كما قال انما اتيتُ لأُلقي ناراً على الارض وماذا اريدُ الا اضطرامها".

وكان الحضّار الوفا وقوفاً صفوفاً يتعجّبون من شجاعتها، ويسبحون قاطبةً الله تعالى لكونهِ يشجّع خائفيهِ على هذا الاسلوب، ثم انّ السيّاف دنا اليها وذبحها

نظير نعجة، فطارت نفسها الى السماء، وبقي الحرّاس يومَين يحرسون جثتها
ان اتى اخو تلك الراهبة، المذكورة آنفاً الذي كان دفن اباها فوسي، فرشاهم وا
جثتها وحنطها ودفنها في قبر ابيها، وكان استشهاد القديسة مرتا يوم عيد القيا
المجيدة.

وكانت الراهبة الفاضلة التي دفنت فوسي ومرتا ابنتهُ في منزلها تُقيم لهم
تذكاراً في كل سنة حتى توفيت، وبعد مماتها ورث ابن اخيها مسكنها، واحتذ
هو ايضاً مثالَ عمته في إكرام القدّيسَين، وخلف ابنَين، وبعد وفاة ابيهما صـ
لهما منازعة على عظام القدّيسَين، وكان احدهما يريد ان يقاسمهما الآخر الذ
كان قد اصاب منزل العذراء الفاضلة، فاتصل الخبر بمار صوماي اسقف المدينة
فلم يزَل يتوسل اليهما الى ان اخذ منهما العظام المقدّسة ونقلها الى الكنيس
وحدث هذا الامر في السنة الثمانين لورهاران الملك ابن يزدجرد عقيب استشها
القدّيسَين بتسع وثمانين سنة.



٤- جهاد مار ازاد الخصيّ وأَمريا ومَقيما اسقفي بيت لافاط وهرمزد القسيّس وشهداء أخَر كثيرين لا يُحصى عددهم

(٣٤١-١٧ و١٨ و١٩ و٢٠ نيسان)

لما كان اليوم الثاني من عيد القيامة، اتى المجوس بجم وافر من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات والعلمانيّين ايضاً من امكنة مختلفة، وكانوا قد كابدوا ضيقات شديدة واذيّات قاسية في بلادهم، فجيءَ بهم الى باب قصر الملك، ودخل حاكم الحكام فأخبر الملك عنهم فامرهُ الملك قائلاً: "اخرج واسألهم فان سجدوا للشمس أطلقهم، وإلا فخذوهم كافةً بحد السيف" فخرج مقدّم الحكام وقال لهم: "إنّ الملك صنع اليكم معروفاً" فلما سمعوا هذا الكلام سجدوا قاطبةً قائلين: "دام البقاء لملك الملوك" فرفع رئيس الحكام صوتهُ وقال لهم: "ان ملك الملوك يقول لا تموتوا عبثاً بل اذعنوا لامري واسجدوا للشمس الاله المُضيء كل الارض الذي أسجد لهُ انا شابور ملك الملوك مع ان جوهري من جوهر الآلهة اسجدوا فتحيوا ولا تموتوا" فاجابوه جميعهم قائلين باعلى اصواتهم: "دام البقاء للملك الصالح، نحن لا نموت عبثاً، بل نحيا ولا نموت، وذلك لانّنا لا نسجد للشمس مُستبدلين كرامة الخالق بكرامة المخلوق" - "أأجَمعتم على ان لا تسجدوا للشمس".

- "لسنا نسجد للشمس لسنا نسجد، وليسمع كل إنسانٍ على الارض أنّنا نصارى ولسنا بساجدين للشمس".

- "فموتاً تموتون".

- "لا نموت، لكننا نحيا، فانّ الموت الذي هو من اجل الله حيوةٌ هو" فأمر مقدّم الحكام بإخراجهم الى القتل، ورافقهم الوف من الجند واهل البلد، فكانوا

لكثرة الازدحام يدوسون بعضهم بعضاً لما شاهدوا من امر الشهداء الكثيرين الذين لم يكن يُحصى عددهم وكيف انّهم يُساقون الى الموت وهم فرِحون ويرتلون المزامير والمداريش فأخرج الاعداء من السجن كثيراً من القَتلة لينقفوا اعناق المعترفين، فلم يستطيعوا قتلَ جميعهم في ذلك اليوم، بل قتلوا البعض وأباتوا الباقين على جانب جثث المقتولين.

ولم يكونوا بعد قد فرغوا من قتل الاولين، إلا وجاء المجوس يوم الثلاثاء بنصارى أُخر يفوقون السابقين عدداً، فسُئلوا كما سُئِل الاولون، وكما جاوب الاولون اجاب ايضاً الاخيرون، وكما حُكم على الاولين حُكم ايضاً على الاخيرين وقصارى القول انّ السيوف لم تكن تكفي القَتلَة، فاشتدت الصمصامة، وتكاثر القتلى، وعييَ السيافون، واستعدّ النصارى للقتل، وكانوا يوماً فيوماً يزدادون غيرةً ويتقدمون الى الموت طوعاً، ففاق عددُ المعترفين الذين قُتلوا يوم الثلاثاء عددَ المعترفين المقتولين يوم الاثنين، وكذلك المقتولون يوم الاربعاء فاقوا المقتولين يوم الثلاثاء عدداً، والمذبوحون يوم الخميس فاق عددُهم عددَ المذبوحين يوم الاربعاء.

ووُجد كثير من النصارى العابري الطريق ومن الجند الآتين لمعاينة قتل الشهداء يخلعون ثيابهم ويختلطون في صفوف المعترفين قائلين: "انّنا نحن ايضاً من هؤلاء النصارى" وكانوا يُقتلون هم ايضاً، فتزايدت البلبلة واشتدّ الاضطراب واخذت الجميع هزّةُ الجزع والخوف حتى إنّ الاعداء لم يكونوا يعلمون مَن كانوا يقتلون، ومن جملة ذلك انّهُ يوم الخميس الذي فيه قُتل خارج ليدان جم لا يُحصى من المسيحيّين كان واقفاً هناك رجل من خصيان الملك من رفقاء كوشتازد المجيد يعاين قتل عباد الله وكان موقراً جداً لدى الملك وكان مسيحياً واسمهُ آزاد، وكان يتوق جداً الى نوال اكليل الاستشهاد وهو يجتهد في نواله بلا تاخير، وإذ تفكّر انّ الخدائع البشريّة كثيرة وكِمان الشيطان عديدة متواترة دلتهُ فطنتهِ على ان ينزع عنهُ ثيابهُ فيتزيأ بزيّ الرهبان، ففعل ذلك، وقبَع راسهُ بقبّعة

سوداء، وانطلق ووقف بين المعترفين، وقال لمَن حضر هناك من امناء الملك وللسيّافين: "إنّني انا ايضاً نصرانيّ" فأُخذ وقُتل وفي الغد صباحاً طلب شابور الملك آزاد فلم يجدهُ، ففتشوا عنهُ فيما بين الخصيان رفقائه، فلم يجدوا لهُ اثراً، فذهبوا الى بيته فعادوا خائبين، ونادى الدلال يَومين في المُعسكر باحثاً عن شانه، فلم يقف على اثرهِ فتعجب الجميع لفقدانهِ اما الله فلم يُرِد ان يبقى امر آزاد الجليل مكتوماً، وذلك انّ احد المجوس الذين كانوا يعرفون الشهيد جيداً قال: "انّ واحداً من الرهبان الذين قُتلوا يوم الخميس كانت هيئتهُ هيئة آزاد ومنظرهُ منظر آزاد عينه، فأيقنتُ انّهُ آزاد، غير ان زيّ الرهبان الذي كان عليهِ جعلني في الشبهة، فاردتُ ان ادنو اليه لاتاملهُ وأكلمهُ، لكنّي تخوفتُ من سوء ظنّ اقع فيهِ ان كلمتُ نصرانياً في ذلك الوقت المُرعب" فطار هذا الكلام على جناح السرعة في المعسكر كلهِ، وبلغ الاكابر والملك فامر شابور بتفتيش جثث المقتولين، فعجلوا في إجراء امرهِ، لانّ الجثث كانت بعد في مكانها والحراس يراقبونها، فوجدوا فيما بينها جثة ازاد وراسهُ، فأخبروا الملك بذلك، فجاشت في صدرهِ عوامل الاشجان واخذتهُ هزة الانذهال، فانتبهَ من غفلته وامر قائلاً: "لا يكن فيما بعد التنكيل بالنصارى على هذا المنوال، بل كل من يُقبَض عليهِ من النصارى فَليُسأل عن اسم ابيهِ وامهِ وقبيلتهِ وعن المدينة او القرية القاطن فيها، ويُكتب كل ذلك في كتاب وبعد هذا يقتضي إجبارهُ بالضيقات والشدائد على نبذ دينهِ والسجود للشمس وإن لم يزَل في وسط هذه التباريح متمسكاً بمذهبهِ فعلينا نحن الآلهة بعد اطلاعنا على امرهِ ان نبرز امراً وذلك كما يدلنا رأينا" ووضعت هذه السُنةَ يوم الاحد الجديد، فخمدت قليلاً بذلك نار الاضطهاد.

لم يقدر احد ان يجمع ويكتب اسماء الشهداء الذين قُتلوا في تلك الايام، لانّهم كانوا غرباء عن البلد، وكانوا كثيرين يفوق عددهم الآلاف غير انّنا عرفنا اسماء مار أمَريا ومقيما اللذين كانا من اساقفة بيت لافاط الاولين، ومار هرمزد القسيس

من مدينة شوشتار، لانّهم كانوا من البلد وفيه قُتلوا، ودام هذا الاضطهاد الشديد منذ خميس الفصح الى الاحد الجديد.



٥- جهاد القديسة تربو واختها وخادمتها الراهبات الشهيدات

(٣٤١- ٥ ايار)

إنّ القدّيسة تربو العذراء كانت اخت مار شمعون برصبّاعي، وكانت بديعة الجمال واتّفق في تلك الايام انّ الملكة مرضت، وبما انّها كانت موافقة لليهود في رأيهم أتوها بالافتراء على القدّيسة تربو واختها قائلين: "إنّما اختا شمعون سحرتاك انتقاماً عن قتل اخيهما" فاتصل هذا الكلام بالملك، فامر بالقبض عليهما، فأُمسكت تربو واختها وتلميذتها التي كانت تهذبها في الفضائل المسيحية والاوامر الانجيلية وأُتي بهنّ الى باب قصر الملكة ليُستنطقن فأُرسل اليهن رئيس الحكام واثنان من الاكابر، فحالما وقع نظرهم على القدّيسة تربو، استهواهم جمالها العجيب ومالت الى حبها قلوبهم الفاسدة، فاضمر عليها ثلاثتهم حالاً مضمار سوء من دون ان يُخبر احدهم الاخر، فقالوا لهنّ بغضبٍ : "إنّكن تستوجبن الموت يا شقيات لأنّكن سحرتن الملكة" اجابت القديسة تربو وقالت: "لعمري لستُ ادري ما هذه الحجج الباطلة التي تاتوننا بها كذباً، ترى ماذا صنعنا بكم من السوء حتى تتهمونا بما ليس من شاننا فاذا كنتم ظماء الى دمنا، فما من شيءٍ يصدكم عن شربه، لا بل انّ ايديكم والحالة هذه لا تزال تختضب به يومياً، فنحن نقبل الموت في سبيل الهنا ولسنا بكافرات، لان كتبنا تامرنا بألا نعبد إلا الهاً واحداً لا غير، وهو خالق السماء والارض وكل ما فيهما، وتامر ايضاً بان يُقتل كل ساحر ويهلك، فتُرى كيف نعمل نحن السحرَ والسحرُ ونبذ الله هما على حدٍ سواء، إذ إنّ لاثنَيهما قصاصاً واحداً وهو القتل" وكان القضاة يسمعونها ببراءة منذهلين من غزارة حكمتها ومتعجبين برشاقة قدها. وكان كل واحد منهم يبني آمالهُ الرديئة على ان يُنقذها من انياب الموت

فيتزوجها فاجابها مقدم الحكام وقال: "إنّما لأخذ ثار اخيكن نقضتن شريعتكن فسحرتن الملكة وان لم يكن جائزاً لكن كما قلتن" قالت تربو: "لم نكن نجن لنعمل السيئات فنغدر بانفسنا ونقتلها اشنع قتلة، هذا وانّ اخانا لم يصبهُ منكم ادنى ضرر إذ إنكم بقتلكم اياهُ صرتم لهُ سبباً ان يحيا الى ابد الابدين في المملكة السماوية التي تُزيل مملكتكم هذه الارضية وتُبطل كرامتكم الفانية وسلطنتكم الزائلة".

ثم ارسلوهن الى الحبس، ولما كان الغد بعث مقدم الحكام الى تربو العفيفة يقول لها: "إن اردتِ الاقتران بي فانا اتوسل الى الملك فانقذكن ثلاثتكن من انياب الموت" فلما سمعت النقية هذا الكلام اضطربت وقالت بشدّة: "سُد فاك ايها الغدار الفاجر عدو الله، ولا تعُد تُشممني رائحة هذا الكلام الكريهة فإن صوتكم الدَّنس لا قوة لهُ على ولوج اذني النقيتين، وكلمتكم النجسة لا مدخل لها في فكري الطاهر المقدّس، فإني انا مخطوبة للمسيح وباسمهِ صائنة بتوليتي واياهُ اودع حياتي، لانهُ قادر ان يُنقذني من اياديكم النجسة، ويخلصني من فخاخكم الشيطانية، فلستُ اخاف القتل لا بل انّي لَتائقة اليهِ، إذ إنكم بهِ تمهدون لي طريقاً تؤديني الى اخي شمعون الحبيب الذي هو بهجة فؤادي، فأراهُ وانال عندهُ السلوى والحظوة في اعلى السموات".

هذا وان كلاً من الاثنين الاخرين ارسل لها ايضاً على حدة الخبر في هذا الشان بعينه، فجاوبتهما بغضبٍ وشدة على ذلك المنوال نفسه، فحنقوا عليها كلهم حينئذٍ اشد الحنق واحرقت نار الغيظ احشاءَهم، فأجمعوا رايهم الخبيث وحكموا على القدّيسات بكونهن ساحرات، ومع هذا ارسل الملك الخبر ان لا يُقتلن إذا سجدن للشمس، لعلهن لا معرفة لهن في صنع السحر، فلما اتصل بهن هذا الكلام رفعن اصواتهن قائلات: "اننا لا نستبدل إلهنا العظيم بخليقة حقيرة، ولا نؤدي للشمس السجود الواجب لخالقها، ولا نهمل مخلصنا يسوع المسيح خوفاً من تهديداتكم الشديدة" فعند هذه الاقوال اخذت سورة الغضب الحضار فصرخوا

قـائلين: "ليقـتلن ليُقـتلن فـانهن هـن اللـواتي سـحرن الملكـة" فـأُذن لهـم في ان يقتلوهن كيفما ارادوا، فتآمروا على ان يقطعوا اجسادهن، لانـهُ كـان قيـل: "ان قُطعت اجسادهن فمرت بها الملكة تُشفَ" وفي حين خروجهن للقتل ارسـل رئـيس الحكـام الى القدّيـسة تربـو الخبر قـائلاً: "اذا اذعنـتِ لـي فـلا تمـوتين لا انـتِ ولا رفيقتاكِ" اما هي فشتمتهُ باعلى صوتها وقالـت: "حتـامَ تـستكلب ايّهـا الـشقي الطفس مريداً ما هو مستحيل إنّني انا إنما بشجاعة اموت لانّي سأحيا، ولا احيـا بديانةٍ فأموت".

فذهبوا بالقدّيسات خارجاً عن المدينة، وضربوا لكل واحدة منهن وتَدَين، وشدوا لهنَّ رؤوسهن وارجلهن على تلك الاوتاد، ثم اتـوا بمنـشار فنـشروا اجـسادهن مـن وسطها، فصارت ستّ قطع، ثم اتوا بستّ قفف، فوضـعوا فيهـا القطـع، وعلقوهـا على ستّة عيدان ذات اغصان، وأغرزوا ثلاثة منها بـالارض في الجهـة الواحـدة مـن الطريق والثلاثة الأُخرى في الجهة الاخرى فيا لهُ من منظر شنيع هائـل يُسيل مـن العيون عبرات احر من الجمرات، فتُرى لمن فرح هذا المـشهد المريـع، ولمـن طـاب هذا المنظر الاليم، ومن التذ بهذهِ الرؤية فرفع بصرهُ اليها، ومن تواقح فالتفت الى هناك.

وأتوا بالملكة وأمروها بوسط تلـك القطـع، وتبـع اثرهـا جميـع الجنـد. وتكللـت القدّيسات في اليوم الخامس من ايار سنة ٣٤١.



٦- جهاد مار ميليس اسقف سوس وابو رسام القسّيس وسيناي الشمّاس

(٣٤١-١٣ تشرين الثاني)

ان مار ميليس نشأ في ارض رازيق من بلاد الفرس، وتربى منذ صغره في دار
المملكة اما النعمة الآلهية فلم تترك هذا الاناء المصطفى ان يكون ثَمّ ارضي
كسائر الناس، بل اختارتهُ ليخدم الملك السماويّ نظير ملاكٍ روحانيّ، فتنصر
واعتمذ، واوحى الله اليه ان يصون نفسهُ بتولاً طاهراً، فعظُم المسيح في نفس
وصغُر ما دونهُ في عينيه، واضحى كَمن قد رأى الجنة وصار يتنعم فيها، أرادت
الدنيا فلم يُردها، وأسَرتهُ ففدى نفسهُ منها، إذ إنّ منطقتهُ كانت التقشف
ولبسهُ الفضيلة، ومشيهُ التواضع، وكان يقشف جسمهُ بالصوم الدائم والسهر
المتواتر وهولا يزال يتهذب في العلوم الآلهية ويُتقنها، فكانت الكلمة المحيي
تضطرم فيه ولا اضطرام النار في عظامه، حتى إنها أجبرتهُ على هجر بيت لافاط
الذي فيه كان قد تنصر ليذهب الى مدينة عيلام ابتغاء ان ينذر الوثنيين الذين
فيها بتعليم الحقّ، وبقي ثَمّ ثلاث سنوات وهو لا يزال يُتعب نفسهُ ويُنصب بدن
في إرجاع المدينة الى السراط المستقيم، ثمّ سيم اسقفاً على يد مار كدياب اسقف
بيت لافاط الذي تكلل مع مار شمعون برصباعي، وقاسى ما لايوصف من الجهد
والتعب لقلع شجرتَي الرذائل وعبادة الاوثان من المدينة، فلم تنجع اتعابهُ، لابل
أصابهُ لسبب ذلك إهانات شديدة واذيات فادحة حتى إنّهُ ضُرب مراراً بالسياط
ورُجم بالحجارة، وجُرر بالأزقة حتى خارج المدينة فلما شاهد ما كانت المدين
عليه من شدة التمسك بالمجوسية والتعصب ابتعد عنها، وحين خروجه لعنه
قائلاً: "من حيث إنك لم تريدي ان تُبنَي بالسلامة، فسياتي عليكِ الاستئصال
المهول والخراب المرعب، فتُهدَم ابنيتك الشامخة ويتفرق سكانكِ المتصلفون

ايادي سبا" وبعد مضي ثلاثة اشهر لخروج القديس من المدينة أخطأ اكابرها الى الملك، فأرسل اليها جيشاً عظيماً، فأتوها ومعهم ثلاثمائة فيل، فقتلوا جميع سكانها وهدموا دورها واستأصلوها حتى اصبحت المدينة كلها ردماً وزرعوها خردلاً.

اما القدّيس فحج الى القدس الشريف وهو غير حامل الا مزوداً فيه الانجيل الطاهر، ثم رحل الى مصر لما بلغهُ من اخبار أمونيس تلميذ مار انطونيوس، واستمر فيها سَنتين وهو يتفقد اديرة الرهبان التي فيها، وعند رجوعه الى ارضه التقى بناسك من النساك كان يقطن وحدهُ مغارةً في البرية، فبات عندهُ ليلتهُ، وحينما كانا يصليان الصبح اذ اقبلت عليهما افعى عظيمة قبيحة المنظر هائلة المشهد، فلما رآها القدّيس ميليس لم يضطرب بل تشجع ومد يدهُ اليها قائلاً: "ما لك تجسرين ايّتها الحية الشقية عدوة الجنس البشريّ على إخراجنا من هنا؟ فها ان حربة الربّ تشقك من وسطك" فانتفخ بطن الافعى حالاً وانشقت من راسها حتى ذَنبها فقال الناسك لقدّيسنا: "إنّ هذه الافعى لها زمان مديد وهي ساكنة في هذه المغارة ولم تضرني" فعذلهُ ميليس وقال لهُ: "بما ان الله سُبحانهُ قد جزم وقضى ان تكون العداوة بين الانسان وبين الحية، فلمَ كنتَ تصدق عدوك وتامنهُ على نفسك ساكناً معهُ في منزل واحد؟" ثم انهُ بوّأهُ موضعاً آخر.

واما القدّيس فأتى مدينة نصيبين ليزور القدّيس يعقوب اسقفها، فبقى عندهُ مدة من الزمان لما رأى فيه من سمة الفضل والقداسة والسيرة النسكية، وكان يعقوب في اثناء ذلك يبني كنيسة فاخرة، فلما اتى ميليس الى بلاد اربيل ارسل لهُ منها مقداراً كثيراً من النسيج الحريريّ لاجل نفقة الكنيسة.

ثم نزل الى المدائن، وكانت احوال النصارى في المدائن مبلبلة جداً بسبب الجاثليق فافا بن عجي سَلَف القدّيس مار شمعون برصباعي، فإنّهُ كان يتكبر ويتطاول على كهنته وشمامسته ويحتقرهم، وكان قد عُقد فيها مجمع من اساقفة بلادنا لتدبير احوال النصرانية ورفْع الشكوك، وكان ذلك سنة ٣١٤ فدخل القدّيس

ميليس المجمع، ولما عاين ما كان عليه فافا من التكبر، انتصب قائماً في الوسط وقال: "ما لي اراك تتجرأ على إخوتك واعضائك فتحتقرهم وتتطاول عليهم كمن لا اله لهُ، أنسيتَ قول ربنا القائل في إنجيله الطاهر انما الاكبر فيما بينكم ليكن خادماً لكم؟" قال فافا وقد جاشت في صدره عوامل الغضب: "أأنت يا جاهل تعلمني كأنني اجهل فريضتي" فاضطرب مار ميليس وأخرج حالاً الانجيل الذي في مزْوَده فوضعهُ امام فافا على وسادة وقال لهً: "إن كنتَ غير راضٍ ان تتعلم مني لاني إنسان، فدونك إنجيل ربنا الموضوع امامك، فمنهُ تعلَّم" فتجرأ فافا ورفع يدهُ بغضبٍ وضرب الانجيل وقال: "تكلم يا إنجيل تكلم" فلما رأى منهُ ميليس هذه الجسارة الوقحة ازداد هياجاً، فأسرع الى الانجيل ورفعهُ وقبلهُ ووضعهُ على عينيه وقال باعلى صوته مخاطباً فافا: "من حيث إنّك بتكبرك قد تجرأتَ على اقوال ربنا المحيية فهوذا ملاكهُ يضرب احد شقَّيك بالفالج، ولا تموت من ساعتك، بل تبقى موضوعاً لعلامة التعجب والخوف لكثيرين" وللحال نزل من السماء شيء نظير برقٍ فضربهُ على شقه فيبَّسهُ، وبقي فافا على تلك الحالة المُرةَ اثنتي عشرة سنة اي حتى مماته وهو يقاسي ما لا يوصف من العذاب الأليم.

وانطلق ميليس من هناك عند رجل من النساك كان يسكن في موضع قفر، وكان رئيس ذلك البلد مُصاباً منذ سنتين بمرض عضال، فبلغهُ مجيء القدّيس، فارسل اليه يطلب منهُ أن ياتيهُ فيشفيهُ فقال القدّيس للرسول: "اذهب وعند دخولك الى سيدك قل بصوتٍ عالٍ إن ميليس قال: باسم يسوع الناصريّ قم وامشِ" فعمل الرسول بما امرهُ القدّيس، وشُفي مولاهُ من ساعته، فكان يسبح الله ويحمدهُ هو وجميع سكان ذلك البلد، وبسبب هذه الاعجوبة تنصر كثيرون واتوهُ ايضا بشاب مصاب بداء الصرع منذ نعومة اظفاره، فحالما رآهُ صلى عليه ووسمهُ بسمة الصليب، فبرئ الشاب من تلك الساعة وصنع القدّيس عجائب أُخرى كثيرة نظير هذه في ذلك البلد عينه.

ومن ثَم ذهب الى ارض رازيق وطنه، ودخل قريةً كان فيها امراة مخلعة الأعضاء بمرض عضال، وكانت شريفة ذات يُسرٍ، فأُخبرَت بمجيء القدّيس، فحملها خدامها واتوا بها حيث كان ميليس نازلاً، واخذت تلتمس اليهِ ان يمنَّ عليها بالشفاء، فقال لها: "أتعتقدين بالاله الواحد الذي وحدهُ فقط قادر على إبرائك" فأجابتهُ: "اعتقد بهِ يا سيدي وأنبذ الآلهة" فقام حينئذٍ وصلّى، ثم مسكها بيدها وقال لها: "باسم الاله الذي آمنت بهِ قومي وامشي" فبرئت من تلك الساعة، وقامت وانطلقت الى بيتها، وصار فرح عظيم في كل القرية.

وجاء اليهِ في تلك القرية رجلان مُردَين ان يستحلف الواحد الآخر بخصوص سرقة، فقال القدّيس للذي كان مزمعاً ان يحلف: "لا تحلف يا ابني كذباً فتظلم رفيقك في هذا الامر" فلم يلتفت الى قولهِ وجسرَ وحلَف، فرفع اليهِ حينئذٍ القديس نظرهُ وقال لهُ: "إن كان ما اكّدتَهُ باليمين حقاً فاذهب الى دارك سالماً، وإلا فليعترك برص حجزي، فتخرج من هنا خجلان خزيان" وللحال برص الرجل، فصار خوف عظيم في تلك القرية، وكثير من الوثنيين تنصروا واعتمذوا.

وانتقل من هناك قاصداً مكاناً آخر، ورافقهُ اثنان من النصارى، فصادفوا على طريقهم نهراً لم يجدوا سبيلاً الى عبرهِ، وبعد ان اقاموا هناك يوماً كاملاً ولم يتمكنوا من العبور، صرَف القديس رفيقيهِ، وجثا يصلي اما هما فتباعدا عنهُ قليلاً واستخفيا في مكان، واخذا يرقبانه ابتغاءَ ان يعرفا ماذا يكون من امرهِ، فرأياهُ ماشياً على الماء وهو لم ينزع عنهُ حذاءَهُ، فتعجبا وسبحا الله على ذلك.

اما القدّيس فبعد عبورهِ النهر ذهب فدخل قريةً، ووجد فيها شماساً قيل لهُ عنهُ إنهُ فاجر، فاستدعاهُ ووبخهُ في البيعة عينها وقال لهُ: "إذا كان الامر كما يُقال عنك فاعترف بذنبك، وتُب اليهِ تعالى توبةً حقيقيّة، لانهُ عز وجل رحوم فيغفر لك، ولا تجسر على ان تخدمهُ وانت بحال الخطيئة، خوف ان يُهلكك غفلةً بعدله الآلهي" اما الشماس فلم يكترث بنصيحتهِ، لا بل تجاسر وقال: "آه يا سيدي لا تُخطئ وتُلقني بهذا الملقى، فانّما ظلماً قد أُفتري علي في هذا الامر" ثم

تجرأ واخذ كتاب المزامير، ووقف على المنبر وجعل يُرتل المزامير وإذا بشيءٍ نظير راحة اليد اتاهُ من المذبح فضربهُ على وجهه، فسقط للحال ومات، فاخذت الجميع هزة الانذهال والخوف وفي تلك القرية عينها اتوهُ بفتى مخلع منذ صباهُ، فجثا القديس وصلى، ثم مسكهُ بيدهِ وقال لهُ: "قم امشِ باسم يسوع الناصريّ" وللحال شُفي وانتصب قائماً واخذ يمشي، وكان لذلك الصبي من العمر عشرون سنة.

ان المعجزات التي صنعها القدّيس كثيرةٌ هي، ولم يمكنا ان نكتبها كلها فلنأتِ الآن الى قصة جهادهِ العجيب انّ حاكم ذلك البلد كان اثيماً متكبراً متعجرفاً وكان يُدعى هرمزد كوفريز، فحدث انهُ بلغهُ خبر مار ميليس انهُ كان مجوسياً وارتد الى دين النصارى، فأرسل من جندهِ فقبضوا على القدّيس وعلى تلميذَيه ابو رسام الكاهن وسيناي الشماس، واتوا بهم الى مدينة مَهلركرد، وإذ لم يتمكن الحاكم من ان يزعزعهم من عزمهم الثابت، امر بالقائهم في السجن، واستمروا فيهِ سنة كاملة، غير انهُ اخرجهم مرتين وانزل بهم النكال بتباريح العذاب رجاء ان ينبذوا دينهم فيسجدوا للشمس، فلم ينل منهم بغيتهُ مع كل هذه العذابات الفادحة، بل كانوا كلما ازداد هو تنكيلاً بهم، ازدادوا هم شجاعةً وحرارة".

ثم انّ الحاكم خرج يوماً في جماعةٍ الى الصيد، وكان يُعجب بنفسهِ الى الغاية، فأمر بإخراج القديسين من السجن فلما مثلوا بين يدَيهِ، التفت الى ميليس وقال لهُ على سبيل التهكم: "قُل لنا من انتَ، أإله ام انسان؟ وما هو إيمانك وما هو تعليمك؟ فأخبرنا بعقيدتك حتى نؤمن بك، والا فأذبحك كإحدى هذه الحيوانات" فعرف القديس ما في قلب الحاكم من المكر والاستهزاء فقال لهُ: "إنني انسانَ ولستُ إلهاً، اما عقيدتي الصادقة المقدّسة فلستُ أُكاشف بها الماكر الغاش، ولا أُلقي علمي النقي على سمعك النجس، غير انّي اقول لك ما لا ريب فيهِ ويلك ويلك ايها الاثيم الشرير، وويلٌ لجميع الذين هم نظيرك بلا إله، فإن الله سبحانهُ سيحكم عليكم في العالم الآتي بالظلام وجهنم، ويجازيكم عن تكبركم بالبكاء وصرير

الاسنان الى ابد الابدين، لانكم ما عرفتم اتهُ تعالى هو الذي وهب لكم هذه الخيرات المتمتعون انتم بها الآن".

وكان الحاكم جالساً على كرسي، والناس قيام بين يدَيهِ فلما سمع مقالة القديس تقلى على جمرات الغضب، فقام من على كرسيهِ واستل سيفهُ، وضرب كتف القدّيس فخرقها، وعقبهُ اخوهُ ايضاً اذ استل خنجرهُ وضربهُ بجنبهِ فالتفت اليهما القدّيس ونبأهما بقتلهما إذ قال لهما: "من حيث إن كليكما قد اتفقتما على سفك دم البري، فغداً في هذا الوقت بعينهِ وفي هذا الموضع بنفسهِ تسفكان دم بعضكما بعض، فتأتي الكلاب وتلغ في دمكما وتاكل الطيور لحمكما، ففي يوم واحد تثكلكما امكما وتترمل قريناتكما" قال هذا وانتقل الى حضن ربّهِ.

واما ما كان من امر سيناي وابو رسام فامر الحاكم ان يُرجَما، فازدحم عليهما جند كثير فقتلوهما رجماً كما امرهم مولاهم الظالم.

وبات الحاكم ليلتهُ في ذلك الموضع عينهِ، ولما اصبح أُتيَ بصيد كثير من الوحوش، فانتفخ الحاكم عجرفةً، ولاستغراقهِ في الكبرياء لم يكن ليذكر كلام القديَس ففي تلك الساعة التي قُتل فيها ميليس ادرك حكم الله العادل ذينك الاخوين البطلين الحاذقَين في الرمي بالقوس الخبيرَين بسفك الدماء المدربين في الصيد، وذلك ان غزالة فكت وثاقها فانهزمت بسرعة، فركب الاخوان فرسَيهما وتبعاها وحصراها فيما بينهما، فصوب كلٌّ منهما سهمهُ نحوها ورماها بهِ، فأصابت نبلُ كوفريز الحاكم اخاهُ نرسا فنفذت بطنهُ، وكذلك نبل نرسا نفذت صدر كوفريز، فسقطا ميتين في ذلك الموضع الذي فيهِ قُتل مار ميليس فطار خبر موتهما على جناح السرعة في كل البلد، فاخذ الجميع الرعبة والاندهاش، وصارا ماكلاً للطيور والوحوش، لانّ الفرس لم يكونوا يدفنون موتاهم حتى كان اللحم يتساقط من العظام.

واما جثث القديسين فسرقها النصارى في تلك الليلة عينها، وذهبوا بها ودفنوها في قرية اسمها ملقين، فصار لهما القدّيسون سوراً منيعاً من هجمات قطاع الطريق

واللصوص الذين كانوا يداومون الاتيان الى ذلك البلد للنهب والإحراق، إذ إنّهم مراراً عديدة بلغوا حدود تلك القرية ولم يستطيعوا الدخول فيها، فنسب ذلك سكانها الى شفاعة القدّيس مار ميليس ورفيقَيهِ مار ابو رسام ومار سيناي.

وتكلل القدّيسون في الثالث عشر من شهر تشرين الثاني.



٧- جهاد مار شاهدوست الجاثليق ورفقائه الشهداء المائة والثمانية والعشرين

(٣٤٣-٢٠ شباط)

ان مار شاهدوست كان رئيس شمامسة مار شمعون برصباعي، وكان من باجرمي، فبعد مرور ثلاثة اشهر على قتل رئيسه انتُخبَ ورُسم جاثليقاً مكانهُ، وذلك خفيةً خوفاً من المضطهدين وحدث انهُ بعد مرور سنتين على انتخابه رأى رؤيا مذهلة، فاستدعى اليهِ كهنتهُ وشمامستهُ، وكانوا قاطبةً ساكنين في المغاور والكهوف خوفاً من المجوس، فقال لهم: "رايتُ هذه الليلة في الحلم سُلماً من نور قائمةً على الارض ورأسها يصل الى السماء، وإذا مار شمعون برصباعي واقف عليها في السماء بمجدٍ لا يوصف، وانا قائم تحتها على الارض، فدعاني مار شمعون بفرحٍ وقال لي إصعَد اليَّ يا شاهدوست إصعد ولا تخَف، فانني البارحة صعدتُ، وانتَ اليوم تصعد فحالما استيقظتُ اعتقدتُ وتاكدتُ اني مزمع عما قليل ان استشهد نظيرهُ فالحقهُ، واما المراد بقوله إني صعدتُ البارحة وانت تصعد اليوم، فهو انهُ قُتل عام الاول وانا أُقتل السنة" ثم أخذ يشجعهم ويقول لهم مع الاناء المصطفى: "تشجعوا بالرب وبشدة قوته، وتنطقوا بسلاح الله، فانّما في هذه الافعال تُنيرون الناس، واتخذوا لاقدامكم مسالك مستقيمة، إياكم ان ترتعدوا خوفاً من الموت الآتي الينا، فالذي يموت ليجاهد ببسالة، والذي يحيا ليُر نفسهُ شجاعاً سديد الرأي، لانّنا في سبيل المسيح ومن اجل إيماننا نُقتل فما دام السيف مسلولاً هلموا ننجح ونفلح، وما دامت الصمصامة لامعة تعالوا نتاجر، وما لم يبلغ الليل الحالك هلم فنسير فنصل الى المساكن السماويّة، فاننا نقتني اسماً صالحاً ومجداً ابدياً ونترك مثلاً صالحاً للأجيال الآتية" وقال لهم ايضاً: "صلوا والتمسوا اليه تعالى ان يحقق سريعاً ما شاهدناهُ في الرؤيا".

ففي السنة الثانية من الاضطهاد الاربعينيّ اذ كان الملك في ساليق بلغهُ خبر شاهدوست الجاثليق، فأمر بالقبض عليهِ، ومعنى اسم شاهدوست محب الملك[1] وبالحقيقة إنهُ أحب الملك السماويّ من كل نفسهِ ومن كل قوتهِ، وكان طاهر السيرة والسريرة نظير سلفهِ مار شمعون الباسل الشجاع وفي ذلك الوقت عينه قُبض ايضاً على كثير من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات، وبلغ عددهم ١٢٨ نفساً، فكُبلوا كلُّهم بالسلاسل وأُلقوا في السجن، واقاموا فيهِ خمسة اشهر، وفي هذه المدة أخرجهم المجوس ثلاث مرات وأنزلوا بهم النكال بتباريح العذاب، رجاء ان يحملوهم على السجود للشمس، واذ قيل لهم من قِبل الملك: "إن امتثلتم امري فلا تموتون" جاوب مار شاهدوست عن جمعهم قائلاً: "قولوا لمن أرسلكم اننا جميعنا في رأي واحد وعزم واحد وعقيدتنا واحدة وإيماننا واحد، ولله تعالى خالق السماء والارض نعبد، وإياهُ نحب فوق كل شيءٍ، فلسنا نسجد ابداً للشمس التي خلقها لاجلنا، ولا نُكرم النار التي منحها لنا لكي نستخدمها، فلا نمتثل امرك الرديء ولا ننبذ شريعتنا خوفاً من تهديداتك، فمنك السيف ومنا العنق، منك القتل ومنا الاجساد، فلا تترحم علينا، ولا تتوقع منا الانقياد الى طاعتك والانتظام في سلك المجوسيّة، فلسنا ننبذ ابداً الهنا ومخلصنا يسوع المسيح".

فلما بلغ هذا الكلام مسامع شابور الملك اغتاظ غيظاً شديداً، فارسل اليهم من يقول لهم: "إن لم تعملوا بما امرتكم بهِ فموتاً شنيعاً تموتون" فجاوبوا كلهم قائلين: "إنّنا إن مُتنا من اجل الهنا، فهو تعالى مزمع ان يعطينا الحيوة الجديدة التي لا نهاية لها في الملكوت السماويّ، فتهيأوا لقتلنا، فاننا مستعدون للموت من اجل الهنا، ولا نسجد البتة للشمس ولا نُطيع امركم القاتل النفوس" فحُكم على جميعهم ان يؤخذوا بحدّ السيف، فأخرجهم السيافون وأُمناء الملك الى خارج

---

[1]- شاه بالفرنسية ملك، ودوست صديق او محب.

المدينـة ليقتلـوهم، وكـان الـشهداء يرتلـون في الطريـق بـصوت عـذب رقيـق هـذا المزمور وهو: "احكم لنا يا الله وخاصم لدعوانا مع امـة غـير رحيمـة ومـن انـسان الغش والاثم نجنا...الخ".

ولما انتهوا الى المكان المعين لقتلهم هتفوا قائلين: "مبـارك الله الـذي مـنَّ علينـا بهذا الاكليل الذي كنـا ننتظرهُ ولم يمنعنـا مـن نـوال الحـصة الـتي كنـا نطلبهـا، ومبارك مسيحهُ الذي لم يخل عنا في هذا العالم، بل اسـتدعانا ان نطـير اليـهِ علـى الاجنحة الدموية" ولم يكفـوا عـن اداء الـشكر والحمـد لله تعـالى الى ان قُتلـوا عـن آخرهم.

واسـتـشهد القدّيـسون في اليـوم العـشرين مـن شـهر شـباط امـا مـار شاهدوسـت فذهبوا بهِ الى مدينة بيت لافاط وهناك حزوا راسهُ.



٨- جهاد مار شبيا رئيس الدير ورهبانه العشرة وواحد من المجوس

(٣٤٣-١٧ حزيران)

ان برشبيا كان رئيساً لعشرة رهبان في دير من اديرة بلاد الفرس، وكان غيوراً مشهوراً بحب الفقراء وممارسة الفضائل، فذاع في قليل من الزمان صيت فضائله وغيرته على الديانة النصرانيّة عند المجوس، فوشى به بعض الاشرار الى حاكم مدينة اصطهار قائلين: "إنهُ يُفسد عقول أُناس كثيرين معلماً إياهم السحر ومبطلاً بعلمه علم المجوس" فامر الحاكم بالقبض عليه وعلى رهبانه، فقُيدوا بالاغلال وأُحضروا بين يديه وإذ لم يشاؤُوا ان يتركوا الايمان والدين الحقيقيَّين ليتَدَهوروا في الضلال والكفر، أنزل بهم امر العذابات وسامهم اشد الاذيات حتى إنهُ كسَّر بالمطارق رُكبهم ومزَّق بالطَّبَر سيقانهم واجنابهم وصدورهم، وشان أعينهم وآذانهم وآنافهم، واذ رآهم في تباريح كل هذه العذابات القاسية غير متزعزعين من عزمهم الثابت بل كانوا يزدادون شجاعة وغيرة على إيمانهم، امر ان يذهبوا بهم الى خارج المدينة ويقتلوهم وحين ذهابهم الى القتل كانوا يرتلون الاناشيد العذبة ويسبحون الله جلت جلالتهُ، وكان الناس مُحيطين بهم إحاطة الهالة بالقمر.

وحدث انهُ بينما كان السياف يعرضهم على السيف اجتاز بالقرب منهم واحد من المجوس مصحوباً باثنَين من اولاده وخدمه وامراته، فرفع عينيه واذا بجمع كثير، فقال لخادمهُ: "سُق الجواد سريعاً لنعاين ما الذي هناك" فأسرع واتى ووقف بجانب القدّيسين، واذا رئيس الدير يمسك بيده تلاميذهُ واحداً فواحداً ويعرضهم على القتل وهو يشجعهم ويقويهم ويرتل المداريش بصوت رقيق عذب ففتح الله عينَي المجوسيّ، فعاين لساناً نارياً شبهَ الصليب مستقراً على اجساد المقتولين وهو اشد نوراً من الشمس، فخاف واضطرب ونزل من على جواده،

فاستبدل ثيابهُ بثياب خادمهِ، واقبل الى برشبيا وقال لهُ مساراً في اذنهِ: "إني رأيتُ رؤية كذا، فبان لي منها ان الهكم اختارني لاموت معكم، وانّي آمنتُ من كل قلبي انهُ وحدهُ الاله الحق، فاعتصمتُ بتعليم المسيحيّين، فامسكني الآن كواحد من تلاميذك لئلا يعلم احد اني لستُ منكم واعرضني على القتل نظيرهم، لانّي تمنيتُ جداً ان أُقتَل معكم في سبيل إلهكم" فصدق الراهب القديس ما قالهُ المجوسيّ، فاخذ بيده وعرضهُ على السيف بعد التاسع دون ان يعلم به احد، ثم قُتل ايضاً الحادي عشر وبعدهُ رئيس الدير ايضاً، وبالمجوسيّ بلغ عددهم اثني عشر شهيداً، وان رؤوسهم ذهب بها الاعداء الى المدينة وعلقوها في هيكل أناهيد إلهة الفرس تخويفاً للنصارى، واما اجسادهم فصارت ماكلاً للوحوش و الطيور ثم انّ أمرَ المجوسيّ لم يبقَ مكتوماً بل شق السُترَ وظهر، فصار موضع الحديث في كل البلد، وتنصر بسببه كثير من الوثنيين، ومن الجملة امراتهُ واولادهُ وجميع آل داره، وقضوا باقي ايام حياتهم في التقوى والقداسة.

وتكلل القدّيسون في اليوم السابع عشر من شهر حزيران.



٩- جهاد مار يوحنا اسقف اربيل ويعقوب القسّيس

(٣٤٤- ١ تشرين الثاني)

ان مار يوحنا كان اسقف اربيل وكان يُلقَّب بابن مريم، وكان ذا ميل شديد الى التقوى ورغبة عظيمة في العبادة، وكان يتوق الى نوال اكليل الشهادة فذات مساء إذ عرض لهُ فكر الذين ماتوا قتلى من اجل يسوع المسيح تنهد فدمَعَت عينهُ وهَمَعت وقال: "ويلي، فان ابائي واخوتي قد ماتوا بشجاعة في سبيل الله جلَّت جلالتهُ، فنجوا من ضيقات هذا العالم الباطل وآفاتهِ، واما انا فاذ لم استاهل حظَّهم لبثتُ لمقاساة الضيقات والاذيات، إلا انّ مراحم الله الذي أحببتهُ من كلّ قلبي ومن كل نفسي كثيرة وافرة، فلي امل وطيد ان يترحّم عليَّ فيجمعني بالذين احببتهم في الحيوة والممات".

ثم قام فصلى بخشوع عظيم ونام، وفي تلك الليلة عينها تراءَى لهُ شاب بهي المنظر تنبعث الانوار من اسارير وجههِ وفي يدهِ سيف وعليه تاج من ذهب، فأسرع ودنا اليهِ وعقد التاج على هامتهِ قائلاً لهُ : "افرح يا يوحنّا بما تقتَ اليهِ، وفُزْ بما طلبتَ من صميم قلبك" فاستيقظ القديس وعلم يقيناً ان الله استجاب صلاتهُ.

فبعد مضي سبعة ايام على هذا الحادث قُبض عليهِ وعلى يعقوب القسيس الذي كان يُلقَّب بالغيور بامر فيروز طمشابور حاكم مدينة اربيل، وبعد ان قضيا سنةً في سجنٍ ضنكٍ ساقهما الحاكم الى بيت لافاط عند شابور الملك، فامر الملك فجُلدا بقساوة شديدة، وقيل لهما: "اسجدا للشمس فتُردَّ لكما الحرية" فاجاب مار يوحنا وقال: "إنهُ لأمر مُضحكٌ ان يسجد الانسان الناطق الذي أخضع لهُ خالقهُ جميع الاشياء للشمس الغير الناطقة التي صُنعت لخدمته فاقتلونا سريعاً وحلونا من هذه القيود، وارسلونا بدمنا الى وطننا الحقيقي" ولما أُخبر الملك بما قالا

وتمنيا، امر قائلاً: "اعطوهما سريعاً ما تاقا اليهِ" فشذب السيف غصن حياتهما وكان استشهادهما في غرة تشرين الثاني.



١٠- استشهاد مار نرسا اسقف شهر قرت ويوسف تلميذه

(٣٤٤-١٠ تشرين الثاني)

في السنة الرابعة من الاضطهاد الاربعيني اذ كان الملك في مدينة شهرقرت وُشي اليه بمار نرسا اسقف المدينة وتلميذهُ يوسف، فامر شابور بالقبض عليهما، فلما مثلا بين يدَيه، نظر الى نرسا وقال لهُ: "ما اكرم شيخوختك وأجملها، وما أظرف شباب تلميذك واحلاه، فها اني مشفق على حسنكما خائفاً من ان يُشان ويُخضّب بالدم، ألا فامتثلا امري واسجدا للشمس، فابلغ بكما غاية الشرف واعلى المراتب، لانكما اعجبتماني الى الغاية بحسنكما البهي ومكارمكما المحمودة". فاجابهُ مار نرسا: "إنّ اقوالك الحلوة لَمرة كثيراً، والفاظك الفتانة لكاذبة جداً، لانك سعيتَ ان تهبطنا من علو مراتبنا الحقيقيّة الى ذل وهوان هذا العالم الباطل الزائل المفتخر انتَ به كأنهُ بأسره موهوب لك وحدك دون ان تتفكر بانهُ سيخونك ويهملك شر إهمال زائلاً زوال الظل والخيال، هذا وانّي شيخ قد أهدفتُ للثمانين ولم أزَل اعبد الى الآن من كل قلبي الاله الواحد الحق، فحاشاي الآن ان أخونهُ وأغدر به بسجودي للشمس فأُجني على نفسي جنايةً موبقةً تكون عاقبتها وخيمة".

فقال لهما الملك: "اظن انّ دخولكما علي وبالٌ عليكما، فطاوعاني في ما قلتهُ لكما، وإلا ففي هذه الساعة اجمع عليكما الهوان والقتل".

—اجابهُ نرسا: "لا تتعب نفسك ايها الملك، فإنهُ إن امكنك بعد قتلك إيانا ان تحيينا فتقتلنا ثانيةً وتعود هكذا الى إحيائنا وقتلنا سبع مرات متوالية فلا نترك الهنا ابداً".

فنفر الملك منهما وحكم عليهما بالموت حالاً فلما أُخرجا الى القتل تبعهما جم وافر ليتفرجوا على ميتتهما فلما بلغا الى الموضع المعين لقتلهما، رفع مار نرسا

بصرهُ ناظراً الى الجمع الكثير المحتاط بهما فقال لهُ يوسف تلميذهُ: "على مَ تنظر الى الجمع ايّها الشيخ الوقور فيما انّ الجمع ينظر هو اليك لكي تُطلقهُ في حال سبيله وتذهب انت في حال سبيلك".

فنقد الاسقف القدّيس بعينيه الى تلميذه، وقد أخذتهُ هزة الطرب والانذهال، ودنا اليه وقبّلهُ وقال: "طوبى لك يا يوسف النقيّ، فانّك لم تتشبث بحبائل العالم، بل دخلتَ بفرحٍ باب الملكوت الضيّق" قال هذا ودنا السياف، فقطع اولاً راس يوسف وبعد ذلك حزَّ راس مار نرسا، وكان استشهادهما في اليوم العاشر من شهر تشرين الثاني.



١١- استشهاد دانيال القسيس ووردة العذراء

(٣٤٤-٢٥ شباط)

كان منشأ هذين القديسَين الجليلَين في بلد رازيق وطن القديس ميليس الشهيد، وقُبض عليهما بامر حاكم البلد، وذلك بعد مرور سنتين على استشهاد القدّيس المعظم، فأفرغ جهدهُ في استمالتهما اليهِ، فلم ينل منهما بغيتهِ مع كل الحيل التي استعملها وكل الشدائد والعذابات التي أنزلها بهما، بل كان كلما ازداد في تعذيبهما ازدادا هما شجاعةً وحرارةً في دينهما، فنكل بهما هذا الطاغي الباغي مدة ثلاثة اشهر، وأذاقهما أمر العذابات حتى إنهُ مزق وشق بالمثقب جميع مفاصلهما، وربطهما في الجليد خمسة ايام، ولما عاين اخيراً ما هما عليهِ من الثبات في دينهما امر بقطع رأسَيهما.

وكان ذلك في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط.



١٢- مار ابراهام اسقف اربيل الشهيد

(٣٤٥- ٥ شباط)

ان القدّيس ابراهام خلَف مار يوحنا في كرسيهِ في مدينة اربيل ولم يلبث زماناً أن قُبض عليهِ بامر أدورفَر حاكم حدياب، فعرضهُ على ضربات شديدة وعذابات فادحة ابتغاء ان يحملهُ على السجود للشمس اما القدّيس فلم يزل ثابتاً في رأيه معتصماً بتعليم المسيحيين وهو وحدهُ الحقيقي وكان يصرخ قائلاً: "إنني اومن برب واحد لا اله إلا هو وحدهُ، ولهُ اسجد، واياهُ اعبد، فلن انبذ إيماني الحقيقي ابداً" فقال لهُ الحاكم : "اعمل يا شقيّ بما يامرك الملك فتخلص" اجابهُ: "انّني اسخر بك وبآلهتك، وانبذ ملكك وامرَهُ، لانّهُ يحاول ان يُلقي سدول ضلالهِ على الحقّ المبين، ويهور بتكبرهُ تواضعنا الجليل، لكنهُ فليعلم يقيناً ان تواضعنا لا يلبث من دون ان يرتفع فيطأ كبرياءَهُ" فاستشاط الحاكم غضباً وامر ان يؤخَذ راسهُ بحدّ السيف.

واستشهد القدّيس في قرية تلنيح في اليوم الخامس من شهر شباط.



١٢- جهاد الشهداء المائة والعشرين

(٣٤٦- ٦ نيسان)

في السنة الخامسة من الاضطهاد الاربعيني اذ كان شابور الملك في سليق قُبض بامره على الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات الذين في المدائن وفي القرى المجاورة، وبلغ عدد المقبوض عليهم مائة وعشرين شخصاً، وكان من جملتهم تسع عذارى قد نذرن ذواتهنّ لله، فاودعوا كلهم سجناً مظلماً قذراً، واستمروا فيه ستة اشهر اي الشتاء كلهُ، ووُجدت هناك امراة شريفة ذات فضل وتقوى اسمها يازدندوختي اي بنت الله، وكانت من مملكة حدياب من مدينة اربيل، فهذه قامت مدة ستة اشهر بكل حاجات اولئك الشهداء من طعام وكسوة وغيرهما، وكان المضطهدون يخرجونهم دائماً للاستنطاق فيعذبونهم بعذابات قاسية ويقولون لهم من قِبَل الملك: "اسجدوا للشمس إله شابور وإلا قُتلتم اشنع قتلة" فكانوا جميعاً في رأي واحد وارادة واحدة، وكانوا يجاوبون على هذا المنوال وهو: "حاشانا ان نخون الاله الحق خالق السماء والارض وكل ما فيهما ونهملهُ فنستبدلهُ بخليقة صنعها سبحانهُ لخدمتنا، وإنما بغيتنا ان تعرضونا سريعاً على السيف لكي نستريح من آفات هذا العالم وشرورهِ ولا سيما من عاركم المُحدق بنا من كل طرف".

ولما حان اليوم الذي كان فيه الملك مزمعاً على السفر، تصدَّى احد اصدقاء تلك الامرأة التقية واخبرها خفيةً ان الشهداء يُقتلون قاطبةً في صباح اليوم التابع، فأعدَّتْ لهم عشاءً فاخراً وتولت هي نفسها خدمتهم، ثم غسلت أرجلهم وبدلت كسوتهم وألبستهم جميعاً ثياباً جديدة بيضاء وقالت لهم: "تشجعوا بالربّ وتقووا بما وعدكم في انجيلهِ الطاهر من الخيرات السماويّة، وقد تألم هو في جسدهِ النقي ليفتح لنا باباً للتالم نظيرهُ غير خائفين من الموت، فلاجل هذا اجتهدوا

وقوموا في هذه الليلة بالصلوة دون ان تكفوا عن الترتيل والتسبيح والتمجيد حتى تستاهلوا نوال اكليل الاستشهاد من اجل المسيح الذي احببتموهُ من صميم فؤادكم" هذا الا انها لم تُعلمهم بقرب وفاتهم، اما هم فتعجبوا جداً من تصرفها هذا وقالوا لها: "ما سبب هذه الفرزة التي فرزتها لنا اليوم؟ وما هذه الوصايا والتحريضات الشديدة؟" اجابتهم: "كنتُ نذرتُ نذرا وها انّي قد كملتهُ" ثم انصرفت الى دارها وباتت فلما أصبحت أتتهم وقالت لهم: "أبشروا وطيبوا نفساً وصلوا فرحين مسرورين، لانكم اليوم تنالون اكليل الظفر، وتطيرون فتقعون على شرفة الملكوت مخلفين شهرة انتصاركم في المسكونة للأجيال الآتية، ولكني اسألكم حاجةً تسعفوني بها وتعطوني فيها سؤلي وهي ان تلتمسوا الى ربكم الذي احببتموهُ والذي من اجلهِ تنسدحون قتلى ان يؤهلني لمشاهدتكم في السماء، لاني امرأة خاطئة، ولي علم اليقين أنكم إن طلبتم الى ربكم يغفر لي خطاياي الكثيرة" فأجاب الشيوخ منهم وقالوا لها: "إنّنا متكلون على مراحم الهنا الوافرة وانهُ يكافئك على ما صنعت الينا من المعروف الجزيل حبا به تعالى، فينعم عليك اعظم الخيرات واجزل الاحسانات ويجعلكِ تاكلين ثمرة ما غرستِ".

ولما كان نحو الساعة الواحدة اتى الجند ليسوقوا المعترفين الى القتل، فوقفت يازدندوختي على باب السجن وجعلت تُقبل يَدي ورجلَي من كان يخرج منهم اولاً، ولم تزل على هذا المنوال الى ان خرجوا قاطبةً، وسيقوا الى خارج المدينة، فقيل لهم من قبل الملك: "اسجدوا للشمس فتحيوا كافةً" فرفع الشهداء اصواتهم وقالوا: "أما تروننا يا عميان متوشحين بثياب الفرحِ وبشوشي الوجه مع انّ الذين يساقون الى القتل يلبسون الحِداد وهم خائروا القوة صفر اللون خوفاً من الموت؟ فاصنعوا بنا ايّها الأشرار ما تريدون، فانهُ لَمن المستحيل ان نُهمل الهنا ونسجد لخليقته، لابل انّنا نحتقر اوامركم ونستهزئ بها محرضيكم بهذا على ان تُرسلونا سريعاً الى الحيوة الابديّة" فأمر الملك ان تُضرَب اعناقهم بالسيف، فقُتلوا جميعاً في سبيل المسيح الههم وفي تلك الليلة عينها استأجرت يازدندوختي

الفاضلة لحمل كل جثة فاعلَين، وهيأت ثياباً فـاخرة مـن كتـان لـدفنتهم، فـذهبوا بالجثث الى مكان بعيد من المدينة، واذ كانوا يخافون من المجوس عجلـوا في حفـر قبور لتلك الاجساد المباركة، ودفنوها بسرعةٍ خمسةً خمسةً.

وكان استشهادهم في اليوم السادس من شهر نيسان.



١٤- استشهاد مار حنانيا الاربيلي

(٣٤٦- ١٢ كانون)

كان هذا القديس اربيلياً وطناً مسيحياً مذهباً، وكان علمانياً ذا سيرة وتقوى فائقة، فقُبض عليهِ بامر ادورشاغ حاكم البلد، فأُذيق ضروب العذابات، وجُلد ثلاث مرات بالمطارق حتى إنّ جميع اعضائهِ انحلت وكل عظام جانبَيهِ وساقَيهِ وذراعَيه تكسرت، فوقع مغمياً عليه، فظن المجوس انّهُ توفي، فأمسكوا عن ضربه، وسحبوهُ وطرحوهُ في السوق، فأتى النصارى وأخذوهُ خفيةً فذهبوا به الى بيتهِ وهو مغشيّ عليهِ ولا قبل لهُ ان يتفوه ببنت شفة فجاءهُ اسقف المدينة وكثير من النصارى ليزوروهُ، وبينما كانوا محتاطين بفراشهِ، اذ فتح عينيهِ وقال لهم: "قوموا وصلوا الى الله المحيي الاموات العادل الذي يجازي المضطهدين على ما يصنعون الينا من الشر، ولنا يمنح الراحة الابديّة في الملكوت السماويّ، فهأنذا اعاين امامي سلماً قائمةً على الارض ورأسها يصل الى السماء، وملائكة الله تنزل وتصعد بها وهم يقولون لي تشجع يا حنانيا تشجع وانهض واتبعنا فنريك ارضاً افضل وأبهى من هذه" فلما سمع الجالسون هذا الكلام اضطربوا واستحوذ عليهم خوف عظيم، فخرّوا على وجوههم يصلون، واما القديس فقال هذا وأسلم الروح، وكان جهادهُ في اليوم الثاني عشر من شهر كانون.



١٥- جهاد مار بربَعشمين الجاثليق ورفاقه الشهداء الستة عشر

(٣٤٧-١٧ ايار)

بعدما قُتل مار شاهدوست الجاثليق، انتُخِب بربعشمين خليفةً لهُ، وكان ابن اخت مار شمعون برصباعي، وسيم خفيةً في دار احد المؤمنين فلما اتى الملك في السنة السادسة من الاضطهاد الاربعيني الى المدائن، شكى المجوسُ القدّيسَ اليه قائلين: "ان هنا رجلاً قاسياً يناهض تعليمنا، ويرد عن مذهبنا اناساً كثيرين، وهو والحالة هذه يحتقر الشمس ويهين النار والماء" فسأل الملك: "ومن هو يا ترى هذا الرجل الوقح؟" قالوا : "هو ابن اخت شمعون برصباعي، وقد أُقيم مكانهُ رئيساً على النصارى" فاضطرب الملك لدى سماعه هذا الكلام، وجاشت في صدره عوامل الغيظ، فأمر باحضاره حالاً، فقُبض عليه وعلى ستة عشر من كهنته وشمامسته ورهبانه، فلما أُوقف القدّيس بين يدَي الملك قال لهُ: "لمَ تجرأتَ ايها الشقيّ على نقض اوامري بصيرورتك رئيساً على شعبٍ أبغضتُهُ انا لانهُ يحتقر آلهتي وبلغ من بغضي لهُ أن قتلتُ شمعون الذي كنتُ احبهُ واودهُ".

فاجابهُ الجاثليق قائلاً: "لو امتثلنا امرك لاقتضى ان ننبذ كل ما تامرنا به ديانتنا المقدّسة، وإذ إنّنا لسنا بناقضين اصغر امر من اوامرها لنُمضي امرك فكيف يا ترى ننقاد لك في هذا الامر الذي ليس والحالة هذه بيسير؟".

-قال الملك: "اراك جاهلاً ذا خصامٍ ونزاع وانك ظمان الى الموت نظير خالك الذي هلك واهلك معهُ كثيرين".

-اجابهُ القديس: "انني لستُ ظمان الى الموت إن تركتَني اسلك في الصراط المستقيم، اما انّك إذا الزمتني بقوّة قضيبك الى اتباع ديانتك الكاذبة كرهاً عني

فاريد الموت الذي يكون سبب حياتي الحقيقية واطلب القتل احرى من ان ازيغ عن ديني الحقيقيّ الذي اودعهُ إياي سيّدي شمعون".

فغضب شابور غضباً شديداً وحَلف وقال: "لَعمر الشمس اني لأُبيدنَّ تعليمكم من على وجه الارض ولأمحونَّ مذهبكم من كل المسكونة".

فضحك الجاثليق وقال للملك: "على مَ لم تات ايها الملك لدى إقسامك بالشمس بذكر الهَيك الاخرَين اعني بهما النار والماء فلربما كان الجميع يسعفونك بحاجتك فكنتَ تقدر بمساعدتهم اياك ان تمحو ديانتنا من على وجه الارض كما اقسمتَ".

فاغتاظ الملك وساورتهُ جيوش الغضب فقال: "لانك أسلمتَ نفسك للموت تقول هذا الكلام وذلك لأقتلك حالاً، غير انني لن ازال زماناً طويلاً عارضاً اياك على امر العذابات واقسى الاذيّات تخويفاً لمن عساهُ ان يقاومني نظيرك من بني مذهبك".

وامر للحال بقيدهم وضربهم وحبسهم، فكُبلوا قاطبةً بالحديد وأُلقوا في السجن وضُيق عليهم شديداً، واقاموا كذلك منذ شهر شباط الى اليوم التاسع من شهر كانون الثاني، وكان المجوس في هذه المدة يذيقونهم انواع العذابات من الضرب بالعصيّ والمطارق والجوع والعطش وغير ذلك، فأضناهم ذلك جداً واضرّ بهم كثيراً حتى إنهُ لم يبقَ فيهم سوى الجلد على العظام لا غير، فانقلب جمالهم البهيّ الى حالةٍ من الشناعة يُرثى لها.

وبعد ان مكثوا في حبسهم احد عشر شهراً ارسل الملك من ليدان يستدعيهم فأتوهُ بهم فلما مثلوا بين يديه نظر اليهم شزراً وقال لهم بغضب: "قاتلكم الله ما أجهلكم، لانكم مصرّون بعد على رأيكم الشرير الفاسد مع انكم قد فنيتم ولم يبقَ عليكم سوى العظام، وقد امتُقِع لونكم وغارت عيونكم، فقولوا لي: اين هم الاولون الذين قتلناهم، أفَحيوا وتمجدوا مثلما زعموا لكي تحتذوا مثالهم فتموتوا انتم ايضاً مثلما ماتوا ولم يحيوا؟ فاصغوا اليّ واصبخوا لي، أطيعوا اوامري فتحيوا، وانا أُجزل عليكم العطايا والجوائز، وعلى الخصوص إياك أُكرم يا بربعشمين وابلغ بك افضل درجة ان سجدتَ للشمس الاله العظيم".

وامر الملك من ساعته فاتوهُ بكاسٍ من ذهب فيها الف قطعة من ذهب، فقال لهُ: "خُذ الآن هذه، وإني فيما بعد لأُعظمنك وأُكرمنك الكرامة كلها".

فنظر القديس الى الكاس باحتقار وقال للملك: "يا ترى على مَ تخدعني ايها الملك كولدٍ صغير مستميلاً اياي الى ضلالك بما يضمحل ويزول زوال الظل والخيال وحاملاً اياي على ترك الهي الغير الزائل الذي بكلامهِ خلق هذه الاشياء كلها وبامرهِ تنتهي وتزول، فلو اعطيتني ايها الملك مُلكك كلّهُ لمَا عدلتُ عن الطريق المستقيمة السالك انا فيها".

–الملك: "إن اردتَ ان تحيا انت والذين معك لا تحتقر هذه العطية العظيمة التي أتحفتُك بها وإلا فلَعمر الشمس لاقتلنك اليوم اشنع قتلة ولاشفين غليلي من جميع قومكم العاصي الجافي الخلق".

–القديس: "وانا إذا اطعتُ امرك يا ملك فترى اي جواب أُعطي لله حين يلتفت الي برجزٍ ويقول لي بغضب لماذا استبدلتني يا ناكر الجميل بالذهب الذي انا وهنتهُ لشابور واغتررتَ بما هو فانٍ زائل لا يدوم لصاحبهِ؟ فاعلمنّ اذاً ايها الملك اني لستُ امرق ابداً وقطعاً واصلاً من إيماني الحقيقيّ، فكملنَّ فيّ سريعاً ارادتك السيئة واقضينّ منا وطرك ولا تتأخرنّ".

–الملك: "إني لحد الآن ظننتك يا شقي عاقلاً حكيماً، لكني عرفتُ الآن انّك جاهل احمق، فليس من الواجب ان اعاملكم انتم بلينٍ ولطفٍ بل بقساوة وغلظة، فلأُعلمنكم بتاديبي إياكم كيف ينبغي ان يتصرف من يسوس الرعيّة".

–الشهيد: "إننا عقلاء وحكماء، وإنما بارادتنا نبذل انفسنا للموت حباً بالهنا الذي مات عنا، لعمري مع اننا وطِئنا تحت اقدامنا تكبرك وتيهك وأوضَحنا لك جلياً انّ هذا العالم زائل ولستَ انتَ بباقٍ فيهِ، فانتَ بعد مجتهد في ان تخدعنا حتى نستبدل حياتنا الثمينة بعطاياك الحقيرة الزائلة كآلهتك".

فاستشاط الملك غضباً وطار شرراً ولهباً فقال: "إني لاكتبنّ الى جميع عساكري ان يمحوا من الارض تماماً كل من عليهِ هذا الاسم".

القدّيس: "إننا في الجهاد الذي يكون في سبيل الله لاشد بطولةً من عساكرك في المحاربة التي تكون من اجلك، هذا وما بالك تقول اني أفني من على وجه الارض جميع النصارى بالسيف القاطع فيما انّ سيفك يُنمينا ويزيدنا عدداً يوماً فيوماً وصمصامك يكثرنا ويقوينا ساعة فساعة، فلا قِبَلَ لك إذن ان تناهض امتنا الشديدة الباس، إذ ها إنّ اصدقاءَنا الذين قتلتهم يتنعمون في الملكوت، وأعزتنا الذين ذبحتهم يفرحون في العلى، والصبيان الذين فتكتَ بهم يتهللون حبوراً وسروراً في السماء، والعذارى اللواتي نكلتَ بهنّ يترفهنَ في النعيم السماوي، وانت بازاء هذا الفرح الوافر والترفه الكثير والراحة اللذيذة محفوظ لك عذاب ابديّ مع البكاء الدائم وصرير الاسنان الغير المتناهي".

فلما فرغ القدّيس من مقالتهِ، غضب عليهِ الملك وتضرم، وحرق عليهِ الأرمَّ، وكاد يتمزق من الغيظ، ففاض شرهُ وانسكب، وصبغ اقوالهُ بالدم والفاظهُ بالقتل، فأمر بالشهداء ان يؤخذوا بحدّ السيف هذا وإنهُ نظير الأفعى الكامنة في الطريق ومثل الثعبان المنقضّ للهجوم استعد للّدغ، ففار فائرهُ وهاج هائجهُ فتمايد سُّمهُ وفاض فجرى وسرى في الاجساد ارادةً ان ينزع عنها الحيوة الزمنيّة فصرخ صرخةً شديدة ضجّت لها الارض باسرها، وكتب لجميع الحكام ما نصّهُ: "إن كل من يحبّني ويعجبهُ ملكي فَلْيبذل قصارى جهدهُ في محو الاسم المسيحيّ من مملكتي، إِما بحمل النصارى على السجود للشمس وإكرام النار والماء، وإما بإهلاكهم وتنزيلهم الى الهاوية".

وتكلل مار بربعشمين هو ورفاقهُ الشهداء الستة عشر في اليوم التاسع من شهر كانون الثاني.



١٦- جهاد يعقوب القسّيس واختهِ مريم البتول

(٣٤٧- ١٧ ايّار)

في السنة السابعة من الاضطهاد الاربعينيّ قُبض بامر نرسا طمشابور على يعقوب كاهن قرية تل شليلة وعلى اختهِ مريم الفاضلة التي كانت قد نذرت بتوليتها لله تعالى، فانزل بهما الظالم النكال وضربهما بالعصيّ رجاء ان يحملهما على اكل الدم، لكنهما مع نَزَوانِ هذه العذابات القاسية لم يتزعزعا عن رأيهما الثابت، وما كان منهما الا انّهما استغاثا بالله تعالى وطلبا منهُ الصبر الجميل وإذ رأى الطاغي انهُ لا يستطيع الى استمالتهما اليه سبيلاً، اخذ منهُ الغضب كل مأخذ، فامر واحداً من الاشراف اسمهُ مهداد (وكان نصرانياً بالاسم لا غير) ان يقطع راسَيهما بالسيف فأذعن لامره مداهنةً لهُ واخذ راسيهما بحد السيف.

وتكللا في قرية تل دارا التي على شاطئ الزاب الكبير وذلك في اليوم السابع عشر من شهر ايار.



١٧- جهاد تقلا الراهبة ورفيقاتها الراهبات الاربع

(٣٤٧- ٦حزيران)

في الزمان الذي فيهِ استشهد مار يعقوب القسيس مع اختـهِ مـريم رُفـع الى نرسـا طمشابور خبر رجلٍ منافق من قرية كشاز اسمـهُ فـولا لم يكـن عليـهِ سـوى اسـم الكهنوت لا غير على ان لهُ اموالاً كثيرة وثروة جزيلة فارسل الظالم جندهُ فكبسوا بيتهُ وقبضوا عليه، واخذوا كل ما رأوا في داره من المال وبسببه قبضوا ايضاً على خمس راهباتٍ كن في قريتـهِ وهذه اسماؤُهنّ : تقلا ومـريم ومرتا ومـريم و إيمه، واتوا بهم جميعاً الى قرية حزة، ودخلوا اولاً بفولا على طمشابور، فقـال لـهُ: "إن عملتَ بما يامرك الملك وسجدتَ للشمس واكلتَ الدم أُرجع لـك كـل ثروتـك" فعطش الطماع الحلزّ الى ماله وتاق الى ثروته لـيحترق بهـا، فحبّـهُ لاموالـه أعمـاهُ وأصمهُ؛ فعمل بكل ما امر به.

فلما رأى طمشابور انّهُ لم يجد عليه حجةً ليقتلهُ، ويأخذ اموالهُ أنتجت لهُ فكرتهُ ودلتهُ حيلتهُ ان يامرهُ في ان يُسدح اولئك الراهبات، فلعلهُ يـستحوذ عليـه الخجـل بذلك فلا يقتلهنّ فيسترجع منهُ ثروتهُ فأمر للحال باحضارهنّ، وقـال لهـنّ بـشدّة: "امتـثلن امـر الملـك واسجدن للـشمس وتـزوّجن فتخلـصن والا نكلـتُ بكـنّ آخـذاً رؤوسكنّ بحدّ السيف".

فرنعت القدّيـسات اصـواتهنّ قـائلات: "لا تخوفنـا ايهـا المتكـبر المتـصلف ولا تتخدَع لنا باقوالك المُضلة، بل أمض فينا سريعاً ما امرتَ به، لانّنـا لـسنا ننحـاز إلا الى خدمة الهنا وخالقنا".

فأمر حينئذٍ ان يذهبوا بهنّ الى خارج المحكمة، فـأنزلوا بكـل واحـدة منهـنّ مائـة ضربة بالعصيّ، واما هنّ فكنّ في وسـط هـذا العـذاب الـشديد يحمـدن الله سـبحانهُ ويقلن للأعداء: "إنّنا لسنا نعدل الاله الحقّ بالـشمس الكاذبـة. ولانكـون جـاهلات

نظيركم فننبذ الخالق ونسجد لخليقته" ثم حُكم عليهن بالموت، فقيل لفولا المنافق: "إن قتلتَ هولاء الراهبات يُرد اليك كلّ ما أُخِذ منك" فدخل فيهِ ما كان قد دخل في يهوذا، إذ إنّ الذهب استمالهُ والفضّة خدعتهُ واستولى عليهِ الطمع فأهلك نفسهُ مثل الاسخريوطيّ، واصابهُ ما اصابهُ ذلك من النصيب، إذ ورث نظيرهُ الحبل المضر القاتل، ولعل فولا ايضاً انشق من وسطهِ فانسكبت احشاؤهُ كلها إنّ يهوذا قتل يسوع، وفولا قتل المسيح في شخص البتولات فانّ الذين اعتمذوا بالمسيح انما المسيح لبسوا كقول بولس الرسول فترى ايّ حكم صارم يُصدر عليهما، هذا فانّ الطمع أطفأ في فولا مصباح العقل وحبُّ الذهب أعمى بصيرتهُ، فتحجر قلبهُ وامسى جلموداً، وتصلب وجههُ فصار كالحديد، فأفضت بهِ القحة ان تناولَ سيفاً وتجرأ وهجم على البتولات فلما رأيتَهُ مقبلاً اليهنّ قُلن لهُ بصوتٍ واحدٍ أبَدأت باغنامك ايّها الراعي الجبان الدنيّ؟ أوَ تذبح نعاج قطيعك ايّها الظالم الشحيح؟ أفأمسيتَ ذئباً خاطفاً تفترس قطيعك ايّها الشرِه الرديء، أهذا هو يا ترى الجسد المحيي الذي كنّا نتناولهُ من يَديك؟ أو هذا هو الدم الزكيّ الذي كنتَ تقدّمهُ الى افواهنا؟ والآن ايضاً فانّما السيف الذي بيدك يكون سبب خلاصنا وحياتنا الحقيقيّة، فنحن ذاهبات الى يسوع الذي هو قنيتنا وميراثنا الابديّ، واما المال الذي احببتهُ انت فلا تقتنيهِ، ونحن نسبقك الى المحكمة الآلهية وشكوانا معنا، فيُدركك سريعاً حكم الله العادل، وإنّنا نموت من اجل المسيح، لكن واهاً لذلك الرجل الذي يقتلنا، فعجل ايّها الوقح الشحيح في قتلنا وبادر الى إنقاذنا من منظرك الشنيع".

فلم يكترث ابن الهلاك بما قيل لهُ، بل دنا منهنّ وضرب اعناقهنّ بالسيف، وكان ذلك في اليوم السادس من شهر حزيران.

ألم يكن هذا المنافق قد قرأ في الانجيل الطاهر خبر ذلك الغنيّ الذي أخصبت اراضيهِ فقال: "يا نفسِ استريحي وكلي واشربي وافرحي وفي نهاية كلامهِ قيل لهُ يا جاهل في هذه الليلة يطلبون نفسك منك وما أعددتهُ لمن يكون؟ فما حدث

لذاك حدث لهذا ايضاً فإنهُ بينما كان يظنّ انّ امواله تُرَد اليهِ إذ أُخذت منهُ غفلةً روحهُ فنزل الى الهاوية، وذلك انّ الحاكم خوفاً من ان ينطلق فولا الوقح الى الملك فيشكوهُ اليهِ فياخذ امواله الجزيلة، ارسل الى السجن اناساً موافقين لهُ في رايهِ، فألقوا حبلا في عنقهِ وعلقوه فمات، ولم يعلم احد بقتلهِ.



١٨- جهاد مار بهنام واخته ساره ورفاقه الشهداء(☼)
(٣٥٢-١٠ كانون الاول)

في هذا الزمان كان في جبل الفاف المعروف بالمقلوب واحد من تلاميذ مار اوجين اسمهُ متى المعروف بالشيخ، وكان قد انضوى اليهِ خلق كثير وتتلمذوا لهُ في السيرة الرهبانيّة، وفي قليل من الزمان ذاع صيتهُ في كل البلد، فكانوا ياتونهُ بكل السقماء المصابين بامراض واوجاع مختلفة فيشفيهم.

وكان في اثور يومئذٍ مُلَيك يقال لهُ سنحاريب، وكان مجوسياً، وكان لهُ ولد نجيب اسمهُ بهنام وابنة مضروب جسمها ببرص اسمها ساره، وقد اضناها الاطباء كثيراً بمعالجتهم اياها فلم تنتفع شيئاً بل كانت تزداد مرضاً واتفق انّ بهنام خرج ذات يومٍ الى الصيد ومعهُ كثير من حشم ابيهِ وجندهِ، فبعد ان أقاموا يومين صائدين ما يقع لهم من الوحوش اصابوا ايلاً جسيماً، فحلقوا في اثرهِ ولم يزالوا يطلبونهُ حتى بلغ بهم الى لحف الجبل القاطن فيهِ مار متى، ولم يدركوهُ لانّهُ توغل في الجبل، وأمسى عليهم المساء وهم بين تلك الاودية منهوكين مضنوكين، فاضطروا ان يبيتوا هناك ليلتهم، فبينما كان بهنام نائماً ظهر لهُ ملاك الربّ وقال لهُ: "قم ايّها الفتى" فنبهَ حالاً من النوم خائفاً مرعوباً، فشجعهُ الملاك وقال: "لا تَخف يا بهنام".

- "مَن انتَ يا سيّدي؟".

- "انا ملاك الربّ قد ارسلني الله اليك لكي ادعوك الى السبيل المستقيم، فانّهُ تعالى قد اختارك لخدمته الإلهية".

- "ومن اين لي ان احقق هذا الامر؟".

- "انّ في هذا الجبل ناسكا قدّيسا يجري الله على يده الكرامات والمعجزات، فاذهب اليه فيريك هو طريق الحق المؤدّية الى الحيوة الابديّة" قال هذا وغاب عنهُ.

وكان بهنام مرتاباً مما قال لهُ الملاك فلمّا اصبح دعا بعضاً من حشمهِ وقص عليهم قصّتهُ على جليّتها، فاجابهُ احدهم قائلاً: "إنّ ما قيل لك عن الناسك القاطن في هذا الجبل حقّ لا ريبَ فيه، فإنّهُ قد بلغني عنهُ صُنعُ المعجزات والكرامات".

فلما سمع بهنام هذا الكلام تبيّن لهُ الحقّ، فاخذ حالاً يتسنم الجبل ومعهُ بعض من أتباعه، فهدتهم العناية الربّانيَّة الى المغارة الساكن فيها الشيخ الناسك فلما رآهم القدّيس مُقبلين نحوهُ خرج لملاقاتهم، فسلموا عليهِ ورد عليهم احسن السلام، وتلقاهم جميلاً، ثم اخذ يسألهم قائلاً: "ما الباعث الى مجيئكم الى هذا الجبل الصعب المرتقى مع انكم منهوكون مضنوكون، ويبان لي أنكم من اجنادٍ ملكٍ ارضيّ" ففتح بهنام فاهُ واخبرهُ بقصتهِ من اولها الى اخرها، فلمّا سمع الناسك قصتهُ وما قال لهُ الملاك، فهم أن الله قد اختارهُ، فأخذ يخاطبهُ عن جميع ما صنع البارئ تعالى من العظائمِ بالجنس البشري فلمّا سمع بهنام مقالتهُ استنار عقلهُ بالنور السماويّ واتقد قلبهُ بنار المحبّة الالهية، فرغب في الديانة النصرانيّة، فاستزادهُ شرحاً في حقائقها، فبادر متى الى تهذيبهِ، وكان لكلامهِ وقعٌ عظيم في قلبه، فقال للناسك القدّيس: "اريد آية بها تثبت لدي صحة الديانة المنذر انتَ بها، إنَّ لي اختاً برصاء، فإن أبرأها الله الذي انت تعبدهُ امنتُ من كل قلبى أنّهُ الاله الحق ولا اله الا الله الواحد إله النصارى" فقال لهُ متّى : "إن كان لكم إيمان دون ان تشكوا فقد نلتم كل ما تريدون" - "ألتمس اليك يا سيّدي أن تاتي معنا فتشفي اختي" - "اذهب وائتني بالفتاة"- "آه لا يمكنها ان تجيء هنا من شدّة الوجع المبتلاة به فضلاً عن ان ابي يتصدى لإعاقتها، فاتضرع اليك يا مولاي ان ترقّ لحالها فتصاحبنا، واني مؤمن أنك لقادر على إبرائها بقوة الاله

العظيم الذي انتَ تعبده" فرافقهم الناسك مصحوباً بواحدٍ من رهبانه، غير انّهُ عند دنّوهِ من المدينة لم يُعجبهُ دخولها، فأمر بهنام بعضاً من حشمهِ ان يمكثوا عندهُ مؤانسةً لهُ واما هو فدخل المدينة وهو يتفكر في استنباط الحيلة والتدبير وكيف ينبغي لهُ ان يُخرج اختهُ الى طبيب الأرواح والاجساد معاً، واوصى أتباعهُ ألا يكاشفوا احداً بما جرى لهُ، وذلك لأن اباهُ كان يبغض شديداً النصارى.

ولما دخل على ابيهِ سُرّ بهِ سروراً شديداً، فأخذ يعانقهُ ويقبلهُ ولم يأذن لهُ ان يذهب الى امهِ الا نحو المساء، ودلتهُ فطنتهُ ان يكاشفها بما جرى لهُ مع مار متى الناسك، لكي يستطيع سبيلاً الى إخراج اختهِ من المدينة خفيةً، فاستدنى اليها باحتشام وقال لها بتواضع: "يا اماه إن لي كلمةً اقولها لكِ" - "قُل يا بنيّ ما سنح لك" فاقتص عليها قصّتهُ على جليتها واستأذنها في أخذ اختهِ ساره الى الشيخ الناسك، فأخذتها هزة التعجب بهذا الامر مرتابةً منهُ، غير انها رعايةً لخاطرهِ وحباً لشفاء ابنتها من علتها لم تخالف إرادتهُ.

وفي الغد بكر بهنام خلساً فخرج باختهِ من المدينة مصحوباً بالذين كانوا معهُ في الصيد، فبصروا بالناسك جاثياً يصلي، فدنا منهُ بهنام وسجد لهُ وقال: "هوذا قد اتينا بأمتك، فإن شئت احضرناها" فلما حضرتْ ركع القديس وصلى، ولما فرغ من صلاتهِ ضرب الارض بعصاهُ قائلاً: "لكِ اقول ايّتها الارض باسم الذي بسطكِ منذ البدءِ على المياه ان تنبعي لنا الساعة الماء اللازم لنا" وللحال انشقت الارض فخرج منها الماء، فأمسك الفتاة بيدها وقال لها: "اكفري بالشيطان وامني بالمسيح فتنالي الشفاء التام".

قالت: "كفرتُ بالشيطان وبكل مَن يخدمهُ، وكفرتُ بالآلهة الكذبة، وبكل مَن يسجد لها، امنتُ بيسوع المسيح وبأبيهِ وبروحهِ القدّوس" فغطسها القدّيس بالماء ثلاث مرات قائلاً: "انا اعمدكِ باسم الآب والابن والروح القدس" وحالما صعدتْ من الماء اطَهرت إطَهاراً كاملاً، فأخذت الحضار هزة الانذهال فصرخوا قائلين: "لَعظيمٌ إله النصارى الذي يصنع معجزات باهرة كهذهِ على يد خادمهِ

مار متى، فهو وحدَهُ الاله الحقّ" فقال لهم القدّيس: "ان كنتم امنتم بهِ من كل قلبكم فاعتمذوا انتم ايضاً كي تكون لكم حصة في ملكوتهِ السماويّ" فأجابوه بصوتٍ واحد قائلين: "آمنا بهِ، فعمذنا نحن ايضاً باسم الآب والابن والروح القدس".

فأخذ القدّيس يعمذهم واحداً فواحداً، ثم علمهم الصلوة الربيّة ونبههم على التمسك بالديانة النصرانيّة والإضراب عن العوائد الوثنيّة والإمساك عن الذبائح الشيطانيّة، فكانوا يصغون اليهِ بانتباهٍ عجيب، ثم قال لهم: "احتفظوا يا اولادي بما قبلتم، لانّكم ستنتقلون عما قليل الى حضن المسيح الذي امنتم بهِ" فقال لهُ بهنام: "لو اقتضى ان نموت الف مرّة من اجل المسيح لم نكفر بهِ ابداً" وكذلك قال جميعهم، ثم انصرفوا الى المدينة وهم ممتلئون فرحاً وثباتاً.

وبلغ الملك شفاء ابنتهِ، فأُفعم قلبهَ حبوراً، وأمر بإحضارها، فلما مثلت بين يديهِ ورآها لا علة فيها تعجب من ذلك، وطفق يسألها قائلاً: "كيف شُفيتِ يا بنتي ومن الذي أبرأكِ؟" فقالت لهُ: "الرب الاله خالق السماء هو الذي مَنَّ بالشفاء على جسدي ونفسي معاً" ثم حكتهُ القصة كما جرت، فتنهد ابوها وتنفس الصعداء، اما هي فاستطردت كلامها وقالت: "وإنّي يا أبتِ قد آمنتُ بالله الذي شفاني واعتمذتُ باسمهِ، وكذلك اخي بهنام، فمنذ الآن فصاعداً لهُ وحدهُ نسجد، واياهُ نعبد، واما الأصنام فقد رذلناها ونبذناها" فاستشاط ابوها غضباً، وأمر بإخراجها من عندهِ، ولما كان من الغد جمع عظماء مملكتهِ وكاشفهم بالأمر على جليتهِ واستشارهم، فأشاروا عليهِ بإحضارهما لعلهم يمكنهم ان يردوهما عن رأيهما فلما حضرا اخذ ابوهما يخاطبهما قائلاً: "أما تعلمان يا عزيزيَّ أن لا اله إلا الالهة الذين نحن نسجد لهم؟ وهم الذين بسطوا السماء وأسسوا الارض، فلهم وحدهم ينبغي السجود لا لرجل مصلوب قد استغوى النصارى الغليظي القلب".

فاجابهُ بهنام بشجاعةٍ عظيمة قائلاً: "نحن لا نسجد للالهة الصماء التي صنعتها أيدي البشر، والتي لها أعين ولا تُبصِر، ولها آذان ولا تسمع، ولها افواه ولا

تتكلم، وشبيهَها سيكون صانعوها وجميع المتكلين عليها" فلما سمع الملك مقالتهُ هذه أخذتهُ سورةُ الغضب فقال لابنه: "إنّي أراك يا بهنام قد علقتَ في شَرَك سحر النصارى الخداعين، فلعمرُ كيوان الاله العظيم وبيل وبيلتي الذين خلقوا هذا العالم إن لم تضربا عن رأيكما هذا الفاسد وتسجدا للالهة قتلتُكما اشنع قتلة، ولا تظنا انّي اشفق عليكما لكونكما ولديَّ، لا لعمري، فانّكما لستما احبّ اليّ من الالهة" فلم يكترث القدّيسان بتهديداته هذه الشديدة، لا بل ان ساره هاجت بها الغيرة الالهية فتحمست وقالت لابيها: "انظرنّ جيداً وانقدنّ بعينيك الى جسمي كيف انهُ انما بقوة اله النصارى قد اطهر لا بقوة آلهتك الباطلة، لعمري انك اقل عقلاً من آلهتك، لانها هي مصنوعة من الخشب والحجارة، وامّا انت فإنما بإرادتك حرمتَ ذاتك معرفة الناطقين، فكفرتُ انا إذن بك وكفرتُ بالهتك" فساورتْ الملك جيوش الغضب، فأمر بإخراجهما من المحفل وقد اضمر عليهما السوء.

ولما خرجا من عند ابيهما دخلا على امهما، وكانت منذ زمانٍ قد أيقنت بالمسيح وبقدرتهِ، لكنها لم تكن قد أعربت عن ذلك خوفاً من قرينها الملك، فأخذت تخاطبهما قائلةً: "اسجدا يا عزيزيَّ للالهة واشفقا على رشاقتكما، وإلا فيخضبها ابوكما بالدم" فاجاباها قائلَين: "كفرنا بالأب وكفرنا بالام، لان المسيح الذي آمنا به يعلمنا قائلاً من لايبغض اباهُ وامهُ واخواتهِ ونفسهُ ايضاً لايستحقّ ان يكون لي تلميذاً فلاجل هذا لا نبالي بالاذيّات والعذابات، فما من شيءٍ قادر ان يفصلنا عن محبته الالهية" وكانت امهما متعجبة باقوالهما وخائفة عليهما، لانها كانت تعلم أنهما إن لم يسجدا للاصنام يحكم ابوهما عليهما بالموت، فأخذت تتملق لهما وتتوسل اليهما مذرفةً العبرات السخينة رجاء ان تحملهما على امتثال امر ابيهما، لكنهما لم ينثنيا عن عزمهما ولا ضعف املهما، فلم يزدادا إلا ثباتاً".

فلما كان من الغد، جمع الملك سنحاريب جميع عظماء مملكته واهل رأيه واستشارهم في أمر ولديهِ، فأجمعوا على ان ينادى في كل المدينة بعيدٍ للآلهة وأن يُضطر بهنام وساره الى السجود لها فأعجب الملك رأيهم، وفعل ذلك، واستدعى ولديه وأخذ يمالقهما رجاء ان يحملهما على السجود لآلهته فقال لهما: "أما ترَيان يا عزيزيَّ ان جميع سكان المدينة يقرّبون القرابين للآلهة ويكرمونهم، واما انتما فمع انكما حقيقان ان تكونا في مقدّمة المقربين لكونكما من اولادي تريدان ان تنحرفا عن عبادتهم، فادنُوَا يا حبيبيَّ وقربا الذبائح للآلهة، ولا تجعلاني هزءاً وسخريةً لجميع اكابر مملكتي" فاجاباهُ بشجاعةٍ قائلَين: "قد سبقنا وقلنا لك إننا لسنا نسجد لأصنامك ولا نتعظ بنصائحك ولا نعمل باوامرك، لانه مكتوب لتُفنَ من على وجه المسكونة الآلهة التي لم تصنع السماء والارض وامّا نحنُ فالهنا واحد وهو خالق العليّين والسفليّين وربّ الارباب ولهُ ينبغي السجود والتسبيح دون غيره" فأخذت الملك سورة الغضب وتطاير من عينيهِ الشرر فامر ان يؤخذا بحدّ السيف لكن الاكابر تصدوا لممانعة قتلهما وقالوا للملك: "لا تغضب عليهما ايّها الملك فانهما صغيران وما يدريان ما يقولان، لكن اصبر عليهما، فلعلهما يتوبان".

وامّا القدّيسان فعند خروجهما من المحفل دعَوَا جميع رفاقهما، فشجعهم مار بهنام وحرضهم على الاعتصام بديانة الحقّ على رغم كل التهديدات والاذيات، وامرهم بان يتهيأوا للذهاب الى مار متى ليتبركوا بصلواته ويتزودوا ببركاتهِ قبل مماتهم، فهيأوا خيلهم وخرجوا من المدينة خفية قاصدين مغارة مار متى، فلما ساروا غير بعيد نزلوا عند تل كان قريباً من المدينة واستراحوا هنالك وبلغ سنحاريب أن ابنهُ وابنتهُ أخذا معهما جماً غفيراً من الأجناد وخرجوا جميعاً مسلحين، فظنّ أنهم لنشر لواء العصيان عليه قد خرجوا متدججين، فاستشاط غضباً وطار شرراً ولهباً، فامر جنودهُ ان يتدججوا فيحملوا عليهم ويبيدوهم قاطبة وقال: "لعمرُ الآلهة إن رجعتم من دون ان تقتلوهم عن اخرهم لأضربنَ

اعناقكم" فلحقوا سريعاً في اثرهم، فانقضوا عليهم كذئاب ضارية وذبحوهم كخرافٍ وديعة في المحل المشار اليهِ، ولم يتركوا الا بهنام وساره، إذ إنّهم احتشموا ان يمدوا اياديهم عليهما وقالوا: "لا نعجّل في إبادتهما، لعل الملك يتندّم فيرسل امراً بإبقائهما".

لكن بهنام كان يحرّضهم على قتلهِ إذ كان يقول لهم: "اقتلونا نحن ايضاً ولا تشفقوا علينا، فإن القتل يوصلنا الى الخدر السماويّ، هذا وانكم ان لم تقتلونا فيُحكَم عليكم بالموت، فلماذا لا تعجلون في امضاء امر الملك فينا" فلما رأوا انهما رغماً عن الدماء المسفوكة امامهما لا يزالان سديدَي الرأي فرحَين مسرورَين، امر القائد واحداً من القتلة قائلاً : "خُذ رأسَيهما بالسيف، لئلا يغضب الملك إذ نخالف امرهُ فيحكم علينا بالموت" وللحال بادر السيّاف الى قتلهما، فجثا مار بهنام على القاع وصلى صلاةً خشوعية، وحذت حذوهُ اختهُ ساره، فهتف الى الله تعالى قائلاً : "ايّها الربّ الاله الذي يتقبل من السفليّين ما يَسُر من العطايا، ويغفر الذنوب للذين يرجعون اليهِ من كل قلوبهم نطلب اليك ألا ترذلنا من امامك نحن الخطاة البائسين الذين نبذنا عبادة الاوثان فاعترفنا بالوهيّتك المعظمة، وأتسمنا بسمة المعموديّة المقدّسة، فكفرنا بالأب والام واحتقرنا المملكة الارضيّة من اجل المملكة السماويّة، فاقبلْ منّا يا رب هذه الذبيحة الدمويّة وضَعنا فيما بين المختارين في المجد الابديّ، ونتضرع اليك ان تُجيب الى سؤال جميع الذين يذكرون اسمك القدّوس واسمنا نحن البائسين" فلما فرغ من صلاتهِ جاءَهُ صوت من السماء قائلا: "أبشِر وقرّ عيناً ايها العبد الامين الفاضل، فإني قد استجبتُ صلاتك وإني لأُعطيك اكثر مما طلبتَ، فادخل فرح سيّدك" فامتلأ القدّيس سروراً وحبوراً، فرسم على وجههِ اشارة الصليب، وحذت حذوهُ اختهُ ايضاً، فجَثَوا على القاع مادَّين عنقَيهما الى السياف قائلين: "خُذ يا رب روحَينا واغفر لأبوَينا خطاياهما لكي يعرفاك فيؤمنا بك" قالا هذا وقطع السيّاف راسَيهما.

فرجع القتلة الى المدينة واخبروا الملك بما جرى، فلم يتندم على قتل عزيزَيهِ، لا بل ان القساوة أفضت بهِ الى ان امر القتلة ان ياخذوا حطباً وناراً وكبريتاً ونفطاً فيذهبوا ويُحرقوا اجساد القدّيسين كي لا يبقى لهم اثر على الارض، فامتثلوا امرهُ، ولما بلغوا الى محل قتل الشهداء رأوا اجسادهم تلمع لَمعَ اشعة الشمس من خلال الغيم الممطر، ثم عندما كوموا الحطب وكادوا يُضرمون النار فيها إذ تزلزلت الارض، فانشقت وتغمَّطت على جثث القدّيسين فسترتها لئلا يُحرقها الأثمة فلما رأوا ما حدث أُغين على قلوبهم فولوا هاربين واخبروا الملك بكل ما جرى، فصرخ الملك صرخةً عظيمة وقال: "حمداً ومجداً للآلهة المظفرين الذين لم يُؤهلوا هؤلاء العصاة لأن يحترقوا بالنار، لكنهم ستروهم في اعماق الارض المظلمة لئلا يراهم احد من الناس".

وكان استشهاد مار بهنام في اليوم العاشر من شهر كانون الاول ٣٥٢.

وان الله جلت جلالتهُ أنزل بسنحاريب ابي مار بهنام عقاباً شديداً، وذلك انّ الروح كان يصرعهُ، فيزبد ويصر باسنانه ويشق ثيابهُ، وبقي على تلك الحالة اياماً ليست بيسيرة، لكن ذلك العقاب كان مزمعاً ان ينقلب الى خيرهِ فإن ملاك الله ظهر لامراتهِ في الرؤيا وقال لها: "لا تخافي فانّ زوجكِ عتيد ان يُشفى".

– "مَن انت يا سيّدي؟".

– "انا خادم الله العلي، وانا هو الذي ارسلني سبحانهُ الى ابنك فرجعتهُ من الضلالة الوثنيّة الى معرفة الاله الحقّ، وهو متوشح الآن في السماء بمجدٍ لا يوصف، وان عظامهُ مزمعة ان تُصبح ينبوع الخيرات لجميع المرضى والمتضايقين، وان اردتم ان تنبذوا عبادة الاوثان تنجون انتم ايضاً وينال زوجك الشفاء من دائهِ".

– "وماذا يجب علينا ان نفعل؟".

– "خذي قرينكِ الملك واذهبي حيث قُتِل ولداكِ فتنالي بغيتكِ".

فلما أصبحت اخذت زوجها الملك وتوجهت به الى المحل المعهود، فلما جُن الليل شرعت الملكة تتضرع الى ابنها قائلةً: "اغفر لنا يا بُني العزيز ما سلف منّا اليك من السوء، وأغث اباك البائس حتى نؤمن نحن ايضاً بالله القدير، فيكون لنا حصة معك في ملكوت السماء" ثم انها لما نامت ظهر لها مار بهنام في مجد عظيم، فقال لها: "إن اردتم نوال الشفاء فاستدعوا مار متى الناسك الساكن في الجبل الذي تجاهكم فتحصلوا على شفاء الجسد والروح معاً".

فلما أسفر الصباح وَجهت رُسلا الى الناسك طالبةً اليه ان يأتي فيشفي قرينها من مرضه، فاجابها الى ذلك، واخذ معهُ خمسةً من رهبانه وقصد مدينة آثور، وفي طريقه زار المحل الذي قُتل فيه مار بهنام ولما دخل على الملكة قامت شاكرةً وسجدت لهُ واخبرتهُ بما جرى، فطفق الناسك يكلمها عن الكتب المقدّسة شارحاً لها اسرار الديانة، ثم اوعز باحضار الملك، فلما راى ما صار عليه من الانقلاب الغريب رقّ لهُ، فصلى وشفاهُ، فخرّ الملك على رجلَيه واخذ يلتمس اليه ان يغفر لهُ ما ارتكبهُ من المساوئ والشرور ويُعتقهُ من الضلالة الوثنيّة، فعمدهُ القدّيس هو وامراتهُ وجماً وافراً من اهل مدينته، ثم إن الملك قال للقديس: "إسأل ما تُريد فأُعطيك، حتى لو طلبت نصف مملكتنا لفعلتُ".

– "اعلاك الله تعالى ومد عمرك الى ابد الابد إن لي حاجةً يسيرة، وفي قضائها فائدة لك في هذا العالم وفي العالم العتيد".

– "اذكر حاجتك، فعليَّ ما يسرَّك".

– "حاجتي ان تبني لنا كنيسةً في محل سكنانا، فان الله عتيد ان يرسل الينا رهباناً كثيرين فيجتمون ثَمّ ويسبحون الله عزّ وجلّ، ويكون لك الاجر والثواب".

فاستحسن الملك طلبتهُ، واوعز حالاً بتهيئة جميع المواد اللازمة لبنيان الهيكل، واستدعى البنائين واوصاهم ان يعملوا بموجب ما يامرهم به مار متى، فبارك القدّيس الملك والملكة وخرج قاصداً ديرهُ، وشيعهُ الملك حتى المحل الذي فيه

قُتل الشهداء، فنزلوا هناك وصلوا وقال القديس للملك: "ينبغي لنا يا سيّدي ان نهتم في إقامة هيكل في هذا الموضع إكراماً للشهداء وسكنى لزائريهم".

فقال الملك: "ان هذا مما يخصني يا سيّدي، واما انت فانما من شانك ان تعتني ببناء كنيسة لرهبانك" ثم ان مار متى شرع بتعمير الكنيسة، وكان الملك يُرسل لهُ النفقات، وكان النصارى المجاورون والبعيدون ايضاً ياتونهُ بالهدايا مساعدةً لهُ، فازداد عدد الرهبان وبلغ ٧٠٠٠ ولاجل هذا سُميّ ذلك الجبل الفاف[1]، ولما شاهد مار متى ازدحام الناس الى ديره وان الطريق المؤدي اليهِ صعب المرتقى، كتب للملك ملتمساً اليهِ ان يساعدهُ في تمهيد الطريق، فأجابهُ الى ذلك وارسل لهُ الصناع فمهدوا الطريق.

ثم انَ سنحاريب لما اراد ان يبني هيكلاً لإكرام الشهداء في محل قتلهم، تصدت امرأتهُ لإعاقته وقالت: "اطلب اليك يا سيدي ان تامرني انا ان اعتني دونك بهذا الامر لكي يكون لي اجر عند الله في هذا البنيان كما صار لك ثواب في تعمير كنيسة دير ابينا متى" فاجابها الملك الى ذلك، ولما شرعت في بناء الهيكل، قال لها مار بهنام في الرؤيا ان تُرسل الى الدير فتُحضر من الرهبان مَن يستحق مماسةَ اجسام الشهداء، فبعثت رسلاً الى الدير بخصوص هذا الامر، وكان مار متى قد توفي، وقام بعدهُ برئاسة الدير مار زكى، ففرح هذا برسل الملكة وقام بخدمتهم وإذ كان هو مهتماً ومشتغلاً بامور الدير، دعا مار ابراهام وكان نائبهُ وامرهُ ان ياخذ بعضاً من الرهبان فيجيب الملكة، فاخذ معهُ اثنين من الرهبان وتوجه اليها، فقامت بخدمته وأحسنت مثواهُ، ثم ان ابراهام انطلق الى محل قتل الشهداء مصحوبا بالملكة وبكثير من الاعيان والاكابر، فلما وصلوا ركع مار ابراهام وصلى، ثم تفرس في الهوتة وإذا بها ممتلئة ضوءًا باهراً نظير ضوء الشمس ورائحة ذكيّة نظير رائحة المسك، فنزل فيها فرأى اجسام القديسين ملقاة

١- اي جبل الالوف.

على القاع كل واحد منها على حدة، فأوعز الى الملكة ان تتبعهُ، فنزلت هي ايضاً واخذت تقبل الاجسام المقدّسة، وميزت ولدَيها مار بهنام والقدّيسة ساره اذ كانا ملقَين بين اجسام رفاقهما كأنّهما الشمس والقمر فيما بين النجوم ثم لما فرغوا من بناء الهيكل وضعوا اجسام الشهداء في مكان لائق، وامّا جسما مار بهنام وسارة فصنعت لهما الملكة جرنَين من رخام ووضعهما مار ابراهام فيهما، وكان الله يجري على ضريح هؤلاء الشهداء معجزات كثيرة، فذاع خبرهم في كل مملكة الفرس، فكان المؤمنون يقصدونهم من كل قطر ومصر وينالون منهم حاجتهم.

ثمّ إن مار ابراهام استأذن الملكة في الرجوع الى ديرهِ، فتوسلت اليهِ ان ياخذ معهُ كلّ ما يلزمهُ من الذهب والفضّة وغير ذلك، فأبى، فاستحلفتهُ ان ياخذ قليلاً من الذهب وينفقهُ في بناء هيكل للرهبان كي يكون لها اجر عند الله في ذلك، فاخذهُ منها وبنى بهِ هيكلاً فاخراً في موضعٍ كان يقال لهُ كوخياتا، وغلب عليهِ منذ ذلك الحين اسم دير مار ابراهام.

وحدث ان رجلاً من اشراف الفرس واغنيائهم اسمهُ اسحق اجتاز في محل قتل مار بهنام ورفاقهِ قاصداً مدينة اورشليم ومعهُ جم وافر من اهل دارهِ وحشمهِ وخدمهِ، وكان لهُ عبدٌ بهِ روح شرير، وكان يحبهُ كثيراً، فبلغهُ انَّ في ذلك المكان ذخائر الشهداء تجري منها الخيرات والبركات، وكان مار ابراهام قد ترك الراهبَين الذين كانا معهُ في الهيكل الذي بَنَتهُ الملكة اكراماً للشهداء، فقصا هما عليهِ قصة مار بهنام على جليتها من اولها الى اخرها، فقام بالصلوة والتمس من القدّيسين العون والايد لاجل خادمهِ، فشُفي تماماً فشاد اسحق كنيسةً اكراماً للشهداء وبنى ايضاً عدة حُجَر للزوار من المرضى، وكانت الملكة قد بلغها خبر اسحق فأعانتهُ هي ايضاً في تلك الابنية، ثم نقلوا ذخائر مار بهنام واختهِ ساره الى تلك الكنيسة.

إن الكنيسة الموضوعة فيها ذخائر مار بهنام ورفاقهِ الشهداء هي في غربي قرية قره قوش على مسافة اربع ساعات منها، وتُسمّى الآن دير مار بهنام وهي بيد السريان الكاثوليك، لكنّها خالية.

وللقدّيس بهنام دير اخر عظيم في كوي سنجاق على مسافة ساعة منها، وهو الآن خالٍ عن السكان، لكن ابنيتهُ باقية، وانّ اهل ارموطا وكوي يعظمون كثيراً هذا القدّيس، وفي كل سنة يعيدون لهُ عيداً فيزورون ديرهُ.

ودير مار متى هو على جبل شامخ يقال لهُ الآن الجبل المقلوب كما سبقت الاشارة، والدير يُسمى دير شيخ متى، وهو بشرقي الموصل على مسافة ٨ ساعات منها، وهو الآن بيد السريان اليعاقبة وليس فيهِ سوى راهبين واسقفٍ واحدٍ يسوس يعاقبة قره قوش وبرطلي وبحشيقا وبحزاني ولما بث برصوم النصيبيني النسطرة في هذه البلاد قتل جماً غفيراً من رهبان هذا الدير وأسر فيهِ مار بَرساهدي الاسقف وذهب بهِ الى نصيبين حيث قتلهُ، ثم ان رهبان الدير الذين نجوا من النسطرة وقعوا في البدعة المنوثيليتيَّة لدى انتشارها في بلادنا، فمن ثَمّ صار هذا الدير في أيدي اليعاقبة.

ودير مار ابراهام هو على الجهة الشماليّة من الجبل المذكور، وهو الآن خالٍ عن السكان، لكن ابنيتهُ باقية.



١٩- استشهاد مار بَرْحَدْشَبّا الشمّاس

(٣٥٦-٢٠ تموز)

كان هذا القدّيس شماساً في مدينة اربيل، وكان طاهر السيرة والسريرة ففي السنة الخامسة عشرة من الاضطهاد الاربعينيّ قبض عليه بامر طمشابور، فانزل به هذا الظالم النكال بتباريح العذاب وهو يقول لهُ: "أكرم النار والماء واسجد للشمس وإلا فاقتلك شرّ قتله" اما القدّيس فكان يهزأ منهُ ويسخر به ويقول لهُ: "تُرى من انت ايّها المنافق اللئيم حتى تجسر وتحملني انا النقيّ على ان اجحد إلهي الحقيقيّ فاسجد لآلهتكم الكاذبة؟ فمن انت حتى تتجرأ على ان تسقطني من المحوَر الذي عليهِ صار مدار سلوكي منذ نعومة اظفاري الى الآن فأقع في وحل الوثنيّة الكريهة الرائحة؟ إنما نحن نعبد على رؤوس الملأ الله الواحد خالق العالم لا آله إلا هو وحدهُ، واما انتم فانما للخلائق الغير الناطقة تسجدون وإياها تعبدون فلعمرُ الآله الذي اخدمهُ بصدق والمسيح الواثق انا بهِ من كل قلبي لا انت ولا ملكك الذي تفتخر بهِ ولا عذاباتك ولا القتل الذي بهِ تخوفني قادر ان يفصلني عن محبّة يسوع الذي أحببتُهُ من صميم الفؤاد منذ نعومة اظفاري حتى شيخوختي هذه، فاصنعن ما بدا لك، لأنهُ ما من احدٍ منا يشاء ان يترك الايمان والدين الحقيقييّن ليتدهور في الضلال والكفر".

فاستشاط طمشابور غضباً واخذ منهُ الغيظ كل مأخذ، فامر بقطع رأسهِ، وكان مقيداً هناك لإبائه السجود للشمس رجل حسيب من نصارى قرية تحال اسمهُ عجي، فأمر الظالم بفكهِ لا لكي يلزمهُ على السجود للشمس بل على ارتكاب ما هو اشدّ خطأً من ذلك وهو ان يقتل القدّيس، فانطلقوا بمار برحدبشبّا الى خارج قرية حزّة وربطوهُ على تل هناك، ثم أعطوا عجّي المذكور سيفاً، فهجم بهِ على القدّيس وهو يرتعد خوفاً، وإذ ضرب بهِ رقبتهُ سبع مرات ولم يقدر ان يقطع

رأسهُ من جراء خوفهِ وارتعاده الشديد ألقى من يده على الارض السيف المخضب بالدم، فغضب عليه الحضار من المجوس وتهددوهُ، فاخذ حينئذٍ السيف، ومسحهُ بجسم القدّيس وطعن به قلبهُ، فمات من ساعته.

وان عجي المنافق عاقبهُ الله العادل من ساعته عقاباً شديداً، وذلك انهُ حالما قتل الشهيد انتفخت ذراعهُ اليمنى انتفاخاً شديداً، فسرى الوجع في كل جسمه حتى إنهُ أنتن بأسرهِ وتمزق، فمات أمرَّ ميتة.

وترك المضطهدون حارسَين على جثة القدّيس برحدبشبّا، واحتال اثنان من الرهبان ان يسرقوها في الليل، فلم يمكنهما ذلك، لان الحارسَين لم يزالا يقظَين، فرشوهما، فلم يقبلا ذلك، فلما لم يجدا سبيلاً الى أخذ الجثة هجما على الحارسَين كأسدَين فضرباهما وربطاهما، واخذا الجثة وذهبا بها ودفناها في تلك الليلة عينها.

وكان استشهاد القدّيس في اليوم العشرين من شهر تموز.



٢٠- جهاد ايث الله حبر الاوثان وحبصه الشمّاس الشهيدَين

(٣٥٦-١٦ كانون الاول)

ان إيث الله كان حبر شربيل إلهة اربيل، وكان به نزيف دم، وقد أضناهُ ذلك الى الغاية وأضر به مدة من سنين كثيرة وهو يصيح كالمجنون في معبد الاصنام ولم يَنل الشفاء اما الله سبحانهُ الذي كان قد اختارهُ، فتفقدهُ برحمته الوافرة اذ أطلع في أُفق قلبه شمس معرفته، فألهمهُ ان يعتنق الديانة الحقيقيّة ويعتصم بها، فخرج من داره قاصداً المكان الذي فيه كان الاسقف والكهنة مستخفين، فلم يبعد عن داره أن جف ينبوع دمه فشُفي من علته، فنزع عن قلبه ستور الشبهة وأيقن، وانشرح صدرهُ وتهلل فرحاً، فاتى وقرع الباب، فلما رأوهُ اعتراهم خوف عظيم واصابهم كدر جسيم لظنهم انهُ لم ياتهم إلا للقبض عليهم، لكنهُ هدأ روعهم وقال لهم: "لا تخافوا فإني إنما لاعتناق ديانتكم قد اتيتكم، وانظروا فإني قد شُفيتُ من علتي حالما نويتُ ان انبذ عبادة الاوثان واعتصم بالاله الحي الحق الذي تعبدونهُ انتم بالحق" فصدقوا إذ ذاك قولهُ واحسنوا مثواهُ واخذوا يهذبونهُ بالأوامر الانجيلية، وبالفضائل المسيحيّة، فتشرب بغض الاباطيل الدنيويّة، وتعشق الكمالات السماويّة، ولبث عندهم اياماً يسيرة معجلاً في تسلق مراقي الكمال الا ان الوثنييّن لدى اتصال الخبر بهم هجموا عليهم مريدين رجمهم من اجله، فهربهُ النصارى الى مدينة ماحوزي، وهناك استزاد النصارى شرحاً في الحقائق المسيحيّة، فتفقه في امور الديانة الالهية، فصار اناء الخير، ثم رجع الى اربيل واخذ يتلمذ الغير المؤمنين فيقودهم بازمة الهدى الى طريق الخلاص الواضح وفي تلك الاثناء صار اضطهاد عظيم على النصارى، فانهزم كل من وُجد في المدينة من المسيحييّن، فخرج هو ايضا من المدينة، لكنهُ لم ينتهز الفرصة، فعاد

اليها واقام فيها، دون ان يحاول الاستخفاء معداً ذاتهُ كالشهم هدفاً لسهام العذاب ثقةً بما أُعدّ لهُ من النعيم الابديّ.

واذ كان ذات يوم جالساً في السوق هجم عليهِ الوثنيّون، فصفدوهُ بالحديد وذهبوا بهِ الى قرية حزة حيث كان شابور طمشابور، فلما مثل بين يديه سألهُ قائلاً : "هل انت نصرانيّ؟".

–جاوبهُ: "نعم إنّني نصرانيّ".

–فقال لهُ مغضباً: "ويحك يا شقيّ، انك بقولك هذا لقد استوجبتَ الموت وايّ موت".

–فصرخ القدّيس قائلاً: "إنني نصرانيّ، وما اعتصم إلا بتعليم النصارى وهو وحدهُ الحقيقيّ، وما اسجد إلا لإله المسيحيّين وهو وحدهُ الله الحقّ، فإنهُ هو الذي خلق جميع آلهتك وصنعها" وحدث انهُ في تلك الساعة كان القدّيس برحدبشبّا قد قُضي عليهِ واحتُزّ راسهُ، فامر الطاغي ان يركضوا بايث الله الى محلّ العذاب لعلهُ عند مشاهدته رفيقهُ مقتولاً مخضباً بدمائهِ يستحوذ عليهِ الخوف فيمتثل ارادتهُ فلما ذهبوا بهِ الى المحل المعهود تهلل قلبهُ فرحاً لظنه انهُ يُقتل عما قريب فيلحق برفيقهِ الشهيد فيتمتع بمشاهدة الههِ وجهاً بإزاء وجهٍ، ولما رآهُ قتيلاً ساقطاً على الارض وقع عليه يقبلهُ ويعانقهُ وياخذ من دمه السائل فيمرس به جسمه واذ علم عدم رأيهم في قتلهِ تفطر قلبهُ اسفاً وغماً فرفع صوتهُ بالبكاء وقال: "واويلي واويلي على مَ ترى لم أُمت انا ايضاً معهُ" فاخبروا القاضي بامره، فازداد حقدهُ عليهِ سعيراً وامر واحداً من النصارى ان يقطع اذنهُ اليمنى، فامتثل ذلك الجبانُ ارادتهُ خوفاً من الموت قطع اذنهُ، لكنّ الله العادل عاقبهُ من ساعته إذ يبّس ذراعهُ اليمنى، فاصبح موعظةً لكثيرين، واما القدّيس فأُودع سجناً ضنكاً.

وفي تلك الاثناء قُبض ايضاً على حبصه الشمّاس، وأُوقف بين يدي طمشابور، فقال لهُ : "من انت؟" – "انني مسيحيّ، ولكوني مسيحياً لآله واحد اعبد لا آله

إلا هو وحدهُ، واجحد آلهتك الكاذبة" فساورتهُ جيوش الغضب وامر بجلده، فجلدوهُ بقساوة وحشيّة، وعندما كان يُجلَد كان يقول بصوت عالٍ: "بفرحٍ وسرور اتجشّم هذا العذاب من اجل الهي العظيم".

واذ عاين طمشابور ان عزمهما لم ينثنِ ولا ضعف املهما مع كل ما لاقيا من الاذيّات الفادحة أسلمهما الى حاكم حدياب ليذهب بهما الى شابور الملك وذلك لكي يستحصل رضاءَهُ فلمّا بعُد بهما الحاكم مسافة يومٍ من اربيل قال لخدامهِ ان يحلوا قيودهما فيمكنوهما من الهرب، فرفض ذلك القدّيسان وقال لهم ايث الله: "نحن لا نهرب هربة اللصوص إن لم تُطلقونا علانيةً معترفين ببراءَتنا" ثم بلغوا الى مدينة شهرقرت، وبقي الحاكم هناك اياماً ليست بيسيرة، وان واحداً من كهنة المدينة استعطف السجّان في شان القدّيسَين، فاخذهما الى بيتهِ وكان ايث الله يخرج كلّ يوم الى خارج المدينة فيصلي، وذات يوم إذ خرج الكاهن في طلبهِ رآهُ يصلي في بيتٍ، فأمعن النظر واذا بالبيت مملوء نوراً عظيماً، فاضطرب وتضمرَّ خوفاً، فسقط على الارض كالميّت، فحملوهُ الى دارهِ، ولما استفاق استحلفهُ ايث الله ألا يُعلم احداً بذلك حتى مماته.

ثم استاقوهما الى ارض الهوزيّين ولما أُوقفا بين يدَي الملك لم يسجدا لهُ، فاغتاظ الملك وقال لهما: "يا لكما من شقيَّين جاهلَين، لماذا يا ترى ما سجدتما لي، لربما بسجودكما لي كنتما تحييان".

–فقال لهُ ايث الله: "انني كنتُ وثنياً اسجد للأصنام المائتة، فلما رجعتُ الى الله الحقّ اشترطتُ على نفسي ان لا اسجد الا لإله واحد فقط خالق السماء والارض" فازداد الملك غضباً وحكم عليهما بالموت، فاحتُزَّ راساهما.

وكان استشهادهما في اليوم السادس عشر من شهر كانون.

٢١- جهاد مار قرداغ الشهيد المعظم

(٣٥٩-٨ ايلول)

ان قرداغ كان من نسل الملوك الاثوريين فان اباهُ كان من سلالة نمرود الجبّار وامهُ من سلالة سنحاريب الملك العظيم، وكانا وثنيّين، وكان كوشناوي ابوهُ من وجهاء الدولة موصوفاً مشهوراً فيما بين المجوس، وكان قرداغ بهيّ المنظر ممتلئ الجسم قويّ البدن شديد الباس خبيراً ماهراً في القتال متمسكاً بالمجوسيّة تمسكاً شديداً، وشاع خبرهُ في كلّ مملكة الفرس، فاتّصل بشابور الملك، فأرسل يستدعيه اليهِ وكان قرداغ قد ناهز حينئذٍ السنة الخامسة والعشرين من عمره فلما رآهُ الملك وما هو عليهِ من بهاء المنظر ورشاقة القدّ والقوّة فرح بهِ فرحاً جزيلاً واحسن مثواهُ، وامرهُ يوماً ان يلعب بالسهام في الميدان امام اكابر دولته، فنصبوا علما على راس شجرة عالية، ثمّ اتوا قرداغ بقوس وخمسة سهام فرمى العلَم بها وأنشبها كلها فيه، ففرح الملك والاكابر فرحاً جزيلاً ومدحوا قرداغ واثنوا عليه وفي الغد أوعز اليه الملك ان يأتي الميدان ويلعب بالكرة معهُ ومع اكابرهُ، فامتثل قرداغ امرهُ، وادهشهُ لما اظهر امامهُ من المهارة ولما كان اليوم الثالث خرج الملك الى الصيد مصحوباً باعيان دولتهِ وبثلاثمائة فارس، واستصحب ايضاً قرداغ، وامرهُ ان يسوق امامهُ مع حاملي سلاحه، فلما قربوا من غابةٍ صادفوا غزالةً عاديةً مع ولدها، فصرخ الملك قائلاً: "ارفع يدك يا قرداغ الشجيع بالقوس وأرنا بأسك" فعجّل قرداغ في رمي الغزالة بسهم، فأصابها هي وولدها، فوقعا على الارض ميتَين، فهتف الملك قائلاً: "نعما قرداغ، حبذا شبابك، افرحنّ وفرحنا نحن ايضاً بظفرك" وحالما عاد الملك من الصيد أمر لهُ بشيء كثير من التحف والظرف، وجعله وزيرا لاثور ومرزبانا من نهر تورمارا

حتى مدينة نصيبين، وارسلهُ في أُبهة، وبعث لابيهِ ايضاً كثيراً من الهدايا والعطايا.

ولما وصل الى ولايتهِ خافهُ النصارى كثيراً لِمَا كانوا عرفوا فيهِ من التعصب والغيرة على المجوسيّة، فاخذوا يبتهلون الى القدير على كل شيء طالبين اليهِ ان يسكن جفوتَهُ فيخلَي عن اضطهاد عبادهِ فلما دخل اربيل جعل عيداً عظيماً لالهته، فأكرم المجوس واحسن صلتهم واجزل العطايا لمعابد النار، وشيد لهُ قصراً على تلّ اسمهُ ملقي، وفي لحف التل بنى معبداً للنار وجعل فيهِ مجوساً لخدمتها، ولما كان يشيّد قصرهُ رأى ذات ليلةٍ في حلمهِ شاباً متدججاً راكباً حصاناً دنا منهُ وطعنهُ في جنبهِ بزج رمحهِ وقال لهُ: "قرداغ قرداغ" فأجابهُ: "هأنذا" فقال لهُ: "اعلمنّ يقيناً انّك مزمع ان تموت شهيداً قدّام هذا القصر بعينهِ من اجل يسوع المسيح".

– "مَن انت يا ترى حتى تفئّلي بهذا الامر".

–"انا سركيس خادم المسيح، ولستُ أُفئلك كما تظنّ، بل قد سبقتُ فقلتُ لك الحقّ كما أعلمني سيّدي المسيح" ولما استيقظ قرداغ خاف خوفاً عظيماً وقصّ حلمهُ على امهِ، فقالت لهُ: "لا تُجهد النصارى، لان لي علم اليقين انهم لله الحق يسجدون، وهو الذي أراك ما شاهدتَ في حلمك" اما قرداغ فلم يبالِ بهذا الامر.

وكان في جبلٍ من جبال بيت بغاش ناسك اسمهُ عبديشوع، وكان صالح السيرة والسريرة مستجاب الدعوى، فتراءَى لهُ الرب في الرؤيا وقال لهُ: "قم انزل وأظهر ذاتك لقرداغ المرزبان، لاني عتيد ان اصيدهُ بيديك الى الحيوة، وانهُ مزمع ان يتألم كثيراً من اجل اسمي" فقام مار عبد يشوع واخذ عصاهُ بيدهِ وحمل الانجيل في مزودٍ ونزل الى اربيل كما امرهُ الرب فذات يومٍ إذ خرج قرداغ ليلعب بالكرة التقاهُ الناسك القدّيس، فقطع طريقهُ واجتاز امامهُ، فاستشاط المرزبان غضباً من هذه المعاملة وقال للذين معهُ: "إنّ لَفي ملاقاة هذا الرجل مناحس" وامر اثنَين من خدّامهِ ان يضربا القدّيس على وجههِ، فضرباهُ بقساوة،

ثم امر ان يُحتفظ بهِ، ولما عاد الى قصرهِ استدعاهُ اليهِ وسالهُ مغضباً: "من اين انت؟ وما شانك؟" فاجابهُ قائلاً :"إن ابويَّ من قرية حزّة كما حكيا لي، ولكونهما نصرانيَّين طردهما الوثنيّون الضالون من قريتهما، فذهبا وسكنا ثمانون، وامّا انا فليس لي موضع معين لسكناي، لانّي سمعتُ انّ الربّ يسوع المسيح الذي نزل من السماء فأنقذنا من عبوديّة الشيطان بسفك دمهِ الكريم لم يكن لهُ موضع ليسند اليهِ راسهُ، فيما انّ السماء والارض خاصتهُ وهو الذي يدبرهما بعنايتهِ الآلهية، واما شاني فهو ان احمد بلا ملل واشكر الله خالقنا ومدبرنا الذي جبلنا على صورتهِ ومثالهِ وخلصنا بيسوع المسيح ابنهِ الوحيد الذي اخذ جسدنا، ومنَّ علينا بالمعرفة والحكمة لنعرفهُ تعالى حقّ المعرفة فلا نزيغ عنهُ ساجدين نظيركم للخلائق" فاتقد المرزبان غضباً وامر بالقدّيس ان يُضرب على فمهِ، فضُرب بقساوة وحشيّة، واما هو فمد بصرهُ الى السماء وصلى فقال لهُ قرداغ: "لماذا تتهمنا ايّها الشيخ الجاهل بكوننا ساجدين للمخلوقات؟" لكن القدّيس لم يجاوبهُ فقال لهُ قرداغ مغضباً : "أما تجاوبني يا احمق؟ أما تعلم ان لي سلطاناً عليك إن شئتُ ابقيتُك في قيد الحيوة وإن اردتُ قتلتُك؟" قال عبديشوع: "اظنّ يا سيّدي انهُ ما يُضرب احد على فمهِ الا تعليماً لهُ ان يسكت فلا يتكلم، وإنما هذا الامر قد حملني ألا أُجاوبك، واما قولك ان لك سلطاناً على موتي وحياتي فكذب، اي نعم لك سلطان ان تقتل الجسد، لكن القتل عندنا نحن معشر النصارى حيوة لا تزول هذا وإنهُ ليس لك ادنى سلطان على أنفسنا فان ربنا شجعنا وقال لنا في انجيلهِ الطاهر لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون ان يقتلوا النفس، بل خافوا خاصةً منّي انا الذي قادر ان أُهلك النفس والجسد معاً في جهنم فان اردتَ ان أتكلم معك سَكن غضبك وارعني سمعك وَأمر ان لا يضربوني ثانيةً" فحلف لهُ المرزبان وقال لهُ: "تكلم ما شئت، فما من احد يضربك".

ففتح حينئذٍ القدّيس فاهُ وقال: "أتُسلم بان كلّ من يكون سرمدياً لا مخلوقاً هو الله الحقّ؟".

-قرداغ: "نعم أُسلم".

-الناسك: "أوَ تَقُر ايضاً ان كل ما يكون مخلوقاً لا سرمدياً ليس الله؟".

-قرداغ: "نعم".

-القدّيس: "أوَ تعلم ايضاً انهُ لا ينبغي السجود للمخلوقات وكل من يسجد لها يُسخط الخالق؟".

-المرزبان: "إن كلّ ما قلتَهُ لَحقّ، لكن من هو يا ترى الذي يسجد للخلائق؟".

-القدّيس: "إنما انت وجميع الوثنيّين رفاقك تسجدون للمخلوقات".

-قرداغ: "إن بيّنتَ لي اني ساجد للخلائق فبطيبة النفس اذعن لك، وإلا فاعلم انّك أهنتني".

-الناسك: "أما تسجد للشمس والقمر والنار والماء والهواء والارض وتسميها آلهة وآلهات؟".

- "نعم إني اسجد لهم، لانهم سرمديّون وليس مخلوقون".

- "ومن اين علمتم يا ترى انّ الشمس والقمر سرمديّان وليسا مخلوقَين؟".

- "من سيرهما الدائِم الغير منقطع، ومن عدم تغيّر طبيعتهما إذ إنّهما لا يزالان على حال واحد وهما في العلى".

- الناسك: "ان ما قلتهُ عن الشمس والقمر إنما خالقهما قد خصهما بهِ لدى خلقهِ إياهما، فالشرف إذاً إنما الى خالقهما عائد لا اليهما، واعلم ان كونهما سرمديّين لَمن المستحيل، لانهما عديما الحيوة، وربما تقول إنهما ذوا الحيوة، فأسألك اي حيوة قانيان؟ الحيوة الحيوانية ام الحيوة الناطقة؟ فان كانا قانيَين الحيوة الحيوانيّة، فلِمَ يا ترى ما يقتاتان كالحيوانات، وان كانا ناطقَين فكيف لا يُضربان عن سيرهما مستريحَين في زمان القيظ الشديد، ولعمري لو كانت الشمس ناطقة لخَففت في الشتاء شدة القرّ وفي الصيف شدة الحرّ ولَتعبت وتالمت في

سيرها الغير المنقطع فإن كل من يتحرك من ذاتِه من ذوي الحيوة المنظورين يتعب ويتألم، فيما ان كل ما هو معدوم الحيوة لا يتعب لانهُ من غيره يتحرك لا من ذاتهِ، كالحجر والسهم والعجلة التي على انها تتحرّك من غيرها لانها ليس لها حيوة لا تتعب ابداً، واما الطيور والحيوانات فعلى انها من ذاتها تتحرّك لانها ذات حيوة تتعب وتتالم فان كان اذاً النيران والعناصر تتحرك من ذاتها فلا بدّ من تعبها وتوجعها، فواضح إذاً يا سيدي ان النيرَين والعناصر معدومة الحيوة والروح وانّما بقوة الله سبحانهُ تتحرّك كما وان الحجر والسهم والعجلة وغير ذلك انما بقوتنا نحن معشر البشر تتحرّك".

–قال المرزبان : "ولماذا القمر والشمس هما ادوم تحركاً واشدّ نوراً مما في الارض من الموجودات وهما غير قابلَي التغيير والفساد دون هذهِ".

–عبد يشوع: "لانهما في العالم نظير الاعضاء الرئيسية في الجسم كالمخ والقلب، فإن رَفع المخ او القلب من الجسم هو إعدام الحيوة كلها، اما رفع الشعر او السن او الظفر منهُ فهو مضرة جزئيّة، فكذلك رفع بعض الاعضاء الصغيرة من جسم هذا العالم كمثل الحيوانات والنباتات هو مضرة جزئيّة، ولكن لو رفَع الله النيرَين من جسم العالم لفسد العالم كلهُ، لان النيرَين رباط جسم العالم بأسرهِ وهما عَينا العالم ومخه وقلبه، اذ منهما تتولد حرارة الاجسام والنباتات والاشجار وعليهما متوقف ترتيب الازمنة وحساب السنين والاشهر والاسابيع والايام، لكن هذه الخاصيات ما تاتيها من ذاتها بل من الله خالقها عزّ وجلّ، فيبان إذاً واضحاً ان الشمس والقمر مخلوقان وعديما الحيوة والحاسية وليسا سرمديَّين، وانّ من يسجد لهما يهين الله خالقهما ويُسخطهُ، وكذلك ايضاً العناصر اي الارض والماء والنار والهواء مخلوقة وعديمة الحيوة والحاسيّة، ولعمري كيف يمكننا ان ندعوها ازليّة، فيما انّ بعضها تُبطل قوة بعضٍ بحيث ان غلبة واحدٍ منها هي انكسار الاخر وخيبوبتهُ ألاَ ترى ان المياه تنقض الارض وتجرفها وتذهب بها؟ وان الارض تشرب الماء، والهواء يحولهُ الى بخار، وان الماء يُطفيء النار، والهواء

يُحبَس بالظرف وتُنتِّنهُ الروائح الكريهة وبالاجمال جميع هذه العناصر من ذات طبعها تنقض بعضها بعضاً وتنحل وتزال وتتغير فضلاً عن انّها محتاجة بعضها الى بعض، ولا ريب انّ كل محتاج مخلوق، وان الغير المخلوق وحدهُ فقط غير محتاج، والحال ان العناصر نفسُ خاصياتها تشهد عليها أنها محتاجة اذ لا قبلَ لواحدٍ منها ان يُجدي نفعاً دون الاخر فإن الارض محتاجة الى المياه لإخراج العشب والنبات، والمياه محتاجة الى الهواء الذي يصعد بها الى العلى فيصبها، وان النار ايضاً غير قادرة ان تظهر فاعليتها دون الحطب الذي انّما من الارض والمياه والهواء يتولد فاذاً العناصر غير كاملة ومحتاجة، فإن كانت محتاجة فمخلوقة هي ايضاً، هذا وانّها لا حيوة لها ايضاً فإنّ كل ذي حيوة من ذاتهِ يتحرك وينمو كمثل الحيوانات والنباتات، فإن النباتات تورق وتنمو والحيوانات لها حركة مع الانتقال والحاسيّة، اما العناصر فليس لها ولا واحدة من هذه الخاصيات، لكنها بلا حركة مثل الأحجار، فمن يسجد لها ويحسبها سرمديّة يُسخط الله خالقها، فبكلّ حق اذاً قلتُ انكم تسجدون للخلائق وانكم بعيدون عن الله" فلما سمع قرداغ هذه الاقوال اغتاظ غيظاً شديداً، فامر بالقدّيس ان يُكبل بالسلاسل ويُلقى في سجنٍ مظلم ولا يُقدَّم لهُ من الطعام إلا ما يسد رمقهُ وذلك مرة بالنهار من دون ماء، فصُفد الناسك وطُرح في السجن وهو فرح مسرور ويرتل ويقول: "إن الله عضدي فلا اخاف، فماذا يفعل بي الانسان؟".

ولما كان في الغد خرج المرزبان الى الصيد، فرمى سهماً فوقع السهم عند قدميهِ، وهكذا ايضاً حدث لجميع رفاقهِ، فخافوا خوفاً عظيماً، وقال لهم قرداغ: "اظنّ انّ الشيخ الذي حبسناهُ هو رجل الله، وانّما بدعائه قد اصابنا هذا الامَر، لأننا أسخطناهُ" فبادر حالا الى دارهِ حزيناً كئيباً، ولم يذُق الطعام، وكان في نيتهِ ان يُطلق عند الصباح الشيخ القدّيس ولما انتصف الليل امتلأ البيت المسجون فيه مار عبد يشوع نوراً ساطعاً، وتراءَى لهُ اجواق الملائكة وهم يرتّلون ويقولون: "الصديقون صرخوا والربّ سمع ونجاهم قريب هو الربّ من

المنكسري القلب ومن كل المستغيثين به بالحقّ، يصنع مسرة خائفيه ويسمع تضرعهم فيخلصهم" وكان القدّيس ايضاً يرتل معهم فرحاً مسروراً فاستولى خوف شديد على جميع الذين رأوا ذلك المشهد، وللحال انفتحت جميع الابواب ودنا ملاك الى الناسك، فوقعت حالاً من يدَيه ورجليه كل القيود، فامسكهُ الملاك بيده وأخرجهُ من السجن، ولما سار به الى خارج السجن قال لهُ: "اتبعني" فاستقدمهُ حتى أدخلهُ مغارتهُ، فتركهُ وانصرف عنهُ.

ولما أصبحت امر المرزبان بفك قيود عبد يشوع واحضاره امامهُ فلما دخل المرسَلون الى السجن رأوه مملواً رائحةً ذكيةً، فأمعنوا النظر واذا بالقيود موضوعة على حدة وليس من احد هناك فاستغربوا ذلك، وبادروا الى المرزبان وأخبروهُ بالامر كما كان فلما سمع ذلك قرداغ اخذهُ خوف شديد وحزن عظيم، فخرّ على وجهه وجعل يبكي بكاءً مراً ويقول: "واحسرتاه واسوءَتاه، فاني قد ظلمتُ رجل الله، إن إله النصارى لَعظيم وهو وحدهُ الله الحق الذي خلق جميع الأشياء" ونهض حالاً فدخل مخدعهُ، ورسم على الحائط علامة الصليب، وخرّ على وجهه وصلى قائلاً: "استجبني ايها المسيح إله النصارى ولا تردّ طلبتي، فاني معتقد ومعترف ومقرُ بانّك الله الحقّ كما يعتقد ويعترف النصارى، وإن كان الذي ظهر لي إنساناً فأهلني ان اراهُ ثانيةً فاستغفر اليه لانّي قد أهنتهُ، وإن كان ملاكاً أنفذهُ ايضاً اليَّ كي يعلّمني ما يجب عليَّ فعلهُ" ثم خرج وجلس على سريره واخذ الطعام وتقوى، وكان المجوسي الذي كان يزمزم عندما كان قرداغ ياخذ الطعام متعجباً هو وامرأة المرزبان واهل داره من أخذه الطعام دون ان يدعوهُ ليزمزم كعادته، ولكن لم يتجاسر احد منهم ان يسألهُ عن سبب ذلك، لانّهُ كان قاسياً جداً على اهل بيته.

ولما مضى عليه ثلاثة ايام تراءَى لهُ في الليل القدّيس عبد يشوع فرحاً مسروراً وقال لهُ: "يا ابني قرداغ، إن شئتَ ان تشاهدني فهلم الى المغارة الفلانيّة، فتجدني هناك" فلما استيقظ المرزبان من نومه فرح فرحاً جزيلاً وابتهج قلبهُ،

فبدل ثيابهُ وتنكّر، واخذ معهُ اثنين من خدامهِ الامناء كان يأتمنهما على اسرارهِ وسار بصحبتهما فرِحاً قاصداً جبل بيت بغاش حيث واعدهُ الشيخ الناسك ولما بعُد عن قصرهِ نحو خمسة اميال ظهر لهُ الشيطان بصورة شيخٍ غضبٍ حزين وهو يعض لحيتهُ باسنانه، فقال لهُ: "اين تذهب ايها الكذاب الخوان الغدار، لماذا خدعتني فتركتني وتبعتَ ذلك الشيخ الملعون تلميذ يسوع الذي صلبهُ رفاقنا اليهود في اورشليم فمات، فحلفتُ ولا اكذب انّي لأُهيجّنَ عليك الملك وجميع اكابرهِ فاسفك دمك كدم قطاع الطريق".

فقال احد الخادمَين للمرزبان: "أأستل سيفي يا سيّدي فاحز راس هذا الشيخ الكَلب الذي تجرأ عليك" اما قرداغ فكان عَلِم انّهُ الشيطان فقال لخادمهِ: "خلّ عنهُ، فانّهُ ليس ممن يؤخذ راسهُ بحدّ السيف، وانّ ربّنا يسوع المسيح الذي امنتُ بهِ هو يُبيدهُ ويفنيهِ بمجرد كلامهِ" وعندها بصق عليهِ قائلاً: "زجرك سيدي المسيح الذي بنعمتهِ أخرجني من ظلام الضلال الى نور معرفته" قال هذا ورسم على وجههِ إشارة الصليب وما كان من الشيطان الا انّهُ انقلبت صورتهُ فصار كحية سوداء، فانهزم ودخل شقّ صخرة كانت هناك.

اما قرداغ فداوم على سفرهِ، وفي الغد نحو العصر اذ كان يتسنم الجبل قاصداً مغارة الزاهد القدّيس تراءى ملاك الربّ لمار عبد يشوع وقال لهُ: "قُم اخرج الى لقاء قرداغ المرزبان وتَلقَّهُ جميلاً، لانّي قد اخترتهُ يقول الربّ فهو خاصتي ومزمع ان يتألم كثيراً من اجل اسمي" فنهض مار عبديشوع وقد انشرح خاطرهُ، فأخذ عصاهُ بيدهِ اليمنى والانجيل بيدهِ اليسرى وشرع يرتل ويقول: "رواحاً يروح باكياً الحاملُ البذرَ مجيئاً يجيء شادياً الحامل الأشمل" ولما بصر من بعيد بقرداغ قال لهُ متبسماً: "ان قيودك لَضعيفة الى الغاية يا سيّدي المرزبان، ونحن المحتزمين بروح القدس والسالكين في طريق الخلاص لا نعتبرها ولا نعتد بها، ولكن هذا هو شان اكابر هذا العالم اعني ان يُؤذوا من يقصدهم من الغرباء" فاجابهُ المرزبان بفرحٍ وقال: "وإن كنا نحن قد ربطناك ونحن لا نعقل فقد فكيتنا

انت من رباط الضلالة وجلبتَنا ان نأتي فنستغفر اليك، فتطلب انت كأبٍ رحوم مغفرة خطايانا" وللحال نزل من حصانهِ فخرّ على قدَمي القدّيس وهو يبكي ويقول: "اصفح عنّي يا عبد المسيح والتمس عني الى يسوع ان يقبلني في حظيرته" فأمسك الناسك بيدهِ وانهضهُ وقبّلهُ وقال لهُ : "اهلاً وسهلاً جئتَ ايّها الابن الذي ولدتهُ برباطي، فانّ المسيح ينتظرك ويفرح بك ملائكتهُ القدّيسون".

وحينئذٍ ذهب الخادمان بالحصان الى دير كان في لحف الجبل وقد أُوصيا ألا يقولا مَن هو صاحبهُ، واما مار عبديشوع والمرزبان فارتقيا الجبل حتى انتهيا الى المغارة ولما كان المساء قام مار عبديشوع ليصلي صلاة الرمش، وكان الوزير ينظر اليهِ بخوف وفرح، واذا بجوقة من الشياطين تظاهروا فوقهما على الجَلْمد وهم يرقصون ويصفقون باياديهم ويضحكون ويقولون: "يا ما أحسن وما اجمل ان يترك الوزير والمرزبان دارهُ وكرامتهُ وسلطنتهُ وعظمتهُ فيبيت صائماً في الجبال لدى الناس الضالين المُتَبوئين بالمغائر والكهوف" اما مار عبديشوع فلم يقطع صلاتهُ، لكنهُ اشار الى قرداغ ان يجاوبهم بكلامٍ موافق لحالتهم الرديئة فقال لهم: "مع انّكم كذابون خداعون في كل اوان وزمان قد قلتم الآن الحقّ، فانّهُ لَحَسَن للوزير والمرزبان ان يتلذذ بالطعام الروحانيّ الممتلئ حيوة حقيقية بصحبة الناس القدّيسين الذين بافعالهم الصالحة قد ابطلوا حيلكم الخبيثة فانتصروا عليكم، إذ إنّهم تركوا الارض فبادروا الى السماء، وإني إذ كنتُ اتلذذ بالاطعمة الطيبة وبالخمر الرائقة كنتُ محروماً طعام الحيوة اللذيذ النقيّ وبعيداً عن الله الحقّ، فكنتُ معاشراً اياكم انتم معشر المرَدَة الخداعين الغدارين، وامّا الآن فإذ قد اشرق عليَّ نور معرفة خالقي القدير فلستُ اجلس إلا على مائدتهِ المملوة كل انواع الاطعمة اللذيذة الطيّبة فاذهبوا عني ايّها الأنجاس الى النار الابديّة" وحالما نطق بهذا الكلام ولوا هاربين مولولين ضاجين.

ولما فرغ مار عبديشوع من صلاته قال للمرزبان: "انّ هنا قليلاً من الحمص المنقوع وقليلاً من الخل باليقطينة، فهلم يا ولدي ناكل ونشرب" فقال قرداغ:

"سمعاً وطاعةً يا ابانا" ولما بدآ ياكلان، تراءى لهما ملاك الربّ فقال لهما : "السلام عليكما" قال هذا ووضع امامهما قرصةً من خبز في غاية الجودة، وقال لقرداغ: "لما جئناك صفدتَنا بالسلاسل ولم تقدم لنا الخبز والماء إلا لسد رمقنا، واليوم في بلوغك الينا أحللناك في جبال شامخة زاهرة، وقدمنا لك خبزاً في غاية الجودة، وهوذا ايضاً ماء زلال يجري في الجبل، لكن لاباس، جئتَ اهلاً وسهلاً، فانّ مجيئك لقد أفعم الملائكة والناس فرحاً وسروراً" قال هذا وانصرف عنهما، فنهضا هما وجثيا على ركبهما نحو ثلاث ساعات، ثم لما فرغا من الصلوة أكلا ما ارسل لهما الله تعالى.

وكان في ذلك الجبل عينه في مغارةٍ تبعد عن مغارة مار عبديشوع مسافة تسعة اميال ناسكٌ وقور طاعن في السنّ فاضل ذو تقوى يقال لهُ بيري، وكان قد قضى في ذلك الجبل ثماني وستين سنة بعبادة الله عزّ وجلّ، فقيل لهُ في الرؤيا من قِبل الله أن: "قم انطلق الى كهف عبد يشوع فتجد ثَمَّ قرداغ المرزبان، فشجعهُ وحزمهُ باقوالك" فنهض الناسك القدّيس، ولما أصبح انتهى الى مغارة مار عبديشوع فتعجَّب مار عبديشوع لدى مشاهدتهِ اياهُ اتياً مغارتهُ، لانهُ لم يكن خرج قطعاً من كهفه في مدة الثماني والستين سنة فقال لهُ الشيخ بيري: "قد نزل كهفك ضيفٌ كريم عظيم، فترَى لِمَ لم تدعُنا معهُ الى الوليمة؟".

-"اصفح عني يا ابانا، فاني لم أرِد ان أُزعج شيخوختك".

- "وإن انت لم تدعُني فالربّ قد ارسلني".

فصليا وتصافحا، وعانق القدّيس بيري قرداغ وقبلهُ وقال لهُ: "اهلاً وسهلاً يا عيسو القاطن البريّة الذي انقلب فأصبح يعقوب الوديع فاضحى مأواهُ خيام الأبرار" ثم باركهُ وقبّلهُ ثانيةً وعاد الى خلوته.

وكان المرزبان لا يزال ليلاً ونهاراً يتضرع الى القدّيس عبديشوع ان يوشحهُ بحلة العماذ ومرَّ على مجيئه خمسة ايام، وفي الليل لصبح اليوم السادس ظهر مار سركيس الشهيد في الرؤيا لمار عبديشوع وقال لهُ: "لماذا تتأخر عن فتح باب

الاستشهاد لأخي قرداغ؟" فلما استيقظ اعتراهُ خوف عظيم فدعا قرداغ وقال لهُ: "هلمّ بنا يا بنيّ ننزل الى الدير فنُمضي ما أُمرتُ بهِ هذه الليلة" وفي نزولهما قصّ الناسك على المرزبان ما رآهُ في حلمهِ، فاجتمع الاخوة وهيأوا جميع مقتضيات العماذ، فاعتمذ الوزير هو وخادماهُ، وتناولوا الأسرار الآلهية، ومكث بعد ذلك سبعة ايام عند معلمهِ القدّيس ثم رجع الى دارهِ فرحاً مغبوطاً، وفي مبيتهِ في الطريق تظاهر لهُ الشيطان بصورة مجوسيّ مشقوق الثياب يولول ويبكي ويقول: "لماذا تركتَني يا ابني قرداغ فتبعتَ أعدائي؟".

اما القدّيس فقال لهُ بشجاعة: "انا متوكل على مراحم ربّي أنّي سأستنقذ كثيرين من أنيابك المهلكة فادخلهم في حظيرتهِ الآلهية".

– قال لهُ المجوسيّ: "اما انت فلك اناس ضعفاء قاطنو الجبال والكهوف، واما انا فلي ملوك وأكابر مملكة فارس بأسرها، فمن حيث انّك قد خاتلتَني لأُعلمنّ الملوك والحكام بامرك هذا حاملاً اياهم على قتلك" فرسم مار قرداغ على وجههِ اشارة الصليب وقال لهُ: "أبادك ربّنا يسوع المسيح الذي انا من اجلهِ مستعد للتالم والموت" فانقلب المجوسيّ وامسى حبشياً فبادر الى الهرب واضعاً يدَيهِ على راسهِ مولولاً وباكياً.

ثم إنّ مار قرداغ في بلوغهِ الى دارهِ احضر اليهِ راهباً اسمهُ اسحق ليعلمهُ المزامير ويقرا لهُ الانجيل الطاهر فامتنع عن أكل اللحم ولم يكن يذوق الطعام الا مرةً في النهار، هذا وانّهُ فتح كنوزهُ فاخذ يقسم اموالهُ على البيَع والاديرة والمساكين والايتام والارامل، فاغتم لذلك امرأتهُ وجميع آل دارهِ، فاستدعاهم القدّيس وقال لهم: "لماذا تحزنون يا جهال على الاموال الارضيّة التي تُذخر في السماء؟ إسمعوا ما يقولهُ ربنا في انجيله لاتكنزوا لكم كنوزاً في الارض حيث السوس والآكلة تفسد، وحيث السارقون ينقبون فيسرقون، وحيث يكون كنزكم هناك يكون قلبكم ايضاً، وحيث اكون انا هناك تكونون انتم ايضاً وان لم تكونوا معي فضدي تكونون، فلا تشفقوا على اموالي ولا تحزنوا عليها ابدا، فإني إنّما

للمسيح الذي هو الملك الحقيقيّ قد وهبتُها" ثم انّ قرداغ اصبح حليماً وديعاً فأضرب عن القتال والحروب وأمسك عن الصيد واللعب في الميدان، فكان يسمع الدعاوي، فينصف الظالم من المظلوم في جميع انحاء ولايته.

وكان ابوهُ وامهُ يسكنان في كورة يقال لها برحوتون، لانّهُ كان لهما فيها املاك كثيرة ومعبد للنار، وهذا المعبد جعلهُ فيما بعد مار قرداغ ديراً وسُميَ باسمه فلما بلغهما عن تنصر قرداغ وتقسيمهِ امواله على الكنائس والاديرة والمحتاجين استولى عليهما حزن عظيم وغم جسيم فقال ابوهُ لامّه: "انّ المصيبة التي وقعنا فيها لعظيمة، فإنّنا قد أمسينا عاراً بين رفاقنا، إذ إنّ الولد الذي ولدناهُ وربيناهُ هو الذي نشر علينا لواء العصيان مريداً هدمَ دارنا" فقالت لهُ: "انّ رأيي ان لا نمنعهُ، بل نتركهُ على حالهِ صانعاً ما شاء، فإنّنا نحن قد طعنّا في السنّ، فالأموال والاملاك خاصتهُ، فليتصرّف فيها كما رام، ولعل ما يصنعهُ حَسن، ولربما اخطأنا إن تصدينا لتعويقهِ" فانتهرها قرينها قائلاً: "اسكتي ايّتها الجاهلة الحمقاء، اظنك انت ايضاً نصرانيّة، ولعلكِ انتِ جعلتِ ابنك نصرانياً" فكتب لهُ ابوهْ ما نصهُ: "وإن كنتَ انت قد مقتَّ ذاتك فأصبحتَ نصرانياً واحزنت عشيرتنا وجعلتنا عاراً لرفاقنا فلا يباح لك ان توزع اموال معابد النار واملاكها على النصارى" فلما قرأ القدّيس الرسالة ضحك وقال: "إنّ ابانا الشيخ لَفي غاية الجهالة والضلالة " فكتب لهُ: "ايّها الشيخ انت تسجد للنار لانك إنّما بالنار مزمع ان تتعذب، واما انا فأهب اموالي للمسيح، لانّي عتيد ان اتنعم معهُ الى ابد الابدين، وبه اثق وعليهِ اتوكل، وانّ معابد النار المتباهي انت بها لأجعلنها هياكل للمسيح، فليس لي معك حصة ابداً، فإنّ يسوع قد دعاني وقربني اليهِ".

وكذلك امرأة مار قرداغ حزنت هي ايضاً لما رأت من تبديد اموالها وتبذيرها، فلم تُطق احتمال ذلك، فنوَت ان تكتب لابيها نيكوركان الذي كان مكرماً لدى الملك شابور فتخبرهُ بقصة زوجها فكتبت رسالةً، وكان في نيتها ان تُنفذها في الغد، فتراءى لها في الرؤيا شابٌ بهيّ المنظر رشيق القدّ متوشحاً بلباس ابيض

كالثلج وجالساً على كرسي من ذهب على باب قصر قرينها المرزبان وماسكاً بيده قلماً من نار وهو يكتب رسائل فينفذها الى السماء على شباب جميلي الصورة متردين بجلابيب بيض كالثلج وطائرين على اجنحة ناريّة، فلما رأت ذلك المنظر المهول دنت من الشاب وقالت لهُ: "من انت يا مولاي؟ وما دأبك؟ ولِمَ انت جالس هنا والمرزبان لا يشعر بك؟ وما الذي تكتبهُ؟".

-اجابها: "انـي زعيم عساكر الربّ الإله الخالق السماء والارض، وإنما قد ارسلني سبحانهُ كي اسجل ما يوزعهُ قرينكِ على الفقراء والايتام من الاموال والعطايا، فأُرسل حسابها الى السماء، وانّ زوجكِ يعرفني وهو شاعر بكوني هنا، امّا انتِ فلا تعرفينني لانّ قلبكِ بالارض" فلما استيقظت اعتراها خوف شديد فاسرعت مرتعبةً الى قرينها فقصت عليه ما رأتهُ في حلمها، لا بل أرَتهُ ايضاً الرسالة التي كانت كتبتها لأبيها، فقال لها: "إنّ ما رايتِ في الرؤيا لأمر عظيم ومخوف وصحيح لا ريبَ فيه، لكنكِ حيث انّكِ غليظة القلب وقاسيتهُ لا تعقلينهُ، وانّ ربّنا قال في انجيلهِ انّي اتيتُ لافرق الانسان من ابيهِ والابنة من امها، واعداء الانسان اهل دارهِ وناهيك انهُ بين الرجل والمرأة اللذين ليسا إلا جسداً واحداً يكون انشقاق وانفصال إذ قال سبحانهُ في موضع اخر أنّهُ في مجيئهِ الاخير في مجدهِ العظيم ليُعذب الاشرار ويُعز الاخيار يكون اثنان في سرير واحد، فيؤخذ الواحد الى السماء ويُترك الاخر في الارض ليتعذب في جهنم وانّي انا لمتوكل على ربّي يسوع انّني عما قليل سأنطلق اليهِ تعالى" فمنذ ذلك اليوم لم تجسر امراتهُ ان تقول لهُ شيئاً ولم تعد تتظاهر بالحزن من جراء تبديد اموالها.

ومضى على مار قرداغ سنتان وثلاثة اشهر وهو لا يزال يسير سيرةً صالحةً مقدّسة، فاتصل خبرهُ بالشعوب المجاورة انّهُ قد اضرب عن الحروب فأحب الهدوءَ والسلام، فتامر كثير من العرب والروم وغيرهم ان يحملوا على البلاد المفوضة لامره، وانّ القديس في تلك الاثناء مضى الى معلمه مار عبديشوع، فمكث عندهُ شهراً واذ كان عندهُ شنّ الاعداء الغارة على ارضه فدمروا ونهبوا

وسبوا ابا قرداغ وامهُ وامراتهُ وجميع اهل دارهِ، فنجا من فرسانه ٢٣٥ فتسرعوا اليهِ في الجبل، فرأوهُ جالساً مع معلمهِ عبد يشوع وكثير من الكهنة في مغارة بيري القدّيس، وحالما شاهدهم قال لهم: "كأنكم من كسرة الاعداء قد افلتتم" فاجابهُ واحد منهم وكان شرس الاخلاق حيوانيّ الطبع في غاية التعصب وقال لهُ: "لما يسكن الوزراء والمرزبانات في مغائر اللصوص والمضلين لا بد من ان يُصيبنا ما اصابنا من المساوئ" فضربهُ حالاً ملاك الربّ فسقط على الارض ميتاً فاستحوذ خوف عظيم على رفاقهِ، فامنوا قاطبةً بيسوع المسيح واعتمذوا امّا مار قرداغ فنغصت الهموم نفسهُ، فقال لمار عبديشوع ومار بيري: "صليا من اجلي يا ابويّ لكي ينصرني الربّ على الاعداء" فباركاهُ ورسما عليهِ اشارة الصليب وقبّلاهُ.

فلما وصل الى قصرهِ وشاهد ما صار فيهِ من الدمار والبوار، أحرقت احشاءَهُ نار الحزن، فأرسل من ساعتهِ فيوجاً في اثر الاعداء وكتب اليهم ما نصهُ: "إنكم قد تجرأتم وحملتم على بلادي لظنكم اني قد نزعتُ عني دروع السطوة والباس والقوة والمراس، فتيقنوا انّي لم انزع عني هذه الدروع وفضلاً عن ذلك فقد تأججت بقوة لا تُقهَر، فارسلوا لي الانفس التي سبيتموها واذهبوا بالمقتنى ولا تضطروني ان أُحاربكم وهذا احسن لكم" اما هم فكتبوا لهُ رسالة شديدة فيها اشبعوهُ شتماً وسباً، فكتب لهم ثانيةً: "إنّي منذ لبستُ المسيح سلام المسكونة لستُ اريد ان اتردى من تلقاء نفسي بجلباب الغضب، فلاجل هذا ارسلوا لي ابي وامي وامراتي واخي واختي وكل من اجليتموهُ عن بلادي وخذوا المقتنى كلهُ واذهبوا عني ولا تحملوني على مبارزتكم".

اما هم فقطعوا راس اخيهِ وارسلوهُ لهُ، فحزن القدّيس حزناً لا مزيد عليهِ والتهب نار غضبهِ واشتعل شواظ لهبهِ، فضُرب بالبوق ودخل القديس البيعة مع المائتين والاربعة والثلاثين جندياً وخدامهِ السبعة، فبسط يديهِ الى السماء وهتف قائلاً مع النبي داود: "احكم لي يا رب وقاتل الذين يقاتلونني، خُذ سلاحاً وترساً وانهض الى معونتي، انزع السيف واصدد مُقابَل الذين يضطهدونني وقل لنفسي انا

مخلصكِ" ولما فرغ من صلاتهِ اخذ من التراب الذي في المذبح فبذر منهُ على سلاحهِ وحصانهِ وعلى جميع جندهِ، وعلق في عنقهِ صليباً من ذهب كان فيه من عود الخشبة التي صُلب عليها مخلصنا، فرفع بصرهُ الى السماء ونذر نذراً للربّ قائلاً: "ايها الربّ الجبار ان ادركتُ اعدائي وانتصرتُ عليهم فاستردتُ منهم جميع الذين سبوهم وكل ما سلبوهُ فساستأصل معابد النار وابني مكانها هياكل لإكرام الشهداء وجميع ما وقف ابويّ لمعابد النار أهبهُ للكنائس والاديرة" فأتاهُ صوتُ قائلٍ من داخل المذبح: "تشجعن وتحزمنّ يا عبدي قرداغ ولا تخافنّ، فانا معك واسلم اعداءَك بيدك" فخرَّ على وجههِ هو وجميع الذين معهُ، ثم قاموا بفرحٍ وسبحوا الله عزّ وجلّ فأمر مار قرداغ وضربوا بالبوق ثلاث مرات، فركبوا جميعاً وجعلوا ينهبون الارض بعدوانهم، فَقال لهُ أحد حاملي سلاحه: "الى اين نتوجه يا سيدي ونحن لسنا نعرف الطريق التي تُؤدي الى اعدائنا؟" فضحك القدّيس وقال: "ان الله يُرينا الطريق" فلما قطعوا ميلين رأوا على الطريق قطعاً من ثياب إمراته الحريريّة فإنّها لمعرفتها شجاعة زوجها ومرحمتهُ كانت في كل فرسخ او فرسخَين ألقت على الارض قطعةً من ثيابها رجاء ان تكون علماً لهُ في اتباعه الاعداء، فصار ذلك دليلاً لهُ حتى انتهى الى نهر الخابور، فرفع عينيهِ فلمح الاعداء حالين على سواحل الخابور وهم ياكلون ويشربون ويغنون فرحين مسرورين آمنين.

فنزل القدّيس من حصانه، وحذا حذوهُ جميع الذين معهُ، فخروا قاطبةً على وجوههم وصلوا متخشعين طالبين اليهِ تعالى ان يمدهم بعونهِ الآلهي، ثم قاموا وهجموا كأسودٍ على اعدائهم على غفلةٍ منهم هاتفين هتافاً قوياً شديداً حتى إنّ الارض ارتجت، فاضطرب الاعداء واستفزهم الخوف، وبادر المسبيون الى لقاء القدّيس فصاروا على ورائه، وبادر الاعداء الى الفرار، فحمل عليهم قرداغ واصحابهُ واخذوا يوقعونهم على الارض نظير السنابل في الحقل، فسقطت جثثهم في الخابور ولم ينجُ منهم سوى نفرٍ يسير لجأوا الى الجبل، وعاد مار قرداغ غانماً منصوراً مظفراً وهو يرتل قائلاً: "هؤلاء بالمراكب وهؤلاء بالخيل واما نحن فباسم الربّ

آلهنا نتقوى، هم بركوا وسقطوا، ونحن قمنا وتهيأنا، لانّ الربّ آلهنا انقذنا" ولما وصل الى مبيت في الطريق امر فضُرب بالبوق، فاجتمع جندهُ، فتفقدهم فرآهم جميعاً سالمين.

وحالما انتهى مار قرداغ الى دارهِ استأصل جميع معابد النار، فبنى مكانها هياكل للرب، وكمل كل ما كان نذرهُ، فلما راى ذلك المجوس الذين في ارضه جاشت في صدورهم عوامل الحقد والانتقام، فالوا على انفسهم ان ياخذوا منهُ ثارهم، فكتبوا واخبروا خفيةً بكل ما حدث واحداً من المجوس الذين في باب الملك كان يُقال لهُ مَوبدان مَوبيد فدخل هذا على الملك وقال لهُ: "إنّ قرداغ الذي اكرمتموهُ الكرامة كلها وجعلتموهُ وزيراً ومرزباناً قد تنصر واستأصل معابد النار وبنى مكانها اديرة وكنائس، وانّهُ لا يزال ينكل بالمجوس" لكن الملك تشزّر فقال لهُ مغضباً: "انّك قد سمعتَ هذه الأخبار كيف لم يبلغك انّهُ بمائتين واربعة وثلاثين جندياً شتت شملَ عساكر كثيرة من الروم والعرب؟" فلما سمع المجوسيّ هذا الكلام اضطرب وخاف، فلم ينبس ببنت شفةٍ، بل خرج فذهب الى اكابر الدولة واثارهم قاطبةً ان يوشوا بمار قرداغ الى الملك، فاجتمعوا كافةً وقالوا للملك: "إذا اعجبكم ياMولانا زوال المجوسية وتقديم دعائم النصرانية فأوعزوا الينا ان نتنصر جميعاً، وإلا فلماذا تغافلتم عن امر قرداغ الجسور الذي أهان الآلهة واستأصل معابد النار بانياً مكانها معابد للنصارى الاشرار".

ولما سمع الملك ذلك حزن حزناً شديداً، لانّهُ كان يحب قرداغ من كل نفسهِ، فاضطُرَّ ان يستدعيهُ اليهِ فكتب اليهِ ما نصهُ: "إتصل بنا خبر غلباتك وغزواتك وانتصاراتك على الاعداء الذين تجرأوا فشنوا الغارة على ارضنا، فأعجبنا ان تُبهجنا برؤيتك فنكافئك بما انت لهُ اهلٌ، فحالما تصلك رسالتنا هذه عجل في المجيء الى بلاطنا" وانّ ما حملهُ على عدم إعلامهِ بِكُنه الامر الذي من اجلهِ استدعاهُ اليهِ هو خوفهُ ان يُنشر عليهِ لواء العصيان فلما قرأ القدّيس الرسالة، تبسم وقال للرسول: "ليس الذي في الرسالة قد حمل الملك ان يدعوني اليهِ، لكن

لا باس، فإنّي مزمع ان انال الكرامات والعطايا الابديّة، فهأنذا مستعد للذهاب اليه بفرحٍ عظيم" وانطلق من ساعتهِ الى الكنيسة ونشر الرسالة قدام الربّ وصلى قائلاً: "ايها المسيح ابن الله الحيّ الذي بدمهِ قد افتدى كنيستهُ واهلني انا الخاطئ ان ادخل حظيرتهُ، شجعني وقوني لأقوم حسناً بهذا الجهاد واخرج منهُ غانماً مظفراً بقبولي الموت من اجل اسمك القدّوس" ثم رسم على وجهه إشارة الصليب وانطلق الى باب الملك، وفي بلوغه ارسل اليهِ الملك مَن يقول لهُ خفيةً من قبلهِ: "إنّ المجوس وأكابر دولتي جميعاً غضابى عليك ومتهددون لقتلك، لانّهم سمعوا أنّك قد تنصرتَ وهدمتَ معابد النار، فلاجل هذا في دخولك عليّ لا تقل إنني نصرانيّ كي يخزى اعداؤك فنبلغ بك الكرامة، ثم في رجوعك الى ارضك افعل ما شئتَ".

فلما كان من الغد امر الملك باحضار مار قرداغ وكان جميع المجوس وأكابر الدولة قد اجتمعوا، وكانوا في دخولهِ يهددونهُ مصرين باسنانهم غيظاً وحنقاً اما القدّيس فكان ينظر اليهم باحتشامٍ ويقول بلينٍ ولطف: "جميع الامم احاطوا بي وباسم الرب قهرتُهم، أحدقوا بي واكتنفوني وباسم الرب قهرتُهم، احتاطوا بي مثل النحل وانطفأوا كنار العشب وباسم الرب قهرتهم" فلما دخل على الملك قال لهُ متبسما: "جئتَ اهلاً وسهلاً ايها الجنديّ الغالب المظفر كوكب مملكتنا، اتصلت بنا اخبار غلباتك فسُررنا وأثنينا عليك، ونحنُ مزمعون ان نكافئك احسن مكافأة، لكنهُ بلغنا عنك ما لم نكن نودهُ فيك، فإن كان لا سمح الآلهة الامر كذلك فموتاً شنيعاً تستحق، لانّهُ يقال إنك قد زغتَ عن المجوسيّة، فأهنتَ الآلهة إذ إنّك علقتَ بشرك النصارى الاشرار" ولما كان الملك يخاطبهُ بهذه الاقوال كان يغمزهُ بعينيهِ ان يُنكر صحة ذلك، امّا مار قرداغ فكان يتضرَّع اليه تعالى ان ياتي الى معونته، وقال في قلبه آية داود النبي هذه: "أتكلم بالصدق امام الملوك ولا استحي" ففتح فاهُ بشجاعةٍ وقال للملك: "نعم إنّني نصراني، فقد اعترفتُ ولن

ازال اعترف خفيةً وعلانيةً بيسوع المسيح، وإنما بقوَّته الالهية قد كسرتُ شوكة الاعداء الذين تجرَّأوا على حمل الغارة على بلادك التي فوَّضتَ لي امرها".

فحزن الملك حزناً شديداً لدى سماعهِ هذا الجواب من مار قرداغ، لكنهُ رعايةً للاكابر تظاهر بالغضب والحقد، فقال للقدّيس مغضباً: "حيث إنك قدامنا قد كفرتَ بالآلهة فاعترفتَ بيسوع الذي صلبهُ اليهود فنحن ايضاً نغلق عليك باب الوداد ونعرضك لاشنع قتلة" فصرخ جميع المجوس والاكابر قائلين: "انهُ يستحق الف ميتة" فأمرَ الملك ان تُلقى القيود بيديهِ ورجلَيهِ ويُرسَل الى ارضهِ وهناك يحكم عليهِ بالموت، وذلك لظنه انهُ ربما يتندم فيعدل عن الديانة النصرانيّة فيحيا اذا ما كُبل بالسلاسل زماناً طويلاً وكان رئيس المجوس يطلب ان يُسلم القديس بيدهِ فيحكم هو عليهِ بموجب ثقل ذنبهِ اما الملك فلرغبتهِ في نجاة القدّيس من انياب الموت لم يُجب الى سؤالهِ، فأرسلهُ الى ارضهِ مصحوباً بمائة فارس وخمسين راجلاً، وكتب الى كوشنزدد ودينكوشنسب (وكانا حاكمَين في البلاد المتسلط عليها مار قرداغ) ما نصّهُ: "ان قرداغ الذي اكرمناهُ كما تعرفون الكرامة كلها، إذ جعلناهُ وزيراً ومرزباناً، جحد آلهتنا واستهزأ بدولتنا واحتقر ديانتنا، إذ إنّهُ تبع رجلاً مصلوباً، وهوذا قد بعثناهُ اليكما مصفداً بالسلاسل، وقد اعطيتهُ سبعةَ اشهر مهلةً لكي يصنع توبة فيتمجس ويستأصل بيدهِ او بيد اهل دارهِ الكنائس والاديرة التي بناها ويشيد مكانها معابد للنار وإلا فارجماهُ على باب دارهِ".

فلما تلا الحاكمان المذكوران رسالة الملك عجلا في الذهاب بالقدّيس الى بُورزَمهير الذي كان متسلطاً في نواحي نصيبين، لانهُ كان ثَم قائد الجيوش مراقباً الحدود، فلما علم بورزمهير بقدوم مار قرداغ جمع كل أعيان البلد والمجوس، فخرجوا لملاقاتهِ وسلموا عليهِ، وساروا جميعاً الى ان دخلوا بهِ البلد، فاخذوا يلتمسون اليهِ ان يمتثل امرَ الملك فيقوم بسلطتهِ فاجابهم قائلاً: "انّني نصرانيّ ولستُ اسجد نظيركم للشمس والقمر" وإذ ألحوا عليهِ كثيراً ولم يُذعِن لهم انطلقوا بهِ الى

شهرخواست القاضي الذي كان الملك قد ولاّهُ على أمر جميع الذين كانوا ينبذون المجوسيّة، فلما بلغوا بهِ تجاه دير مار ياهوب مال النهار، وكان كثير من الوثنيين قاطنين في القرى التي على سواحل النهر الذي بقرب ذلك الدير، وكان هناك مقر شهرخواست فخرج لملتقى القديس، ولما انتهى اليهِ قال لهُ: "إني لا اسجد لك، لانك نبذتَ المجوسية فتنصرتَ، لكن اسمع نصيحةَ مشفق واسجد للشمس وعُد الى حالتك الاولى وإلا فأُذيقك ضروب العذابات والاذيّات" فاجابهُ القدّيس: "زَجَرَك المسيح ايها الكلب النجس" فتضرم عليه وتلظى، فأَمَر بمضاعفة قيودهِ والقاء سلسلة حديديةً في عنقهِ، فنُكل بهِ شديداً، ولما أصبحت ازدحم الوثنيون افواجاً افواجاً يضجون متهددين لقتلهِ، فزجرهم القدّيس وقال لهم: "اذهبوا عني يا اولاد جهنم، إنني لستُ اسجد إلا للمسيح الذي وحدهُ هو الإله الحقّ ورب الارباب" فلما سمع القاضي كلامهُ هذا اراد ان يقتلهُ هناك، غير انهُ لم يمكنهُ ذلك، فانّ الملك كان قد اعطاهُ سبعة اشهر مهلةً لكي يتوب فيرجع الى المجوسيّة فتوجه بهِ الحاكمان الى دارهِ لكي يُقتل هناك كما كان الملك قد أمر فلما وصل مار قرداغ الى قرية ملقي حيث كان قصرهُ مدّ بصرهُ فعاين قصرهُ و دارهُ، فرفع عينيه الى السماء وعقلهُ الى العليّ العظيم وصلى قائلاً: "يايسوع رجائي الذي قدم نفسهُ قرباناً على الصليب لاجل خلاصنا وفك من آدم واولادهِ رباط الموت الابديّ التمس اليك ان تفك ايضاً مني هذه القيود فتنقذني من ايادي هذا القوم الضال، فيرى ذلك مُبغضيَ فيخزوا" وللحال سقطت القيود من يديهِ ورجلَيه، فالتفت الى جهة المشرق واخذ يسبح الله عزّ وجلّ، فلما رأى ذلك الذين كانوا معهُ بادروا الى الفرار وتفرقوا، واما مار قرداغ فارتقى الى قصرهِ فرحاً وحامداً الله تعالى، فشجع امراتهُ واختهُ وجميع اهل دارهِ، واقام رقباء على سور قصرهِ.

فلما اتصل الخبر بالملك شابور استشاط غضباً وفار كالنار شواظاً ولهباً، فكتب من ساعته الى بورزمهير قائد العسكر الذي في المغرب ان يُرسل عدة من

الفرسان او ان اقتضى ان يذهب هو نفسهُ بجميع عسكرهِ فيُدوخوا قصر قرداغ ويقبضوا عليهِ ويرجموهُ قدام باب دارهِ فأرسل القائد عشرين فارساً، فحاصروا القصر شهراً، لكنهم فضلاً عن عدم اجتنائهم من ذلك ادنى ثمرة سقط كثير منهم قتلى، فإنّ مار قرداغ كمثل برقٍ كان يُرسل اليهم السهام من سور قصرهِ فأتى القائد نفسهُ، فذهب ايضاً عناؤهُ عبثاً، فكتبوا للملك وأخبروهُ أنهُ لا يمكن القبض على قرداغ ما لم يكن بالحيلة والمكيدة، فأمر الملك برجوع العسكر، فاجتمع بامرهِ اشراف عشيرة القدّيس واتوا حتى يحرضوهُ ان يفتح باب قصرهِ ويسلم ذاتهُ والا فيهلك ابواهُ واخوتهُ من جرائهِ، فكلمهم قرداغ من السور وقال لهم: "ما لي اراكم حزانى مكتئبين، ولِمَ اجتمعتم كلكم هاهنا؟" فسجدوا لهُ من بعيد ورفعوا اصواتهم بالبكاء قائلين: "اشفق يا مولانا على نفسك وعلى انفسنا ايضاً، فلا تناهض الملك العظيم ولا تصير عشيرتنا عاراً في جميع المملكة، بل افتح باب قصرك واخرج الينا وطاوع الملك في امرهِ، واسجد مرة واحدة للشمس والنار فتستنقذ نفسك وانفسنا ايضاً، ثم تمسك باي دين اردتَ".

فاجابهم القدّيس: "يا ليتكم انتم ايضاً كنتم تُشفقون على انفسكم مثلما اشفق انا عليكم واما انا فإنما من اجل إشفاقي على نفسي قد استخلصتُ ذاتي من انياب الضلالة المتمسكون انتم بها، فأدنيتها الى المسيح الذي هو نور العالم إسمعوا مني نصيحةَ مشفقٍ واتفقوا انتم ايضاً معي باقراركم بالمسيح وكفرانكم بالشمس والقمر والنار التي هي احط شرفاً منكم بكثير واما قولكم: (لا تناهض الملك) لَقول العجائز هو، اي اصعب أمناهضة إنسان شقيّ يزهر اليوم كزهر الحقل وغداً تهب فيهِ الريح فلا يُعرف موضعهُ ام مخالفة ملك الملوك السماويّ الذي لن يزول ملكهُ ولا تفنى سنوهُ؟ واني طالما كنتُ متمسكاً نظيركم بالضلالة لم اكن اعرف ربنا يسوع المسيح، فكنتُ لسوء الحظ اخضع لملكٍ منافق فاجر واحارب عنهُ بشجاعة، اما الآن فإذ عرفتُ المسيح الذي هو الملك الحقيقيّ ورجائي الفريد فلا اخضع ابداً للملوك المائتين الضالين ولا اخاف من تهديداتهم"

فلما سمعوا إهانة الملك سدوا آذانهم فصاحوا وقالوا بعضهم لبعضٍ: "ابعدوا بنا ابعدوا بنا فلا نسمع هذه التجاديف على ملك الملوك" اما القدّيس فضحك وقال لهم: "إنكم لمعتوهون إذ إنكم تجدفون على الله الحقّ وتؤدون لخلائقه ما يجب لهُ من السجود والاكرام".

وبينما كان يخاطبهم، اذ جاء الحاكمان دينكوشنسب وكوشنزدد مصحوبَين بكثير من المجوس، فقالوا لهُ: "لا نسجد لك، لانك أهنتَ الآلهة وخالفتَ امر الملك وتنصرتَ لكن القِ الينا سمعك واصغِ الى ما نقول لك من قِبل ملك الملوك، فانهُ لكونه رحوماً لا يعجبهُ قتلك، فيامرك ان تسجد للنار والشمس والقمر، ثم ان ترمم ما هدمتَ من معابد النار وتستأصل ما شيدتَ من الكنائس والاديرة، فإذا فعلت هذا فتحيا موقراً مكرماً ولا تموت" اما القدّيس فزجرهم قائلاً: "سدوا افواهكم ايّها النَّحِسون الانجاس خَدَمة الشيطان، حاشاي ان انبذ الآله الحق خالق السماء والارض فاسجد للخلائق التي لا نطق لها ولا حيوة، وإن اوامر ملككم هي لدي مثل تجاديف الشياطين على الله سبحانهُ" فلما سمع المجوس هذا الكلام رجعوا الى الوراء ضاجين قائلين: "من ذا قادر ان يسمع التجديف على الملك وعلى الآلهة" وانَّ واحداً منهم اسمهُ سيبرزد انحنى واخذ ملءَ كفهِ تراباً فذراهُ قبالة القدّيس قائلاً: "هذا في فم الذي جدف على الآلهة وعلى الملك" فلما رأى ذلك مار قرداغ اخذتهُ الحماسة والحمية فأشار الى واحدٍ من خدامه أن يناولهُ قوساً وسهماً، فأوتر القوس واصاب السهمُ فم المجوسيّ، فوقع من ساعته على الارض قتيلاً، فقال القدّيس ضاحكاً: "هذه مكافأة حبك لآلهتك ولملكك" فولى سائر المجوس هاربين مولولين، وكذلك ارتحل اشراف عشيرته حزانى مفشولين لكن مار قرداغ استدعى واحداً منهم كان معروفاً بفضله وحكمته وكان يُقال لهُ انوش وقال لهُ: "أتظنّ يا انوش أنّي خوفاً من الموت متمرد بحصني هذا، لا لعمري، فان الموت من اجل المسيح الذ لي من الحيوة الزمنيّة، غير انني لستُ اسلم نفسي بيد هؤلاء الضالين ما لم يُعلمني آلهي بالرؤيا دنوَّ ساعتي الاخيرة،

وانّي لمتوكل عليهِ تعالى انّهم لا يستطيعون الى مضرتي سبيلاً، فاذا اعجب المسيح استشهادي، اخرج بفرح من قصري فاعرض نفسي للقتل من اجلهِ تعالى".

واخبروا الملك بكل ما حدث، فامر شابور نيكورجان حما مار قرداغ ان يحمل هو ختنهُ على فتح باب قصرهِ وإلا فيُقتل هو اشنع قتلة، فجاء نيكورجان ووقف بعيداً عن السور كرمية سهمين، وارسل الى مار قرداغ يشير اليهِ ان يصعد على السور، فإن لهُ كلمةً يقولها لهُ، ففعل القدّيس ذلك، وصاح بحميهِ قائلاً: "اقترب ايّها الشيخ ولا تخف" فلما دنا منهُ قال لهُ: "ما لي اراك حزيناً كئيباً يا نيكورجان؟ وما حملك على ان تجيءَ هنا؟" فبكى نيكورجان بكاءً مراً وقال: "ومَن احرى بطول الحزن مني؟ وإني قد فقدتُ ختناً لم يكن لهُ نظير في العالم في الشجاعة والقوة والعظمة، وانّ الموت يصارعني عما قريب ان لم تفتح باب قصرك وتستسلم" فاجابهُ القدّيس: "إنما من جراء اختلال عقلك بفظاعة الضلالة وشناعتها ظننتَني هالكاً مفقوداً، فلو لم يكن عقلك قد اختل لعقلتَ وأدركتَ أنّي قد حييتُ حقاً فضلاً عن انّي قد هلكتُ، وإنما انتَ قد هلكتَ إذ نبذتَ الآله الحقّ فسجدتَ للخلائق التي انما لخدمتك قد كُونت".

قال لهُ حموهُ: "احسبني مثلما تريد، اشتمني مثلما تشاء، فقط أنقذني من انياب الموت، فإنّ ملك الملوك غضبان علينا ومتهددنا بالقتل من سببك، فإما امتثِل امر الملك وانبذ الديانة النصرانيّة واسجد للشمس والنار، او اخرج من قصرك واعرض ذاتك للقتل كما يفعل الجهال من النصارى، ولا تضطرنا نحن ان نموت عوضك" فقال قرداغ: "لا امتثل امر ملكٍ منافق فاجر، ولا انبذ الآله الذي خلقني ولا اسجد للخلائق مثلكم، ولا امتنع من الموت في سبيل الله، بل اشرب كاس المنية بفرح وسرور فلا يُمت واحد منكم عوضي، فهدِئ روعك ولا تخَف، فاني اذهب الساعة فاتضرع الى ربّنا يسوع المسيح ان يتنازل فيريني أحان وقت استشهادي ام لا، وحينئذٍ فبطيبة الخاطر أُسلم ذاتي للقتَلة".

فذاع وقتئذٍ خبر قتلهِ في جميع أنحاء ولايتهِ، فتقاطر الوف من النصارى واليهود والوثنيّين ليتفرَّجوا على كيفية قتلهِ، واتى ايضاً ابواهُ واخوتهُ وكان القديس مواظباً على الصلوة ملتمساً اليهِ تعالى ان يمدهُ بعونهِ الآلهي على احتمال الموت، وكان ابوهُ يتضرع اليهِ ان يأذن لهُ بالصعود على السور كي يكلمهُ، فلم يُجبهُ الى ذلك، بل بعث اليهِ احد خدامهِ يقول لهُ من قِبَلهِ: "انّ ربنا يسوع المسيح قد قال لنا في انجيلهِ الشريف من لايترك اباً واماً واخوة واخوات وامراة واولاداً ويتبعني فلا يستحقني وانما لاجل هذا لستُ اريد ان اواجهك، لانه من شان افكارك واقوالك ان تصدني من الذهاب الى السماء".

ثم انّ حماهُ أرسل اليهِ ملتمساً منهُ ان يبعث لهُ ابنتهُ سوسان حتى يشاهدها، فقال لها القدّيس: "اخرجي الى ابيكِ وانظري ماذا يريد منكِ، لكني اعلم انهُ لا يُصيبكِ منهُ سوى البوار" فلما انطلقت الى ابيها قال لها: "اشفقي يا بنيتي على شيخوختي ولا تستبدلي محبّة ابيكِ بمودّة قرينكِ، فانهُ لا سبيل لكِ ان تحصلي على أبٍ اخر فيما انهُ اذا مات زوجكِ فغداً يكون لكِ زوج اخر احسن منهُ بكثير فإن اردتِ يا عزيزتي ان تنقذي اباك من الموت فاحملي قرينكِ على فتح باب قصرهِ وإلا فنُقتَل قاطبةً" فعادت حالاً الى زوجها وقالت لهُ: "ما لي اراك حابساً ذاتك في القصر مثل الضعفاء الخائفين من الموت؟ فإن كنتَ نصرانياً فاخرج ومُت بشجاعة مثلما يموت النصارى ولا تكن سبباً لقتل كثيرين" فأجابها القديس قائلاً: "حقيقةً إن الفم ينطق بفضل ما في القلب كما قال مُخلصنا، وان ما تنطقين بهِ هو ثمرة الشجرة الوثنيّة، ولكن لا تضطربي ولا تُجهدي نفسكِ، فإني مستعد للموت".

هذا وأن مار قرداغ رأى رؤيا مذهلة في الليل لصبح يوم الجمعة الواقعة في الاسبوع الاخير من اسابيع القيظ، وذلك انهُ بعد ان صلى صلاة الصبح، التفت فإذا به يرى نفسهُ قائماً على التل الصغير الذي قدام باب قصرهِ وهو محتاط بجم وافر من الناس وهم يلقون عليه درراً نفيسة ثمينة فعاين ان موضع جسمه

الساقطة عليها الدرر كانت تتنضح دماً فتنقلب نُقط الدم الى مصابيح نارية فترتفع طائرةً الى السماء، وإذا بشاب بهي المنظر رشيق القد متردٍ بحلل في غاية النفاسة ومكلل بتاج نوري قائم فوقهُ في الفضاء يقول لهُ: "يا اخي قرداغ: ان هذه الدرر بنفسها قد أُلقيت عليَّ في اورشليم من قِبَل الذين كانوا من ملتي وعشيرتي" فسألهُ مار قرداغ: "مَن انت يا سيدي؟" قال: "انا اسطيفان الشماس الذي رُجم في اورشليم في سبيل الله" وعندها استيقظ مار قرداغ من نومه، وصار في حالة الخوف الشديد، فدعا معلمهُ اسحق الذي كان يعلمهُ المزامير ويقرأ لهُ الكتاب المقدّس وقصّ عليه رؤياهُ، فبعد ان اطرقا ساعةً علما انهُ حان وقت استشهاد القدّيس فقال مار قرداغ لمعلمه: "اين مكتوب خبر استشهاد مار اسطفانس؟" اجابهُ: "في قصص الرسل" فأوعز اليه ان ياتيهُ بالكتاب فيقرأ لهُ، فلمّا سمع خبر استشهاده اخذتهُ هزة الفرح، فانشرح صدرهُ وتشجع واشتاق الى الشهادة ولا اشتياق العطشان المُقبل من السفر في زمان القيظ الشديد الى الماء الزلال.

فنهض مار قرداغ حالاً وجثا وصلى متخشعاً، ثم قَبَلَ الانجيل ورسم على وجهه إشارة الصليب المقدس، وفتح باب قصره وخرج خروج العريس من خدره متهللاً نظير الجبار ليسرع في طريق الاستشهاد فطار خبر خروجه على جناح السرعة في كل البلد، فركض جم وافر من النصارى واليهود والوثنيّين كباراً وصغاراً رجالاً ونساءً وازدحموا افواجاً افواجاً ليعاينوا كيفية استشهاده، فتأجج الفرسان وركبوا خيلهم واخذوا يضطرون الحضار على رَجم القديس، وكان المجوس والاعوان يتلون الحكم باعدامه، فلما عاين مار قرداغ اليهود والوثنيين رافعين احجاراً لرجمه نظر الى السماء ورسم على وجهه إشارة الصليب وصلى بصوتٍ عالٍ قائلاً: "أعني في هذه الساعة ايّها الرب يسوع المسيح ابن الله الحيّ، وأهلني لان اختلط بزمرة القدّيسين واجواق الشهداء والمعترفين" قال هذا وجثا على ركبتيه رافعاً بصرهُ الى السماء، وكان القوم يرشقونهُ بالحجارة، فرُضّ جسمهُ

وسُحِق، وسُمِع صوت يقول لهُ: "حسناً جاهدتَ يا قرداغ فغلبتَ بشجاعة وانتصرتَ، فهلم وخُذ اكليل الغلبة والانتصار" وللحال فاحت رائحة ذكية في ذلك الموضع، ولما جُن الليل اتى بعض من النصارى فخطفوا جثتهُ المقدّسة ودفنوها بإكرام.

واستشهد القدّيس سنة ٣٥٩ في يوم الجمعة الواقعة في الاسبوع الاخير من اسابيع القيظ، وكان المؤمنون في كل سنةٍ يجتمعون يوم استشهادهِ في محل رجمهِ، ويعيدون لهُ عيداً ثلاثة ايّام.



٢٢- استشهاد الشهداء الجليّين
مار بركيشوع وعبديشوع وشابور وسنطروق ورفاقهم
(٣٦٣- ١٢ نيسان)

في سنة ٥٣ لشابور الملك الموافقة لسنة ٢٢ للاضطهاد الاربعينيّ، خرج شابور الى تخوم الروم ليحارب أهلها، فلما بلغ نهر الفرات امر جميع الذين كانوا معهُ ان يسجدوا للشمس والقمر والنار، وكان هؤلاء الجليّون المباركون نصارى، وهذه اسماؤهم : بركيشوع، وعبديشوع، وشابور، وسنطروق، وهرمزد، وهاذرشابور، وهلفيد، وايث الله، ومقيم وغيرهم، وكانوا كلهم ثمانية عشر، وكان ايضاً بصحبتهم امراتان اسم إحداهما فوبه واسم الاخرى هَلمَدور فهؤلاء أجمعوا رايهم واشترطوا على انفسهم ان لا ينبذوا ديانتهم خوفاً من ملكٍ ليس لهُ سلطان سوى على اجسادهم.

فوشى بهم المجوس لدى الملك قائلين: "إن في جيوشك جوقةً من الضالين يستهزئون باوامرك الجليلة ويجدفون على الشمس والنار والقمر" فاستدعى الملك بركيشوع وعبديشوع وقال لهما: "اما تعرفان انني عظيم في جميع أنحاء مملكتي ويمتد مُلكي على الجميع، فما هذا الامر انكما اجترأتما عليَّ فاستصغرتما اوامري السامية واحتقرتما آلهتي العظام؟ فلا تغررا بنفسَيكما وتناهضاني في اوامري فتحملاني على ان أُعرضكما للعذابات والموت معاً".

أجابهُ بركيشوع قائلاً: "لا تضطرب ايها الملك ولا تُجهد نفسك عبثاً، فاننا نؤثر الموت على الحيوة اذا ما اضطررتنا على نبذ ديانتنا المقدّسة الحقيقيّة، فاعلم يقيناً ايها الملك اننا لا نسجد ابداً للشمس والقمر والنار التي انما لخدمة الناس قد خُلقت لا للسجود لها كما تفعلون انتم".

–الملك: "أيوجد في العالم اعظم من الشمس التي تبسط اشعتها الساطعة على كل المسكونة فتنير بضوئها البهيّ كل الدنيا وتُنضج بحرارتها كلّ ما يوجد في العالم من المطاعم والماكل؟ فترى على مَ لا تذعنان ان تسجدا لها؟".

–بركيشوع: "ان هذه الشمس المتباهي انت بها ليست بشيءٍ، فان فوقها سلطاناً اعظم مما لها أما تعاين انها تُظلم كل مساء فتزول كرامتها وتبرد حرارتها وتبيد سلطنتها، ولعمري ان هذا كلهُ لا يحدث الا بتدبير من خلقها، وقس على ذلك القمر والنار اللذين انتَ تسجد لهما، وان الانسان افضل منها بكثير، فإن يشوع بن نون البار أوقف كما قُرِئَ لنا في الكتب الالهية الشمس والقمر في الفضاء فمنعهما عن سيرهما، فلو لم يكن الانسان اقوى منهما لمَا قدر على إخضاعهما".

–الملك: "تُرى متى تعلمتما هذا العلمَ الفاسد الذي لا لذة بهِ ولا طائل تحتهُ؟ لعمر الشمس والقمر والنار الغير المنطفئة لأُنزلنَّ بكما النكال بشدة العذاب إن لم تعملا بما امركما به".

–بركيشوع: "لا تشمخ بانفك كبراً يا ملك الملوك ولا ترفع راسك الى السماء تيهاً وفخراً، فإن مُلكك يزول وتاجك يضمحل وكبرياك تهوي بك الى القبر حيث تسكن نظير سائر الناس أوَ أنت اعظم من نمرود الجبار ومن بختنصر البطل اللذين مع عظمتهما ووسع ملكهما انمحى ذكرهما فصار تراباً؟".

فتمزع الملك غيظاً وصاح قائلاً: "اربطوا هذين الشقّيين واسلخوا جلدهما شيئاً فشيئاً من قمة رأسَيهما الى ارجلهما، لانهما احتقرا اوامري السامية واستصغرا امر آلهتي العظيمة الجليلة" فبادر القدّيسان الى مد اياديهما للربط وراسَيهما للقتل، فبدأ الجلادون بسلخ جلدهما، فرفع الشهيدان بصرهما الى العلى قائلَين: "انظر يا يسوع الى شدة عذابنا، إنما من اجل الحيوة العتيدة نحتقر الحيوة الزمنيّة" قالا هذا وتنيَّحا بالرب.

ثم أحضروا شابور وسينطروق وهرمزد وهاذرشابور وسائر رفاقهم، فقال لهم الملك: "عاينتم الهلاك الذي صار اليهِ رفيقاكم لعصيانهما عليّ، فلا تضارعوهما لئلا تهلكوا نظيرهما، بل امتثلوا امري واسجدوا للشمس والقمر والنار، فأُعجل في تشريفكم واخصكم بعلو المرتبة ورفع الدرجة".

اجابهُ سنطروق قائلاً: "لا تظنّ ايها الملك بكبريائك وضلالك ان اخويَّ اللذَين عرضتهما على الموت كان مصيرهما الى الهلاك، فانهما بانتقالهما من هذه الحيوة الزمنية الفانية نالا الحيوة الابديّة فاستقرا في المنصة السماويّة، ولم نكن نحن ايضاً الا لنقفو اثارهما حتى نبلغ اليهما فنتلذذ بصحبتهما الى ابد الابدين، فلسنا نحن ممن جهُل وحمُق الى هذا الحد حتى انهُ إرضاءً لجلالتكم يستبدل الخالق العظيم الشان بالخلائق الدُنيَة" فاغتاظ الملك غيظاً شديداً لدى سماعهِ هذه الاقوال، وامر بقتلهم جميعاً.

وكان استشهادهم في سنة ٣٦٣ يوم الخميس في الثاني عشر من شهر نيسان.



٢٣- جهاد دوسا الاسقف ومار يَهْب القسّيس وعبديشوع الشمّاس ورفاقهم الشهداء المائتين والثلاثة والسبعين الذين من بازبدي

(٣٦٣)

إن شابور الملك بعد قتله مار بركيشوع ورفاقهُ شنّ الغارة على بلاد بازبدي، فافتتحها عنوةً، وكان اهلها نصارى، فقتل منهم جماً وافراً بحد السيف وأجلى منهم رجالاً ونساءً نحو (٩٠٠٠) نفر، وتوجه بهم الى ارض الأهواز، وكان فيما بينهم هليودورس الاسقف ودوسا ويَهْب القسّيسان وجم غفير من الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات.

وحدث لدى وصولهم الى موضع اسمهُ دَسْقرتا ان مار هليودورس مرض مرضاً مُعضلاً، فوضع يدهُ على دوسا ورسمهُ اسقفاً، وسلم لهُ المذبح الذي كان معهُ ورقد بالرب فدُفن بإكرام، ومن ثَمَّ بدأ المُجْلون يجتمعون في سفرهم اجواقاً اجواقاً في مكانٍ واحد فيرتلون المزامير والمداريش واذ كان هذا شأنهم كل يوم، امتعض منهم المجوس وغضبوا عليهم، فوشوا بهم الى آذرفار مقدم الحكام، وكان هذا على جانب كبير من الظلم والجفاوة وقد خضب يدَيهِ بدم جم غفير من النصارى فدخل على الملك وقال لهُ : "إن فيما بين هؤلاء الذين تجليهم اسقفاً يُقال لهُ دوسا يجمع اليه كثيرين منهم رجالاً ونساءً فيشتمون دولتك ويلعنونها، وهذا دأبهم كل يوم، ومع اني ارسلتُ اليهم مرتين من ينتهرهم لم يأبوا الا ازدياداً في شتمك والتجديف على آلهة الفرس العظام" وكان الملك وقتئذٍ قد بلغ موضعاً يسمى دوساخ في ارض الراديين، فأوعز اليه والى احد الاعيان اسمهُ هزارفات بان يذهبا الى اولئك النصارى فيحتالا لهم وينطلقا بهم الى رأس جبلٍ كان هناك، وكان من قوله لهما أن قولا لهم: "إن الملك سُر بكم كثيراً ولحبه لكم أمر ان تستوطنوا

هذا الجبل، فإن فيه اراضي مخصبة وضِيعاً حسنة فتجدون فيه راحةً لأنفسكم جميع ايام حياتكم فإذا ما اجتمعوا اصعدا بالذين كانوا يشتمونُ دولتنا ويسخرون بآلهتنا الى هذا الجبل الذي تجاهنا واضطراهم على السجود للشمس والقمر، فكل من سجد لهما وجحد آله قيصر ليُقم في تلك القرى عائشاً في أمانٍ واطمئنان، اما الذي لا يُطيع هذا الامر فليؤخَذ راسهُ بحد السيف ويُقتَل".

فاصطحب أذرفار وهزارفات مائة فارس ومائتي راجل وانصرفا الى اولئك النصارى، فاستدعيا دوسا الاسقف ومار يَهب القسيس وسائر الكهنة والرهبان وكثيرين من العلمانيين، فبلغاهم إرادةَ شابور الملك، وصعدا بهم على ذلك الجبل الذي كان يُسمَى مَسَبْدان واوقفاهم خارج قريةٍ كان يقال لها كفيتا، وكانوا نحو ثلاثمائة شخصٍ رجالاً ونساءً، فكشف لهم أذرفار وقتئذٍ ما أضمر عليهم من السوء والخبث، وقال لهم: "إن الملك امر بقتلكم جميعاً في هذا الموضع عينهِ، لانكم تشتمونهُ يومياً وتجدفون على الهتهِ ولكن إن انتم سجدتم للشمس والقمر وعدلتم عن مذهب قيصر وتمسكتم بدين شابور ملك الملوك فلكم ان تُقيموا في هذه القرى المخصبة الحسنة المزروعة كروماً وزيتاً ونخلاً مثلما تشاهدون بأعينكم، لابل إنّي أُجزل عليكم العطايا والهدايا واما اذا أبيتم، فاعلموا انكم اليوم تُقتلون قاطبةً شر قتلة" فجاوب مار دوسا المعظم بشجاعة وقال: "تباً لك ايها الشعب السفاك الدماء الذي مع كونهِ قد ارتوى من دماء اهالي مملكتهِ ورحض بها جسمهُ يحاول ان يتلذذ ايضاً بدماء الغرباء متنعماً، نعم لقد ذبحتم الاهالي والاجانب وسدَّحتم السكان والمنفيين، ولكن ترى أي ثمرة جنيتم من شجرة هذه الغلبة الوخيمة العاقبة؟ واي جواب تعطون عن هذه القبائح الفظيعة؟ ولم تكتفوا بتلوثكم كثيراً بدماء شهداء المشرق، بل تحاولون ان تتخضبوا ايضاً بدماء شهداء المغرب وذلك حتى يختم دمنا الطاهر ايضاً على صكوككم المكتوبة بدماء الشهداء النقيّة التي سفكتموها، وان ما أظهرتموهُ لنا من الحيلة والمكر لَمِن الدواعي الى فرحنا وسرورنا، فيكون فرحنا تاماً إذا ما أنجزتم فينا امر

ملككم الطاغي الباغي، فليعجل السيّاف في قتلنا ولا يتأخر، لان الهنا العادل الذي انما من جراء آثامنا قد أسلمنا اليكم يرضى عنا فيترحم علينا إذا ما مُتنا اليوم من أجلهِ، فحاشانا ان نسجد للشمس والقمر اللذين هما خلقة يدهِ الالهية فنمتثل ارادة ملككم الظالم فاننا نحن نصارى، وما نأبى إلا السجود لإلهنا الحقّ الابديّ السرمديّ الذي يُحسِن ثوابنا وجزاءَنا، ولكن الويل لكم انتم ايها الجهال لانكم استغويتم اهالي المشرق بعلمكم الفاسد الباطل الكاذب، ولا تشمخوا بأُنوفكم كبراً فان الله سبحانهُ سيُزيلكم عما قريب من على وجه الارض فترتبكون بعلمكم الفاسد وتهلكون فامضوا فينا امر ملككم من دون إبطاء فإننا نحن لسنا ممن يتلوثون بديانتكم الفاسدة الكريهة الرائحة".

فلما قال القدّيس هذه الكلمات، استشاط اذرفار غضباً وطار شرراً واشتعالاً ولهباً، فأوعز الى الجند ان يفتكوا بهم، فشرعوا يسوقونهم خمسين خمسين رجالاً ونساءً الى القتل، وعلى هذا المنوال قتلوا منهم ٣٧٥ نفراً واما الباقون وكانوا ٢٥ شخصاً رجالاً ونساءً فخوفاً من الموت سجدوا للشمس واقاموا في تلك القرى واستوطنوها.

وإن واحداً من المقتولين اسمهُ عبديشوع وكان شماساً لم يمُت، لان ضربة السيف لم تكن اصابتهُ تماماً، فلما زال النهار نهض ودخل تلك القرية، فالتقى برجلٍ فقير فأدخلهُ دارهُ وضمَّد جراحهُ، فلما اصبحت ذهب عبديشوع بصحبة الفقير وولدَيهِ الاثنين الى المقتولين، فأراهم جثث مار دوسا الاسقف ومار يَهب القسّيس وغيرهِ من الكهنة، فحملوا تلك الجثث المباركة وصعدوا بها على الجبل، فشاهدوا مغارةً صغيرة فوضعوها فيها، وسدوا مدخلها بالحجارة ولما نزلوا رأوا مار عبديشوع جاثياً يصلي ويبكي بكاءً مراً على المقتولين، وكان رعاة وثنيّون يرعون غنمهم قريباً من المحل الذي قُتل فيهِ الشهداء، فعاينوا في ثلاث ليالٍ متوالية اجواق الملائكة تنزل الى ذلك المحل فتصعد الى السماء وهي تسبح وتمجد

الله تعالى، فاضطربوا لذلك واخذهم خوف عظيم، فتتلمذوا الى الديانة النصرانيّة، وطار خبرهم في البلد كله.

اما مار عبديشوع فشرع ينذر بكلام الله، وأدخل نفوساً كثيرة في حظيرة المسيح، وكان قد نوى ان يستمر هناك جميع ايام حياته ليكرم عظام الشهداء الذين تكللوا في ذلك الموضع، وبقي على تلك الحالة ثلاثين يوماً وهو لا ينفك كارزاً بالقول والفعل بتعليم يسوع المسيح ومرجعاً الناس من الضلال الى الحقّ المبين فلما رأى رئيس تلك القرية ذلك اغتاظ من نجاحه، فارسل عليه مَن امسكهُ وأحضرهُ، فجلدهُ بالسياط وحبسهُ اربعة ايام، ثم احضرهُ ونهاهُ عن ان يتكلم باسم يسوع المسيح في القرية وقال لهُ: "إرحل من هنا واذهب حيث تشاء، وإلا فلأذيقنك كاس الموت المرّة".

فقال لهُ مار عبديشوع: "إني لقد نويتُ ان استمر هنا طول حياتي، ولستُ بمنكفٍ عن إلقاء تعليمنا المقدّس في مسامع الجميع" فاستشاط الرئيس غضباً وأمر بقتله في المحل الذي فيه ذُبح رفاقهُ الشهداء فجاء الفقير الذي سبقت الاشارة عنهُ هو وابناهُ، فاخذوا جثة القدّيس ودفنوها.

اما رئيس القرية القاتل فأحاطت به وباهل داره النقمة السماوية، إذ اعترت روح شرّيرة اولادهُ الاربعة فهلكوا قاطبةً، وأصابهُ هو داء الاستسقاء، فجلس على المزبلة ثلاثين يوماً وهو يكابد ما لا يوصف من الاوجاع، فمات هناك فريسةً للكلاب، واضحت امرأتهُ في فاقة عظيمة فإن جميع امواله بادت فجأةً، فانهزم الخدام وتبددوا، فاضطرت المراة لسدّ حاجتها الى الطعام ان تتسول في الأزقة، ولم تلبث ان قضت نحبها لشدة كربها.

واما المرتدون الخمسة والعشرين فأنزل الله من جرائهم بتلك القرية التي استوطنها بلايا شديدة، وذلك ان الله سبحانهُ سلط فئراناً كثيرة العدد على قناة المياه التي كانت تاتي القرية فحثت فيها التراب وملأتها، فبادر الأهالي الى تنظيفها فاخرجوا التراب، لكنّ الفئران عادت فملأتها تراباً مرةً ثانيةً، وحدث هذا

الامر مراراً كثيرة، فيبس من عدم المياه كل ما كان في القرية من الزروع والاشجار، واصبحت خربة مقفرة مدة اثنتين وعشرين سنة الى ان اتى احد ولدَي ذلك الفقير الذي دفن عبديشوع وغيرهُ من الشهداء، فصلى على قبور القدّيسين في مدخل المغارة التي اشرنا اليها سابقاً، ونذر ان ياتي هناك كل سنةٍ فيكرم الشهداء، ونظف القناة وبنى بيوتاً في القرية فاوطنها، وأمطر الله عليهِ غيث بركاته الالهية.

ثم ان احد رؤساء الاديرة لغيرتهِ على حرمة الدين شيد في ذلك البلد هيكلاً حسناً ونقل اليهِ عظام الشهداء.



٢٤- جهاد مانوئيل وسابيل واسماعيل الشهداء
(٣٦٣-١٧ حزيران)

لما توفي قسطنطيوس ملك الروم بويع ليوليانس بالملك مكانهُ وذلك سنة ٣٦٠، فهذا كفر بالديانة المسيحيّة، وضيق على النصارى وآذاهم، وبذل كل جهده في دعوتهم الى الديانة الوثنية وإذ كان متجهزاً لشن الغارة على بلاد الفرس أرسل اليه شابور ملك الملوك مانوئيل وسابيل واسماعيل سفراء مستمدين الصلح. وكانوا كلهم اخوة مسيحيّين من قبيلة شريفة فلما علم يوليانس انهم مسيحيّون قبض عليهم وعرض عليهم السجود للأوثان، وكان المرتد حينئذٍ مع عسكره في خلقيدونيّة فلما امتنعوا اوعدهم بالعقاب، فلم يتزعزعوا عن عزمهم الثابت الوطيد، فسمر مسامير في ايديهم وارجلهم، ومزق اجسادهم اللطيفة بأظفارٍ من حديد وكان ملاك الرب يساعدهم في احتمال تلك العذابات الفادحة، وبعد ان أُنزل بهم النكال بتباريح العذاب أُخذت رؤوسهم بحد السيف، وكان ذلك في اليوم السابع عشر من شهر حزيران سنة ٣٦٣، وعاقب الله تعالى يوليانس المنافق على قساوته إذ إنهُ في تلك السنة عينها قُتل في هذه الحرب التي اثارها على الفرس.



٢٥- استشهاد يعقوب القسيس وازاد الشماس

(٣٧٤- ١٤ نيسان)

كان يعقوب كاهناً في قرية اسفرجلتة وازاد شماساً في ضيعة بيت نجار من اعمال بلاد حدياب، فوُشي بهما لدى كورخشيد حاكم حدياب، فأرسل وقبض عليهما وحبسهما مدة ستة اشهر في اربيل، فأذاقهما في هذه المدة أمر ضروب العذابات، فعرضهما على الجلد وصب في مناخرهما رماداً ممزوجاً بالخل، والقاهما في الجليد الليل كلهُ عريانَين، فكان كل يوم يجدد عذابهما ويقول لهما: "اسجدا للشمس والنار فتخلصا" فكانا يجاوبانه: "معاذ الله ان نضل نظيرك نحن الحكماء يا ايها الجاهل السخيف العقل انتَ الذي تؤثر المخلوقات الدنيّة على الخالق جلت جلالتهُ" وإذ اوقفوهما مرةً اخرى بين يديه قال لهما: "كُلا الدم وتزوجا فأُطلقكما" فقال لهُ يعقوب وكان شديد الكلام وغليظهُ: "انت والذين يضارعونك كلوا الدم، فإنكم كلاب دنسة نجسة تلغ في دماء الناس، اما نحن فأتقياء اطهار، وليس اكل الدم من شأننا، وإنما نتمجد نحن إن اكثرتم انتم في تعذيبنا" فغضب عليهما الحاكم غضباً شديداً وأمر بضربهما بقضبان شائكة، ثم طرحوهما في سجن ضنكٍ ضيق.

وفي تلك الليلة عينها رأى مار يعقوب اختهُ الراهبة دخلت عليه فعصبت بعصائب من الكتان يديه ورجليه وراسهُ، ثم البستهُ ثياباً بيضاً كما يُلبَس الميت قبل دفنه فلما اصبحت حدث ازاد بالحديث فقال لهُ: "لنتقوَ إذاً ونتشجع بيسوع رجائنا الوطيد، فإننا لقد دُعينا اليوم الى الوليمة السماوية فنحن خليقان ان نوشح نفسَينا بثياب الطهارة البيض مُفعميهما فرحاً ورجاءً صالحاً، وحقيقان ان نغسل جسدَينا فنطهرهما بالايمان والمحبة، وجديران ان نطرح عن اعيننا العالم وكل ما فيه غير متكلين على ما يُرى، لان كل ما يُرى زائل كأضغاث

الأحلام، وما لا يُرى ابديّ كما قال بولس الرسول" وللحال قاما وصليا بخشوع ومجّدا الله سبحانهُ.

وفي ذلك اليوم بعينهِ نحو الساعة الثالثة حُكِم عليهما بالموت، فأخرجوهما الى الجهة الجنوبية من المدينة وأخذوا راسَيهما بحد السيف، وأمر الحاكم فاحتُفظ بجثتيهما ولما جُنَّ الليل شوهد شعاعان من النور أشرقا من السماء على الارض فاستقرا على رأسَي القدّيسَين، وعوين ذلك المنظر بعينهِ في الليلة الثانية والثالثة، ولم يمكن للنصارى اخذ الجثتين المباركتين، فذهبتا فريسةً للكلاب.

وكان جهاد هذين الشهيدَين في جمعة الحاش (الالام) في الرابع عشر من شهر نيسان سنة ٣٧٤.



٢٦- جهاد الاربعين شهيداً (☼)

مار عبدا ومار عبديشوع الاسقفان

وعبد الله وشمعون وابراهام وآبا وايهبيل ويوسف وعنَي وعبديشوع وعبد الله ويوحنا وعبديشوع وماري وبَرْحَذْبشبَا (عبد الاحد) ورازيقايا وعبد الله وعبد يشوع الكهنة

وأليهاب وعبديشوع وعنَي ومار يَهْب وماري وعبدا وبرحذبشبَا وشمعون وماري الشمامسة

وفافا و أَليش وعبديشوع وفقيدا وسموئيل

وعبديشوع الرهبان

ومريم وطيطا وايما وأدراني وماما ومريم ومارَح الراهبات

(٣٧٦-١٥-٢٢ ايار)

إن موسى النبيّ اعطى مثالاً صالحاً لملته بصيامه اربعين يوماً، وكذلك إيليا ايضاً القاطن الآن في السماء تلقاهُ جميلاً وشوَق اليه، هذا وان يسوع المسيح اخذ المثال عينهُ فزخرفهُ في اقنومه الطاهر ومجدهُ وعظمهُ فكملهُ وسلمهُ لكنيسته الطاهرة النقية لكي تنظر اليه فتزين به ذاتها ولعمري ان النظر اليه يستتيب الخاطئ ويطهر البار فيزخرف نفسهُ إنهُ به استنار وجهُ موسى وبه تقوت رجلا إيليا وبه غلب ربنا الشيطان، وإنما الى هذا مثال الصوم اربعين يوماً دعتك امك الكنيسة ايها الاخ العزيز وذلك لكي نستفيد به، والى وليمة قصة اربعين شهيدا أدبتُك انا ايها القارئ العزيز لكي تطيب بها نفسا، فإنهم من أكابر البيعة إذ إنهم إنما لمجدها ومجد مولاها قد ذُبحوا كالخراف فهلمّ اصغ الى قصة قتلهم متنهدا.

وطالع ترجمة سفك دمائهم باكياً، فان تنهدك يُنيلك المغفرة، وبكاءَك يجعلك في حال القداسة، فطهِّر جسدك للصيام في وقته، ونقِ افكارك للإصغاء في زمانه، فصُم كل سنةٍ ما فرضتهُ عليك الشريعة من الصوم، فيعود ذلك لك بالفائدة، وتامل كل يوم في ما قاساهُ الشهداء من الآلام فيأتيك ذلك بالجدوى، فكل يوم من الصوم يُريح نفسك بما تكابدهُ من المشقة، وكل واحد من الشهداء يفرحك بما تكبَّدهُ هو من المصيبة، إسترحْ في عدك الأيام التي تصومها، وطِب نفساً لدى معرفتك عدد الشهداء إن الواحد الذي بدأتَ به ينتهي في العشرة، والعشرة الذين انتهيتَ بهم يبتدئون بالواحد، وإن الثلاثين والاربعين إنما بهِ يتكونون واليه يلتجئون وان الايام لا يمكن تعدادها بلا الواحد الذي هو أُسُّها، وكذلك لا يقدر الشهداء ان يغلبوا فيتكللوا بلا الآله الواحد الذي هو اسهم، من الواحد فصاعداً يمكن النزول، اما من الواحد فنازلاً لا سبيل الى الصعود إنزلْ ما أردت فما تصادف الا الواحد، واصعد ما امكنك فما تلاقي إلا الواحد، فكذلك هؤلاء الشهداء الاربعون نزل عددهم فاستقر بالواحد، وصعد حسابهم فاختُتِم بالواحد إن ثلاثة وثلاثين شهيداً ثلاث عشرات فثلاثة اكاليل تامة قُربت للثالوث الاقدس، وان الشهيدات كنّ سبعاً، فشهادتهنَ الواحدة اكليل بهيّ مرصع بسبع دررٍ ثمينة قُدم للإبن، وإنما بقوة الروح الواحد ضفرنَ هذا الاكليل للابن الحي.

واَمّا قصّة هؤلاء الشهداء الاربعين فهي هذه :

إن مار عبديشوع كان اسقف بلد يسمَّى بيكشكر، وكان طاهر السيرة والسريرة، وكان قاطناً معهُ واحد من اولاد اخيهِ كان قد رباهُ منذ صغرهِ بخوف الله، وجعلهُ في مصف الرهبان وسامهُ شماساً وهو يحسبهُ فاضلاً طاهراً في سيرتهِ لكن الشماس كان يستر آثامهُ قائماً بين يدَي معلمهِ وفي باطنهِ قَطوبٌ ماكرٌ مثلما كان جحزي ماثلاً بين يَدي مولاهُ وفي نفسهُ المكر والخديعة غير انهُ لم يلبث أن كُشِف ذنبهُ، فانهُ كان قد وقع في ورطة النساء فعلق في شبكة الخطيّة، فلم يخفَ هذا الامر على مربيّهِ النقيّ الطاهر، فانتهرهُ بشدة ومنعهُ عن الخدمة المقدّسة،

فاستشاط الفاجر غضباً وحنقاً، فتسلط عليه تماماً الشيطان القاطن فيه وصارعهُ واسرع به الى هاوية الموت فانطلق الى ارض الاهواز ومثل بين يدَي الملك فقال لهُ: "إن في بيكشكر رجلاً من رؤساء النصارى اسمهُ عبديشوع ومعهُ قسيس اسمهُ عبد الله يقبلان عندهما جواسيس الروم فيكشفان لهم اسرار دولتك ولا يزالان يكتبان لقيصر كل ما يجري في مملكتك هذا وإنهما يسخران بأمرك ويستهزئان بالشمس والقمر والماء".

فكتب الملك الى اخيه ارداشير ملك حدياب ان ياتيَهُ بهما سريعاً، فجيء بهما مصفَّدَين بالحديد الى قصر ارداشير الذي كان في خارج مدينة بيلافاط، فلما أُوقفا بين يدَيه سألهما قائلاً: "من انتما؟".

- "نحن مسيحيّان".

- "إن كنتما نصرانيّين فانتما عدوا الملوك".

- "إنما ملك الملوك هو عدونا، فإنهُ يبغض الهنا الحقّ ويقتل من يعبدهُ بصدقٍ وامانة".

- "قولا لي الحقّ وإلا فلأقتلنّكما اشنع قتلة وامرَّها".

-"اننا صادقان ولسنا كاذبين، وإنما انتَ كذاب مكار، اقتلنا كيفما شئتَ، فإننا بفرح لا مزيد عليه نقبل الموت حباً بالهنا العظيم الجليل".

-"لماذا تستهزئان بالنار والماء وما تسجدان للشمس والقمر وانتما متشبثان باراء الروم وتقبلان جواسيسهم؟".

اجابهُ مار عبديشوع بثبات وقال: "لستُ ادري ما هذه الامور الفاسدة الكاذبة التي تركبها بمكرك فتلوثنا بها مع انها بعيدة عنا كبُعد الشرق عن الغرب، ولعمري اني لمتعجب غاية العجب كيف مع انكم قد تشيختم بتعذيبنا وتقتيلنا لم تبلغوا بعد الى معرفة صدقنا، لا بل فضلاً عن ذلك تفضي بكم الجهالة الى ان تستعملوا النميمة مع الكذب والبهتان في حقنا وتحملكم شراستكم على سفك دمنا

الزكي مع انهُ إنما بهِ يُسطّر فشلكم وهو الذي يوضِح صدقنا فيُعلِن كذبكم وهو الذي يعقد على رؤوسنا اكاليل المجد الفاخرة فينزلكم انتم الى هاوية جهنم".

لما قال القدّيس هذه الاقوال الشديدة غضب عليهِ ارداشير وتضرم وحرق عليهِ الأُرَّم، فامر فربطوا على جسم كل واحدٍ منهما ثلاث خشباتٍ واحدة منها على جوانبهما والاخرى على افخاذهما والثالثة على سيقانهما، واوثقوا أذرعهما على ظهرَيهما، وجعل رجال يشدون عليهما بقوة حتى انّ عظامهما واعصابهما اخذت تتفرقع نظير حملِ حطبٍ يابس اذا ما شدوهُ يصوت ويصدي، وأذاقوهما هذا العذاب المر الشديد سبع مرات والظالم الطاغي يقول لهما في كل مرة: "اسجدا للشمس آله شابور ملك الملوك فتنجُوَا" وهما يجاوبانهِ قائلَين: "نحن قائمان في خدمة الآله الحق، فلسنا بساجدَين للشمس خليقة الله ولا بمكذِبَي نفسنا لانهُ ليس لنا مداخلة مع الروم" ومن شدة ما اصابهما من العذاب الاليم انحلت اعضاؤهما وتكسرت اضلاعهما وتشققت عظامهما، فوقعا على الارض مغشياً عليهما، ومع كل هذا لم ينثنِ عزمهما ولا ضعف املهما ولا خارت عزائمهما، فحملوهما واودعوهما سجناً ضنكاً.

وقد امر الظالم ألا يأتيهما احد النصارى بالخبز والماء بل ان يُقدَّم لهما من خبز المجوس ومياههم الدنسة وذلك شيئاً فشيئاً لسد رُمقة حياتهما غير انهما لم يذوقا من طعامهم مدة ستة ايام، فهزُلا تماماً وضعُفا كاملاً وامتُقع لونهما وغارت عيونهما، فكادا يهلكان جوعاً وعطشاً لو لم تُدركهما ارملة تقيّة احتالت في إيصال الطعام اليهما، وذلك انّ دارها كانت تلي السجن وفيها كوة صغيرة تنظر اليهِ، فوضعت خبزاً وماءً في مزودٍ فدلتهُ ليلاً بحبلٍ اليهما، وعند مشاهدتهما ذلك لم يشكا في انّ الطعام مُرسَل لهما من قبل الله، فاكلا وشربا، ولم تزل تلك الارملة الفاضلة تعمل معهما ذلك الصنيع مدة إقامتهما في السجن، اما الحراس فكانوا متعجبين في امرهما وكان يقول بعضهم لبعض: "ترى كيف وبماذا يعيش هذان

الرجلان؟" وانّ ارادشير ملك حدياب قال لاخيهِ شابور: "إني لقد انزلتُ بهما النكال بتباريح العذابات والمشقات ولم استطع الى تفتير عزمهما الثابت سبيلاً".

ثم إنّ شابور الملك دعا ذلك الشماس الفاجر الذي سبقت الاشارة اليه وقال لهُ: "اما يوجد بعد نصارى أُخر في ارض كشكر؟"-قال الخائن: "بلى يوجد اسقف ومعهُ كثير من الكهنة والشمامسة، فإن امرتني فأذهب واتيك بهم" فأرسلهُ الملك في مقدمة عشرة فرسان وعشرين راجلاً ليقبض عليهم، وكان عبدا اسقف مدينة كشكر قد خرج لتفقُّد امور ابرشيتهِ مصحوباً بكهنة وشمامسة بيعتهِ، وهم في اثناء ذلك في قرية فيها رهبان وراهبات فاضلون صادقون ففي الليلة لصبح اليوم الذي فيهِ قُبض عليهم رأى مار عبدا رؤيا هيجت في صدرهِ عوامل الانذهال والتعجب، فأيقظ الكهنة الذين معهُ وقصّ عليهم ما رآهُ قائلاً: "إني بصرتُ بثعبان اسود قبيح المنظر مهول الطلعة خرج من غارهِ، فدبّ وفحّ شديداً حتّى إنّ الارض ارتجت لصوتهِ المخيف، ولم يلبث ان صادف عصابةً من العصافير، فهجم عليها وبلعها بأجمعها واحداً فواحداً" فلما سمعوا مقالتهُ اخذتهم قاطبةً هزّة التعجب والاندهاش، فقاموا وصلوا وعادوا الى فراشهم، ثم ان مار عبدا شاهد ثانيةً رؤيا اخرى وعاد فأيقظهم وقصّ عليهم ما رآهُ قائلاً: "بينما كنتُ نائماً إذ فتحتُ عينيّ ورفعتهما نحو السماء مسبحاً الله تعالى ومفكراً في نفسي وقائلاً: تُرى ماذا تكون الرؤيا الأُولى، فظننتُ أننا نُقتل جميعاً في سبيل الله، وبينما كنتُ متفكراً في هذهِ الأُمور، اعتراني خوف جسيم واضطراب عظيم، فما عرفتُ اين انا، ولم البث أن بصرتُ بمار شمعون برصباعي طائراً فوقي وهو متوشح بانوار سماوية ومنظرهُ يضارع البرق فكأني بهِ وهو واحد من ملائكة السماء، فتقتُ الى محاورته واشتقتُ الى الدنوّ اليه، غير انهُ ارتفع عني، فصرختُ اليهِ وقلتُ لهُ وانا وَجلٌ خائف: على مَ لا اقدر ان اطير فاتيك فاجابني قائلاً: الساعة ما تقدر، لكنك عما قريب تستطيع ان تطير اليّ فتقول لي كل ما في صدرك".

فلما فرغ مار عبدا من مقالتهِ هذه قاموا وصلوا صلاة الصبح وقد أخذ منهم العجب كل مأخذ وفي تلك الساعة طلع عليهم جوقة الأشرار، فالقوا القبض على مار عبدا الاسقف وعلى ثمانية وعشرين من الكهنة والشمامسة والرهبان، وكان ايضاً في تلك القرية سبع راهبات، فقُبض ايضاً عليهن، فكبلوهم كافةً بالسلاسل وساقوهم بعذاب شديد الى مدينة ليدان، لان الملك كان برح من بيلافاط فأتى اليها، فجيء بهم الى باب القصر، فأرسل الملك حاكم البلد واثنين من اكابر المجوس ليضطروهم الى نبذ ديانتهم فقال لهم الحاكم: "لِمَ تسيرون في طريق الضلال والظلمة وتسوقون الاخرين ايضاً الى الهلاك؟".

اجابهُ مار عبدا قائلاً: "إننا نسير في طريق الحق والنور، فمن يتبعنا فلا يهلك، لانهُ يمشي في النور".

قال الحاكم: "إن الملك قد امر ان تسجدوا للشمس، فامتثلوا امرهُ فتنجوا من العذابات الشديدة والقتل المر".

–قال لهُ القديس: "لا ملكك ولا امرهُ ولا انتَ ولا سلطتك ولا عذاباتك ولا شيء اخر قادر ان يفصلنا عن محبة يسوع الهنا وعن إيماننا الحقيقيّ، فلا نسجد ابداً للشمس التي هي احطّ منا شرفاً، ولا نستبدل الملك العظيم القدّوس بملك حقير فاجر".

فاخذت الحاكم سورة الغضب وامر بجلدهم، فضُرب كل واحد منهم مائة ضربة بالسياط، اما مار عبدا فأُنزلت بهِ الضربات بأشد القساوة، لانهُ هو كان يجاوب عن الجميع فقال لهم الحاكم: "لماذا تتجرأون وتشتمون شابور ملك الملوك الذي هو آله؟" قال لهُ مار عبدا: "كذبتَ، فإنّ شابور ليس بآله بل إنما هو إنسان مثلنا، إذ إنهُ نظيرنا ياكل ويشرب، يلبس ويتردى، يجهد ويتعب، يفرح ويحزن، يتوجع ويُشفى، يمرض ويموت، وإنما الله الذي يفوق جميع هذه الاشياء قد منَّ عليهِ بهذا السلطان وذلك تأديباً للممالك والشعوب الاثمة" فلما قال القدّيس هذا الكلام غضب عليهِ الحضار من المجوس غضباً شديداً وأصروا عليهِ باسنانهم

حنقاً، فجعلوا يضربونهُ باياديهم على فمهِ قائلين: "لا تجدف ايها الكافر لا تجدف على الملك العظيم" ودخل حينئذٍ الحاكم ومن معهُ من المجوس على الملك، فسألهم شابور: "كيف رأيتم هؤلاء السحرة الأشرار؟ وما هي اراؤهم وماذا قالوا؟".

اجابهُ الحاكم قائلاً: "ما يُسمَح لفمٍ بشري ان يتفوه امام عظمتك ايها الملك الصالح بما يستقذفون بهِ دولتك من الشتائم والتجديفات، ولعمري ان التفوه بهِ امامك لَمِن أخوف الامور وأهولها" فقال لهُ الملك: "قل ما قالوا ولا تَخف، فانك لستَ انت تشتمني بل هم الذين يسبونني" قال الحاكم: "علا نجمك ايها الملك الشديد الباس وغاب نحسُك ودامت ايامك، انك قد امرتَني ان اضطر هؤلاء الاشقياء الى السجود للشمس، فامتثلتُ امرك وأنزلتُ بهم النكال شديداً حتى يذعنوا لأمرك فلم يفعلوا، وقلتُ لهم : "إن ملك الملوك آله وهو باقٍ الى الابد" فجدفوا هم عليك وجسروا وقالوا: "ان شابور الملك ليس بإله، لكنهُ كاحد الناس وهو يمرض ويموت نظيرهم" لما قال الحاكم مقالهُ هذا ضحك الملك ضحكاً شديداً وقال لهُ: "إنهم لحكماء في ما قالوهُ لك عني، فإنني انا إنسان ولستُ إلهاً واني مزمع ان اموت كسائر الناس، واما انت يا حاكم فجاهلاً حسبتُك، لانك استغربتَ ما قيل عن كوني مائتاً".

وان الملك ارسل حالاً طوسداغ رئيس الخصيان الذي كان متولياً امر جميع فيلة الملك الى المعترفين القدّيسين وقال لهُ: "إنطلق فافحص جيداً عن شأن هؤلاء النصارى، فإني قد رايتُ ان المجوس يحسدونهم حسداً عظيماً ويقرفونهم بامور شتى ليكون لهم حجة على قتلهم".

فخرج طوسداغ بمنتهى العجب والخيلاء مصحوباً برئيس قواد الجيوش والحاكم الموما اليه والمجوس، وقد تبعهم جم وافر من اهالي البلد، فساقوا مار عبدا الاسقف ورفاقهُ الثمانية والعشرين مصفدين بالسلاسل الى خارج المدينة فلما

استقر بهم المكان قال لهم طوسداغ مغضباً: "من انتم يا ترى حتى تجاوزوا امرَ ملك الملوك؟".

اجابوهُ: "نحن إنما لأمر الله خالق السماء والارض نذعن، فلا نمتثل اصلاً وقطعاً وابداً امرَ ملك فاجر ظالم".

قال لهم: "ان الملك شفقة عليكم قد ارسلني اليم لكي ادلكم على راي فيهِ سلامة انفسكم وهو أن تسجدوا للشمس فتنجوا من الموت، فاسمعوا نصيحة مشفق ولا تكونوا انتم داعين الحتفَ الى نفوسكم".

—اجابوهُ بصوت واحد قائلين: "لا تشفق علينا ولا تصبر علينا، ولا تعاملنا برفق ولين، فان رأيك وامر ملكك لأمرُ علينا من العلقم، لانهُ لَمِن الأضاحيك ان نتمسك بخرافات المجوس الذين حملوكم على الجنون بتعاليمهم الفاسدة، فاعلمنّ يقيناً اننا لآله واحد نسجد ومن اجلهِ نقبل الموت بفرح فهو يمنّ علينا بالحيوة الابديّة" فحُكم عليهم حينئذ بالموت، فأخذ السيافون يفكون قيودهم ويذبحونهم واحداً فواحداً مثلما تذبح الخراف الوديعة.

وكان قد لحق الشهداء القدّيسين من كشكر اخوان شقيقان اسم احدهما عبديشوع والآخر شموئيل ابتغاء ان يعولاهم حباً بالله تعالى وفي صباح يوم قتل المعترفين كان الاخوان المذكوران قد انطلقا الى المدينة ليأتياهم بالقوت، وفي الساعة الثالثة كان المعترفون قد سيقوا الى المذبحة فلما اتصل بهما الخبر اخذت منهما الحيرة كلّ مأخذ، فأسرعا الى المحل المقتول فيهِ القديسون وأكبا على جثة مار عبدا يقبلانها ويمطرانها من الأجفان دموعاً أحر من الجمر وياخذان من دماء المعترفين الطاهرة فيغسلان بهما جسدَيهما متوسلَين الى القتلة قائلَين: "اقتلونا نحن ايضاً معهم، لان الموت أحب الينا من حياة هذا العالم التعيسة، فإننا نحن ايضاً من النصارى ونظيرهم نقر بآلهٍ واحد خالق السماء والارض ونكفر بآلهتكم الباطلة" لا بل كانا يتهكمان على الملك ويسبانهِ رجاء ان يحملا رئيس الخصيان ومَن معهُ على قتلهما فأجمعوا رايهم ألا يقتلوهما دون ان يُخبروا

الملك عنهما لان اسمَيهما لم يكونا مكتوبَين في الكتاب المسلَّم اليهم فامر الملك بقتلهما، فأُخذ راسهما بحدّ السيف في ذلك الموضع بعينه، فاختلط دمهما بدم رفاقهما، وكان ذلك يوم الجمعة لخمس عشرة خلون من ايار.

ولما كان من الغد ذكر الملك عبديشوع الاسقف وعبد الله القسيّس، فسأل من حضر في مجلسه: "هل تُرى ان رفيقَي المقتولين هما بعد في قيد الحيوة".

–اجابوهُ: "نعم انهما بعد في قيد الحيوة".

–فقال: "ان لم يكونا قد اقلعا عن رايهما الفاسد اقتلوهما هما ايضاً".

فأخرجوهما من السجن وهما ضعيفا الجسم واصفرا اللون ولم يكن قد بقي عليهما سوى العظم والشعر، وكانت عظامهما مكسرة وقامتاهما منحنيتين، فساقوهما الى المكان المقتول فيه رفاقهما وذهب الحاكم ثَم وقال لهم: "إعملا بما يأمركما الملك فتسلما من القتل وتحييا".

فأجاباهُ: "أما تخجل ايها الجاهل ان تحملنا نحن المائت جسدنا على ان نعود فنقتل نفسنا ايضاً، فلا تظنّ ايها الفاجر أننا اقلعنا عن ارائنا الأولى لا بل اننا اشد ثباتاً فيها، فلا تتوقع منا الانقياد الى طاعتك متغافلاً عن امرنا، بل عجلْ في إرسالنا الى اخوتنا الأطهار الأنقياء الذين مع كونهم اخرين في الجهاد قد سبقونا في نوال اكليل الغلبة والانتصار إذ إنكم البارحة قدمتموهم ذبيحة على مذبح الظلم" فاستشاط الحاكم غضباً، فأمرَ بقتلهما، فضُرب عنقاهما في ذلك المكان عينه وكان في المدينة مسبيّون من مملكة الروم، فتجشموا سرقة جثث جميع الشهداء ودفنوها، وجمعوا ايضاً تراب الارض المسفوكة فيها دماؤهم ووضعوهُ في موضع لائق".

واما ما كان من امر الراهبات السبع فامر الملك بإرسالهنّ الى بيلافاط وقتلهنّ هناك لتخويف النصارى الذين هنالك، واستصحبهنّ الحاكم ايضاً ليتولى امر قتلهنّ، فلما ادخلوهنّ المدينة صار فيها اضطراب عظيم وضجيج جسيم في شان سفك دماء الراهبات النقيّات ظلماً وفي الجمعة التابعة لقتل الشهداء اخرجهنّ

الحاكم الى ظاهر المدينة، فألح عليهنّ ان يمتثلن امر الملك ويتزوّجن، فاجبنَهُ بثباتٍ قائلات: "نحن على آله واحد نتوكل ولهُ وحدهُ نسجد ولا لغيرهِ من الآلهة الكاذبة، فاعلمنَّ يقيناً أننا لا نطاوع ابداً ملكك في ارادتهِ الخبيثة، فلا نسجد للشمس المخلوقة ولا نتزوّج ابداً وقطعاً" فعندها امر الحاكم ثلاثة من الجند فاخذوا السيوف وقطعوا رؤوسهن.

وتكللت الشهيدات في اليوم الثاني والعشرين من شهر ايار وفي تلك الليلة عينها اخذ المؤمنون خفيةً اجسادهنّ ودفنوها.



٢٧- جهاد بدما رئيس الدير الشهيد
(٣٧٧- ١٠ نيسان)

ان هذا الشهيد وُلد في مدينة بيلافاط، وكان ابواهُ غنيَّين شريفَي الاصل والحسب، وكانا مجوسيَّين، وان الله تعالى اطلع في آفاق قلبه شمس معرفتهِ الآلهية فصادهُ بشصّ عنايتهِ من بحر ضلالات المجوس فلما اعتنق بدما الديانة النصرانيّة عزم ان يتعبد لله ويخدمهُ طوال ايام حياتهِ، فوزع كل مقتناهُ على الفقراء وبنى لهُ ديراً في خارج المدينة واستمر يعبد الله فيهِ مع عدة من رهبانٍ تتلمذوا لهُ، وهو لايزال يمد يدَ المساعدة الى الفقراء والمحتاجين الذين كانوا يأتونهُ دائماً فيفوزون بحاجاتهم، ويفرج عن المكروبين ويرشدهم الى سبيل الخلاص، واعتنى غاية ما يكون بالصوم والصلوة والتقشف والتأمل في الأشياء الروحيّة، وكان غالباً لا ياكل إلا مرة واحدة في الاسبوع وهو مع ذلك لا يذوق إلا الخبز والماء، وكان يقضي الليل كلهُ في الصلوة والتأمل في الأمور الروحيّة بحيث إنهُ وُجد مراراً من المساء حتى الصبح رافعاً الى السماء يديهِ النقيّتين فلعمري ان الخالق عظُم في نفسهِ فصغر ما دونه في عينيهِ، فهو والملكوت كمن قد رآهُ فهو فيه متنعم.

فهذا هو الذي اربضهُ الله سبحانهُ في مروج الخضرة، وهداهُ الى ماء الراحة، وأمسكهُ عصاهُ وعكازهُ، فاختارهُ ليصعد الى جبلهِ، ويقوم في موضع قدسهِ، هو الذي نال بركةً من الرب فعاين وجه آله يعقوب، ودُسَم بالدهن راسهُ، وتبعهُ الصلاح والنعمة في جميع ايام حياتهِ، هذا هو الخمير الذي بقي من الأولين ليُداف في عجين ذلك الجبل الفاسد، هو الذي قُطع من جبل المؤمنين ونُحت من صخرة الصالحين الأمناء، فبصُر به الطمع وانهزم، ولمحتهُ الشهوات وهربت، ونظرت اليهِ الدراهم وارتعبت، وعاينتهُ الأملاك واستخَفت، والتقى بهِ الغنى وخارت قوتهُ،

وصادفهُ التيهُ وانكسرت شوكتهُ، رآهُ الفقر فقبّلهُ، وشاهدهُ التواضع فعانقهُ، وأتاهُ الايمان فتسلح بهِ، وجاءَهُ البر فتردى بهِ، اسرع اليهِ الحب فثمل بهِ، وهرول اليهِ السلام فالتذ بهِ.

وبلغ صيت مار بدما الى مسامع شابور الملك، فأمر بالقبض عليهِ، فأُلقي القبض عليهِ وعلى سبعة من تلاميذه الرهبان وطُرحوا في السجن ومكثوا فيهِ اربعة اشهر وقد أُذيقوا مراراً اقسى العذابات واشدها وكان ثَم في السجن رجل شريف رئيس مدينة ارنون التي في باجرمي اسمهُ نرسا قد حُبِس لانهُ ما اراد ان يضحّي للشمس، لكنّهُ غُلب وانقلب ثباتهُ الى الضعف وشجاعتهُ الى الخوف، فمال ان يعمل بكل ما يأمرهُ الملك وفي تلك الغضون امر الملك ان يُخرَج مار بدما من السجن هو ونرسا المذكور، وقيل لنرسا إنهُ إذا قتل بدما يُطلَق ويَسلم، وارسل شابور اثنين من أُمنائهِ ليراقبا ذلك، فقدموا مار بدما الى نرسا، فأخذ الفاجر سيفاً واستلهُ وتحلّق على القدّيس ليقتلهُ، فنظر اليهِ المعترف وقال لهُ: "آه يا نرسا، أبلغ من وقاحتك ان تسفك دماء عباد الله؟ واهاً لك، ماذا انت فاعل، وماذا سيكون جوابك في ذلك اليوم الرهيب الذي فيهِ تقف امام منبر الديان العادل المخيف عندما يحاسبك على هذه جسارتك الوقحة؟ ترى اين تهرب من امام انتقامهِ الصارم؟ اما انا فإني مُتّقَد لان اسفك دمي في حب يسوع المسيح، وبفرحٍ وسرور ابذل نفسي عنهُ كما هو بذل نفسهُ عني، غير اني لم اكن اودّ ان يكون هذا على يدك".

لكن هذه الاقوال الشديدة لم تؤثر في قلب نرسا الصواني، فهجم عليهِ وضربهُ بالسيف ثلاث ضربات، فقضى القدّيس نحبهُ اما نرسا فامسى موضع العار والاستهزاء حتى لدى الغير المؤمنين انفسهم، وقُتل هو ايضاً فيما بعد اشنع قتلة.

وتكلل مار بدما في اليوم العاشر من نيسان سنة ٣٧٧، وفي تلك الليلة عينها اخذ النصارى خفيةً جثّتهُ المباركة فقبروها بإكرام.

اما تلاميذهُ السبعة فمكثوا في السجن مدة اربع سنين الى وفاة شابور الملك حينئذٍ رُدَّت اليهم حريتهم فأُطلقوا.



٢٨- استشهاد عَقبشِما الاسقف (٣٧٩-١٠ تشرين الاول) ومار يوسف القسيس (٣٨٠- ٥ حزيران) ومار ايث الله الشماس (٣٨٠- ١٤ تموز)

في سنة ٣٧ للاضطهاد الاربعيني، أبرز شابور امراً شديداً بتعذيب النص
ورجمهم وقتلهم، فأخذ المجوس يسعون بالرعاة النشيطين الصالحين لدى الق
الظالمين قائلين: "إن النصارى ينقضون تعليمنا إذ إنهم يحملون الناس علـ
لايسجدوا للشمس ولا يُكرموا النار والماء ولا يتزوجوا حتى يُرزقوا بنين وبنـ
وان لا يصحبوا الملك بالقتال والحروب ولا يقتلوا احداً وان يدفنوا الموتى
التراب هذا وإنهم يزعمون ان الحيات والعقارب وسائر الحشرات انما هي عمل
الله لا عمل يد الشيطان، فيُفسدون كثيراً من اهالي المملكة ويعلمونهم الـ
والنفاق" فلما كان القضاة يسمعون هذه الاقوال كانت احشاؤهم تحترق بـ
الغيظ ولا احتراق الحطب بالنار.

نُقبض في تلك الاثناء على عقبشما اسقف بلد حنيتا، وكان اسم قريتهِ فـ
وكان شيخاً وقوراً قد ناهز الثمانين من عمرهِ قويّ البنية بهيّ المنظر شـ
الاصل رحوماً على المساكين والبائسين غيوراً على مجد إله العالمين وهو لا
يرجع الغير المؤمنين الى الايمان الصحيح ويُداوم على الصوم والصلوة ويـ
العبرات السخينة حتى ان الارض التي كان يركع عليها كانت تتبلل بدمـ
الغزيرة وقبل إلقاء القبض عليهِ بايام قليلة إذ كان واحد من الاخوة اسمهُ
بادوقا يخاطبهُ قبّل راسهُ وقال: "طوبى لهذا الصلَع، فإنهُ مزمع ان يموت شـ
الايمان" وذلك لأن الاسقف كان أصلع، فعانقهُ القديس وقبلهُ وقال: "لتتـ
سريعاً نبوتك يا بنيّ" وكان جالساً ثم اسقف اخر، فقال لذلك الاخ بلـ
الضاحك: "حيث انك تعرف المستقبل يا ابني، قل لي ماذا يحدث لي انا؟"

لهُ: "انك تموت في طريق آران" فصار كما قال فإن مار عقبشما مات شهيداً والاسقف الاخر مات في طريق آران.

واذ كان مار عقبشما يجتاز بداره وهو مصفد بالسلاسل قال لهُ واحد من اصدقائه: "فوِّضْ امرَ دارك الى احدٍ ليعتني بها فلا تخرب" فمد يدهُ الى داره وقال: "هذا البيت ليس بيتي، وهذا المقتنى ليس خاصتي، فان المسيح منذ الآن هو إرثي الفريد" ولما اتوا به الى مدينة اربيل احضروهُ بين يدي اذورخورشيد حاكم البلد فسألهُ: "أأنت نصرانيّ؟".

–اجابهُ بصوت عالٍ قائلاً: "نعم إنني نصرانيّ واسجد لله الحقّ لا غير".

–الحاكم: "فإذاً صدق الذي قال عنك انك تعلم الناس ما يشين ملك الملوك ويضرهُ في امره".

–القدّيس: "كل ما قيل لك عني لَحقّ لا ريبَ فيه، فإني انذر الناس باللهِ واحد لا غير ابتغاء ان احرزهم مما يوقعهم في مهلكةٍ".

–الحاكم: "سمعتُ انك حازم حكيم، وها إنك قد طعنت في السنّ، فلمَ لا تسجد للشمس الإله الذي يتعبد لهُ اهالي المشرق قاطبةً؟".

–الاسقف: "إن اهالي الشرق لَجهال الى الغاية في تركهم الخالق وسجودهم للمخلوق، وانما انتم قد اغويتموهم بعلمكم الكاذب الفاسد".

–الحاكم: "أفاسداً وكاذباً تدعو ايها الشقيّ المنكود الحظ العلم الحقيقيّ المتمسك به ملك الملوك؟".

–القديس: "نعم، ولعمري إن الحقّ وليّ عنكم كسيراً فاقبل الباطل تابعهُ إذ إنكم تسجدون للخلائق عوض الخالق جلت جلالتهُ".

–الحاكم: "إني إنما شفقةً على شيخوختك لقد أطلتُ معك الكلام معاملاً إياك برفقٍ ولين فامتثل الآن يا شقيّ امر الملك واسجد للشمس وإلا فلاذيقنك ضروب العذابات وأمرَّ الميتات".

—القديس: "سدنَّ فاك ايها الشرير الفاجر ولا تكلمني بهذا الكلام الخبيث، فانهُ ان كنتُ في صغري قد تربَّيت في الديانة المسيحيّة الحقيقيّة فالآن في شيخوختي أحَقٌّ لي ان اتبع ما يعود لي بالصلاح وحسن السيرة قولاً وعملاً، وانال بشجاعة اكليل الغلبة والمجد".

حينئذٍ استشاط الحاكم غضباً وجُنّ غيظاً، فأمر بجلده، فقام عليه الجلادون ككلاب ضارية وأوسعوهُ ضرباً، وكان الحاكم يقول لهُ بلهجة المستهزئ: "اين يا ترى آلهك؟ هلا تدعوهُ فيأتي ويُنقذك من يديّ".

—قال القدّيس: "إن إلهي موجود وقادر ان ينجيني من يديك النجستَين، اما انتَ فلا تفتخر متكبراً، فإنك كزهرٍ يذبل وكَنور يذوي، وانتَ مائت لانك لستَ تحيا بالله خالقك، ويأتي يوم فيهِ تموت زمنياً ثم تقوم لتموت ابدياً في نار جهنم، ونفس هذه النار التي تُكرمها مزمعة ان تحرق جسدك ونفسك معاً" فأمر حينئذٍ الحاكم ان يكبل بسلاسل ثقيلة ويودع سجناً مظلماً.

وفي تلك الايام قُبض ايضاً على يوسف كاهن قرية بيثكاتوبا، وكان هو ايضاً شيخاً وقوراً مهاباً قد هدف للسبعين تقياً ذا فضيلة غيوراً على مجد الله تعالى وأُلقي ايضاً القبض على ايث الله شماس مدينة بيت نوهَدْرا، وكان هو ايضاً شيخاً قد ناهز الستين من عمرهِ ذَلِقاً طلق اللسان ممتلئاً محبّة لله ذا غيرة في تأدية واجبات وظيفتهِ فأتوا بهما مصفَّدين بالسلاسل الى مدينة اربيل واحضروهما بين يدي اذورخورشيد الحاكم فقال لهما بغضب: "لِمَ تخدعان ايها الشريران الناس البسطاء بسحركما؟".

— اجابهُ مار يوسف قائلاً: "إننا لسنا ساحرَين بل إنما بالحقّ ننذر الناس لكيما يرجعوا من عبادة الاوثان فيحيوا".

—الحاكم: "ويا ترى اي المذهبَين حقّ، أمذهب ملك الملوك والاكابر والاغنياء ام مذهبكم انتم الأدنياء الفقراء الاشقياء؟".

-يوسف: "إن آلهنا السامي الجليل لا يسرهُ ولا يعجبهُ رفعة هذا العالم ولا كبرياؤهُ ولا غناهُ، ولاجل هذا أحببنا الفقر والتواضع حتى نستأهل كرامة العالم العتيد الغير الزائلة".

- الحاكم: "إنما من اجل مبالغتكم في الكسل والبطالة تتعجرفون وتتباهون بالفقر".

-القديس: "الكسلان مَن لا يجتهد بالعمل، واما نحن فلا نهملهُ ابداً ولسنا خالين عنهُ اصلاً، ولو اردنا نحن ان نجمع المال لصرنا اغنى منك بكثير، فإننا إنما باجتهادنا في العمل نكتسب المال، واما انتم فنهباً تنهبونهُ، نحن نهبهُ للمساكين والمحتاجين، واما انتم فتغتصبونهُ ظلماً من الفقراء والبائسين".

-الحاكم: "إن المال شهيّ وكل إنسان يحبهُ، فمن يصدقك يا ترى في قولك إنكم تبغضونهُ؟".

-يوسف: "إننا شاهدناهُ زائلاً غير باقٍ لصاحبهِ كأحلام النائِم التي يسر بها الانسان في نومهِ فإذا استيقظ ذهب السرور، فلم يهزنا الاشتياق اليهِ، ومع انك انت تحبهُ حباً عظيماً شارهاً اليهِ شديداً فهو ليس بباقٍ لك، لكنهُ يفارقك انت والاغنياء فتُصبحون تراباً كسائر الناس في الجحيم".

-الحاكم: "لا تُكثر في الكلام عن هذه الامور، فانها زائدة لا حاجة اليها، والذي يُحتاج اليهِ هو ان تقول لي أتسجد للشمس ام لا؟".

-القدّيس: "لا تظنّ ايها الفاجر أنّني اسجد للشمس مع انّني كنتُ أمنع الاخرين عن السجود لها لكونها مخلوقة" فتقلى الحاكم على جمرات الغضب وامر بجلده، فضربوهُ شديداً بقضبان شائكة غليظة حتى إن الدم انفجر من كل جانب فخضب جسمهُ كلهُ وكادت روحهُ تنفصل من جسدهِ واما هو فرفع عينيهِ الى السماء ورفع صوتهُ قائلاً: "شكراً لك ايها المسيح ابن الله الحيّ لكونك اهلتني لأن استحم بالمعموديّة الثانية فأتطهر من جميع ماثمي" وإن الاعداء لدى سماعهم كلامهُ هذا كانوا يشتدون غضباً وتضرماً عليهِ فيبالغون في ضربه

وتعذيبهِ فاصبح جسمهُ كلهُ جرحاً واحداً، ثم ان الحاكم امر بإلقائهِ في السجن الموجود فيهِ مار عقبشما.

ثم اوقفوا بين يديهِ ايث الله، فقال لهُ: "اسجد للشمس وكُلِ الدم وتزوج فتحيا وتنجو من العذابات والموت".

—اجابهُ القدّيس: "خير لي ان اموت لكي احيا الى الابد من ان احيا فاموت الى الابد، وإنما عليك انتَ ان تاكل الدم لانك كلب شرهِ، عليك ان تسجد للشمس لانك اعمى، اذ لا تُبصر بالنور الذي اشرق على المسكونة فانتشر الى اقاصيها".

فعندها احتدم الحاكم غضباً، غير انهُ كظم غيظهُ وقال لهُ: "من يصدقك يا ترى ايّها السخيف العقل في قولك إن الموت احبّ اليك من الحيوة سوى الذي هو قليل الرأي وعاجزهُ نظيركم؟".

—القديس: "إنّما انت هو قليل الراي وعاجزهُ، إنّما بنو مذهبك هم سخيفو العقل، فانّكم لا تعرفون الحقّ من الباطل، وإنّما معلمنا كتب لنا ان نحبّ الحيوة الحقيقيّة التي تدعونها انتم موتاً، وان نبغض الموت الذي تسمونهُ حيوةً، والبرهان لذلك هو اننا فعلاً لا قولاً نؤثر الموت على الحيوة وإلا فكنا نذعن لاوامركم فنحيا ولا نموت" فساورت الحاكم جيوش الغضب وجُن غيظاً فامر فشدوا يدَي القدّيس تحت ركبتَيهِ، ثم اتوا بخشبة غليظة فادخلوها بين فخذَيه فمرت على ذراعَيهِ، وداس على تلك الخشبة اثنا عشر رجلاً ستة منهم يمنةً والباقون يُسرةً، ونكلوا به طويلاً هلى هذه الحال اما هو فكان يشتم الحاكم ويدعوهُ دنساً نجساً والغاً في الدم كالكلب وغراباً شرهاً يسقط على كل جثة، فكان الحاكم يصر بأسنانهِ على الجلادين غيظاً وحنقاً صائحاً بهم مغضباً لكونهم لم يكونوا يُصمتونهُ، فانحلت جميع اعضائه وعظامهِ في هذا العذاب الشديد، واهتزت كل عضلاتهِ من قمة راسهِ الى اسفل قدمَيهِ، حتى إنهم حمَلا حملوه فالقوهُ في السجن عند رفيقَيه.

وبعد ان مضت عليهم خمسة ايام في السجن اخرجوهم الى جنة كانت تلي معبد النار، فقال لهم الحاكم: "ألم تقلعوا بعد ايها السحّار عن ارائكم الفاسدة؟ أوما تذعنون لإرادة الملك العظيم؟" اجابوهُ بصوتٍ واحد قائلين: "ما زلنا حريصين على آرائنا الاولى لا بل إننا اشد ثباتاً فيها، فإنما لإله واحد نسجد وإياهُ نعبد ولامر ملكك الفاجر لا نمتثل، فاصنع ما شئتَ ايها الطاغي الباغي".

فاستشاط غضباً واتقد غيظاً فامر فطرحوهم على الارض واوثقوا اذرعهم على اظهرهم، ثم شدوا على جسم كل واحد منهم ثلاث خشبات واحدة منها على جوانبهم والاخرى على افخاذهم والثالثة على سيقانهم، واخذ رجال اقوياء يشدون عليهم حتى إن عظامهم وعضلاتهم بدأت تتفرقع فتكسرت كافةً وكان في غضون ذلك يُقال لهم: "إعملوا بما يامركم بهِ الملك فتنجوا من الموت" فكانوا يجاوبون: "إننا على إلهنا متوكلون وبهِ واثقون، فلا نطيع امر ملكٍ ظالم" ثم حملوهم والقوهم في السجن مغشياً عليهم، وكان المجوس يُذيقونهم كل يوم ضروب الاذيّات ولا يتركون احداً ان يأتيهم بثياب ولا بخبز ولا بغير ذلك، فإن الحاكم كان ابرز امراً شديداً ان يُضرَب مائة ضربة كل من يدخل عليهم وان تُقطع أُذناهُ ويُجدَع انفهُ، وانما المسجونون شفقةً على شيخوختهم كانوا يذهبون الى المدينة فيتسولون الخبز وياتونهم بهِ.

ولما مر على حبسهم ثلاث سنين اتى الملك شابور الى ارض مادي، وإذ إنّ حاكم اربيل ذهب يُريد مواجهة الملك ساق ايضاً معهُ القدّيسين الثلاثة، وكانوا في حالةٍ يُرثى لها من الضيق والضعف والضنى والعار حتى انّ الناظر اليهم وإن كان شرس الاخلاق لم يكن يقدر ان يمنع نفسهُ عن البكاء عليهم، فذهبوا بهم الى باب الملك وقدموهم الى اذرشابور رئيس جميع حكام دولة الفرس ولما مثلوا بين يدَيه، لم يسجدوا لهُ، وكان ثَمَّ جم وافر من الاكابر والحكام، فسألهم اذرشابور: "أأنتم نصارى".

–اجابوهُ: "نعم اننا نصارى".

–ثمّ قال لهم : "إنكم قد طعنتم في السنّ، ويبان من محياكم انكم عانيتم اشق العذابات وامرَّ الاذيات، فشفقةً على شيخوختكم ادلكم على راي فيهِ سلامتكم وهو ان تسجدوا للشمس وتعملوا بكل ما يامركم بهِ الملك، لانهُ قد قُضي بالموت على جميع الذين يسلكون مسلككم".

–اجابهُ مار عقبشما وقال: "إني لعارف انك غارق في بحر اشغال ماموريتك، فلا تقضِ زمانك عبثاً في موعظتك السيئة إيانا ظاناً انك توقعنا في حبالتك، بل عجلْ إما في قتلنا او في تعذيبنا، فإننا لسنا ممّن يخافون من تهديداتك فيطيعون امر ملكك".

–الحاكم: "إني لعالم انكم تريدون الموت لكني لا امنّ بهِ عليكم حتى أُريهُ اياكم عياناً وحينئذٍ اقتلكم اشنع قتلة تخويفاً وعبرةً وموعظةً لمَن عساهُ ان يتعدى امر الملك من بني مذهبكم".

–اجابوهُ: "ما نخاف لا من تهديداتك ولا من عذاباتك ولا من سيفك، فإن الله تعالى الذي قوانا حتى الآن وشجّعنا في ما اذاقنا الكفار رفاقك من ضروب العذابات يشجعنا الآن ايضاً في ما تُنزِل بنا من النكال الشديد، فازحَف إذاً الينا بجيش الاذيّات الشديدة وابرز الينا بعدة عذاباتك المرعبة، فتختبر قوتنا وبأسنا وصبرنا" فامر اذرشابور والغيظ بلغ منهُ حدهُ بأن ياتوهُ من السوق باربعة عشر مطرقاً، فقال للشهداء: "والشمس الآله العظيم وحظ شابور الملك الجليل إن لم تعملوا بما امركم بهِ لأمزقنّ اجسادكم بهذه المطارق الجديدة واقطعنكم إِرباً إِرباً غير مشفق على شيخوختكم".

–اجابهُ مار عقبشما قائلاً: "لانك اقسمتَ بما ليس بآله اخاف عليك ان لا تُنجز حلفانك، واما نحن ففي الممات والحيوة لثابتون في عقيدتنا غير زائغين منها لا يميناً ولا شمالاً إن اجسادنا بيدك فافعل بها ما شئتَ، واما ارواحنا فبيد الله فنسلمها لهُ تعالى، فاصنع عاجلاً ما بدا لك، فإنما إياهُ نتوقع".

فاشتد غضب حاكم الحكام وجاشت في صدره عوامل الحقد والغيظ فأمر ان يُوثقوا ذراعَي عقبشما بحبال متينة ولما فعلوا ذلك اخذ خمسة عشر رجلاً يجرونهُ من ذراعهِ اليمنى وخمسة عشر اخر من ذراعهِ اليُسرى، وجلاد يضربهُ بمطرقة على ظهرهِ وجلاد اخر على صدرهِ وبطنهِ فيا لهُ من قصاصٍ شيطاني، ويا ما امر العذاب الذي عاناهُ بطَلُنا المعظّم، فانفجر الدم من كل جانب وذهب جلدهُ وتناثر لحمهُ، حتى ان قطع اللحم وكتل الدم المتناثرة من ظهره وصدره ملأت الارض وإذ كان يقال لهُ إنهُ اذا أطاع امر الملك فينجو ويسلم كان يرفع صوتهُ ويقول: "اني انبذ إرادة الملك النحس وأعمل بمشية آلهي القدّوس" الا انهُ هُزل وضعف تماماً فلم يقدر على التكلم، فكانوا ايضاً يقولون لهُ باعلى اصواتهم إنهُ ان سجد للشمس سَلِم، اما القديس فكان يُشير براسه رافعاً إياهُ علامةً لإنكاره عليهم ذلك، ولم يلبث أن قضى نحبهُ من شدّة العذاب الأليم، لكنّ المضطهدين لم يزالوا يُنزلون به الضربات حتى وبعد موته ايضاً وإذ علم الذين كانوا يجرونهُ من ذراعيه انهُ قضى نحبهُ أفلتوهُ فسقط على الارض مهشم الجسم مخضباً بالدماء، فسحبوا جثتهُ الى خارج المدينة وامروا بحراستها، لكنها سُرقت بعد مرور ثلاثة ايام بهمة بنت ملك ارمنية التي كانت اسيرة في بلاد مادي.

وتكلل القدّيس مار عقبشما في العاشر من شهر تشرين الاوّل.

ثم أتوا بمار يوسف، فقال لهُ اذرشابور: "لقد عاينتَ ما اصاب رفيقك المنكود الحظ من العذابات والروائع لعدم إطاعته امر الملك، فلا تكن انتَ جاهلاً نظيرهُ بل اتعظ بكلامي واسجد للشمس فتحيا وتنجو من القتل الشنيع".

–اجابهُ القدّيس: "إني لا اسجد للشمس لانها ليست بآله، فلستُ استبدل آلهي الخالق العظيم بآلهتكم المخلوقة الدنيّة، فاصنع ما اردتَ" فاشتد غضبهُ وامر بإذاقته نفس العذاب الذي تجشمهُ مار عقبشما، فأنزلوا بهِ الضربات حتى صار جسمهُ كلهُ جرحاً واحداً، واصبح في تمام الغيبوبة عن الحسّ والشعور، فظنوهُ

ميتاً، فأفلتوهُ وانسحبوا، فسقط على الارض، وسحبوهُ هو ايضاً الى خارج المدينة، غير انهم عرفوا بعد ذلك ان فيهِ رمقاً يسيراً، فأمروا بحراسته.

ثم احضروا القدّيس ايث الله، فقال لهُ الحاكم: "لا تكن سخيف الراي نظير رفيقَيك المجنونين اللذين ماتا موتاً شنيعاً، بل اسجد للشمس واذعن لإرادة الملك فتحيا ونكرمك الكرامة كلها" —اجابهُ القدّيس: "إني لَمتعجب من سخافة عقلك وغلاظة قلبك، لَحق انّك بهيمة لا فهم لها، لَعمري ان كان رفيقاي اللذان كانا أسنَّ مني قد صبرا واحتملا الشدائد القاسية فنالا المجد الابديّ، فكم بالأحرى خليق انا ان احتمل عذاباتك الشيطانيّة لأنال نظيرهما إكليل المجد الابدي، فلا ازيغنّ إذاً عن عقيدتي الصحيحة ولا امتثلنّ امر ملكك الطاغي الباغي المعادي جميع الخيرات" فلمّا سمع حاكم الحكام هذا الكلام من القدّيس اضطرب شديداً وتقلى على جمرات الغضب فأحرقت نار الغيظ احشاءَهُ، فأمر بإذاقتهِ ما قاسى رفيقاهُ من العذاب الأليم، فجعلوا يجرونهُ من ذراعيهِ ويضربونهُ بالمطارق بقساوة بربريّة حتى إن جسمهُ كلهُ تمزق وتهشم اما القدّيس فكان يحتمل تلك العذابات الصعبة بصبر عظيم ويقول لحاكم الحكام باعلى صوتهِ: "ان عذاباتك لَضعيفة الى الغاية ايّها الدنس النجس الحقير الدنيّ، فهلا تاتيني بجلادين أُخر اشد بأساً من هولاء؟" قال حاكم الحكام لِمَن حضر ثَم من الحكام والمجوس: "ترى ما هذا الأمر الغريب؟ فان هولاء السحرة يطلبون الموت تائقين اليهِ ولا اشتياق الجائع الى الخبز والعطشان الى الماء الزلال" فقيل لهُ: "إنهم إنما يذعنون لِمَا تقول لهم كتبهم عن وجود عالم اخر لا يُرى".

وكان القدّيس يقاسي ما لا يوصف من العذاب الأليم الفادح، فانحلت جميع اعضائه وانفصلت عظامهُ بعضها من بعض وتناثر اللحم كلهُ، فقال لهُ الحاكم: "إن اطعتَ امر الملك فأُوعز الى الأطباء بمعالجتك فيشفونك".

قال لهُ: "هيهات ان تحملني على السجود للشمس، ولو انّك قلتَ قولاً واحداً فقط فابراتني لَما زغتُ عن الله الحقّ الذي خلق السماء والارض".

قال الحاكم: "يا ما اجهلك يا سخيف العقل وقليل الراي، لأجعلنك عبرةً رديّة لمن عصاهُ ان يسلك نظيرك".

القدّيس: "حسناً تنبّأتَ وذلك كرهاً عنك، فانّنا لَمزمعون ان نكون عبرةً صالحة لكل من هو صادق نظيرنا في إيمانهِ الحقيقيّ، وذلك بانتصارنا على تهديداتك وتمليقاتك وجهادنا الثابت في سبيل آلهنا وفوزنا باكليل المجد السموي".

حينئذٍ دعا اذر شابور اذورخورشيد حاكم اربيل وقال لهُ: "ان حيي هذان الشقيّان فانطلق بهما الى اربيل واحمل النصارى انفسهم على رجمهما، وإنما لاجل هذا قد اهملتهما ولم اقتلهما هنا" فاعدوا لهما حمارين وكمثل الحمل شدوهما بالحبال لئلا يقعا، فان جميع اعضائهما كانت قد انحلت وانفصلت، وفي الطريق في كل مرحلة كانوا يطرحونهما على الأرض مثل حمل حطب، فأتوا بهما الى اربيل وهما على حالة يُرثى لها، واودعوهما سجناً ضنكاً.

وكان في المدينة امرأة فاضلة تقيّة ذات حَسَب ويُسر اسمها يازدندوختي، وهي التي ذكرناها آنفاً انها اكرمت الشهداء وعالتهم، فكانت تُقيت من مالها جميع الذين كانوا يُحبَسون في اربيل من اجل المسيح فلَما بلغها الخبر ان يوسف وايث الله في ضيقة شديدة ومشقة عظيمة استدعت اليها السجان فأغرتهُ بالذهب والفضة وطلبت اليهِ ان يُرسلهما الى دارها، فوعدها وهو خائف على نفسه، فبعثت خدامها الى السجن فجاؤوها بالقدّيسَين ليلاً، فأتت بلفائف كتان ولفت هي بنفسها جروحهما، واخذت تقبل اياديهما المنحلة واذرعهما المنفصلة باكية بكاءً مراً على ما اصابهما من المشقة العظيمة، فقال لها يوسف القدّيس: "إن بكاءَك علينا ليس من شان الكاملات" اجابتهُ قائلةً: "انني لستُ لموتكما ارثي إذ إنهُ كان بودي ان تقضيا نَحبكما في اول الأمر، بل انني حزينة كئيبة على ما انتما عليه من الضيق والشدة" قال لها: "إن هذه الضيقات راحة، فإن مخلصنا قال في الانجيل ما أضيق الباب واكرب الطريق التي تؤدي الى الحيوة وقليل هم الذين يجدونها وقال ايضاً ان الذي يصبر الى المنتهى فهو يخلص وان الرسول يقول عن

نفسهِ جُلدتُ ثلاث مرات ورُجمتُ مرة فالذين لم يكن العالم يستحقهم قد عانوا مشقاتٍ عظيمة، فأنتِ بما انّك مؤمنة افرحي وابتهجي سروراً عندما يطول العذاب والجهاد بالنصارى، فإن مجدهم يزداد بذلك ويتوافر" ولما كان من الفجر رجعهما الخدام الى السجن، واستمروا فيهِ مدة ستة اشهر وهم يكابدون ما لا يوصف من الاوجاع والآلام.

وحدث في تلك المدة ان حاكماً آخر عُيّن مكان اذورخورشيد، وكان يُقال لهُ زرادوشت، وكان قاسياً شرس الاخلاق شراً من الاول، ومعهُ اوامر شديدة بإجبار النصارى على رجم رؤسائهم فاعترى النصارى اضطراب عظيم وخوف جسيم، فانهزم كثير منهم وتواروا في الجبال خوفَ ان يسفكوا دماً زكياً، وان الحاكم لدى وصولهِ الى المدينة توجه تواً الى معبد النار ليسجد فيهِ فقال لهُ خدّام النار: "إن هاهنا ساحرَين من النصارى قد مر عليهما ثلاث سنين ونصف وهما في السجن، ونكل بهما اذور خورشيد غاية ما يكون ولم ينَل منهما بغيتهُ" فأمر حالاً باحضارهما فلمّا مثلا بين يديهِ صاح بهما مغضباً وقال: "اوَلم تزعزعكما حتى الآن من رأيكما الفاسد اوامر شابور ملك الملوك الشديدة القويّة الذي مع انهُ قد قرض اعظم الدول وتسلط على أحصن المدن واخضع بلاداً كثيرة فوَطئ برجليهِ جميع البلدان تتجرآن انتما عليهِ ناشرَين عليهِ لواء العصيان ومستهزئين بأوامرهِ وآلهتهِ؟" فقال لهُ مار يوسف بصوتٍ عالٍ: "ان كنا قد رفعنا كما قلتَ لواء العصيان على الملك فعلى مَ يا ترى عوضاً عن ان يتأهب لمحاربتنا فيسير علينا الشجعان من جنوده والابطال من قوادهِ فيقهرنا ويتغلب علينا كما فعل بالشعوب الاخرى أرسلك علينا انت الجبان الضعيف الرأي القاصر العقل الواهي العزيمة الذي ليس من شأنه الحمل على الاعداء بقوة شديدة بل الانهماك في الملذات والانصباب على الملاهي فأطرق إذاً استحياءً وخجلاً لانّ ملكك لم ينفذك لكي تُخضع العصاة بل إنما لكي تضل الضعيفي الرأي وتخوفهم فتحملهم على العصيان على آلههم الحقيقيّ، غير انك لن تستطيع الى مخادعتنا سبيلاً ابداً".

-قال الحاكم ونار الغيظ قد أحرقت احشاءَهُ: "لا تظنّ ايها الوقح الجسور انك باقوالك هذه المهينة تحملني على ان اقطع حالاً راسك فتنجو من العذابات المهولة المزمع ان أذيقك إيّاها مراراً كثيرة، فأصبر الآن عليك ساكناً الى ان أجد فرصة فأنزل بك النكال بتباريح العذاب" -قال لهُ القدّيس: "إني اعلم يقيناً انك قد أضمرتَ علينا السوءَ في قلبك وكنتَ لنا مثل الأفعى الصماء الظمأى الى القضّ، وجسمك مصاب باليَرقَان نظير الثعبان الجائع الى الفساد والخراب، فاكشف إذاً حيلتك واظهر سمَّك المبيد واستلَ سيفك القاتل وعجل في إرسالنا الى المملكة السماويّة التي لا نهاية لها".

فتضرم عليهِ الحاكم وتلظى غضباً، فأمر بهِ ان يُعلق منكس الراس، فتُربَط إبهاما رجلَيهِ في خشبة بأوتار جديدة، ففعلوا ذلك واخذوا يضربونهُ بقساوة على جروحهِ بالمطارق، فانفجر الدم والصديد من ظهرهِ وصدرهِ وجانبَيهِ، فأثر هذا المنظر الشنيع في اغلب الحضار فما تمالكوا انفسهم عن البكاء فسار المجوس في اذنهِ قائلين: "إن كنت تستحي من الحاضرين الناظرين اليك فنحن ندخل بك الى معبد النار وهناك اسجد خفيةً للنار فتنجو" فقال لهم القدّيس بصوت عالٍ: "اذهبوا عني بعيداً يا اولاد النار ومحبي النار، اذهبوا وعولوا النار التي ستحرقكم في جهنم الى ابد الابدين" وبعد ان مر عليهِ ساعتان في تلك الحالة امر الحاكم بإنزاله، فقال لهُ: "اما تريد بعد ان تحيا؟".

- "حاشا وكلا".

- "افتريد إذاً ان أُميتك؟".

- "إن أمتني فلقد احييتني، وإن احييتني فلقد امتني".

- "إني قد اعدمتُ جسدك الحيوة ولم يبقَ فيك سوى النَسَمة، فلأعدِمنَّها هي ايضاً بشدة العذابات التي اكررها عليك".

- "ليس لك سلطان على إعدام النفس، فإنهُ مكتوب لا تخافوا من الذي يقتل الجسد ولا يستطيع ان يقتل النفس، بل خافوا خاصة من الذي يقدر ان يهلك

النفس والجسد جميعاً في جهنم إنك لقد اهلكتَ جسدي بسلطانك هذا، واما نفسي فلستَ قادراً ان تبطلها من الرجاء بالحيوة العتيدة وبقيامة الموتى حيث يكون لكم البكاء وصرير الأسنان الى ابد الابدين".

–قال لهُ الحاكم بلهجة المستهزئ: "فان كان الأمر مثلما قلتَ فكيف يا ترى تعاقبني حينئذٍ؟".

–"ان ربنا الحليم الوديع امرنا قائلاً: "احبوا اعداءَكم، احسنوا الى من يبغضكم، وصلوا على من يظلمكم ويمقتكم".

–فقال لهُ الحاكم بلهجة المستهزئ ايضاً: "إذاً حقيق انتَ ان توليني ثَمّ معروفاً عوض ما جلبت اليك هنا من البلاء والأذيات".

– "في العالم العتيد ليس سبيل لأحد ان يسدي الى غيرهِ المعروف والإحسان، لكني اتوسل الى الله تعالى ان يترحم عليك في هذا العالم فيُحسن اليك ان ترجع من الضلال الموجود انت فيهِ فتعرفهُ سبحانهُ حق المعرفة".

– "اضرب صفحاً عما في العالم العتيد، فإني الساعة أُرسلك اليهِ إن لم تعمل بما يأمرك بهِ الملك".

–القدّيس: "وانّي انا ايضاً هذه بغيتي، فعجل في إرسالي اليهِ" وعندها امر الحاكم بان يرفعوهُ من امامهِ فحملوهُ والقوهُ في السجن.

ثمّ قال الحاكم لايث الله: "اوَ رأيك انتَ ايضاً في العصيان على الملك وعدم السجود للشمس؟".

–قال القديس: "لعمرُ المسيح ابن الله الحيّ الذي اسجد لهُ إني اكثر من الجميع واضعِ الرأي في هذه الامور، فلستُ اعدل الخالق بخلائقهِ ابداً وقطعاً واصلاً" فاغتاظ الحاكم وامر بأن يعلق هو ايضاً منكس الرأس نظير مار يوسف، واستمر في ذلك العذاب الأليم طويلاً وهو يصرخ قائلاً: "إنني مسيحيّ إنني مسيحي، وليسمع كل إنسان إنّني مسيحي وإنما من اجل هذا الاسم المبارك أُقاسي هذا العذاب الأليم؟" وكان مسجوناً ثَمّ احد المانويين، فقدموهُ هو ايضاً الى العذاب

وأنزلوا بهِ الضربات شديداً، وللحال جحد إيمانهُ فسجد للشمس، فأنزلوا مار ايث الله ليراهُ لعلهُ بمشاهدته إياهُ تاركاً إيمانهُ يحذو حذوهُ فينبذ ديانتهُ فلما رآهُ انهُ قد كفر وقتل النمال التي يدعوها المانويّون نفساً حيةً لمحت على محياه امارات الفرح الجزيل، فضرب الأرض برجليه، وكانت يداهُ اليابستان ترتعشان، فصرخ وقال: "ويلاً لماني ويلاً لهُ فإنهُ قد خاب وعثر جدهُ وخاب ايضاً معهُ إلههُ الغير الموجود طوبى لي فإني قد غلبتُ وغلب بي المسيح القدّوس ابن مريم الموجود منذ الأزل ولا يزال الى الأبد" فلما سمع الحاكم ذلك اضطرب وغضب فأمر بجلدهِ، فعروهُ من ثيابهِ وجلدوهُ بقساوة شديدة حتى اغمي عليهِ، فسحبوهُ وطرحوهُ بعيداً عنهم وهو عريان، لكن واحداً من المجوس اخذتهُ عليهِ الرأفة فدنا منهُ والقى عليه رداءَهُ فغطاهُ مخافة ان يكون موضع الاستهزاء للناظرين اليهِ، فوشى به رفاقهُ الأثمة الى الحاكم فامر بجلده، فضربوهُ مائتي ضربة حتى اغمي عليه، ولعل الله تعالى اقطر عليه من جرى هذا الأمر نقطة من مراحمه الالهية فخلص اما ايث الله فرفعوهُ من هناك والقوهُ في السجن.

وبعد مرور خمسة ايام، اتى شابور طمشابور الى بيت طباخ قريته، فذهب اليه الحاكم بالقدّيسين فأحضرهما بين يديه، فقال لهما طمشابور: "إني أُشفق كثيراً على شيخوختكما فكلا الدم واسرحكما" –اجاباهُ قائلين: "انتم كلوا الدم، لأنّهُ من شانكم ان تسفكوا الدم خفيةً وعلانيةً" فأمر بجلدهما، ودنا اليهما اناس فقالوا لهما شفقةً عليهما: "اننا نأتيكما بعصير زبيب عوض الدم، فاشرباهُ ولا تموتا" –فأجابا وقالا: "معاذ الله ان نسود شيخوختنا فنكون حجر عثرة لاخوتنا النصارى" وحينئذٍ جلدوا كل واحدٍ منهما اربعين جلدة معدودة.

ثم ان زرادوشت الحاكم وطمشابور تشاوروا فيما بينهما، فارتأيا ان يجمعا اشراف النصارى رجالاً ونساءً فيضطراهم على رجم مار يوسف في اربيل، فقُبض بأمرهما على جم وافر من المسيحيّين رجالاً ونساءً واحداثاً، وفي جملتهم يازدندوختي الفاضلة، ونُصب كراسيّ لطمشابور والحاكم ولأعيان البلد

وللمجوس، فأتوا بالقدّيس يوسف وأوقفوهُ في الوسط وهو ضعيف الجسم خائر القوة اصفر اللون معدوم الشكل البشريّ ورجل يمسكهُ لئلا يقع، فعندها اشار القدّيس الى الحاكم ان يأتيهُ كمن لهُ امر يقول لهُ، فاستعجل الحاكم وقام وذهب اليهِ ظاناً انهُ يمتثل ارادتهُ فيسجد للشمس، فلما دنا اليهِ ليكلمهُ ملأ يوسف فاهُ بصاقاً فألقاهُ غفلة على وجههِ قائلا لهُ: "أما تخجل ايّها الدنس العديم الحياء من ان تعرضني انا المائت على السؤالات؟ أما علمتَ مما اذقتني من ضروب العذابات الأليمة أنني غير متزعزع من عزمي الثابت الوطيد؟" فاعترى الحاكم خجل لا مزيد عليهِ، فأطرق في الارض ولم ينبس ببنت شفة بينما ان شابور طمشابور والذين معهُ كانوا يضحكون عليهِ ضحكاً شديداً قائلين لهُ: "مَن حملك يا ترى ان تذهب اليهِ؟" وللحال خرجوا بالقدّيس الى خارج المدينة ليُرجَم، واخرجوا نحو خمسمائة شخصٍ كرهاً عنهم ليرجموهُ، فحفروا قليلاً الارض وأقعدوهُ في الحفرة مربوطاً، ثم اخذوا يضطرون الناس ان يرموهُ بالحجارة، واجبروا ايضاً يازدندوختي الفاضلة على ذلك، فأبت وصرخت وقالت: "ان ما تصنعونهُ هنا لم يُسمع بهِ قط اي انّ النساء قتلنَ الرجال، لعمري لقد تقاعدتم عن محاربة الاعداء فانصببتم الى سفك دماء الاهالي" هذا وانهم لم يعدلوا عنها، بل شدوا مخرزاً في طرف قصبة وقالوا لها: "إن كنتِ لم ترميهِ بالحجر فخذي هذا المخرز فانخزيهِ بهِ قليلاً لنقول عنكِ انّكِ امتثلتِ ارادة الملك" فرفعت صوتها بالبكاء وقالت: "إني اود ان اشك هذا في جسمي ولا ان اشكهُ في جسم جنديّ المسيح القديس البارّ، فإن شئتم فاقتلوني انا ايضاً معهُ، فإنّ ذلك خير لي من ان اشارككم في إهراق دمٍ زكيّ".

وكانت الحجارة تستدرّ على القدّيس وتهشمهُ، فاختلط الدم والمخ جميعاً واذ كان يتمادى في شدة عذابهِ تحنن عليهِ احد الاعيان فأمر خادمهُ ان ياخذ حجراً كبيراً ويرمي راسهُ بهِ لكي يموت سريعاً فينجو من عذابهِ الأليم، ففعل وللحال أسلم القديس روحهُ، وامر الاعداء ان يُحتفَظ بجثّتهِ، فاحتُفظ بها ثلاثة ايام ولما

كان صباح اليوم الرابع إذا بعاصفة شديدة حدثت، فكانت الرعود تُزَعزع الارض بأصواتها الشديدة المهولة والبروق تُلقي الرعبة في القلوب والريح تهب بشدة، فتساقط بَرَد شديد واصاب الحراس من الضرر ما ليس بيسير، وفي اثناء ذلك رُفعت جثّة القديس فتوارت، ولم يُعلم أمن قِبَل الله صار ذلك ام من قبل الناس فانّ الجثّة لم يخرج لها أثر البتّة.

وتكلّل القدّيس في اوّل جمعة الفنطقوسطي.

امّا ايث الله فاستاقهُ شابور طمشابور الى بلد نوهدرا الى قرية يُقال لها دستجيردر، فأتوا برئيس البلد واشراف النصارى رجالاً ونساءً ليحملوهم كرهاً عنهم على رجم القدّيس، فخرجوا بهِ الى خارج القرية وربطوهُ على تل، فاستدرت الحجارة عليهِ من كل جانب ففاضت روحهُ فاحتُفظ بجثتهِ، ولكن لما كان اليوم الثالث أتى النصارى فسرقوها ودفنوها بإكرام.

وفي تلك الايام صارت اعجوبة عظيمة في محل رجمهِ، إذ نبتت فيهِ شجرة آس أصبحت ينبوع الخيرات لأهالي البلد، لكنها في السنة الخامسة لظهورها قُلِعت حسداً قلعتها يدٌ غير معلومة، وحكى بعض الناس الصُدُق وشهدوا انهم رأوا مراراً في محل رجم القدّيس اجواق ملائكة تنزل من السماء فتصعد اليها وهي تسبح الله تعالى وتمَجّدهُ.

وكان استشهاد مار ايث الله القدّيس يوم الاربعاء من اخر اسبوع الفنطقوسطي.



٢٩- عدّة شهداء كرخ سلوخ[1] (☼)

- **مار يوحنّا اسقف كرخ سلوخ الشهيد**

مار يوحنّا اسقف كرخ سلوخ قُتِل في قرية حصين بامر ارداشير ملك حدياب.

- **مار اسحق القسّيس الشهيد**

مار اسحق كاهن قرية حولاسار رُجم بالحجارة في خارج كرخ سلوخ بامر اذركوشنسب الحاكم.

- **مار فافا القسّيس الشهيد**

مار فافا كاهن قرية حلمين قُتِل في قرية جلال بامر ارادشير ملك حدياب.

- **مار أهنام الفتى الشهيد**

مار اهنام الفتى الراهب رُجم في قرية كنزاك بامر ارداشير ملك حدياب، وكان من كرخ سلوخ.

- **مار كوشتازد الحاجب الشهيد**

انّ هذا القدّيس كان حاجب اردشير ملك حدياب، وكان من كرخ سلوخ، فوُشي بهِ وطُرِح في السجن، وكان محبوساً معهُ ورتاران كاهن قرية سلوقانا وإذ إنهُ لم يكن كاهناً سوى بالاسم لا غير طار لبهُ شعاعاً لدى مشاهدته العذاب، فزاغ عن إيمانه، فأمرهُ ارداشير ان يقتل هو نفسهُ كوشتازد فلما هجم ورتاران على القدّيس ليقتلهُ قال لهُ متعَجباً: "يا قسيس أأنت تقتلني" ثم تندم على تسميته إياهُ كاهناً فقال: "لقد اخطأتُ بتسميتي إياك كاهناً لكن لا باس، ادنُ واقضِ فيَّ وطرك، فانك خائن مكار ورفيق يهوذا المنافق، وإني لَعالم ان الشيطان بلغ منك

١- ان الشهداء الاتين من هذه الصحيفة الى الصحيفة الاخيرة من هذا المجلد قُتلوا ايضاً في الاضطهاد الاربعيني لكن سنة جهادهم ليست معلومة.

مرادهُ فحملك على ارتكاب هذه السيئة الفظيعة" إلا ان الكاهن المنافق لم يكترث باقواله بل جسر وقتلهُ.

- **ساسان وزرون ونوح وطيما الشهداء**

إن هؤلاء الشهداء كانوا من لاشوم علمانيّين، فقبض عليهم وسيقوا الى ارض الاهواز حيث أُذيقوا كاس الموت بامر شابور الملك.

- **باعوثا الشهيدة**

إن هذه القدّيسة كانت من اشرف نساء كرخ سلوخ، وقُتلت بازاءِ قصرها بامر اذركوشنسب الحاكم.

- **تقلا وداناق الراهبتان الشهيدتان**

إن هاتين القدّيستين كانتا من كرخ سلوخ وقُتلتا بامر اذركوشنسب الحاكم.

- **أبيات وحاتا ومَزَكيا الراهبات الشهيدات**

هؤلاء ايضا كنّ من كرخ سلوخ، وقتلن بامر شابور الملك في وجودهِ في المدينة.



٣٠- جهاد مار باده كاهن قرية ارجولا

(٥ تشرين الاول)

إن باده كاهن قرية ارجولا كان شيخاً وقوراً مواظباً على اعمال التقوى والعوائد الصالحة وعلى إجراء واجباته الكهنوتيّة، يحب الفقراء ويُحسن مثوى الغرباء، وهو على جانب عظيم من الاحتشام والتواضع والبشاشة، وما كان يزال يفرغ قصارى جهده في إنذار الوثنيّين بكلام الله.

واذ كان يوماً جالساً في بيته، اجتاز به ميهر نرسا الحاكم، فوُشي به امامهُ، فأرسل جندهُ وقبضوا عليه، واوقفوهُ بين يدَيه في جنينةٍ كان قد دخلها، فقال لهُ: "أأنت قسّيس؟".

– "إنني مسيحي وقسّيس ايضاً".

–"انك لقد ضَلَلتَ منذ صغرك الى يومنا هذا، فهذا حسبك، فعليك ان تمشي الآن معنا في الطريق المستقيم وتسجد للشمس، وإذا فعلتَ هذا فأُتحفك باعظم الهدايا واجزل العطايا".

– "لقد عجبتُ منك في قلة عقلك وسخافته، لعمري إن اقوالك لا لذة بها ولا طائل تحتها وفضلاً عن ذلك إنها لَفي غاية من السفاهة حتى إنها لا تستحق الجواب، تُرى كيف ارتأيتَ ان تملقني فتخدعني كمثل الاولاد الصغار من دون ان تُنزِل بي العذابات والاذيّات؟".

فجنّ الحاكم غضباً وامر بتعذيبه، فاتوا من تلك الجنينة باربعين قضيباً وكانت كلها شائكة، فجعلوا يضربونهُ بقساوة حتى إن الدم انفجر من كل جانب وقِطَع اللحم تناثرت من كل جهة، وتخضب الجلادون بالدم، فقال لهُ الحاكم: "أما تَعقّلتَ الآن يا شقيّ في إذاقتي اياك هذا العذاب الشديد؟ أفما استعذبتَ اقوالي فظننتها اهلاً للجواب؟ ومع هذا كله انا ناصح لك ان تمتثل امر الملك وهذا خير

لك، وإلا قتلتك شر قتلة" -جاوبهُ القديس قائلاً: "الساعةَ قد ارتفع صوتي واشتدّ كلامي وتقوّت شيخوختي في المسيح الذي إتكالاً على قوته الآلهية انا قائم بين يدَيك بلا اضطراب ولا خوف وساخر بجميع عذاباتك الشديدة، ولعمري انهُ تعالى يُنقذ شعبنا من ظلمكم فيرفع راسهُ، وانتم يذللكم ويُزيل سلطنتكم هذه المتباهون انتم بها".

فكان الحاكم يصر باسنانه غضباً على الجلادين ويعنفهم على رخاوتهم في الضرب، فما كانوا يأبون إذاً الا ازدياداً في الضرب حتى إن اللحم كلهُ تمزق وتهشم وامتلأت احشاءُ الشهيد دماً دخل اليها من جانبَيه ففسد فيها، وصار القدّيس في تمام الغيبوبة عن الحس والشعور، فظنوهُ ميتاً، فسحبوهُ وطرحوهُ في خارج الجنينة، ولما كان المساء حملهُ النصارى وذهبوا به الى داره، ولم يَعُد يستفيق من غيبوبته، وبعد ان اقام على تلك الحالة ثلاثة ايام اسلم روحهُ بيد خالقهُ، وكان استشهادهُ في اليوم الخامس من تشرين الاول.



٣١- جهاد مار دادو الشهيد (☼)

كان دادو في اول امرهِ وثنياً، ثم استنار عقلهُ فتنصر، فوُشي بهِ لدى شابور الملك، فامر بإلقاء القبض عليهِ، ولما سألهُ مسائل شتى عن إيمانهِ وتهددهُ شديداً رآهُ انهُ فضلاً عن كونهِ لا يرتخي عزماً ولا ينقص شجاعةً، يسخر بآلهتهِ ويحتقرها، فاستشاط غضباً وامر بجلدهِ وتمزيق لحمانهِ باظفار حديدية وللحال قبض عليهِ واحد من الجلادين لكن يدَيه يبستا، فبادر آخر الى إمساكهِ، فاصابهُ ما اصاب رفيقهُ، فلمّا عاين الحضار ما صار سبحوا الله ومجدوهُ على ما فعل مع خادمهِ البار فاسرع الجلادون الى الملك وقالوا لهُ: "إن هذا الرجل لَساحر فلا يُمكننا من جلدهِ" فلما بلغ دادو قولهم هذا جثا ودعا الله قائلاً: "اتضرع اليك ايها الرب يسوع المسيح خالق جميع الارواح ومرتّب جميع الاعضاء ان تمكنهم من جسدي هذا الشقيّ فيصنعوا بهِ ما ارادوا رجاء ان لا أُحرَم ملكوتك السماويّ الذي وعدتَ بهِ جميع خدامك الامناء الذين آمنوا بك" واما الجلادون فكان الملك قد امرهم مغضباً بان يعجلوا في جلد القدّيس، فحالما نهض من صلاتهِ هجموا عليهِ ومزقوا لحمانهُ باظفار حديديّة، ثم وضعوا على جروحهِ ملحاً ممزوجاً بالخلّ، وكان القدّيس في وسط هذا العذاب الشديد فرِحاً مسروراً يحمد الله جلت جلالتهُ.

وأتتهُ اختهُ لتحملهُ على التمجس، فقالت لهُ باكيةً: "وا عيني ترى لِمَ تموت موتاً شنيعاً كهذا؟ ناشدتك الشمس الآله العظيم، انكر آله النصارى الكاذب وأقرّ بآله شابور الملك، فتنجو من هذه الاذيّات المريعة" فانتهرها دادو قائلاً: "كفرتُ بكِ لانكِ تكلميني كمعتوهة، وكفرتُ بآلهتكِ وكفرتُ بملوككِ وكفرتُ بابَويكِ اللذين من اجل تركهما الخالق وسجودهما لما هو زائل وفاسد من الخلائق تكون

اخرتهما تعيسة إذ إنهما سيُطرحان في نار لا تطفأ، وانت ايضاً فستتعذبين بها الى ابد الابدين إن لم تزالي واحلةً في الضلال".

وان شابور الملك سمع ما قال دادو لاختهِ، فبلغ منهُ الغيظ حدهُ، فأمر بطرحهِ في قدر مملؤة ماءً ملحاً مغلياً فيموت في هذا العذاب فأسرع القدّيس والقى نفسهُ بشجاعة في القدر، ولكن حالما دخل فيها انطفأت النار فبرد الماء المغليّ واستحال الى طل سماويّ، فقال الحضار للملك: "اما سبقنا وقلنا لك انّ هذا لَمِن اعظم السحار، وإنما لاجل هذا لم تدنُ اليهِ هذهِ النار آلهتنا" ففتح القدّيس فاهُ وقال لهم: "إن كانت هذه النار آلهةً مثلما تظنون فهلموا والقوا فيها أنفسكم لنرى أتميز الساجدين لها من الذين يحتقرونها، فأنتم من الساجدين لها، واما انا فمن الكافرين بها" فأمر شابور ثانيةً باشعال النار واغلاء الماء اشد من الاول، فطرحوا القدّيس في القدر، لكن النار انطفأت ثانيةً فبرد الماء فلم يُصب دادو ضرر البتة، فاحتار الحضار في ذلك ونسبوهُ الى السحر، فقالوا للملك: "اما قلنا لك يا ملك الملوك إن هذا الرجل ساحر فلا يدنو منهُ شيء ابداً؟" فلما سمع القدّيس انهم دعوهُ ساحراً ركع فهتف الى المسيح قائلاً: "مكنهم يا ربّ مني حتى يصنعوا بي ما راموا، إنما انت ياربّ أنقذتَ حنانيا وعزريا وميشائيل من أتون النار وانتَ سدَدتَ حلوقَ الاسود عن دانيال وانتَ ايضاً ايها الربّ العظيم قد نجيتني مرَّتين من النار، فاطلب منك ان تمكن اعدائي من وسيلة على إتلاف هذا الجسد التعيس لئَلا أُحرَم مشاهدتك البهية".

وإن الملك امر ثالثة باغلاء الماء شديداً، فألقوا القدّيس في القدر، فلم يلبث ان انشق الى شطرَين، فبقي نصفهُ في القدر ووقع النصف الاخر في النار، ثم ان المضطهدين القوا ما بقي من جثة القدّيس في الوحل وانصرفوا فيقول كاتب هذه السيرة: "فأتيتُ انا يوحنا الضابط بصحبة أبجرهان القائد فجمعنا ما فضل من عظامه ووضعناها خفيةً في مكان لائق في قرية ثمانون حيث استشهد القديس".

٣٢- جهاد مار سابا الفتى ورفاقه الشهداء (☼)

(١٦ آب)

لما صار بلد العرب[١] في حوزة الفرس اقام فيه شابور الملك عمالاً من خاصته فسلط فيه أخوين شقيقين كانا من قرابته، اسم الواحد زميسب والآخر اذور فرزكرد، فتسلط اذور فرزكرد من نصيبين الى نهر سَرْبه، وزميسب من نهر سربه الى دجلة، وان في سنة ٣٦٣ لما حمل شابور السلاح الى تخوم الروم وافتتح بلاد بازبدي وقتل من اهلها جماً لا يُحصى وأجلى منهم الى ارض الاهواز نحو (٩٠٠٠) نفر، ذهب زميسب بعدة منهم الى ارضه فأعطاهم مكاناً بنوا فيه قرية فاستوطنوها واقاموا لهم فيها كنيسة.

وحينئذ ابرز شابور الملك امراً على جميع النصارى بان يتمجسوا ويسجدوا للشمس أو ان يُقتَلوا بلا رحمة فوُشي لدى زميسب بالنصارى الذين كان هو قد اجلاهم، فاستدعاهم وبلغهم امر الملك، فقالوا لهُ بشجاعة: "إننا لا نعدل عن ديانتنا، فاصنع بنا ما شئتَ".

– "امسكوا عن هذا الرأي مخافةً ان يسمع شابور الملك فيحكم عليكم بالموت".

– "قلنا لك إننا لا نعدل ابداً عن ديانتنا ولا نزيغ اصلاً عن محبة المسيح، فأمضِ فينا امرَ ملكك".

–"لا تختموا على عقولكم غشاوةً فتتبعوا رجلاً مصلوباً صلبهُ اليهود في اورشليم".

– "إن الرجل المصلوب الذي ذكرتَ إنما من اجل خلاص الناس قد بذل نفسهُ وهو ربّ السماء والارض وكل ما فيهما وهو ربكم ايضاً و هو الآن جالس في

١– ان بلد العرب ليس المراد به هنا جزيرة العرب بل البلاد الممتدة من نصيبين حتى دجلة.

السماء بعظمة لا يمكن وصفها، وكل من يعترف به فيُصعدهُ اليه، واما الذي يكفر به فيُلقيه في النار".

– "اسجدوا للشمس الآله فتجدوا لأنفسكم الراحة الابديّة".

– "لا تُتعب نفسك ولا تُنصب بدنك، فإننا لا نقبل ابداً سحرَ الوثنيّين ولا علمهم" فاتقد زميسب غضباً وامر بجلدهم، فضُربوا شديداً حتى ان لحمانهم اخذت تتناثر، هذا وان الوثنيين لم يزالوا يُنزلون بهم العذاب، والذي كان أُمر بتعذيبهم كان يُدعى كوبي وكان سيء الاخلاق فظاً قاسياً، وكفى باسمهِ شاهداً[١]، وكان القدّيسون يصبرون على هذه البلايا مواظبين على الصلوة.

وان زميسب كان لهُ إبن إسمهُ بيركوشَنسْب وكان يحبهُ الى الغاية لانهُ لم يكن لهُ ابن اخر غيره، وكان لبيركوشنسب خادم من صبيان المنفيّين قد صحبهُ منذ صغره اسمهُ انسطاس بينهُ وبين بيركوشنسب إخاء ومودة وخلوص، فأخبر انسطاس بيركوشنسب بكل ما كان كوبي يُذيق النصارى من الأذيات الفادحة، فأخذتهُ عليهم الرحمة والشفقة فتضرع الى ابيهِ في شأنهم وكان بيركوشنسب يتردد الى الكنيسة فيرتل المزامير مع النصارى صباحاً ومساءً، فكانوا ينتهزون الفرصة ويخاطبونهُ عن امور الديانة المسيحيّة، فكانت اقوالهم تعجبهُ فيستعذبها وذات ليلة بينما كان بيركوشنسب نائماً في مقصورة ابيه تراءى لهُ مار قرياقس الشهيد فدعاهُ باسمه وقال لهُ: "يا اخي بيركوشنسب، اذهب الى الشهداء فانهم ينتظرونك، وإني انا قرياقس الشهيد" فحالما استيقظ الفتى، اشتعلت نار محبة المسيح في قلبه فاراد التنصر، فأخبر بذلك خادمهُ انسطاس، فامتلأ فرحاً لا مزيد عليهِ، ثم إن الفتى بيركوشنسب انطلق الى المعترفين وقصّ عليهم قصتهُ وأخذ يلتمس اليهم ان يمكنوهُ من ان يكون شهيداً معهم، فكانوا يُنكرون عليهِ ذلك، اما هو فلم يزل يلح عليهم ان يجعلوهُ مسيحياً حتى إنهم اضطروا اخيراً ان

١– كوبي معناهُ الشوك.

يمنحوا لهُ سر العماذ، فعمذوهُ وناولوهُ جسد ودم ربنا يسوع المسيح، وسموهُ سابا.

وان هذا الخبر اتصل بزميسب وكوبي، فاستحوذ عليهما حزن لا مزيد عليهِ ولا سيما زميسب فانهُ استولى عليهِ انقلاب غريب، فهرول الى دارهِ واخبر كوشقانش امرأتهُ بما جرى لولدها، فحزنت لذلك حزناً شديداً وامتُقع لون وجهها فأخذت تولول قائلةً: "وا أسفاه ان النصارى لقد سحروا ولدي" فنهض زميسب وشقّ ثيابهُ وأخذ يلطم على وجههِ وينتف شعر لحيتهِ ويقول: "وا ولَداه ماذا اصابك، آه منكم يا ايّها الروم الأشقياء الذين خانوني انا وشابور ملك الملوك اذ صيروا ولدي الوحيد على مذهبهم، لعمر الشمس إني لانتقمن من هؤلاء العصاة الذين جزَونني شراً" وللحال أرسل فأحضرهم، فجعل يشتمهم ويقول لهم: "تباً لكم ايها العبيد العصاة، تعساً لكم ايها الأشرار، ويلكم ايها الناكرو الجميل، ترى كيف تجرأتم عليَّ فصيرتم ولدي الوحيد مسيحياً؟ أما علمتم ايها الأثمة انهُ ليس لي ابن اخر غيرهُ؟ أفما اطرقتم في الارض خجلاً؟ أوَما ارتعدت فرائصكم خوفاً؟ أو ما ذكرتم اقل ما يكون ما اوليتكم من الإحسان؟ فلِمَ تُرى تجرأتم عليّ وأهنتموني؟" فأجابوهُ وقالوا لهُ: "لا تحسبنا يا مولانا مذنبين في هذا الأمر، فان ابنك هو الذي اضطرّنا على ان نجعلهُ نصرانياً، وهو ايضاً انما المحبة الآلهية أجبرتهُ على ذلك، إذ إننا مراراً كثيرة حملناهُ ان يعدل عن التنصر ولم يُذعن لنا، ولكن كان ينبغي لك ان تفرح اليوم وتُسرّ، لان ابنك قد زاغ عن عبادة المخلوقات فتمسك بعبادة الإله الحي".

فازداد زميسب غضباً وفار كالنار شواظاً ولهباً، فأمر بجلدهم، فجُلدوا بقساوة وحشيّة بربريّة حتى انّ لحمانهم تناثرت على الارض، فسقطوا على الارض كالموتى، ثم امر باستئصال كنيستهم وقتلهم جميعاً فأمضى كوبي امرهُ في مَن لم يزل منهم ثابتاً في ديانتهِ، وألقى جثثهم قدّام قصر واحدٍ من النصارى اسمهُ

تاديق، لكن واحداً منهم كان يقال لهُ ايث الله وُجد فيه رمق يسير فاخذهُ تاديق الى داره فضمد جروحهُ وعالجهُ.

ثم ان زميسب امر باحضار ابنهِ بيركوشنسب فحالما رآهُ اخذ يبكي ويولول ويقول: "وا ولداه ماذا اصابك، واندباه ترى من أفسدك، وا أسفاه من سحرَك، وا عيني هلا تُشفق على ابيك الشيخ وعلى والدتك كوشقانش التي من شدّة ما اصابها من الحزن والأسف لمَا تسببهُ من الاهانة لنا اوشكتْ ان تموت بالشمس عليك الا تُذعن لإله النصارى الغير الموجود والغير معلوم اسمهُ، واني قد كافأتُ هؤلاء السحرة بما استحقوا من العذاب الصارم والقتل الشنيع" فلم يضطرب الفتى ولا خارت عزائمهُ بل قال لابيه بجنان ثابت: "ليس من الراي يا ابتاه ان تبكي مثل صبيّ صغير فتُحزن اهل دارك جميعاً، كُفَّ عن البكاء الذي لاطائل بهِ، فانني لن ازال متمسكاً برايي وعاملاً بهِ غير آبٍ الا السجود لآله النصارى، فإنهُ هو وحدَهُ الآله الحقّ".

-قال لهُ ابوهُ: "تامل يا بنيّ في عاقبة الذين اضلوك فافسدوك، فلا توافقهم في رايهم الباطل، ابتعدْ هارباً من علمهم الكاذب، وتمسك بعلم الملوك والمجوس ساجداً معهم للشمس والقمر، ولا تحتقر كرامة شابور ملك كل الأرض".

-جاوبهُ القدّيس قائلاً: "إنك لَغاوٍ يا ابتِ وعديم الراي، فإن آلهتك ليست بآلهة بل كاذبة باطلة، وملكك نفسهُ ليس قادراً على عمل ما دون أمر الله تعالى، وَيحكم ايها الجهال لانكم مقطوعو الرجاء الى الابد" ثم إن زميسب لم يترك واسطة إلا واستعملها لحمل ولده على نبذ الديانة النصرانيّة، لكنهُ لم يجن من ذلك ادنى ثمرة، فانّ القدّيس لم يأبَ الا ثباتاً في ارائه المقدّسة.

وإن البعض كتبوا لشابور الملك فأخبروهُ بصيرورة ابن زميسب نصرانياً فتنفر الملك على زميسب وقال مغضباً: "يا ترى هل ان زميسب يروم ان ينشر علينا لواء العصيان؟ فلماذا لم يهلك ابنهُ من ساعته ؟" فكتب الى اكابر البلد ان: "احضروا امامكم بيركوشنسب بن زميسب، ولا تتركوا وسيلة إلا وتستعملونها

معهُ لإرجاعهِ عن غيهِ، فإن رجع فبها ونِعمت وإلا فأذيقوهُ ضروب العذابات فالقتل" هذا وانّ شابور ارسل ايضاً بعضا من ثقاتهِ للوقوف على اجراء اوامرهِ فلما قُرئت الرسالة امام زميسب تفطر قلبهُ غماً وأسفاً، فأرسل كوبي وأحضر بيركوشنسب بين يدي اكابر البلد، فأخذوا جميعاً يلتمسون اليهِ ان يجحد إلهِ النصارى فيعود الى ديانتهِ، وقالوا لهُ: "انّ ما تصنعهُ يا بيركوشنسب ليس برأيٍ، اين هي حكمتك الموصوفة، لعمرنا لقد انقلبتْ الى جهالة عظيمة افضت بك ان تحتقر والدَيك وأمر شابور ملك الملوك، فناشدناك الشمس الآلهِ ان لا تستذلنا ولا تهين الآلهة العظيمة فتكون خاصة قيصر عدونا" فأجابهم الفتى الشجيع قائلاً: "لو ادركتم وعرفتم القوّة العظيمة السماويّة المكنونة في ديانة النصارى لتجشمتم من اجلها اعظم المشقات وأجسم الأذيات" فصاحوا بهِ جميعاً قائلين: "اوَ تريد ان تحملنا نحن ايضاً على اتباع اولئك السحرة الملعونين، فإياك ثم إياك يا ولدنا العزيز ان تنقاد لهم، فإنهم لخداعون مكارون، فاتعظ بكلامنا ونجِ ذاتك من الموت الشنيع" قال لهم القدّيس بثبات عجيب: "ان كلامي الأول والاخر لَواحد وهو انني مسيحي ولستُ بمرتد" فكان لكلامهِ هذا وقع عظيم في قلوبهم حتى انهم صاحوا عليهِ مغضبين وقائلين: "ما انت إلا ابنٌ ضالٌ غاوٍ لا ينجع فيهِ تعليم ولا ينفع نصح" وتخويفاً لهُ اروهُ حالاً رسالة الملك وتلوها على مسامعهِ لكنهُ لم يجزع ولا انخلع قلبهُ بل جعل يضحك ويقول: "فإن كان الأمر هكذا فلِمَ تتقاعدون عن امضاء امر ملككم، فإني لستُ اجحد ابداً وأصلاً وقطعاً الديانة المسيحيّة، فافعلوا بي ما شئتم ولا تتأخروا".

فاستدعوا وقتئذٍ كوبي الخبيث وفوضوا اليهِ امر القدّيس، وبعد ان امروهُ ان لايهمل تعذيبهُ حتى يُذعن لإرادتهم انصرف كل واحد منهم الى مسكنهِ حزيناً كئيباً وأما كوبي فأمر بجلد القدّيس، فطُرِح على الارض واخذ اربعة جلادين يضربونهُ بسيور جديدة، فتمزق لحمهُ وأُغمي عليهِ، فحملوهُ وطرحوهُ في السجن، وأوصدوا عليهِ الأبواب وخُتم عليها بخاتم كوبي فلما كان الليل تراءى للفتى

القدّيس ملاك الرب ومار قرياقس الشهيد، فدنا الشهيد من مار سابا فمسكهُ بيده اليمنى وأقامهُ واقترب ايضاً الملاك فضمد كلومهُ فأبرأهُ واعطاهُ الطعام فاكل، ثم شجعاهُ وقوياهُ قائلين: "لا تخف ولا تجزع، فانهُ ستغلب عما قريب فتنتصر على أعدائك فتخجلهم وتخيب رجاءَهم، وهوذا قد وصلت الى ميناء الحيوة والراحة الكائنة فيها سعادة ابديّة لجميع الذين يحتملون العذابات والمشقات من اجل اسم ربهم القدّوس" قالا هذا وانصرفا عنهُ، فأصبح الفتى في حالة لا توصف من الحبور والسرور.

وإن تاديق لما سمع بكل ما اصاب الفتى القدّيس من الاذيات والحبس اخذ طعاماً وتوجه الى السجن مصحوباً بايث الله الذي كان قد احياهُ والبسهُ ثياب الخدام لئلا يُعرف، فسألا السجان عن احوال الفتى وارادا الدخول عليه، فجاوبهما قائلاً: "إني لم ادخل عليهِ لان الابواب مختومة جميعاً، واما ما اعرفهُ عنهُ فهو انني في منتصف الليل رأيتُ نوراً ساطعاً أضاءَ الموضع الذي هو فيهِ، وسمعتُ اصوات اناسٍ يكلمونهُ".

ثم ان امهُ بلغها ضرّهُ، فجزعت عليهِ كثيراً، وارادت ان تفرغ قصارى جهدها في ردهِ عن الديانة النصرانيّة، فأحضرتهُ لديها وجعلت تبكي وتتنهد وتولول وتتضرع اليهِ بلجاجة ان ينقاد لأمر شابور الملك فينجو من العذابات والقتل، لكن عزمهُ لم يفتَر بل اخذ يخاطبها بشجاعة وقال لها: "إن بكاءَكِ هذا يا اماه لا طائل فيه، فما تجنين منهُ ادنى ثمرة، وان ما ينفعك هو ان ترجعي الى الله الحيّ الذي وحدهُ الإله الحق، وتنبذي عبادة الاوثان، واعلمي يقيناً يا اماه ان دون هذا العالم عالماً اخر فيهِ يغتبط الى دهر الداهرين مَن خدم الآله الحق وحفظ وصاياهُ، واما الذي كفر بهِ ونبذ وصاياهُ فيتعذب الى ابد الابدين" فصاحت عليهِ امهُ قائلةً: "أوَ تروم ان توقعني انا ايضاً في حبائل اولئك السحرة الذين افسدوك؟" فقال لها حينئذٍ انسطاس خادم مار سابا: "لو اتبعتِ آراء ابنكِ بيركوشنسب لكنتِ سعيدة، والآن كفي عن البكاء، ولا تزيدي على شجننا أشجاناً اخرى" فلما قال

انسطاس هذا الكلام جاشت في صدرها عوامل الغيظ، فأكبت على انسطاس وعضتهُ بشدة حتى انها قطعت بضعةً من لحمهِ باسنانها، وقالت لهُ: "انما انتَ يا شقيّ وابواك الملعونان قد أنزلتم بنا هذه المصيبة العظيمة، فيا لك من شقيّ خبيث" فقال لها ابنها: "لا تُلقي هذا الصبيّ بهذا الملقى، لان ما قال لكِ لَحق وصواب" اما هي فطردت انسطاس من عندها واكبّت على ابنها تقبلهُ وتُمطرهُ من الاجفان دموعاً حارة وتقول لهُ: "اشفق يا بُني على حسنك وعلينا نحن والديك، فانهُ ليس لنا ابن اخر غيرك يكون سنداً لشيخوختنا" واما هو فالتمس اليها ان تستدعي انسطاس لديهِ لكونهِ عزيزاً عليهِ الى الغاية، فأرسلت واستدعت كوبي و انسطاس، فلما حضرا أسرت الى كوبي قائلةً: "احتفظ ببيركوشنسب، واما انسطاس فانزع منهُ حياتهُ، لانهُ هو الذي سوَمنا هذه المشقة العظيمة".

فخرج حينئذٍ كوبي بمار سابا ومار انسطاس، فأمر بجلد انسطاس لعل بيركوشنسب لدى مشاهدتهِ ما يُصيب رفيقهُ من الآلام الشديدة يزيغ عن دينهِ فيمتثل امر الملك، فضُرب انسطاس بالعصيّ حتى ان لحمانهُ تناثرت على الارض، وإذ إنّ مار سابا لم يزل رغماً عن ذلك ثابتاً في رأيهِ، امر كوبي ان يُقتَل انسطاس امام عينيهِ، فاحتُز راسهُ، وسحبوا جثتهُ حتى قدام دار تاديق فألقوها في بئرٍ كانت هناك واما ما كان من امر سابا الفتى فإن كوبي لم يزل ينزل بهِ اشق العذاب وامرّ الاذيّات، وكان يتعجب غايةً بصبرهِ الجزيل، وكان القدّيس لا يابى إلا ازدياداً في الشجاعة والصبر والثبات في معتقدهِ وهو يسخر كل يوم بكوبي ويقول لهُ: "إنهض ايها الشقيّ العديم الآله إنهض انت ورفاقك الأثمة فاسرعوا وقوموا بعداوتي".

وكان الجميع يرقون لحال الفتى القدّيس ويبكون عليهِ بكاءً مراً، ولا سيما امهُ التي كانت تحبهُ محبةً شديدة، فأتتهُ واكبت عليهِ تعانقهُ وتقبلهُ باكيةً بكاءً مُراً، وتستحلفهُ ان يرقّ لحالها ولحال ابيهِ ويزيغ عن المسيح، وكانت تقول لهُ: "اشفق يا بُنيّ على شيخوختنا فلا تناهض ملك الملوك واباك زميسب الذي ولدك، اضرب

عن راي النصارى الملعونين فتحيا وتسلم وتنجينا نحن ايضاً من الموت، فانهُ لربما قتلنا نحن ايضاً شابور ملك الملوك، لانهُ متسلط علينا تسلطَ المولى على عبيده" وإذ رأت انهُ لا يتعظ بكلامها ولا يُعيرها السمع رجعت الى دارها باكيةً عليه بكاءً مراً.

وان اباهُ ايضاً استدعاهُ اليه، فعانقهُ وقبَّلهُ والتمس اليه بدموع حارة ان يتحاشى عن يسوع المسيح، فقال لهُ الفتى: "حسبك البكاء والعويل يا ابتِ، ولا تُكثر من الكلام معي، فإنني لستُ أُحب إلا يسوع المسيح" فقال لهُ والدهُ: "بالثديَين اللذَين أرضعاك وبالحب الذي أُحبك بهِ انا اباك الشيخ اذعن لامر الملك فتُنجي ذاتك وتجعل لنا فرجاً" قال لهُ الفتى: "لا تُتعب نفسك يا ابتاه بما لا طائل فيه، فإنني لستُ اكفر ابداً بيسوع المسيح" فلما راى ابوهُ ان اقوالهُ لا تنجع فيهِ خرج من عندهِ والحزن يُمزق احشاءَهُ وهو يتنهد ويبكي ويُعطي الويل لنفسه ويقول: "وا ويلي ماذا اصابني في ايام شيخوختي إن الذي خرج من احشائي نصب في داري البكاء والنياح" فقال لهُ الاعيان واهل بيته: "كف عن البكاء خوف ان يسمع امين الملك فيستشيط غضباً فيعجل في قتل الصبيّ" فاتعظ زميسب بكلامهم هذا ونهض وغسل وجههُ ولبس ثيابهُ فتصدر في دستِ ولايته وارسل فاستدعى اليهِ أبورزد امين الملك واجلسهُ جانبهُ، ثم امر كوبي ان يحضر الفتى بين اياديهم، فأحضروهُ وهو لا يقدر على الحركة سريعاً لمَا في رجليه من السلاسل الثقيلة ولدى دخوله سجد لأبيهِ ولجميع الحضار، فأذرف ابورزد العبرات السخينة هو وجميع الحضار لمَا عاينوا مما اصاب الفتى من العذاب الأليم والهزال الزائد ونهض من مكانه فعانقهُ وقبلهُ وأجلسهُ عن يمينهِ وامر بفك قيوده، ثم بلَغهُ السلام من قبل شابور ملك الملوك، فسجد القدّيس باحتشام عظيم لسلام الملك، فاخذ ابورزد يخاطبهُ قائلاً: "إن الملك قد وعد ان يكرمك الكرامة كلها، ويمن عليك بعطايا جزيلة نفيسة إذا سجدت للشمس والقمر والنار آلهته، ويرقي اباك ايضاً الى اعظم درجة" اجابهُ الفتى الشجيع قائلاً: "إن

كرامة الملك لِتبقَ لهُ، وليعطِ الاخرين هداياهُ النفيسة، واما انا فما اريد إلا كرامة الإله الحق الساكن في السماء ولهُ وحدَهُ اسجد وإياهُ فقط اعبد" قال لهُ ابورزد: "امتثل يا بُنيَّ امر الملك ولا تقم بالعصيان عليهِ، وشفقةً عليك اقول لك هذا" جاوبهُ القدّيس: "ارعوا سمعكم يا سُحار وافهموا يا عُميان انَّ الهي هو المسيح لا غيرهُ، وميراثي في السماء والموت خير لي من الحيوة" قال ابو رزد وقد نبض بهِ عرق الغضب: "إني لأُنزلنّ بك النكال بتباريح العذاب ايها المنكود الحظ إن لم تُطِع إرادة الملك" قال القدّيس: "افعل ما شئتَ، فاني لستُ امتثل ابداً ارادة ملكك الكافر".

وحينئذٍ التفت ابورزد الى ابي الفتى وقال لهُ مغضباً: "بئس ما تفعلهُ يا زميسب، فمع انك تسمع إهانة ملك الملوك لا تزال ساكتاً غير آخذ ثارهُ" قال زميسب: "إني لقد افرغتُ جهدي في ردهِ عن غيهِ فلم يذعن لي، فقد سلمتهُ الآن بيدك فاصنع بهِ بموجب امر ملك الملوك" فالتفت ابورزد الى الفتى وصاح بهِ مغضباً وقال: "إرجع من هذا الرأي الفاسد يا ايها النحس المنكود الحظ واسجد للشمس والقمر والنار آلهة والديك وأجدادك، فابلغ بك الشرف والكرامة، واعلمنَّ يقيناً ان هذا اخر تضرعي اليك".

اجابهُ الصبي قائلاً: "إني لخالق آلهتك اسجد فإنهُ هو الذي يُزيل نورها ويغشي عليها وقادر ان يمحوها تماماً، فخجلاً للذين يسجدون لها ويكرمونها مع انهم هم افضل منها بكثير" فلما سمع ابورزد هذا الكلام ساورتهُ جيوش الغضب، فأمر بإحضار قضبان شائكة، فطرح الجلادون القدّيس على الارض وأخذوا يضربونهُ بقساوة شديدة، فتمزق لحمهُ وسقط منهُ على الارض، وبينما كانوا يضربونهُ رفع هو نظرهُ الى السماء فقال: "هلم الى معونتي يا ربنا يسوع المسيح في حالة الضيقة هذه".

قال لهُ ابورزد: "اذعن لنا ايها الفتى النحس الجافي الخلق ولا تقم بمناهضتنا، اشفق على نفسك يا ظالم نفسهِ، هلا تعاين في ايّ حال امسيت انت من الشقاء

والضر؟" فجاوبهُ الفتى: "وان واحداً من رسل المسيح الاطهار قال انما بكلوم جسدي انال القيامة من بين الأموات" وبعد ان ضُرب بلا شفقة وتمزق جسدهُ كلهُ امر ابورزد بأن يُلقى في سجن مظلم وان لا يقدَّم لهُ ماء لشربهِ ولا يدخل عليه أحد ابداً فطُرح في السجن وهو كالميت، وكان ذلك في شهر تموز والحر كان شديداً الى الغاية.

فلما اصبحت، ارسل أبورزد الى السجن من يتحقق امر الفتى فيرى هل إنهُ في قيد الحيوة ام لا، فوُجد القدّيس صحيحاً لاجُرح فيهِ وهو يقول: "إشفِ يا رب انكسار قلبي واضمد جروحي لانك ملجإي وركني وانت تشفي المنكسري القلب وتضمد كلومهم" فاخبر أبورزد بكون الفتى صحيحاً لا جرح فيهِ، فتقلى على جمرات الغضب فأنفذ واحضرهُ وقال لهُ: "قُل لي الحق يا فتى من فتح ابواب السجن فأتاك بالاطباء فأبرأك؟" جاوبهُ القدّيس قائلاً: "المسيح الذي امنتُ به ولا ازال اعتقد به هو الذي اتاني فأبراني وذلك خجلاً لكم ولآلهتكم الكاذبة" فازداد ابورزد غضباً وحنقاً فامر فاوثقوا الصبيَّ الظريف في سلم واخذوا في جَرْدهِ بلا شفقة، فرفع هو بصرهُ الى السماء وقال: "أسرع يا ربي يسوع المسيح الى إغاثتي في ضيقاتي هذه، وادخلني بين اجواق الذين تألموا من اجل اسمك القدّوس" فقال لهُ ابورزد بلهجة المستهزئ: "اين المسيح الذي تدعوهُ، فليات الآن ويُنقذك من يديَّ" قال القدّيس: "إنهُ تعالى لقد اعانني ويعينني ايضاً، أما انتَ فلا تشمخ بانفك كبراً ولا يطاول راسك السماء تيهاً وصلفاً لِما انك متسلط على حياتي، لان نجمك مزمع ان يغيب فتسقط من ذروة مجدك الباطل" قال ابورزد: "إنك لَسكران بسحرك فلستَ تعرف حالك، إذ إنك مع كون لحمك مُلقىً على الارض قدام عينَيك قد اطلقتَ فاك الى الشر" -اجابهُ الفتى: "الرب قريب للمستغيثين به بالحقّ، وخلاصهُ قريب لخائفيه فينقذهم من ايادي الاثمة" ثم ان ابورزد امر فحملوا القدّيس وطرحوهُ في السجن، ودعا المجوس واوصاهم ان يدخلوا على الفتى فيملقوهُ باقوالهم، وامهلهم عشرة ايام وقال لهم: "إن اذعن

لكم فيخلص من الموت، وإلا فليكن دمهُ عليهِ، فإنهُ إنما بإرادتهِ قد اسلم نفسهُ الى القتل" فبذل المجوس عنايتهم في حَمْل الفتى على نبذ الديانة النصرانيّة، لكن عناءَهم اضحى عقيماً.

ولما كان اليوم الثامن للأجل اتى تاديق وايث الله الى السجن، فالتمس تاديق الى السجان ان يمكنهُ من الذهاب بالقدّيس الى دارهِ، فلم يقدر السجان على مقاومتهِ فحملاه وانطلقا بهِ الى دار تاديق، فغسلا جروحهُ وضمدا كلومهُ ومكّناهُ من تناول القربان المقدّس، واقام عندهما النهار كلهُ وبات ايضاً هنالك، ولما انتصف الليل، تراءَى لهُ مار قرياقس الشهيد وقال لهُ: "تهلل حبوراً وارتقش سروراً يا اخي سابا لانك جاهدتَ جهاداً حسناً، فاحتقرتَ امر الملوك الاثمة، اي نعم إبتهجنّ فرحاً لانك تُقتل يوم الجمعة نظير ربّك فتنال اكليل الشهادة" وللحال استيقظ مار سابا فدعا تاديق الفاضل وايث الله المعترف وقصّ عليهما ما رآهُ، ففاضت قلوبهم فرحاً وتعزيةً، وشكروا الله عزّ وجلّ، ثم إن تاديق وايث الله بكرا فعانقا القدّيس وارجعاهُ الى السجن.

وفي انقضاء الايام العشرة المؤجلة، امر ابورزد بإحضار مار سابا، فلما مثل بين يديهِ قال لهُ: "ماذا انتجتْ لك افكارك في هذه الايام؟ اتقوم بعداوتنا ام بصداقتنا؟".

—جاوبهُ القدّيس: "لقد سبقتُ وقلتُ لكم مراراً كثيرة إنهُ أحبّ اليّ ان تقطعني إرباً إرباً من ان انبذ الآله الحقّ" فامر حينئذٍ ابورزد الجلادين ان يذهبوا بهِ الى القتل فلما اخرجوهُ صار اضطراب عظيم وضجيج وبكاء أليم في دار ابيهِ الفسيحة، فصار القوم والجند يبكون قاطبةً ويتنفسون الصُعداء، فتعلقوا بالقدّيس ولم يمكنوا الجلادين من الانطلاق بهِ الى القتل وهم يصرخون قائلين: "أخرجونا نحن ايضاً فاقتلونا معهُ" فلما عاين ابورزد ذلك استشاط غضباً، فأرسل الاعيانَ الى زميسب وعرفهُ صنيع القوم، فأتى زميسب الى ابنهِ واخذ يلتمس اليهِ بدموع حارة ان يشفق عليهم وعلى نفسهِ ايضاً، فأبى الفتى تضرعهُ

وقال لهُ: "الآن قد حان زمان المأدبة فتُرى كيف أُحرَمها؟ والآن قد حان وقت نوال الاكليل فترى كيف اتركهُ؟" وإذ تضرع اليهِ كثيراً ولم ينَل منهُ حاجتهُ دنا اليهِ هو وجميع آل دارهِ فعانقوهُ وقبلوهُ ناحبين ناشجين، ثم سلموهُ بيد ابورزد ورجعوا مُذرفين دموعاً احر من الجمر.

فانطلق الجلادون بالقدّيس الى قدام دار تاديق ليقتلوهُ هنالك فطلب الى ابورزد ان يُمهلهُ ريثما يصلي، فاذن لهُ، فبعُد عنهم قليلاً وركع وصلى قائلاً: "ايها الربّ الضابط الكل السامع صوت الخطاة التائبين اتضرع اليك ان تقبل صلاة عبدك الخاطئ الصارخ اليك في هذه الدقيقة الاخيرة من حياتهِ الزمنيّة إقبلْ يا ربّ تضرعات الذين يدعونك باسمي، إحفظهم من جميع الشرور والافات، وترحم عليّ انا الذي كفرتُ بدين آبائي، إعترفْ بي في السماء كما اعترفتُ بك على الارض واقبلني بين اجواق الشهداء الذين سفكوا دماءَهم من اجلك، كن يا رب حصناً منيعاً لجميع المؤمنين الذين في هذا البلد الآن وفي كل زمان والى دهر الداهرين آمين".

وحالما فرغ من صلاتهِ أوعز ابورزد بالتوالي الى كثير من الجند ان يقطعوا راسهُ، فلم يتجرأ احدهم على هذا الصنيع، وحينئذٍ نهض كوبي الخبيث من مكانه إرضاءً لابورزد واتاهُ وقال لهُ: "انا يا سيّدي أُمضي فيه امرك السامي" وكان مار سابا واقفاً مربوط اليَدين مُطرق الراس في الارض، فاستل كوبي سيفهُ وهجم به على القديس، وحالما عاين الفتى كوبي مقبلاً اليهِ بالسيف صرخ قائلاً: "يا ربّ اقبل روحي" وفي قولهِ هذا ضربهُ الأثيم على قذالهِ خمس ضربات، ومما اعتراهُ من الخوف والدهشة لم يقدر على قطع راسه، وكان الحضار يزدجرون كوبي على عدم شفقتهِ وعظم قساوتهِ وان الفتى الشهيد رفع عينيهِ فنظر الى كوبي وقال لهُ بلطفٍ: "لقد اصبحتَ جباناً هياباً يا رجل، فلمَ ارتخت يداك؟ وعلى مَ أمسيتَ كأحد الصبيان؟ فقاتل بشدة وبأس وأمضِ فيَّ امر مولاك، فإنما الى الحيوة ترسلني وليس الى الموت".

فطعنهُ حينئذٍ في جنبهِ وقتلهُ، والقوا جثتهُ في الوهدة التي كان طُرح فيها الشهداء الذين كان ابوهُ زميسب قد قتلهم.

واستشهد مار سابا الفتى في اليوم السادس عشر من شهر آب، ولهُ من العمر اثنتا عشرة سنة وثمانية اشهر، وقد طالت عذاباتهُ ٤٩٠ يوماً.

وفي تلك الليلة عينها أتى تاديق وايث الله فأصعدا جثة القديس وصنعا لها صندوقاً من ذهب فوضعاها فيهِ، واودعا الصندوق المقصورةَ التي كانا يصليان فيها، ودفنا ثَم ايضاً مار انسطاس رفيق مار سابا القدّيس.

ومن الواجب ان ننقل ايضاً ما اصاب كوبي الأثيم من جراء ما فعل بالقدّيس، وذلك انهُ بعد قتل الشهيد بايّام قليلة انتفخت ذراعاهُ وكل جسمهِ انتفاخاً شديداً حتى أصبح نظير زقّ عظيم، فأنتن لحمهُ فمات اشنع ميتة.



٣٣- جهاد مار باسوس واخته سوسان ومار اسطفانس ومار لونجينا الشهداء

(١١ ايار)

رأينا سابقاً في سيرة مار سابا الشهيد ان بلاد العرب لما صارت في حوزة الفرس جعل شابور والياً عليها زميسَب الذي كان من قرابته وذلك من نهر سريه الى دجلة فأرسل زميسبُ ابورزدَ الى ناحية بازبدي ليكون حاكماً عليها، فكان هذا الحاكم يُشتي بالسهل في القرى التي كان زميسب قد بناها ويُصيف بحصنٍ اسمهُ فيرين ووُلد لهُ ولدان توأمان سمى الابن منهما باسوس والابنة سوسان، وكان منشأهما في نعمة كاملة ولما بلغا السنة الخامسة من عمرهما اسلمهما ابوهما الى المؤدب ليتهذبا في علم المجوسيّة، فحرصا عليه وحذقا فيه.

وكان في دار ابيهما عبد نصرانيّ مذهباً ارزونيّ وطناً اسمهُ اسطفانس، وكان ابورزد قد ولاهُ خدمة ولدَيه، فلم يَزل يخاطبهما عن حقيقة الديانة النصرانيّة ويتلو على مسامعهما قانون الايمان ويُريهما ما في المجوسيّة من الضلالة والخرافة حتى إنهُ استمالهما اليه فرغبا في ان يتنصرا ويتعمدا فكان يعظهما دائماً ويرشدهما الى عمل الصلاح والخير ويواظب معهما على تلاوة المزامير وممارسة الصوم والصلوة فذات يوم قالا لهُ: "إننا قد آمنا بيسوع المسيح، فليس لنا آله اخر سواهُ، وكفرنا بوالدَينا وآلهتنا وذبائحهما، وهوذا الماء فترى لماذا ما تعمذنا" فقال لهما: "إن الله الذي اختاركما وجعلكما في حظيرته الآلهية هو يُرسل اليكما مَن يعمذكما، فإن الربّ يسوع المسيح إنما بيد الكهنة قد سلم سر العماذ المقدّس، فانتظرا إذَن حتى نلتقي بكاهن فنطلب اليه ان يوشحكما بحلة العماذ" فقال باسوس: "إنّ الكاهن بعيد عنا ولا نستطيع الى الذهاب اليه سبيلا خوفا من

أبوَينا، فتُرى حتّامَ ننتظر يا اسطفانس" فاجابهُ: "إن الله عزّ وجلّ يدبر ذلك فإنهُ على كل شيءٍ قدير".

وبينما كانا يلتظيان شوقاً الى العماذ، سنح لهما راي ان ينطلقا الى الجبال فيعاينا رعاة ابيهما وقطعانهِ، ولما وصلا الى موضع اسمهُ راجولا نزلا من فرسَيهما فاخذا يصعدان رويداً رويداً في الجبل، وإذا بأيل تفلت من امامهما فصوتا وصيحا وجعلا بسلامة قلبهما يسعيان بطلبهِ، وبينما هما يجولان ناظرَين الى كل جهة ابتغاء ان يُبصراهُ لاح لهما مغارة صغيرة في الجبل، فاقتربا اليها واسرعا فدخلا قائلَين: "لعلنا نصادف فيها الآيل، وإذا بشيخ وقور فاضل متردٍ برداء من شعر غليظ ظهر لهما فيها فاضطربا واستفزهما الخوف لِمَا شاهدا فيهِ من بشاعة المنظر، فإنّ لونهُ كان قد اسود ولم يبقَ عليهِ سوى العظام، إذ إنهُ كان قد اجهد جسمهُ واضناهُ في تلك المغارة في الصوم والصلوة والعبادة ومقاساة البرد والحرّ مدّة سبع وعشرين سنة، وبينما كانا يتمزقان خوفاً وارتعاباً، إذا بالناسك القدّيس اصبح غفلةً بهيّ المنظر شمسيّ الوجه، فنهض مقبلاً اليهما فشجعهما وقوّاهما مُظهراً لهما انهُ إنسان نظيرهما، فذهب روعهما واطمأنا فدنَوا منهُ وسلما عليهِ باكرام، فرد عليهما السلام احسن رد واجلسهما الى جانبهِ، ثم استقصهما خبرهما، فتلوا على مسامعهِ كلّ قصتهما على جليتها ملتمسين اليهِ ان يجلببهما بحلة العماذ المقدّس، فأُوعِب قلب الناسك سلوةً وسروراً وتدفق حبوراً، فاحسن مثواهما فرِحاً بهما، وقام وعمذهما.

ثم إنّ باسوس وسوسان لما رجعا الى اهلهما قصّا على اسطفانس قصتهما، فكانا يترددان معهُ الى لونجينا الكاهن الذي عمذهما فذات مَرة قال اسطفانس للناسك القدّيس: "اطلب اليك يا سيّدي ان ترعى حسناً هذا الخروف وهذه الشاة اللذَين اتيتَ بهما من حظيرة المجوس الى حظيرة ربّنا يسوع المسيح، فإنني لَعالم ان ذئاباً خاطفة ستجتهد في إخراجهما لتمزقهما" فاخذ لونجينا يقوّي عزمهما ويشجعهما قائلاً: "لا تشتركا يا ابنيَّ منذ الآن فصاعداً مع المجوس في عبادتهم

لآلهتهم، فإنّ آلهتهم لَكاذبة وديانتهم لَباطلة، فكونا على حذر من الذئاب الضارية ملتجئَين دائماً الى حظيرة يسوع المسيح إياكما ثم إياكما ان تنبذا الآله الحق خالق السماء والارض وكل ما فيهما خوفاً من الناس، بل استعدا لتجشم أشقّ العذاب وحتى الموت من اجله تعالى، فإنّ الطريق المؤدي الى السماء حرج والباب ضيق، فلا يدخلهُ إلا من يكون شجاعاً سديد الرأي ماضي العزيمة" فاجابهُ باسوس وسوسان قائلَين: "لا ينزعج قلبك يا ابانا ولا يضطرب بالك، فإننا لسنا ممن يحنث في وعدهِ وقولهِ، فلا نعرف نحن إلا يسوع المسيح واباهُ وروحهُ القدّوس الآله الواحد، ونحن لَمستعدون لاحتمال جميع العذابات والموت ايضاً من اجل اسمه القدّوس".

فما كانا يزدادان إلا غيرةً على الديانة المسيحيّة ورغبةً في تكميل الفضائل الانجيليّة، وصارا يرشدان فتيان الوثنيّين الى الايمان الصحيح، فرجعا اليهِ جماً غفيراً منهم، وبقيا على تلك الحالة طويلاً، فإن اباهما كان قد توجه الى بلاد فارس، ولم يعُد منها إلا بعد تسعة اشهر وكان شابور الملك قد تصدى لتعويقهِ لاجل بعض امور، وبعد وصولهِ الى دارهِ بايام قليلة صار موسم للوثنيّين، فدخل ابورزد هيكل آلهتهِ فوضع البخور وسجد، إلا انّ باسوس وسوسان واسطفانس امتنعوا عن ذلك، فاستدعاهم ابورزاد فأنكر عليهم صنيعهم وأمرهم بإكرام الآلهة اما هم فتوجهوا تَّواً الى الدار دون ان يجيبوهُ بكلمة، فغضب ابورزد من هذه المعاملة واضطرب، فاستعلم قرينتهُ السبب، فقالت لهُ: "منذ انطلاقك الى بلاد فارس رايتُ الصبيَّين يداومان على الذهاب الى الجبل لدى رعاتنا، واذ سألتهما عن ذلك اجاباني: إنما من جراء تمسك اهالي هذهِ القرى بما لا طائل بهِ نحبّ هدوّ الجبال وسكونها" فقال: "لا بُد لي من معرفة كنهَ هذا الامر" فأقبل على واحد من عبيدهِ وجعل يعذبهُ شديداً رجاء ان يكشف لهُ الأمر المكتوم عنهُ، فأخبرهُ العبد بقصة ولدَيه على جليتها وذلك تملصاً مما كان يعاني من الاذيّة.

فلما اتَضح لديه امرُ ولدَيه استشاط غضباً وكاد يتمزق غيظاً فدعا باسوس ليستعلمهُ حقيقة الأمر، فقال لهُ الفتى غير خائف: "إن كل ما سمعتهُ عنا لَحقّ لا ريب فيه، وإننا قد اعتنقنا الديانة النصرانية ولسنا نمرق منها ابداً" فوثب عليه ابوهُ بشدة حنقه وضربهُ بقساوة شديدة إذ رمى به الأرض وجعل يرفسهُ برجليه ويسحبهُ بلا رحمة امام الحضار، فرقّ لهُ الحاضرون وأنقذوهُ من يديه قائلين: "نلتمس اليك ان تُمسك الآن عنهُ، فإن اليوم عيد عظيم، فلا تحول فرحنا الى الحزن والكابة، فإنهُ صبيّ وقد اختل شعورهُ، فخل إذاً عنهُ ولا تكن سبب تكدير كاس فرحنا الصافي" وللحال جلسوا ودعوا الفتى ان يأتي فيسجد معهم للآلهة وهم يلاطفونهُ ويتملقون لهُ، فلم يصغِ الى تمليقاتهم وقال: "لا تجهدوا انفسكم عبثاً، فإنّي نصرانيّ فلستُ اشارككم اذن في ذبائحكم الكفريّة" فقام عليه ابوهُ ليضربهُ ثانيةً، غير ان الحضّار منعوهُ عن ذلك وقالوا للصبيّ: "هلا تقوم وتسجد للآلهة، فاسرع واذعن ولا تعارض اباك" فقال الفتى: "إني إنما ليسوع الناصريّ فقط اسجد وإياهُ اخدم" فاحتار الحضار من المجوس في امره، وظنوا انهُ رأى رؤيا، فقالوا لهُ: "قُل لنا يا عزيزنا ماذا اصابك وماذا رأيت وماذا قيل لك؟" فأجابهم الفتى الشجيع قائلاً: "إنهُ بان لي ووضح مثل الشمس في رابعة النهر انّ الذي تجرأ عليه اليهود وصلبوهُ هو رب الكل وخالق السماء والارض، ينعم على الذين يقرون به ويعتمذون باسمه القدّوس بالحيوة الابديّة والسعادة السماوية، واما الذين ينكرونهُ كافرين به فيتعذبون الى الابد الابدين في جهنم النار، فآمنوا انتم به واعتمذوا باسمه وإلا فتطالبون بدمه الكريم".

فلما سمع منهُ المجوس هذا الكلام جنوا غيظاً فاخذوا يحملون اباهُ على قتله فلما ايقن الخدام ان والدهُ قد جزم ان يهلكهُ عجلوا في تمكينه من الانهزام، فخرج باسوس ودعا اختهُ سوسان وخادمهُ اسطفانس الى الاستشهاد معهُ، فتسارعوا جميعاً الى الشيخ الناسك واخذوا يرتقون الجبل، وكان ابورزد قد استل سيفهُ ولحق اثرهم، فأدرك اولاً اسطفانس وهو يتصعد في ذيل الجبل، فأوقع فيه صيحة

عظيمة ارتج لها الجبل، فارتخت مفاصلهُ من شدة خوفهِ فوقع على الأرض، فانزل به ابورزد السيف وقطعهُ ارباً ارباً.

وكان باسوس واختهُ سوسان يرتقيان الجبل قاصدَين لونجينا الشيخ القدّيس، اما سوسان فبلغ الضعف منها حدهُ، فخارت قوتها فوقعت على الارض، وبينما كان اخوها يشجعها ويساعدها على النهوض إذ طلع عليهما ابوهما وهو يصرّ بأسنانه غيظاً وحنقاً، فلما رآهُ باسوس مقبلاً عليهما اخذ يقوي عزم اختهِ، فقال لها: "هوذا قد حان الزمان الذي فيه تنالين اكليل الشهادة، فاستعدي لهُ من كل قلبك" قال هذا وتركها والحزن يملأ قلبهُ، وشرع يعجل في التصاعد في الجبل قاصداً مغارة معمذه ومعلمه لونجينا، وادرك ابورزد ابنتهُ سوسان، فمسكها بيده بقوة وقال لها: "العلكِ انت ايضاً يا شقية قد جننت نظير اخيكِ الخائن، فاكفري بالذي صلبهُ اليهود، وإلا سَقيتكِ الآن كاس المنون" فقالت لهُ: "لا اكفرنّ بهِ ابداً فانهُ خالقي ومخلصي وبهِ اعترفتُ وبهِ اقرّ ولهُ اسجد، كفرتُ بآلهتك الكاذبة وجحدتُ الشمس نبذتُ القمر" فازداد عليها غضباً وضرب عنقها الكريم بالسيف فوقعت جثتها على صخرة هناك.

ثم عجل في إلحاق بابنهِ وجعل يرتقي الجبل قاصداً مغارة الشيخ القدّيس وفي وصوله اليها شاهد الناسك واقفاً على مدخلها، ومن دون ان يسألهُ عن امرهِ وحاله هجم عليهِ بشدة حنقهِ فعالجهُ بضربة سيف بها حزّ راسهُ المبارك، فسقطت جثتهُ تحت الجلمد الذي هنالك ثم انّ ابورزد لما دخل المغارة ليقتل ولدهُ لم يرَ فيها احداً، وذلك لانّ الله تعالى كان قد شقّ الصخرة التي فوق المغارة فخرقها القدّيس وخرج منها الى قمة الجبل، وكان هنالك يصلي بخشوع متأهباً للموت اما ابوهُ فلدى خروجهِ من المغارة رفع بصرهُ الى قمة الجبل فرأى ثم رعاة يرعون غنمهم، فارتقى اليهم وسألهم عن ابنهِ، فدنا منهُ احدهم واكد لهُ حالفاً ان لهُ عشرين يوماً لم يرَ ابنهُ، لكن واحدا آخر كشف لهُ الأمر وقال لهُ: "إنني الآن ابصرتُ ابنك مختفياً في شقّ صخرة هناك" فسارع اليهِ، فلما عاين باسوس اباهُ

مقبلاً اليه بالسيف صرخ قائلاً: "يا ربّ اقبل روحي" وبكى بكاءً مراً ملتمساً الى ابيهِ ان يهدئَ غضبهُ فيضرب عنهُ ويمسك عن عبادة الأوثان، لكن ابوررزد كان قد انقلب من حال الوالد الى صفة المعذّب القاسي، وكان قلبهُ وذهنهُ قد امسيا صوانتين لا يؤثر فيهما شيء، فهجم عليهِ نظير اسدٍ ضارٍ وقطع يديهِ الاثنتين فراسَهُ، وألقى جثّتهُ في ذلك الشقّ عينه.

إن الله العادل احل القصاص بابوررزد وذلك انّهُ في عودتهِ ذهب تواً الى هيكل آلهتهِ ليقدم لها الذبائح ابتغاء ان يُرضيها بقتل ولدَيهِ، فاصابت النار ذلك الهيكل فاحترق بابوررزد وبجميع من كان معهُ من المجوس، وكذلك ايضاً عاقب سبحانهُ ذلك الراعي المُخبر، فإنهُ في ذلك اليوم بعينهِ لصق بهِ برص اكال فامتلأ عاراً وخزياً واما الراعي الذي اراد إخفاء القديس فذهب الى قريتهِ واخبر النصارى الذين فيها بواقعة الحال، فاتوا وقبروا القديسة سوسان ومار لونجينا تحت الجلمد الذي كان هو سكن فيهِ، ودفنوا مار باسوس في موضع قريب من قمة الجبل، وبنوا فيهِ هيكلاً عظيماً وسموهُ باسم القديس واما يداهُ فذهب بهما اهل حديل الى قريتهم ووضعوهما في مكان لائق.

واستشهد مار باسوس ورفاقهُ في اليوم الحادي عشر من شهر ايار ، ولهُ ولاختهِ من العمر اثنتا عشرة سنة وثلاثة اشهر.



سيرة اشهر شهداء المشرق القديسين



الجزء الاول

بقلم : أدّي شير مطران سعرد على الكلدان



معهد التراث الكردى

